

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة



الكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية
القسم: التاريخ
مخبر التوطن: مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية

أطروحة

لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث

الميدان: علوم إنسانية
الشعبة: التاريخ:
الاختصاص: الأوضاع الاقتصادية في المشرق الإسلامي خلال القرن 1-7هـ.
من إعداد:
شوانة خولة

بعنوان

الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وآثارها الاقتصادية على الدولة العباسية من خلافة المأمون إلى خلافة
الطائع لله 198هـ-381هـ / 814م-991م

بتاريخ 13-10-2025م

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
السيدة عطايي سناء	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
السيد خالد مسعود	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا مقرر
السيد بن مارس كمال	أستاذ التعليم العالي	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
السيد بولعراش خميسي	أستاذ التعليم العالي	بجامعة ملين دباغين سطيف 2	ممتحنا
السيد بكاي عبد المالك	أستاذ التعليم العالي	بجامعة أحمد ملين دباغين سطيف	ممتحنا
السيدة يوسف أحلام	أستاذ محاضر —	بجامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025 - 2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من
بعث هاديا ومعلما سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..... وبعد

يسعدني في البداية أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور "خالدي مسعود"
الذي تفضل بقبول الإشراف على أطروحتي، ولم يدخر جهدا في شحذ هممتي
ونصحي وإرشادي، فله كل الشكر والاحترام، وجازاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك
في ميزان حسناته.

أتوجه بفائق الشكر والتقدير إلى الأساتذة المناقشين على تفضلهم بقبول مناقشة
هذه الأطروحة.

وكل الشكر المقرون بالحب والعرفان لأساتذة التاريخ بجامعة 08 ماي
1945 بقالة ، وأخص بالذكر أساتذة التاريخ الوسيط.

وفي الأخير أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب
أو من بعيد لإنجاز هذه الأطروحة.

الباحثة: شوانة خولة

الإهداء

إلى أصحاب الكلمات التي سارت بي نحو النجاح أبي وأمي
حفظهما الله وأطال عمرهما بكل خير، فقد كانا على الدوام ملهمي،
وها أنا على دربهما أسير وبعلمهما أقتدي.

إلى من ساند خطاي وكان خيرا لأهله..... زوجي العزيز حفظه
الله وأدام وجوده.

إلى من غرسوا في نفسي الأمل والطموح أخي محمد الشريف
وأختاي جهينة وشروق حفظهم الله.

إلى روعي وقُرّة عيني....ابنتي "ليان" حفظها الله ورزقني برها.
إلى أفراد أسرتي وأساتذتي وأصدقائي و كل من دعا لي بالخير.

المقدمة:

الحمد لله الذي بِنِعْمَتِهِ تتم الصالحات وبشكره تدوم النعم، والحمد لله الذي بتوفيقه وتيسيره تصلح الأمور وتتم كُبرى النعم، الحمد لله الذي تستقيم باسمه الأمور، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

التعريف بالموضوع وأهميته وأهدافه:

يعد الاقتصاد أحد الأعمدة الرئيسية التي ترتكز عليها الدول والحضارات الإنسانية التي شهدها العالم منذ أقدم العصور، إذ الأمر نفسه ينطبق على من تزامنت مع التاريخ الوسيط الذي شهد تحولات بنيوية كبرى في أنماط الإنتاج وتنظيم المجتمع والعلاقات الدولية، من هذا المنطلق تأتي أهمية الدراسات الحضارية التي تتناول اقتصاد الدول في تلك المرحلة، حيث أنها تُمكن الباحث من فهم طبيعة المجتمع باعتبار الاقتصاد محركا مركزيا للسلوك الاجتماعي والسياسي، كما أنها تتيح المجال لدراسة تطور الأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ومالية مما يساهم في فهم وتفسير أسباب الازدهار والانحطاط في الحضارات المختلفة، وتكشف عن آليات توزيع الثروة ومسارات الإنتاج والاستهلاك، كما تساهم هذه الدراسات في تحليل دور الدولة في تنظيم الموارد ومواجهة الأزمات الاقتصادية.

في إطار الحديث عن أهمية الدراسات التاريخية التي تعنى بالتاريخ الاقتصادي للدول في العصر الوسيط يكتسب النظر في الوضع الاقتصادي للدولة العباسية أهمية بالغة، خاصة وأنها تمثل نموذجا بارزا لتفاعل النشاط الاقتصادي، وذلك بفضل تنظيماتها الاقتصادية والإدارية المتناسقة وتشابك قطاعاتها الإنتاجية الرئيسية كالزراعة والصناعة والتجارة والمعاملات المالية التي جعلتها تحتل مكانة اقتصادية إقليمية ودولية؛ رغم ما قد واجهته الخلافة من تحديات بشرية جعلت مؤشرات الاضطراب السياسي تظهر جلية من خلال الأحداث والسلوكيات التي كانت تصدر عن أفراد طبقات المجتمع العباسي دون

استثناء، كما أنها تعرضت لتحديات طبيعية تمثلت في الكوارث الطبيعية التي اتسمت بطابعها الفجائي والشمولي.

تكتسب دراسة التحديات البشرية والطبيعية التي واجهت الخلافة العباسية أهمية كبيرة في فهم المسار الاقتصادي لهذه الدولة وقوة تأثيرها في المجتمعات الإسلامية آنذاك، فقد عرفت الدولة العباسية سلسلة من الكوارث الطبيعية كالفيضانات والجفاف والأوبئة التي كانت تنعكس مباشرة على الوضع الاقتصادي العام للدولة، كما واجهت في المقابل تحديات بشرية متنوعة تمثلت في الاضطرابات السياسية التي سببها ضعف السلطة وتدخل العناصر الأجنبية في الحكم وتنامي نفوذ القوى الإقليمية، إن تحليل هذه التحديات يكشف كيف أسهمت في إضعاف المركزية العباسية تدريجاً وتشكيل ملامح الاقتصاد والمجتمع خلال مختلف مراحل العصر العباسي، كما يتيح هذا النوع من الدراسات فهماً أشمل للعلاقات بين العوامل البيئية والظروف السياسية وتأثيرهما معاً في استمرارية واستقرار الدولة اقتصادياً، بناءً على ما سبق جاء موضوع دراستي بعنوان: الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وآثارها الاقتصادية على الدولة العباسية من خلافة المأمون إلى خلافة الطائع لله

198هـ-381هـ/814م-991م

حظي الجانب الاقتصادي للدولة العباسية باهتمام ملحوظ من قبل الباحثين، حيث قُدمت فيه دراسات عديدة تناولت جوانبه المختلفة بالتحليل والمقارنة فكشفت عن مكان القوة والضعف فيه، إلا أن هذا الزخم البحثي وعلى أهميته لم يُحِطْ بعدُ بجميع الاشكالات المرتبطة به، مما يجعل المجال ما يزال مفتوحاً أمام المزيد من الدراسات التي يمكن أن تسد ثغرات بحثية خاصة وأن العصر العباسي شكل مرحلة ازدهار اقتصادي واسع النطاق امتد تأثيره ليطال البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للعالم الإسلامي، كما أن ما شهده من أزمات اقتصادية وتقلبات مالية وزراعية في الفترات اللاحقة أسهم في تراجع قوة الدولة وضعف مركزيتها، ولذلك يستمر المؤرخون في تحليل النظم الاقتصادية العباسية وتتبع

مظاهرها ومؤسساتها وتأثيرها على الحياة اليومية بهدف تقديم رؤية أكثر عمقا لمجريات التاريخ، وربط الأحداث السياسية والكوارث الطبيعية بتأثيراتها الاقتصادية التي غالبا ما تكون العامل الحاسم في تقدم الدول أو انهيارها.

يعد عبد العزيز الدوري¹ -على سبيل المثال لا الحصر- من أبرز المؤرخين الذي اهتموا بالتاريخ الاقتصادي للدولة العباسية، حيث أنه من أوائل من أبرز أهمية العوامل الاقتصادية في فهم تطور الحضارة الإسلامية، اعتمد الدوري على تحليل بنية الاقتصاد العباسي من خلال دراسة مؤسسات الدولة المالية كالخراج والضرائب، وتتبع النشاط التجاري والزراعي والصناعي كما ركز على علاقة الاقتصاد بالبنية الاجتماعية، مبينا كيف ساهم الازدهار الاقتصادي للدولة العباسية في ترسيخ نفوذ الدولة، في حين أوضح مساهمة التدهور الاقتصادي في العصور اللاحقة في ضعف السلطة المركزية.

قدم آ. آشتور² مراجع علميا مهما تناول البنية الاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي بتحليل عميق وشمولية تبرز أهمية هذا الكتاب كونه لا يكتفي بعرض الأحداث السياسية بل تجاوزها إلى دراسة أنماط الإنتاج الزراعي والتجاري والصناعي وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين مختلف فئات المجتمع العباسي، كما يبرز آشتور دور العوامل الاقتصادية في توجيه مسار الدولة وتأثير التحولات الاجتماعية على بنية السلطة والاقتصاد، يتميز الكتاب ببناؤه على مصادر عربية وأجنبية متعددة مع اعتماد منهج تحليلي مقارنة ما جعله

¹ - عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، (د.ت)- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995.

² - آ.آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، تر: جاسم صكبان، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق، ط1، 2016.

مرجعا لا غنى عنه للباحثين في التاريخ الاقتصادي والحضاري الاسلامي وللمهتمين بفهم أسس ازدهار الدولة العباسية وتراجعها عبر الزمن.

ركزت عدد من الدراسات على تحليل عناصر محددة ضمن المنظومة الاقتصادية للدولة العباسية³، وأنجزت العديد من الرسائل الجامعية التي تناولت قضايا اقتصادية مختلفة شهدت الخلافة العباسية⁴ إلا أنها لم تستوف بعدُ جميع الاشكالات المطروحة في هذا المجال، إذ تكشف القراءة التحليلية للعديد من الدراسات عن مساحة واسعة غير مطروقة تتعلق مثلا بالتحديات الطبيعية والبشرية وانعكاساتها على البنية الاقتصادية، وهذا ما أتاح لي فرصة اختيار هذه التحديات كدراسة تكون أكثر تخصصا تُسهم في استكمال الصورة الشاملة للاقتصاد العباسي.

³ - حسين المصري: تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982. حمدان عبد المجيد الكبيسي: أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، (د.ت).

⁴ - إلهام هاني نعمة: الأسواق في المشرق الإسلامي والنشاط الاقتصادي والتجاري من العصر العباسي الى الغزو المغولي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2011. صفاء حسن أحمد عوض الله: دور التجارة في إثراء الحركة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني المقومات والاسهامات (232-656هـ / 847م - 1258م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أم درمان، السودان، 2012. فهد مطر المطيري: التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247هـ - 334هـ، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد والمصارف، جامعة اليرموك، 2016/2015. فؤاد طوهارة: السياسة المالية في الدولة العباسية 132هـ - 232هـ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2016-2017. روند خالد: الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي 132هـ - 334هـ / 749م - 946م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2018.

تجدر الإشارة إلى أن أغلب الدراسات التي تناولت التاريخ السياسي للدولة العباسية كانت في أغلبها منفصلة عن الدراسات الاقتصادية⁵، إذ ركزت على صراعات السلطة وآليات الحكم وتطورات بنية الدولة دون التوقف طويلاً عند انعكاسات هذه المتغيرات على الواقع الاقتصادي، وهذا الفصل المنهجي بين الجانبين السياسي والاقتصادي جعل الحاجة ملحة اليوم إلى مقارنة أكثر شمولاً تربط بين الأحداث السياسية وتأثيرها المباشر وغير المباشر على النشاط الاقتصادي بما يسهم في بناء رؤية أكثر تكاملاً لمسار الحضارة العباسية.

حظيت الكوارث الطبيعية من جهة أخرى بنصيب من الاهتمام البحثي من خلال دراسات تخصصت في تتبع الأوبئة والفيضانات والجفاف والجراد وغيرها من الظواهر البيئية، جاءت أغلبها في شكل مقالات،⁶ حيث جاءت هذه الدراسات بمعزل عن دراسة تأثير تلك الكوارث على الحركة الاقتصادية وتوازن المجتمع، فاقصر البحث على الجانب الوصفي لتلك الأزمات دون ربطها بالبنية الاقتصادية والسياسات المالية للدولة ترك فجوى معرفية تحتاج إلى دراسات أكثر عمقا في تناول تفاعل العوامل الطبيعية مع التطورات الاقتصادية في العصر العباسي.

⁵ - مساعد بن مساعد محمد الصوفي: العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ - 334هـ)، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، 2008.

⁶ - مهى سعيد حميد: الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي "مجلة دراسات موصلية، للمؤلف، العدد 22، 2011. رائد محمد حامد: تأثير الفيضانات على السجون بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 13، 2013، محمد سعد اسماعيل: الأوبئة والظواهر الفلكية وأثرها في العراق في ضوء كتاب المنتظم لابن الجوزي 334هـ - 574هـ / 945م - 1178م، مجلة وقائع تاريخية، 2020، خالد بن خضير بن عليان الحربي: فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسي (132هـ - 656هـ)، مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية، المجلد 4، 2024.

حدود الدراسة:

تمتد الفترة الزمنية للدراسة من سنة (198هـ / 814م - 381هـ / 991م) أي من خلافة المأمون إلى نهاية خلافة الطائع لله، وسبب البدء بخلافة المأمون هو أن الحرب الأهلية التي نشبت قبل توليه الخلافة بينه وبين أخيه الأمين؛ والتي دامت خمسة سنوات مثلت بداية الانقسام في الخلافة العباسية، وكانت تمهيدا لما عانته فيما بعد من اضطرابات سياسية، وتنتهي بخلافة الطائع وهو ثاني الخلفاء العباسيين الذي تزامنت خلافته مع الهيمنة البويهية، فهذه الفترة شهدت تحولات سياسية كبيرة داخل الدولة العباسية، من توطيد السلطة في بغداد وظهور أزمات داخلية وصراعات على الحكم، إضافة إلى وقوع عدد من الكوارث الطبيعية التي تركت تأثيرا ملموسا على النشاط الاقتصادي، فهذه الفترة تعد مرحلة مفصلية لفهم العلاقة بين الأحداث السياسية والظواهر الطبيعية والاقتصادي العباسي.

أما عن الحدود المكانية للدراسة يركز البحث على الأراضي الخاضعة لسيطرة الدولة العباسية، وخصوصا المناطق التي كانت مركز النشاط الاقتصادي والسياسي مثل بغداد والكوفة والبصرة، إذ كانت هذه المدن الأكثر تأثرا بالاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية.

دوافع اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب والدوافع الذاتية والموضوعية والتي تمثلت فيما يلي:

تتمثل دوافعي الذاتية في ميولي ورغبتي الشديدة في دراسة المواضيع والجوانب الاقتصادية للدولة الإسلامية، والتي نمت وتعمقت خاصة خلال فترة التكوين في الماستر، إضافة إلى الرغبة في تقديم إضافة في حقل التاريخ الاقتصادي، خاصة ما يتعلق بالدولة العباسية

أما بالنسبة للدوافع الموضوعية فتمثلت في:

ندرة الدراسات التكاملية ، فأغلب الدراسات تناولت التاريخ السياسي أو الكوارث الطبيعية أو الاقتصاد العباسي كل على حدة، ما يترك فجوة في فهم العلاقة بين هذه العوامل وتأثيرها المشترك.

أهمية فهم العلاقة المتشابكة بين السياسة والبيئة والاقتصاد في التاريخ العباسي، إذ أن الأحداث السياسية والصراعات الداخلية والكوارث الطبيعية لم تؤثر فقط على استقرار الدولة بل كان لها انعكاس مباشر على النشاط الاقتصادي والحياة اليومية للمجتمع.

كما أن الدراسات السابقة غالبا ما تناولت هذه الجوانب بشكا منفصل، فكان من الضروري تقديم دراسات شاملة تربط بين الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية لتسليط الضوء على أبعاد جديدة وغير مستكشفة، وهو ما يسهم في إثراء المعرفة التاريخية وتحليل تطورات الدولة العباسية بشكل متكامل.

الدراسات السابقة وإشكالية الموضوع:

تعتبر الدراسات السابقة قاعدة الانطلاق لأي دراسة علمية في مختلف التخصصات، فهي تساعد على معرفة الفراغات أو الجوانب التي لم يسبق تناولها أو مناقشتها من طرف الباحثين أو ما يسمى "بالفجوة البحثية"، كما أنها تعتبر كنقطة انطلاق للعديد من الأبحاث بما قد تزود الباحث من نتائج وأفكار ومقاربات جديدة، من هذه الدراسات:

الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المشرق الاسلامي خلال العصر العباسي الثاني "عصر نفوذ الأتراك" (232هـ-334هـ / 847م-946م) للباحثة أسماء محمد السيد علي هذه الدراسة رغم أهميتها إلا أنها تقتصر في بعض جوانبها على معالجة الأحداث الكبرى بشكل عام دون الغوص في التفاصيل الدقيقة للآثار الاقتصادية على

القطاعات المختلفة مثل الزراعة والتجارة والأسواق المحلية، كذلك تفتقر الدراسة إلى ربط معمق بين الكوارث الطبيعية والاضطرابات الاقتصادية⁷.

المحن والأزمات الاقتصادية في العراق خلال العصرين البويهى والسلجوقي (334هـ - 6590هـ / 946م - 1193م) للباحث هيثم محمد محمد السائس رغم القيمة العلمية الكبيرة لهذه الرسالة إلا أنه ارتكزت بشكل أساسي على الجانب الاقتصادي والإداري للأزمات دون ربطها بشكل كاف بالعوامل السياسية والاجتماعية التي ساهمت في تفاقم الأزمات، كما أن الدراسة لم تمنح اهتماماً موسعاً لتأثير الكوارث الطبيعية والوبئة وهو جانب يمكن أن يعزز فهم طبيعة الأزمات المركبة في تلك الفترة⁸.

الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس إبان العصر البويهى والسلجوقي (334هـ - 590هـ / 946م - 1193م) للباحث طه حسين عبد العال حسين ركزت هذه الدراسة على الوصف التفصيلي للكوارث الطبيعية دون الربط الكافي بين هذه الأحداث وتأثيراتها الاقتصادية على الدولة والمجتمع بشكل معمق، إضافة أنها لم تعطي أهمية كافية للتفاعلات بين العوامل الطبيعية والسياسية التي تزيد من حدة الأزمات وهو جزء مهم لفهم الديناميكية الكاملة لهذه المرحلة⁹.

تتبع إشكالية البحث حول مدى تأثير العوامل السياسية والكوارث الطبيعية على التراجع الاقتصادي للخلافة العباسية والتي يمكن طرحها بالشكل التالي: هل اجتمعت المظاهر السياسية والطبيعية لرسم الخريطة الاقتصادية للدولة العباسية من القرن 2-4هـ؟ أو لأي من المظهرين يمكن نسب ما آل إليه الاقتصاد أكثر؟

⁷ - دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الاسكندرية، 2019، (رسالة غير منشورة).

⁸ - دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الاسكندرية، 2018، (رسالة غير منشورة).

⁹ - دراسة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة عين شمس، 2009، (رسالة غير منشورة).

بمعنى آخر هل ثقل التراجع الاقتصادي تتحمله الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية على حد سواء؟ أم أن الأمر متعلق بأحدهما؟ هل يمكن دراسة ظاهرة الاقتصادية في الدولة العباسية بمعزل عن المؤثرات السياسية والطبيعية؟

للإجابة على الاشكالية استوجب طرح تساؤلات التالية:

• ماهي أسباب الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدولة العباسية باستمرارية لامتناهية باستثناء فترات قليلة؟

• كيف أثرت الصراعات الداخلية والانقلابات على استقرار الدولة ومواردها الاقتصادية؟

• ماهي الكوارث الطبيعية التي شهدتها الدولة العباسية؟ وكيف انعكست على الوضع الاقتصادي؟

• هل كان هناك تداخل بين آثار الكوارث الطبيعية والاضطرابات السياسية، بحيث يزيد أحدهما من حدة الآخر؟

• كيف تعاملت الدولة العباسية مع التحديات الاقتصادية الناتجة عن هذه العوامل؟

مناهج الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث المتعلقة بالأحداث السياسية و حوادث الكوارث الطبيعية وآثارها الاقتصادية خلال الفترة (198هـ / 814م - 381هـ / 991م)؛ اتباع المنهج التاريخي بأدواته المختلفة من وصف وتحليل وإحصاء كما يلي:

• المنهج التاريخي الوصفي: الذي يعتبر من المناهج المناسبة للموضوعات التي تدور حول الظواهر الطبيعية والمشكلات التي تتعلق بالأفراد، ووصفها كمياً بهدف الوصول إلى أرقام تتعلق بالمشكلة أو الظاهرة، اعتمدته في: دراسة الاحداث والظواهر كما وقعت في سياقها الزمني، مع تحليل الأسباب والنتائج والارتباطات بين العوامل المختلفة، تقديم الوقائع السياسية والطبيعية كما وثقتها المصادر التاريخية مع التركيز على الأحداث المهمة التي ساهمت في تراجع الاقتصاد العباسي، وصف حوادث الكوارث وما خلفته من آثار اقتصادية،

وصف معطيات الأعمدة البيانية والدوائر التي أوردتها في العديد من المباحث وذلك لاستقراء المعطيات حتى يسهل الاستنتاج.

- المنهج التحليلي: اعتمدت عليه في تحليل أسباب الفساد الإداري ومناقشتها وتفسيرها، وتحليل كل ما يتعلق بالحركات الاجتماعية بمختلف أبعادها، تحليل العلاقة بين كل من الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وما لحق الجانب الاقتصادي من أضرار جرائهما.
- المنهج الإحصائي: الذي يعتمد على لغة الأرقام بهدف الحصول على نتائج أكثر دقة، ومن أجل السهولة في التعامل والقدرة على الفهم، ومن ثم وضع تفسيرات مناسبة لفهم الظواهر حيث اعتمدت عليه في: إحصاء أعداد تكرار حوادث الكارثة الواحدة، والوقوف على العدد الإجمالي للكوارث التي تعرضت لها الخلافة خلال فترة الدراسة، وذلك للوصول إلى أكثر الكوارث تأثيراً على الوضع الاقتصادي.

عرض ونقد لأهم مصادر ومراجع الموضوع:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على عدد من المصادر والمراجع العربية والمعرّبة التي اعتبرت كمادة أولية لها، والتي سنوردها فيما يلي تبعا درجة الاستفادة منها:

1- المصادر التاريخية: التي اعتمد أغلبها على المنهج الحولي، فأعطينا تسلسلا للأحداث والوقائع التاريخية واستطعت بفضلها رسم هيكل للدراسة، حيث اعتبرت مادتها كنقطة انطلاق في بحثي؛ لاشتراكها في إيراد بعض التفاصيل مما يؤكد صحتها، وانفراد بعضها الآخر ببعض الأحداث، مما أفادني في سد بعض فجوات البحث، وعلى رأس المصادر التي تزودنا بمعلومات وافية عن تاريخ الدولة العباسية وخاصة فترة الدراسة.

- تاريخ الرسل والملوك للطبري محمد بن جرير (ت310هـ / 922م)، حيث يعتبر الطبري في هذه الفترة التاريخية معاصرا للأحداث وشاهد عيان لها، إذ كتب أحداثها حتى سنة 302هـ / 914م معتمدا على وثائق الدولة الرسمية، وقد أفادنا بمعلومات تتعلق بتولية

وعزل ولي العهد والأطراف المتدخلة في ذلك، وسير الحملات العباسية البيزنطية، كما أورد الطبري أحداث الكوارث الطبيعية بشيء من التفصيل، لذا اعتمدت عليه في أغلب فصول الدراسة.

- أخبار الرازي والمتقي للصولي أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله (335هـ / 947م)، تحدث هذا الكتاب عن تاريخ الدولة العباسية من سنة 322هـ وحتى سنة 333هـ، هذه الفترة شملت خلافة الرازي بالله والمتقي بالله وهي من أبرز فترات الضعف في تاريخ العصر العباسي الثاني، لذا استفدت من هذا الكتاب كثيرا في معرفة أحداث هذه الفترة التي تزامنت مع استحداث منصب أمير الأمراء وتأثير ذلك على الجانب الاقتصادي.

مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي علي بن الحسن (ت345هـ / 958م)، تميز المسعودي أنه كتب مادته التاريخية بدقة وعمق وحرية تامة، حتى أنه لم يجد حرجا في انتقاد الخلفاء العباسيين المعاصرين له ووصفهم بالضعف وسيطرة الأتراك عليهم، فذكر أنهم أصبحوا "مقهورين خائفين قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة"، وقد أفاد هذا الكتاب دراستي في الكثير من الحوادث التاريخية التي تهم الخلفاء وأحوالهم وكيفية تعيينهم و علاقتهم بمراكز القوى بالدولة، كما تناول حركة الزنج والقرامطة.

تجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ - 1030م)، يعد هذا الكتاب من أفضل الكتب التي تحدثت عن فترة السيطرة البويهية، وقد أفادني بمعلومات قيمة في النواحي السياسية من حروب وفتن واضطرابات داخلية وخارجية، كما عرض مجموعة من الكوارث الطبيعية التي ألمت بتلك الفترة، تحدث عن سياسة المصادرة التي أصبحت عادة متبعة للحصول على الأموال، كما أفادني في جزئية الإقطاع العسكري.

الأنباء بتاريخ الخلفاء لابن العمراني (ت580هـ) ، تناول العمراني تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين حيث يورد نسب الخلفاء ثم الأحداث التي جرت في عهدهم حيث أفاد البحث بالأحداث السياسية الخاصة بالخلفاء.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي عبد الرحمان بن علي (597هـ/1200م)، ألف ابن الجوزي العديد من المؤلفات ومن أهمها المنتظم وهو كتاب يحتوي على حوادث مكتوبة بالسنين، وكذلك تراجم ويضم معلومات قيمة عن التاريخ الاسلامي، حيث يذكر حوادث كل سنة ويختمها بوفيات تلك السنة، فقد تميز هذا الكتاب عما سبقه من كتب في كونه يسرد الأحداث التاريخية على مدار السنوات، تحدث عن جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أفاد دراستي في جمع معلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية وفي السرد الحولي لموجات الغلاء، الأمراض والأوبئة، وغيرها من الكوارث.

الكامل في التاريخ لابن الأثير علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملق بجز الدين (ت630هـ)، الذي شمل 11 مجلدا منذ بدأ الخليفة وابتداء الزمان حتى عصره حيث انتهى سنة 628هـ، التزم ابن الاثير في كتابه بالمنهج الحولي في تسجيل أحداث المشرق والمغرب، وهذا ما أعطى كتابه طابع التاريخ العام في الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل إقليم، احتوى كتابه على أحداث وأخبار هامة تتعلق بفترة الدراسة منها تسلط القادة الأتراك على شؤون الحكم، كما تناول سنوات وقوع الكوارث الطبيعية، فعلى الرغم من أن مؤلفه بعيد عن فترة الدراسة بما يقارب القرنين من الزمن، فإنه تميز بذكر عدة تفاصيل دقيقة ملأت بعض الثغرات في الدراسة.

وكذلك استقذت من كتاب البداية والنهاية لابن الكثير (ت774هـ) والذي اعتمد على من سبقه من المؤرخين كالطبري ومسكويه لكنه أفادني في التأكد من بعض المعلومات، وكان لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت808هـ) فضل في وصفه أحداث

تلك الفترة كما أمدني بنظريات تخص ارتقاء الحضارات وانحطاطها والتي اسقطتها على واقع الدولة العباسية في كثير من الأحيان.

2- كتب الرحلة والجغرافيا ومعاجم البلدان:

البلدان لليعقوبي (ت284هـ) الذي جمع في كتابه الخبرة التاريخية والجغرافية جنبا إلى جنب، فقد كان عالما بالأسفار وأخبار الأمم السابقة، ساعدني هذا الكتاب في معرفة مناخ العراق وتحديد مواقع كثير من المناطق والمدن خاصة الأسواق.

صورة الأرض لابن حوقل (ت367هـ / 977م) هو كاتب وجغرافي ورحالة مسلم من القرن الرابع هجري، يعتبر كمصدر جغرافي تحدث عن أقاليم البلدان الإسلامية من بينها العراق، وما انتجته من ثروات زراعية، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (380هـ / 990م) حيث قدم وصفا تفصيليا للأقاليم الإسلامية ومن بينها العراق، استندت من هذين المصدرين في توضيح مناخ المنطقة ومن ثم الوقوف على التغيرات الحاصلة والتي كانت تحدثها تؤدي لكوارث مناخية ومن ثم معرفة آثارها على الاقتصاد، كما أفادني المصدرين بوصف دقيق للموارد المائية خاصة الأنهار وأنواع التجارات ، وأعطى صورة واضحة عن ما آلت إليه أوضاع العراق خلال القرن الرابع هجري.

معجم البلدان للحموي (ت626هـ) يعد هذا الكتاب موسوعة عظيمة في أسماء البلدان والجبال والأودية والبحار... لذا فقد أفادني كثيرا في تحديد بعض من خصائص المناخ في المنطقة معرفة لأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزخر بها المنطقة، واستعنت بالعديد من أجزائه للتعريف والتوضيح بالأماكن الجغرافية.

3- كتب الأحكام السلطانية:

كتابه الأحكام السلطانية للماوردي (ت 450هـ)، كان من الفقهاء البارزين وصاحب كثير من التصانيف النافعة المتميزة، تولى القضاء في بلدان كثيرة، ثم تولى منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، وكان له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والأمراء، عايش مرحلة حرجة من المراحل التي مرت بها الخلافة في مركز الخلافة بغداد تمثل في سيطرة البويهيين على زمام الأمور في بغداد، ولم يكن للخليفة في ظل وجودهم أي تأثير وإن أبقوا على وجود الخليفة كغطاء على وجودهم الشرعية أمام العامة، أفادني في تحديد أحكام الاقطاع ، وجميع أنواع الضرائب الشرعية والمستحدثة.

4- كتب الخراج والأموال: بحكم طبيعة الموضوع الاقتصادية؛ استوجب الاعتماد على مجموعة من مصادر التراث الاقتصادي المالي، التي تناولت مالية الدولة العباسية خلال القرنين الثاني والثالث هجري، منها: كتاب الخراج لأبي يوسف (ت 183هـ) الذي أفادني في الأحكام المتعلقة بتقسيم الأراضي وإقطاعها، الضرائب المتعلقة بالأرض والطرق التعسفية المطبقة في جمع الخراج خاصة، كتاب الخراج لقدامة بن جعفر (ت 337هـ) والذي أفادني في تحديد مقادير الخراج مما سهل لي مقارنتها بما ذكر في غيره من المصادر.

5- المعاجم اللغوية والقواميس:

قدمت هذه المؤلفات توضيحات مهمة لكثير من المصطلحات التي وردت في الدراسة ومن أهمها مفاتيح العلوم للخوارزمي (385هـ) وكذلك لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) بأجزائه المختلفة.

تاريخ العراق الاقتصادي خلال القرن الرابع هجري لعبد العزيز الدوري الذي استطاع في مؤلفاته التاريخية أن يقدم صورة جديدة للتاريخ العربي الإسلامي، عن طريق دمجهِ لأصالة

البحث التاريخي في مؤلفات المؤرخين العرب القدماء، مع أدوات التحليل والبحث، وفي كتابه هذا أفادني في معرفة الواقع الاقتصادي للخلافة العباسية.

الرأي العام في القرن الثالث هجري (198هـ - 295هـ/813م - 907م)، لمؤلفه الألويسي عادل محي الدين، تناول المؤرخ دراسة طبيعة المجتمع العباسي، إضافة لما شهدته المجتمع خلال هذه الفترة من انقسامات سياسية واجتماعية، وضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخليفة، كما تحدث الألويسي عن تردي الأحوال الاقتصادية وأسباب تذمر الرأي العام الإسلامي في هذه الفترة، وكتاب الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية لمحمد نجيب أبو طالب الذي أمدني بمعلومات تخص أسباب الحركات الاجتماعية في الدولة العباسية، وكتاب العامة في بغداد دراسة في القرنين الثالث والرابع هجري دراسة في التاريخ الاجتماعي لفهمي سعد والذي أمدني بمعلومات تتعلق بأفراد المجتمع العباسي والأسواق، وأفادتي المقالات الأجنبية في معرف موقف المستشرقين في معرفة أسباب الاقطاع العسكري

خطة الدراسة: للإجابة على الإشكالية وما صاحبها من تساؤلات؛ اعتمدت خطة تضمنت أربع فصول إلى جانب المقدمة والخاتمة وملاحق لها صلة بالموضوع، أوردت في المقدمة العناصر التي توضح مسار البحث من خلال التعريف بالدراسة وأسباب اختيار الموضوع وكذلك أهميته وذكر الحدود الزمانية والمكانية ، بالإضافة إلى طرح الإشكالية التي سعت من خلال هذا البحث الإجابة عنها، كما تطرقت فيها إلى شرح خطة العمل وتوضيح الخطوط الرئيسية لها، والمنهج المعتمد والدراسات السابقة التي تناولت بالبحث والدراسة جوانب هذا الموضوع، وكذلك أهم المصادر الرئيسية والمراجع التفسيرية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة بالإضافة لما واجهني من صعوبات.

اندرج الفصل الأول تحت عنوان: «: أسباب غياب الاستقرار السياسي في الدولة العباسية» والذي تمت معالجته في المباحث التالية:

جاء المبحث الأول تحت عنوان "الصراع حول السلطة وسيطرة العناصر الأجنبية على مؤسسة الخلافة"، انطلقت في هذه الجزئية من مشكلة ولاية العهد وغياب نظام موحد لتعيين الخليفة وتدخل الحاشية في ذلك، وصولاً إلى مرحلة السيطرة العسكرية وظهور منصب أمير الأمراء، ثم التسلط البويهى على مقاليد الخلافة، ولإظهار درجة خضوع الخليفة ومدى تعرض حياته للخطر أوردت جدولاً يوضح نهاية كل خليفة، بناءً على ما ورد في المصادر من معلومات بخصوص بداية ونهاية حكم كل خليفة، ولإثبات خضوع ذلك للأوضاع السياسية السائدة أنجزت أعمد بيانية توضح سنوات حكم كل خليفة عباسي.

وكان عنوان المبحث الثاني "ظهور حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية وسياسية ودينية"، ركزت في هذا المبحث على الصراع في حال هيجانة بالتطرق لأهم الحركات التي برزت في قمة الأحداث آنذاك، دون الخوض في جزئياتها، عالجت في المبحث الثالث "الفساد الإداري والنزاع حول المناصب السياسية"، مبرزة الأسباب التي أدت لإحداث الاختلال في هذا الجهاز؛ مما أثر سلباً على الأوضاع السياسية، والتي تمثل في الرشوة، تعيين غير الأكفاء، توريث المناصب الإدارية وغيرها من الممارسات التي أضعفت السير الحسن لمؤسسات الدولة.

نظراً لأهمية أمن الحدود في الاستقرار السياسي للدولة؛ جاء المبحث الرابع تحت عنوان "الصراع على المناطق الحدودية"، أبرزت فيه الجذور التاريخية للصراع العباسي البيزنطي، والأسباب المتعلقة بكلا الطرفين، ولرسم صورة تقريبية وواضحة عن هذا الصراع أنجزت منحنى بياني يوضح منحنى الحملات بين الطرفين، ولإبراز اختلاف سياسة كل خليفة عباسي اتجاه منطقة الثغور؛ أنجزت دائرة نسبوية تمثل حملات كل خليفة عباسي اتجاه الأراضي البيزنطية.

اندرج الفصل الثاني تحت عنوان « النتائج الاقتصادية للاضطرابات السياسية » والذي تضمن المباحث التالية:

عالجت في هذا الفصل ما لحق الاقتصاد العباسي من آثار جراء من تعرضت له الدولة من فوضى سياسية، فكان المبحث الأول تحت عنوان " تراجع النشاط الزراعي نتيجة الفتن والحروب " عالجت فيه مساهمة العوامل البشرية في تراجع مقومات النشاط الاروائي، وكذا الأنظمة الزراعية التعسفية التي طبقت وأضررت بالأرض والفلاح.

تطرقت في المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان " تراجع العديد من الصناعات " تطرقت فيه لمقوما

ت النشاط الصناعي التي ساهمت في تطورها حتى بلغت الصناعات العباسية الريادة في الأسواق المحلية والعالمية ، و ثم تناولت ما آل إليه هذا النشاط جراء الفوضى والاضطرابات السياسية التي استهدفت الاسواق والمحلات بصورة مباشرة.

جاء المبحث الثالث تحت عنوان: " اختلال التوازن المالي " تحدثت عن حالات ارتفاع الأسعار خاصة أسعار المواد الغذائية، لارتباط الأسعار بالنقود انتقلت في هذا المبحث للحديث عن ما مسها من زيف ورداءة في العيار وانعكاس ذلك على سعر الصرف، وبناءا على إحدى الدراسات الميدانية التي أوردت أوزان الدينار العباسي، وضعت جدولا يوضح أوزانه وأقطاره؛ وذلك نظرا لِمَا لوزن العملة من دلالات اقتصادية وسياسية، وللوقوف على ما الزيف مس وزن العملة أم لا؟، ثم تحدثت عن أسباب تراجع الجباية وركزت خاصة على الخراج، باعتبار أن المصادر كانت تعبر عن مجموع الجباية بمصطلح الخراج، وتطرقت لعسف العمال وسوء جبايته وما طبقوه من أنظمة وسياسات في جمعه أضرت بالفلاحين والأرض، ثم انتقلت للحديث عن ما نقلته لنا المصادر من مقادير للخراج وربط تراجعها

وزيادتها بالاستقرار والاضطراب في الخلافة، أما في العنصر الثاني من هذا المبحث تطرقت فيه لسوء الإدارة المالية والعجز المالي الذي تعرضت له خزينة الخلافة.

خصصت المبحث الرابع لما اعترض التجارة والتجار من مخاطر جراء انعدام الأمن والكوارث الطبيعية فاندرج تحت عنوان «اضطراب حركة التجارة والأسواق» بعد عرض أهم الأسواق وما يمارس بها من أنشطة اقتصادية، لما تعرضت له الأسواق من نهب وحرق باعتبارها مركز للتجارة والصناعة؛ فقد استُغِلَّت في كثير من الأحيان في الصراعات فكانت عرضة للحرائق، ثم تطرقت لمسألة قطع الطرق التجارية البرية والبحرية وقوافل الحج فبدأت بالحديث عن واقع التجارة البرية والبحرية وأهم الطرق البرية والموانئ في ضوء الاستقرار السياسي، ثم انتقلت للحديث عما ارتكبه قطاع الطرق والقراصنة من جرائم وتجاوزات أضرت بالتجار والحركة التجارية وطرق الحج.

اندرج الفصل الثالث تحت عنوان «رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية» والذي تضمن المباحث التالية:

خصصت المبحث الأول لدراسة "الكوارث المناخية"، ولارتباط هذا النوع من الكوارث بعناصر المناخ أوردت بإيجاز مميزات المناخ في العراق، اعتماداً على المصادر ومجموعة من المراجع المعاصرة التي تؤكد عدم اختلاف بعض الخصائص في مناخ المنطقة، وذلك بناءً على المعطيات الواردة في المصادر والمثبتة بأدلة علمية، ثم أوردت الكوارث المتعلقة بالتساقط كالأمتار والسيول، سقوط البرد والثلج، انحباس الأمطار وحدوث الجفاف، ثم تطرقت لحوادث هبوب الرياح، وربطت كل كارثة بآثارها الاقتصادية.

أما المبحث الثاني فقد استعرضت فيه الآفات الزراعية والوبائية وأثرهما الاقتصادي، حيث حاولت أولاً التعريف بمعنى الآفة وادرجت حوادث هجوم الجراد والقوارض، ثم وضحت

أسباب حدوث الأوبئة حسب ما أوردته المصادر الفقهية والطبية، وانتقلت لسرد سنوات ظهور وانتشار الأوبئة التي اعترضت الدولة العباسية مع تقديم تعريفات لبعض أنواع الأوبئة.

عالجت في المبحث الثالث الكوارث الجيولوجية والكونية وما خلفته من آثار اقتصادية، تعلق هذا النوع من الكوارث بما يصدر عن باطن الأرض والسماء من كوارث، واستهلكت الفصل بحوادث الزلازل مع تقديم تفسيرات لحدوثها، والتي امتزجت بين التفسيرات الخرافية والعلمية والدينية، ثم تطرقت لبعض الظواهر قليلة الحدوث كالمد والجزر، وظاهرة انقراض الكواكب التي تسبب في إحداث الرعب، إضافة لحدوث الصواعق واشتعال الحرائق التي اختلفت أسبابها بين الطبيعية وما هو مفتعل، واختتمت الفصل بأعمدة بيانية تمثل تكرار وقوع كل كارثة للوقوف على أكثر الكوارث حدوثاً.

أدرج الفصل الرابع تحت عنوان « النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعة » والذي شمل مبحثين: عالج المبحث الأول التأثير المزدوج للأزمات السياسية والطبيعية على المجتمع والاقتصاد العباسي، ومن ثم مساهمة السلطة العباسية في إدارة الأزمات الاقتصادية حيث عملت السلطة على إصلاح منشآت الري وتطوير المجال الزراعي، محاولة تحقيق الاستقرار المالي من خلال ضبط الاسعار والحد من غش العملة، كما حرصت السلطة على إدارة الأزمات المالية، بذل الخلفاء جهود لحماية السوق وتوفير سبل الأمن والأمان في الطرق التجارية البرية والبحرية وطرق الحج.

صعوبات الدراسة:

اتساع الموضوع وتشعبه بين مختلف الجوانب الاقتصادية مما صعب عملية حصره زمنيا ومكانيا.

صعوبة ضبط وانتقاء المادة العلمية التي تخدم الموضوع، نظرا للعلاقة المترابطة والتداخل بين مختلف الجوانب الاقتصادية.

لم تصرح المصادر في أغلب الأحيان بالآثار الاقتصادية للاضطرابات والكوارث الطبيعية، فكان واجبا عليا استنتاجها.

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

اختلفت العوامل التي ساهمت في حدوث الاضطرابات السياسية باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، وذلك لما تتميز به الأوضاع السياسية من حركية وتطور وتعقيد وتغير مستمر، يمكن أن تظهر هذه الاضطرابات في أشكال مخلفة كالانتفاضات، الحركات، انتشار الفساد.... مما يخلق جوا من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي.

ارتبط الاستقرار السياسي لدى ابن سينا: بوجود القائد العادل، إلى جانب الصفات الأخرى التي يتمتع بها كالشجاعة والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية،¹ كما ربطه الإمام الغزالي بقوة الحاكم وأهليته وشرعيته الدينية كإمام، وليس في امتلاك أدوات القهر والاعتماد عليها في حفظ أمن واستقرار المجتمع، ومن ثم فإنه يرى أن الطاعة يجب أن تتبع من اقتناع المحكومين أو الرعية بقدرة الحاكم على تسيير شؤون البلاد بما يكفل ويحقق المصلحة العامة، وليس لأنه يملك القوة و النفوذ اللذين يفرضان طاعته على المحكومين.²

بينما انطلق ابن خلدون في تحديده لمفهوم الاستقرار السياسي من العصبية ومساهمتها في اختيار الحاكم للسلطة السياسية، لأنها عبارة عن مجموعة من الناس تربط بينهم روابط الدم والقرباة، تختار من بينها القائد القوي وترشحه لتولي الحكم وتمنحه رضاها وتأييدها، لكن رغم أهميتها إلا أنها قد تتسبب في حدوث صراعات داخل المجتمع نتيجة تنافس العصبيات فيما بينها للوصول إلى السلطة التي تمثل لهم القوة والنفوذ.³

¹ -ابن سينا أبي علي الحسين بن علي (ت468هـ): الشفاء الإلهيات، مر: ابراهيم مذكور، تح: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1960، ج2، ص451.

² - محمد صالح بوعافية: الاستقرار السياسي، قراءة في المفهوم والغايات، مجلة دفاتر السياسة والقانون، الع 15، 2016، ص314.

³ - ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الاشبيلي (ت808هـ): العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، (د.ت)، ص73.

ومما تقدم نلاحظ أن الاستقرار السياسي ربط بصورة مباشرة بشخصية الخليفة، ومدى كفاءته باعتباره صاحب السلطة العليا في البلاد، ففوة شخصيته وحنكته ستمنحه قدرة عالية على تحقيق العدالة والقبول لدى مختلف الفئات والطوائف في الدولة، وتمكنه من ضبط الأجهزة الإدارية والاقتصادية وتعيين الأكفاء لتسييرها ومراقبتها، كما أنها تجعله ذا مقدرة على التعامل مع مختلف الصراعات داخل وخارج الدولة، وغياب هيبة وقوة الخليفة ستخلق حتما جوا مناسبا لبروز مظاهر الاضطرابات السياسية، ومن هذا المنطلق تدرجت في مباحث هذا الفصل.

المبحث الأول: الصراع حول السلطة و السيطرة على مؤسسة الخلافة.

1. نظام ولاية العهد و استئثار العناصر الأجنبية بالسلطة:

واجهت الخلافة العباسية كثيرا من المشاكل حول ولاية العهد؛ وذلك لغياب نظام موحد لها، فقد كان الغالب على أخذ البيعة هو الإكراه خاصة خلال الفترة الأولى من الحكم نظرا لقوة الخلفاء العباسيين ، أما الفترات التالية من الخلافة فكان الغالب على أخذ البيعة للخلفاء هو تدخل العناصر غير عربية في المبايعات كالأتراك والبويهيين؛ مما انعكس سلبا على مؤسسة الخلافة فنتج عن ذلك انعدام الاستقرار السياسي في العديد من الفترات، فكان من الخلفاء من أخذ البيعة لواحد أو أكثر من أبنائه، ومنهم من عهد لإخوته، والبعض الآخر عهد لأقربائه، ومنهم من لم يعهد لأحد.

يعتبر هارون الرشيد (170هـ-193هـ / 786م-809م) أول خلفاء بني العباس الذين أخذوا البيعة لأكثر من واحد من أبنائه ، فرغم ما حقق من انجازات في عهده إلا أنه أحدث الفتنة بين أبنائه بعد أن عهد بالخلافة لابنه محمد ولقبه بـ "الأمين" سنة 175هـ/791م، ثم بايع من بعده لابنه عبد الله ولقبه "المأمون" وولاه ممالك خراسان بأسرها، ثم بايع لابنه

القاسم من بعد الأخوين سنة 186هـ/803م، ولقبه "بالمؤتمن" وولاه الجزيرة والشغور وهو صبي.¹

ساهمت الأطراف الخارجية في التأثير على الرشيد وأخذه للبيعة، فقد اختار ابنه الأمين وليا للعهد رغم أنه كان يرغب في تعيين المأمون لحسن سيرته، ولما تميز به من تقوى واستقامة ومن صفات جعلت منه رجل جماعة وقائد أمة²، فرأى الرشيد أن خير أمر أن يستكتبهما العهد فيقطع الخلاف بين الأخوين، ويحول دون دس الدسائس وسعاية الساعين³ فبايع للولد بعد الآخر،⁴ إلا أنه آثر الأمين حيث كانت للزبيدة أم الأمين دور في ذلك القرار لما لها من مكانة عند الرشيد، كما أيده بنو هاشم في قراره هذا باعتباره هاشمي الأبوين، وذلك لم يجتمع لغيره من الخلفاء من بني العباس.⁵

اعتبرت المصادر ما قام به الرشيد أول وهن جرى في دولة الاسلام من حيث الامامة بقولهم "فهو بذلك ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة الرعية".⁶

¹ - الطبري ابي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبوا الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت)، ج8، ص186؛ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1990، ج10، ص11.

² - أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، مؤسسة هنداوي، 2013، ص216.

³ - المرجع نفسه، ص217.

⁴ - جميل نخلة المدور: تاريخ العراق في عصر العباسيين المسمى حضارة الإسلام في دار الإسلام، دار الآفاق العربية، ط1، 2003، ص103.

⁵ - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (849هـ - 911هـ): تاريخ الخلفاء، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط3، 2013، ص235.

⁶ - الطبري، المصدر السابق، ج8، ص275؛ الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص11؛ السيوطي، المصدر السابق، ص464.

تولى الأمين الخلافة (193هـ-198هـ / 808م-813) بعد موت الرشيد، ولم تمضي سنة على خلافته حتى أمر بالدعاء على المنابر لابنه موسى بالإمرة؛¹ فقد أفسد قوم قلب الأمين على المأمون وأوقعوا الشر بينهما، وزينوا له أن يبايع لابنه بولاية العهد ومن بعد يخلع المأمون، ففعل ذلك وجمع العهود التي كتبها الرشيد وأحرقها وجرت الوحشة بينهما.²

بدأ خلاف الحال بين الأمين والمأمون سنة 195هـ / 810م وعزم كل منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما أخذ عليهما العمل به في الكتاب،³ وهنا يظهر دور الحاشية المحيطة بالأمين والمأمون في الحرب الأهلية بينهما وأهم من يمثل تلك الحاشية: "الفضل بن الربيع" و"علي بن عيسى بن مهان" إلى جانب الأمين، و"الفضل بن سهل" و"طاهر بن الحسين" إلى جانب المأمون،⁴ انتهت الحرب بين الأخوين بقطع رأس الأمين، وتسلم المأمون المأمون الخلافة وكان ذلك سنة 198هـ / 786م.⁵

يلاحظ -بعد تتبع أحداث الفتنة- أن الأخوين لم يكونا يحملان لبعضهما كل هذه الكراهية والبغض، وإنما الزعامة كانت للطرفين المناصرين؛ وهما رجلان قويان كان كلاهما يسعى إلى النفوذ والاستئثار بالسلطة وإلى القضاء على خصمه، فمن جهة كان "الفضل بن سهل" الفارسي الموالي للمأمون والطامح إلى الاستئثار بوزارته، ومن جهة أخرى كان "الفضل

¹ - ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم (213هـ - 276هـ): المعارف ، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط4، (د.ت)، ص385؛ السيوطي، المصدر السابق، ص474.

² - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت284هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط1995، 6، مج2، ص436.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج8، ص365.

⁴ - أحلام بنت حمود بن مبارك: نظام ولاية العهد في العصر العباسي الأول (132هـ - 247هـ / 750م - 861م)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، عمان، ص145.

⁵ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص387.

بن ربيع" العدو التقليدي للنفوذ الفارسي أراد هو الآخر الفوز بوزارة الأمين، وأن يقف حجرة عثرة أمام طموح العناصر الفارسية التي كان يحس بأنها حرمت من حقوقه¹.

وبغض النظر عن سير أحداث الفتنة؛ فالواضح أنها أذكت روح الحقد بين الأشقاء وورطت الدولة العباسية في حرب عصبية، ولم تكلفها تبذير ميزانيتها وفقدان إمكانياتها البشرية فحسب، بل أوقعت المسلمين في رذيلة التناحر الفوضوي حتى صارت تجسد الصراع العربي الفارسي في أعلى مراحل²، كما يعد هذا الصراع أحد أهم مظاهر فساد مبدأ العباسيين في تحقيق الوفاق والتلاحم بين القوميات التي حكمتها دولتهم، والذي كان أحد أهم مبادئ ثورتهم ضد الأمويين وأحد شعاراتهم التي كانوا ينادون بها في كل المناسبات.³

بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الأخوين عمل المأمون على عزل أخيه القاسم عن ولاية العهد، وكتب منشورا بذلك في ربيع الأول سنة 198هـ / 786م،⁴ وأمر بجمع خواص الأولياء وأخبرهم أنه "نظر في ولد العباس وولد علي رضي الله عنه فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا⁵ فبايع له بولاية العهد سنة 201هـ /

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج8، ص364.

² - بشار قويدر: قضية ولاية العهد في الخلافة العباسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة الجزائر، الع 5، ج1، 1993، ص47.

³ - المرجع نفسه، ص48.

⁴ - بن خياط أبي عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفوري (ت240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، 1985، ص468.

⁵ - علي بن موسى الرضا: هو الإمام الثامن من الأئمة الاثني عشر عند الشيعة؛ صابر عبده ابازيد: مناهج أهل السنة في الرد على الشيعة القدرية، عرض تحليل نقدي، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص114.

788م ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر بطرح السواد ولبس الأخضر وكتب بذلك للأمصار،¹ فهو بذلك حاول نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين.²

لما بلغ أهل بغداد قرار المأمون استنفروا لخروج الخلافة من بني العباس، واتفقوا على خلع المأمون وأخذ البيعة "لإبراهيم بن المهدي" وبايعوه في المحرم سنة 202هـ / 789م ولقبوه "بالمبارك"، وأوشكت الخلافة على التبدد بسبب هذا القرار حيث تعرض المأمون للعزل وإعادته سنة (204هـ / 791م) بعد موت العلي.³

¹ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص387؛ المسعودي أبي الحسن بن علي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، (د.ت)، ج4، ص24.

² - العلويين: ينتسب هذا الفرع من بني هاشم القرشيين المكيين إلى ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب القرشي رضي الله عنه، وصارت كلمة "علوي" تطلق على كل من وافق على علي بن أبي طالب وسار في نهجه، ثم صار يطلق على ذريته فقط، ثم تحول العلويون - كقادة وأنصار - بعد عقود من الزمن إلى طائفة دينية شيعية يقدسون الإمام علي بن أبي طالب الذي يعتبر بنظرهم أول إمام للمدرسة الاثني عشرية، إلى جانب القسم الآخر من الشيعة وهم الاسماعيلية؛ هدى محمد سعيد سندي: الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسيين خلال العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ / 749م - 847)، مجلة المؤرخ العربي، الع 30، المجلد 1، 2022، ص215.

اعتبر العلويون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمام علي وأن علي نص على إمامة أبنائه من بعده، وكل خلافة غير علوية تكون غير شرعية في نظرهم لأن الإمامة لا تخرج منهم إلا بظلم من غيرهم أو بتقية منهم. ومن هذا المنطلق لم يعترف عامة الشيعة خلافة الراشدين والأمويين والعباسيين غير شرعية؛ الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت548هـ): الملل والنحل، تح: عبد الأمير علي منها، وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، لبنان، (د.ت)، ص198.

³ - ابن كثير أبو الفدا الحافظ (ت774هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، لبنان، 1991، ج11، ص50.

لم يعالج المأمون مشكلة ولاية العهد طيلة مدة حكمه، فقد ولى العهد لأخيه المعتصم بالله¹، وبغض النظر عن السبب الحقيقي الذي دفع المأمون لخلع أخيه القاسم فإن الرشيد أعطاه حرية التصرف في ذلك، فإذا أفضت الخلافة إليه كان أمره إليه إن شاء أن يقره أقره وإن شاء أن يخلعه خلعه.²

لم تذكر المصادر كيف عهد المعتصم بالله (218هـ - 227هـ / 833م - 842م) لابنه الواثق بالله بالخلافة من بعده، ولكن ترد إشارة نلمس من خلالها رغبة المعتصم بالعهد لابنه، حيث بقي مدة في الخلافة ولم يعهد لأحد من أولاده؛ وكان "اسحاق بن ابراهيم الموصللي" المغني توعده أنه لا يغني إلا لخليفة أو لولي عهد، فاستدعاه يوما هارون بن المعتصم -الواثق- ليغني له فامتنع، فشكاه لأبيه، فأحضره المعتصم قائلا: "ويلك يا أبا اسحاق بلغني أمرك أنك تتكبر على هارون، فردّ: انني حلفت يا أمير المؤمنين ألا أغني إلا لخليفة أو ولي عهد، فقال: "امضي وغني له فلا شيء عليك" فعلم الناس أنه قد ولاه العهد،³ وكانت بيعة الواثق (227هـ - 232هـ / 842م - 847م) في اليوم الذي توفي فيه المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة بقية من شهر ربيع الأول.⁴

¹ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص391؛ التميمي أبي حاتم محمد بن حيان ابن احمد (ت354هـ): السيرة النبوية واخبار الخلفاء، تح: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، (د.ت)، ص339.

² - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص293؛ الطبري، ج8، ص499؛ مجهول: العيون والحدائق وأخبار الحقائق، تح: عمر السعيد، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، (د.ت)، ج3، ص417.

³ - ابن العمراني محمد بن علي بن محمد (ت580هـ): الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، الآفاق العربية، مصر، 1999، ط1، ص104-105.

⁴ - ابن قتيبة، مصدر سابق، ص393؛ ابن الأثير محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تح: أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ج7، ص73؛ السيوطي، المصدر السابق، ص354.

توفي الواثق ولم يعهد بولاية العهد من بعده لأحد، فضرب بذلك التقليد الذي سار عليه من سبقه من الخلفاء،¹ وقع المتوكل (232هـ - 247هـ / 847م - 861م) في نفس الخطأ الذي وقع به جده هارون الرشيد (170هـ - 193هـ / 786م - 809م)، حيث قسم سنة 235هـ / 850م الأرض بين أبنائه الثلاثة: المنتصر والمعتز والمؤيد، وعقد لكل منهما لواءين أحدهما أسود وهو لواء العهد، والآخر أبيض وهو لواء العمل حيث كتب بينهما كتاباً،² فقد أراد بذلك تقوية النفوذ العباسي والسيطرة على جميع أجزاء الدولة، والتقليل من مركزية الأتراك والحد من تطلعاتهم.³

كان من المفروض أن تسير الأمور سيرها الطبيعي بين الإخوة لولا تدخل المتوكل (232هـ - 247هـ / 847م - 861م) في الأمر، وذلك لما أراد تقديم المعتز وتأخير المنتصر، مما أثار الحقد بين الأخوة ووقع الخلاف بين المتوكل والمنتصر، فعندما لم يتنازل محمد المنتصر عن حقه في ولاية العهد "نال ابنه محمد بأنواع الذلة والهوان"،⁴ فقد عزم على خلع ابنه المنتصر من العهد وتقديم المعتز عليه لفرط محبته لأمه⁵ "قبيحة"⁶.

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص145.

² - المصدر نفسه، ج9، ص162.

³ - محمد الخضري بك: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، مطبعة الاستقامة، ط4، 1934، ص267.

⁴ - المسعودي الحسن علي بن الحسين (ت345هـ): التنبيه والاشراف، تص: عبد الله اسماعيل الصادق، مكتبة المثنى، بغداد، 1938، ص313.

⁵ - الياضي أبي السعادات عبد الله بن سعد (ت768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ج2، ص114.

⁶ - قبيحة: من جوارى المتوكل المشهورات بالجمال وهي رومية الأصل، سميت بقبيحة من باب المضادة المضادة على التسمية خوفاً عليها من الإصابة بالعين، وولدت للمتوكل ولدان هما المعنز بالله وأخوه اسماعيل، توفيت قبيحة بسامراء سنة 264هـ / 877م؛ ابن الساعي تاج الدين أبي طالب على بن أنجب

كان يُحضره مجلس العامة ويحط منزلته، ويتهدده ويشتمه ويتوعده، وهذا ما يدل على سوء العلاقة بين المتوكل وابنه المنتصر فأصبح لكل منهما حزب مؤيد له، واشتد الصراع بين الفريقين وراح المتوكل ضحية هذا الصراع، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه لأنه كان يسعى للقضاء عليهم، فقتل في شوال من سنة 247هـ / 861م،¹ اعتبر تدخل قبيحة استمرارا لنفوذ من سبقها من الحريم.

تولى بها المنتصر الخلافة بالطريقة كانت بمثابة إنذار للبيت العباسي كله، فمن أراد أن يتولى الخلافة فعليه الخضوع التام لرغبة الأتراك وإلا سيكون مصيره القتل، ومن الطبيعي أن يصبح المنتصر أسيرا لنفوذ الأتراك بعد أن شارك في قتل والده معهم بل قتل سلطان الخلافة وكل خليفة بعده، فبلغ الأتراك درجة لم يكن أحد يستطيع الوقوف على معارضتهم.²

استقرت الأمور للمنتصر تفوض بعد أن "بغا التركي"³ في شأن المعتز والمؤيد، وقرروا عزلهم وأجبروا المنتصر على ذلك لما أحسوا بخطر هاذين الحدثين، فما كان للمنتصر إلا السمع والطاعة لضعفه أمام قوة الأتراك وجبروتهم، فاستسلم لأمرهم وعزل أخويه من ولاية

(ت674هـ): نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والامام، تح: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص93.

¹ - السيوطي، المصدر السابق، ص544؛ اليافعي، المصدر السابق، ج2، ص115.

² - أحمد ابراهيم الشريف وحسن أحمد محمود: العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، ص335.

³ - بغا التركي: هو بُغا الكبير أبو موسى التركي قائد عسكري تركي الأصل، كان في بداية حياته مملوكًا للحسن بن سهل الوزير، وهو مشهود له بالشجاعة والإقدام، كان جنديا في عهد المعتصم، وأصبح قائدا عسكريا في عهد الواثق بالله، ثم أصبح معاونًا في عهد المتوكل على الله سنة (343هـ / 954م)، ثم ولاه المستعين بالله ديوان البريد لما تقدم في السن، كان له دور كبير في التآمر على الخليفة المتوكل وهو أول من بادر بقتله لأنه كان يقف فوق رأسه، وزاد أمره في آخر أيام المستعين إلى أن وثب بغا ووصيف عليه وقتلوه؛ الصفدي صلاح الدين خليل (ت764هـ): الوافي بالوفيات، دار صادر، بيروت، ط2، (د.ت)، ج10، ص71.

العهد مدعي خوفه عليهم،¹ فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلظوا عليه وهددوه بالقتل حتى أجاب وخلع نفسه، وكتب المؤيد والمعتز ذلك بخطهما،² وبذلك خالف المنتصر هو الآخر ونكت بالعهد.

برر المنتصر فعلته بقوله: "أتراني خلعكما طمعا في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له، والله ما طمعت في ذلك ساعة قط، وإذ لم يكن في ذلك طمع، فوالله لأن يليها بنو أبي أحب إلي من أن يليها بنو عمي، ولكن هؤلاء وإما إلى سائر الأموال من هو قائم وقاعد أحو عليا في خلعكما، فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضهم بحديده فيأتي عليكما، فما ترياني صانعا".³

لم يستطع الخليفة المنتصر بالله (247هـ - 248هـ/861م - 862م) أن يحتفظ بالخلافة أكثر من ستة أشهر، فكما كان وصوله للخلافة سهلا كان خلعها سهلا؛ ولم يكتفي الأتراك بإجبار الخليفة على التنازل فحسب بل وصلوا به إلى أعلى من ذلك، وهو السهولة في القتل كما فعلوا بوالده المتوكل من قبل، فلم يبق للخليفة عندهم حرمة وهيبة وقاموا بتجريدته من كل شيء فأخذ يعلن سخطه وتبرمه ويسب الأتراك ويهددهم بالقتل، ويذكر الطبري أن المنتصر لما آلت إليه الخلافة كان يقول في الأتراك "هؤلاء قتلة الخلفاء".⁴

قرر الأتراك قتل الخليفة المنتصر بالله فأعطوا لطبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار ليقوم بقتله، فوضع له السم في كمثري لأن المنتصر كان يحب الكمثري ويكثر من أكلها،

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص244.

² - المصدر نفسه، ج9، ص237.

³ - الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص20.

⁴ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص109؛ الطبري، المصدر السابق، ج9، ص252؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، ط6، 2000، ج6، ص50.

وعندما اشتدت حرارته فصدّه بريشة مسمومة فمات، وتوفي المنتصر وهو ابن ستة وعشرين سنة بسامراء سنة 248هـ/862م.¹

بدأت فترة من الفوضى السياسية (247هـ-256هـ / 861م-870م) في الخلافة العباسية كان الأتراك خلالها اليد العليا، فكان "ال خليفة في يدهم كالأسير إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلّعوه وإن شاءوا قتلوه"،² حيث أنهم نجحوا في التلاعب بسياسة الخلافة والتدخل في أعلى سلطة فيها، فكانت لفعلتهم أثر واضح على منصب ولاية العهد لما يشكل هذه المنصب من أهمية في الدولة، فاختاروا الخليفة حسب مصالحهم الذاتية غير معتبرين المصلحة العامة.³

بعد مقتل الخليفة المنتصر بالله سنة 248هـ/862م، اتفق أرباب الدولة من الأتراك بُغا الكبير، وبُغا الصغير⁴، وأتامش التركي⁵ على ألا يولوا الخلافة لأحد من أولاد المتوكل،

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص253؛ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص109؛ مسكويه أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت461هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسوري حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ج4، ص145.

² - ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (709هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص243.

³ - مساعد بن مساعد محمد الصوفي: العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ-334هـ)، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، 2008، ص81.

⁴ - بُغا الصغير (ت254هـ / 868م): المعروف بالشرابي، كان من كبار قادة المتوكل، ثم انقلب عليه وقتله مع بعض القادة الأتراك الآخرين؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص194.

⁵ - أتامش التركي (ت249هـ / 863م): اتخذ الخليفة المستعين بالله وزيرا، وولاه على مصر والمغرب سنة 248هـ / 862م، وكان الخليفة المستعين بالله قد فوض أمر الخلافة والتصرف في أموال بيت المال إليه، وكان أخص من عند الخليفة وهو بمنزلة الوزير، أسرف أتامش في أخذ الأموال حتى لم يبق في بيت المال شيء، فغضب الأتراك من ذلك وغاروا منه فاجتمعوا وركبوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين، ولم يمكنه منعه منهم، ولا دفعهم عنه، فأخذوه وقتلوه وأخذوا أمواله وداره وذلك سنة (249هـ / 863م)؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص154.

لكونهم قتلوا أبوهم وخوفهم أن يغتالهم من تولى الخلافة من أولاده، فأجمعوا على اختيار أحمد بن محمد بن المعتصم كردّ لجميل الخليفة المعتصم،¹ ولقبوه بالمستعين بالله (248هـ - 252هـ / 862م - 866م) وبايعوه،² كان مستضعفاً في رأيه وعقله وتدبيره ولم يكن فيه من الخصال المحمودّة إلا أنه كان كريماً، مما انعكس على أوضاع الخلافة حتى قيل "فكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب"،³ فغايتهم من ذلك الاستئثار بالسلطة.

اقتسم كبار الترك المناصب السيادية فعين ابن الخصيب كاتباً للخليفة واحتفظ "بغا ووصيف"⁴ بمكانهما كمستشارين مقربين للخليفة بشكل رسمي حاجزين عليه بشكل فعلي،⁵ فلم يكن للمستعين أمر مع وصيف وبغا حتى قيل في ذلك:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص256؛ ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص240؛ السيوطي المصدر السابق، ص284.

² - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص257. مسكويه، المصدر، ج4، ص147؛ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ): نهاية الارب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ج22، ص224.

³ - السيوطي، المصدر السابق، ص284.

⁴ - وصيف التركي(ت253هـ): من كبار القادة العسكريين الأتراك، كان غلام الخليفة العباسي المتوكل على الله، لما مات الخليفة الواثق بالله كان لوصيف دور كبير في تولية العهد للمتوكل الخلافة، لما علا شأن الترك في الخلافة وأصبح بيدهم العقد والحل وجمعوا الكثير من الأموال، أراد الخليفة المتوكل أن يصادر أملاك وأموال وصيف التركي، لكثرة أمواله وخزائنه، فتعصب له باغر التركي، وانحرف الأتراك فدخل باغر ومعه عشرة أترك وقاتلوا المتوكل، وقُتل وصيف على يد مجموعة من الجنود سنة 253هـ/ 867م في عهد الخليفة المعتز بالله؛ المكي عبد الملك بن حسن بن عبد الملك الشافعي العاصمي (ت1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوال، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998، ط1، ج3، ص466.

⁵ - فكري وليد: دم الخلفاء النهايات الدامية لخلفاء المسلمين، الرواق للنشر والتوزيع، 2017، ص178.

يقول ما قالاه كما تقول البيغا¹

عزم المستعين (248هـ-252هـ / 862م-866م) على أخذ البيعة لابنه العباس سنة 249هـ/863م،² إلا أنه تم خلع بسبب الفتنة التي جرت بين الأتراك سنة 251هـ/864م،³ وكان عزله بعد تعرضه للضرب والإهانة والتعذيب من الأتراك لإجباره على خلع نفسه.⁴

عمل الأتراك على سد الفراغ الذي خلقه المستعين بالله في الخلافة ، فوجدوا ضالته في محمد بن المتوكل ولقبوه بالمعتز (252هـ-255هـ/866م-869م)، ورضوا به رغم صغر سنه، حيث كان عمره ثمان عشر سنة فكان أسهل لهم في فرض سيطرتهم على الخلافة واستولوا على المملكة فكان بيدهم كالأسير،⁵ كما عملوا على شن الدسائس بين الخليفة المعتز بالله وأخيه فقام المعتز بخلع أخيه وسجنه، وذهب به الأمر إلى أن أمر بقتله بعد أن علم أن الأتراك يريدون أن يخرجوه من السجن ويبايعوه بالخلافة،⁶ ثم بايع ابن عمه المهدي بالخلافة في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة 255هـ/869م،⁷ لكن لم يقبل بيعته أحد فأتى بالمعتز فخلع نفسه وأقر بالعجز عما أسند إليه والرغبة في التنازل عن

¹ - السيوطي، المصدر السابق، ص285.

² - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص133.

³ - المصدر نفسه، ج4، ص134؛ التميمي أبي حاتم محمد بن حيان ابن أحمد (ت354هـ): السيرة النبوية واخبار الخلفاء، تح سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، (د.ت) ، ص341.

⁴ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ص393. المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص133. ابن الكريدوش عبد الملك بن محمد (ت575هـ): الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح صالح عبد الله العامدي، اصدارات عمادة الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، 2008، ص1545.

⁵ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص134.

⁶ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص142.

⁷ - ابن قتيبة، المصدر السابق، ج394؛ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص147؛ أبي الفدا عماد الدين اسماعيل (ت730هـ): المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ط1، (د.ت)، ج2، ص46.

الخلافة فبايعه،¹ يذكر الأزدي انه "ليس من نسل المعتز خليفة"،² وبهذه الأفعال يكون المعتز قد أبطل منصب ولاية العهد واتفق مع الأتراك على ما يريدون؛ فلم يكن له من الخلافة إلا الاسم.³

وقف الخليفة المهدي (255هـ - 256هـ، 869م - 870م) متصديا للأتراك، حيث لم يطب له البقاء وذهب ضحية للمؤامرات وقتل سنة 256هـ،⁴ فقد عبر جليا عن موقفه المعادي لهم بقوله "أريد قلع هؤلاء الأتراك وتطهير الدنيا منهم"؛⁵ إلا أنه أهمل أمر ولاية العهد حيث لم يلي هذا الأمر لأحد ليتقوى به على أعدائه وأعداء دولته، فقد كان له خمسة عشر ولدا ذكورا،⁶ لم يحمل على أحد منهم الخلافة ويُقعه تحت طغيان الأتراك وغدرهم كما حل بغيرهم من الخلفاء العباسيين؛ فكان يقول "وما أريد إلا القوت لنفسي ولولدي وما أريد فضلا إلا لإخوتي فإن الضيقة قد مستهم".⁷

عاشت الخلافة العباسية خلال الفترة (256هـ - 295هـ / 870م - 908م) انتعاشا مؤقتا، فبتولي المعتمد على الله الخلافة (256هـ - 279هـ / 870م - 892م) بدأ عهد جديد عرف بالاستقرار والهدوء النسبي، وقد وصف صاحب الفخري خلافته قائلا: "كانت دولة عجيبة الوضع، كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة للمعتمد الخطبة والسكة

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص201.

² - الأزدي جمال الدين ابو الحسن على بن منصور (ت613هـ): أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام مصطفى هزايمة وآخرون، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999، ج2، ص46.

³ - مساعد بن مساعد، المرجع السابق، ص84.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص456.

⁵ - ابن العمراني، المصدر السابق، ج1، ص136.

⁶ - الكتبي محمد بن شاکر (764هـ): فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، مج 4، (د.ت)، ص51.

⁷ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص396.

والتسمي بإمرة المؤمنين، ولأخيه طلحة الأمر والنهي وقيادة العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء"،¹ حيث ساس طلحة الدولة وأصلحها بعدما فسدت.²

ساد بين صفوف القواد الأتراك انقسام مما أدى لتزعزع قوتهم، فاتفقوا على أن يولوا إمرة الجيش لشخص ليس منهم، فاجتمعت كلمتهم على تولية أخو المعتمد وهو أحمد أبو طلحة الذي لقب "بالموفق" لأنه كان يتصف بالمقدرة العسكرية الممتازة والحزم؛ عرف باسم "السفاح الثاني" حيث اجتمعت فيه من الصفات ما لم يجتمع في إخوته وأعمامه، فلولا الموفق لذهب ملك بني العباس، فقد تمكن من السيطرة على السلطة وأصبح سيد الخلافة العباسية وهابه الجند والقادة من الأتراك، ولم تعد لهم سيطرة على سياسة الخليفة وتسمى "بالناصر لدين الله" بالإضافة إلى الموفق وخطب له على المنابر.³

تولى المعتضد بالله الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد (279هـ-289هـ/892م-902م)، وسار على نهج والده الموفق في إقرار هيبة الخلافة والقضاء على سطوة الأتراك، فلم يجرأ أحد من الأتراك أن يخرج من طاعة الخليفة؛ والجدير بالذكر أن المعتضد قام بنقل الخلافة من سامراء إلى بغداد وذلك ليحد من هيمنة الأتراك وسيطرتهم على الخلافة التي أصبحت أسيرة في أيديهم،⁴ وصف السيوطي أيامه أنها "أيام طيبة، كثيرة الأمن والرخاء"¹ فكان يسمى المنصور الثاني لشجاعته ودهائه وخبرته بالأمور.²

¹ - ابن الطقطقي ، المصدر السابق، ص250.

² - ابن العمراني، المصدر السابق، ج1، ص137.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص137. البلخي أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت366هـ): البدء والتاريخ، تع: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص303.

⁴ - الأربيلي عبد الرحمان سنبط قنيتو (ت717هـ): خلاصة الذهب المسبوك، مكتبة المثني، بغداد، (د.ت)، ص235.

كما بويع للمكتفي بالله (289هـ-295هـ / 902م-908م) بالخلافة بعد وفاة والده المعتضد بعهد منه في جمادى الأولى سنة 289هـ/901م،³ حيث أنه سار على نهج المعتضد في إحكام السيطرة وفرض السلطان في بغداد، إلا أنه ارتكب خطأ كبيرا في مسألة ولاية العهد فلم يتخذ أي إجراء رسمي فيها مما أفسخ المجال للقادة والوزراء للتدخل في هذا الأمر، فانتهاز الأتراك الفرصة لوقف استمرار تعاقب الخلفاء الأقوياء أمثال المعتمد والمعتضد وعادوا إلى سيرتهم الأولى في اختيار الخلفاء الضعفاء، ويعتبر المكتفي بالله آخر خلفاء الاستقرار المؤقت، فكانت وفاته ضربة قوية للخلافة العباسية وعودة لتغلب الأتراك على السلطة.⁴

بويع المقتدر بالله (295هـ-334هـ / 908م-946م) بالخلافة وهو ابن ثلاث عشر سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه،⁵ خضع تعيينه لعدة اعتبارات حيث اشترط القادة أن "لا يولى من عرف نعمة هذا، وبستان هذا، وضیعة هذا وفرس هذا، ومن قد لقي الناس لقوه، وعاملهم وعاملوه ويتخيل ويحسب بحسب حساب نعم الناس، وعرف وجوه دخلهم وخرجهم".⁶

اعتبر عصره عصر شغب وتسلط وانقسام بين القواد والوزراء والقضاة فانقسموا بين مؤيد ومعارض لخلافته⁷، وكانت أمه قائمة على أمره وأمر دولته من تولية وعزل حيث أصبحت أهم شخصية في البلاط وصارت الأمور تسير بمقتضى تدبيرها، فمن الواضح أن

¹ - السيوطي، المصدر السابق، ص293.

² - ابن العمري، المصدر السابق، ص140.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص304؛ المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص218.

⁴ - فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية - السقوط والانهايار - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2003، ج2، ص55-56.

⁵ - السيوطي، المصدر السابق، ص300.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص438.

⁷ - الطبري، المصدر السابق، ج10، ص139؛ مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص3.

تأثيرها بصورة عامة كان مضرًا؛ إذ أنها أفست ابنها بتشجيعه على الانهماك في الملاذ والتبذير.¹

بعد مضي سنة أو أقل أي سنة 296هـ/908م اجتمع القواد والكتاب والقضاة -الذين كان بيدهم تدبير أمور الدولة - على خلع المقتدر بالله، واجتمع رأيهم على تولية الخلافة لعبد الله بن المعتز، ويرجع السبب في اجتماعهم على خلعه إلى صغر سنه وقصوره عن تدبير الأمور واستلاء أمه على الخلافة.²

تمت البيعة لعبد الله ابن المعتز ولقب بالمرتضى بالله سنة 296هـ/ 908م، ولم يدم ابن المعتز في خلافته سوى يومين حتى وثب عليه عدد من غلمان المقتدر، فحاربوا أتباع ابن المعتز فشتتوه وقتلوا منهم عدد كبير وقبض على ابن المعتز وأعيد المقتدر بالله في خلافته.³

بعد انقضاء خلافة المقتدر عمل الأتراك على اختيار خليفة وفق شروط، وذلك لما عانوه من اضطرابات بسبب ضعف شخصية المقتدر، رافعين شعار نريد اختيار من "قد استرحنا من خليفة له أم وخالة، وخدم يديرونه فنعود إلى تلك الحال، والله لا نرضى إلا برجل كامل، يدبر نفسه ويدبرنا".⁴

وذلك ما توفر حقا في القاهر بالله (320هـ-322هـ / 932م-934م) حيث يصفه صاحب الفخري " مهيبا مقداما على سفك الدماء أهوج محبا لجمع الأموال ردي السياسية، صادر جماعة من أمهات أولاد المقتدر وصادر أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس

¹ - حمدان عبد المجيد الكبيسي: عصر الخليفة المقتدر بالله، مطبعة النعمان، النجف، 1974، ص102.

² - الطبري، المصدر السابق، ج10، ص140.

³ - المسعودي، التنبيه والإشراف، المصدر السابق، ص327؛ مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص5.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص75.

وعذبها بصنوف عظيمة من الضرب والتعذيب"¹، لم يختلف الخليفة كثيرا عن المقتدر حيث خلع بعد سنة من توليته، وكان سبب ذلك أن وزيره ابن مقلة أفسد قلوب الجند عليه ويحذرهم منه.²

بعد خلع القاهر بالله أصبح القادة الأتراك قلقين في شأن منصب الخليفة، فوقع اختيارهم على ما أشار به قائدهم مؤنس حيث قال: "الرأي أن ننصب ولده أبا العباس أحمد في الخلافة فإنه تربيتي وهو صبي عاقل وفيه ديم كريم ووفاء بما يقول"³، فبويعوا بالخلافة للراضي بالله بعد خلع عمه القاهر بالله، في اليوم السادس من شهر جمادى الأولى سنة 322هـ/934م،⁴ في أيامه ضعف أمر الخلافة.⁵

كان مصير الخليفة الراضي بالله (322هـ-329هـ / 934م-940م) لا يختلف عن سابقه، وقد عبر ابن طباطبا عن استيائه من وضعه بقوله: "والله قد جاءني هذا الأمر وما شرعت فيه ولا أحببته ولا علم الله ذاك مني في سر ولا علانية، ولا جهلا مني ما فيه من الشرق والجلالة لكني لتغير الأحوال وقلة الأموال وكلب الجند وخاب الدنيا وإنه يستحبني من الغم والأسف والغيظ والاهتمام أكثر مما يؤمل من السرور واللذة وأرجوا أن يعيني الله بجميل نيتين فقد ضقت ذرعا بما دفعت إليه".⁶

¹ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص276.

² - المصدر نفسه، ص276.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص75.

⁴ - الصولي محمد بن يحيى: أخبار الراضي بالله والمتقي لله، دار المسيرة، بيروت، ص1.

⁵ - السيوطي، المصدر السابق، ص613.

⁶ - الصولي، المصدر السابق، ص16.

فعندما وجد الراضي نفسه عاجزا عن القيام بأعباء دولته أسندها لغيره، فذهب يبحث عن قوة تتولى إدارة الدولة بأكملها لذلك استحدث منصب "أمير الأمراء"،¹ واستدعى ابن الرائق وقلده الإمارة ورياسة الجيش ولقبه "أمير الأمراء"، أصبح صاحب هذا المنصب منافسا للخليفة حيث علت مرتبته على مرتبة الوزير، فبطل في ذلك الوقت منصب الوزارة ولم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي والدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط،² أخطأ الخليفة الراضي بالله بأن سلم دولته في يد أحد الطامعين من الأتراك بإعلان صريح يسمح له بتصرف في شؤون الدولة دون الرجوع إلى سلطة الخليفة؛ وهذا بمثابة خليفة على المؤمنين.³

فالخليفة لم يتخيل له أن الأمور سوف تتخذ طابع التسلط وإلغاء السلطة في الخلافة العباسية، وأصبحت الدولة حلبة لصراع الأقوياء وظهور المنافسين العسكريين للوصول إلى منصب الأمير في الدولة متصرفين فيها كما يريدون، وفي هذه الظروف استفاد أصحاب الأطراف من أحداث الصراع والانشقاق بين القادة الأتراك معلنين عدم تبعيتهم للدولة العباسية، فقد تمكن البريديون من السيطرة على خوزستان وسيطر البويهيين على فارس،

¹ - أمير الأمراء: هو نظام ومنصب سياسي جديد استحدثه الخليفة الراضي بالله في الخلافة العباسية عام (324هـ / 939م) ويعني نقل السلطات الدنيوية للخليفة إلى كبير الأمراء ويسمى أمير الأمراء، تتوفر فيه صفات الرياسة العسكرية والاختصاصات المدنية حيث يرمز للاختصاص الحربي بالسيف، ويرمز للاختصاص المدني بالقلم، ومن مهامه إمارة الجيش، إدارة المناصب المالية، الخطبة للأمير الأمراء على المنابر إلى جانب الخليفة ونقش اسمه على السكة بالإضافة إلى مظاهر الحفاوة والتبجيل الأخرى؛ محمد قويسم: إمرة الأمراء العباسية (324هـ - 334هـ / 935م - 945م) وأول محاولة تجديد داخلية، مجلة التراث، الع20، جامعة زيان عاشور، الجزائر، 2015، ص207.

² - حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996، ص33.

³ - مساعد بن مساعد، المرجع السابق، ص 99.

والموصل بيد الحمدانيين والقرامطة في البحرين واليمامة، ولم يبق للخليفة غير بغداد والحكم فيها لابن الرائق.¹

فهؤلاء الذين تسلموا المنصب لم يتمكنوا من التغلب على السبب الأساس في الأزمة المالية وهو تصاعد أطماع الجنود الأتراك الديلم، وانقسامهم على انفسهم ونزاعاتهم المتكررة وفساد أحوالهم، وبذلك يمكن القول أن أحوال الدولة في عهد الخليفة الراضي اتصفت بالضعف والتمزق وسيطرة المنفصلين على جسم الدولة، فكانت فارس تابعة لعلي بن بويه واصفهان والري والجل لأخيه الحسن بن بويه والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي الحمدانيين، ومصر والشام في أيدي محمد بن طغج ثم أعقبه الفاطميون.²

بعد وفاة الراضي اجتمع أمير الأمراء بجكم بالوزراء والقضاة واصحاب الدواوين للاتفاق فيما يولونه خليفة للمسلمين وتم الاتفاق على تولية ابراهيم ابن المقتدر ولقب بلقب المتقي بالله (329هـ - 333هـ / 940م - 944م).³

بايع أمير الأمراء توزون عبد الله بن المكتفي ولقبه بالمستكفي بالله سنة (333هـ - 334هـ / 944م - 946م)، بعد خلع ابن عمه المتقي بالله، وصار الخليفة الجديد تحت سيطرة توزون والقهرمانه⁴ "عَلَم"¹، فقد ظل الخليفة يحكم عن طريق أمير الأمراء حيث يعتبر هو الحاكم الفعلي.²

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص114-115.

² - ناجي عبد الجبار: الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، مركز اسكندرية للكتب، مصر، 2003، ص284.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص152.

⁴ - القهرمانه: هي نوع من أنواع الجواري في المجتمع العباسي مع أنها أرفع منزلة وشأنًا في شريحة الجواري التي تنتمي اليها، لأن هذه التسمية كانت تستعمل للإشارة الى الوظيفة التي تخص الأمور المالية

بايع أمير الأمراء توزون عبد الله بن المكتفي ولقبه بالمستكفي بالله (333هـ-334هـ / 944م-946م) وصار الخليفة الجديد تحت سيطرة توزون والقهرمانه علم، ولم يختلف المستكفي عن سابقه حيث ظل أمير الأمراء هو الحاكم الفعلي، وظل الخليفة يحكم عن طريق أمير الأمراء فلم يكن له سلطة في الدولة ولا جهود في تسيير دفة الحكم، فقد وقع بين متسلط ومتغلب حتى انقضت أيامه وسقطه في عهده همجية الأتراك واسقاطهم من سجل الخلافة العباسية التي نجحت عقدا من الزمن في تسلطها على الخليفة وخلافته، وعجزت أمام صد خطر البويهيين واحتلالهم بغداد، حيث سقطت الحركات التركية، التي لم يستطع الخلفاء بني العباس من التخلص من نفوذهم في الدولة.³

كانت عاصمة الدولة العباسية بغداد مضطربة أشد الاضطراب في الوقت الذي اخذت فيه الهجرة البويهية تتجه نحو الجنوب، وكانت الأمور المالية مختلة أشد الاختلال وخزائن الخلافة خالية والخلفاء يقعون في ضائقات كبيرة نتيجة لتحكم الاتراك وجشعهم، كما كان الترك يلتفون حول قوادهم الذين يحققون لهم المصالح المادية، وليس للخلافة في واقع الأمر سلطة على هؤلاء الأجناد،⁴ يصف صاحب الفخري أوضاع الخلافة عند دخول بني بويه

من الداخل والخرج في البلاط العباسي؛ سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (132هـ-656هـ / 749م-1258هـ)، المنهل، (د.ت)، ص34.

¹-عَلَم: من أهل شيراز كانت تسمى بحسن الشيرازية، كان لهذه المرأة دور كبير في تولية المستكفي بالله، حيث اشارت بتوليته منصب الخلافة فعندما تولى الخلافة الخلاف صارت قهرمانه المستكفي وسمت نفسها علم وغلبت على امره كله، وبعد عزل المستكفي والقبض عليه قام معز الدولة بقطع لسانها؛ مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص270، ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص187، 188.

²-مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص270؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص187.

³-مسعود بن مساعد محمد الصوفي، المرجع السابق، ص 102.

⁴-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 496.

بقوله "اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة وتملك البويهيون وصارت الوزارة في جهتهم والأعمال إليهم وقرر للخلفاء الشيء طفيف برسم اخراجاتهم".¹

ونتيجة لسوء الأحوال دخل البويهيون² بغداد سنة 334هـ / 945م بقيادة أحمد بن بويه للقضاء على الفوضى التي عمت البلاد واستولوا عليها، وبائع الخليفة المستكفي بالله (333هـ - 334هـ / 944م - 946م) أحمد بن بويه وخلع عليه ولقبه "معز الدولة" ولقب أخاه أبا الحسن على بن بويه "عماد الدولة"، ولقب أخاه أبا علي الحسن بن بويه "ركن الدولة"، وأمر أن تضرب على الدنانير أسمائهم وكناهم.³

شهدت الخلافة العباسية مع دخول البويهيين⁴ بغداد بدء عصر جديد سيطرت خلاله أسرة شيعية على الخلافة العباسية السنية وكونت إمارة وراثية، تتحكم في العراق دون الخلفاء العباسيين الذين أقصاهم البويهيون من الحياة السياسية، حتى أصبح وجودهم أمراً شكلياً.¹

¹ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 288.

² - تنتمي الأسرة البويهية إلى بويه بن فنا خسرو الديلمي، وكان بويها صيادا فقيرا انجب ثلاثة أبناء هم علي والحسن وأحمد، وقد سلك الاخوة الثلاثة الجندية، وخدموا الحاكم الساماني نصر بن احمد، ثم بعد ذلك أمير جيلان ماكان بن كاكي الذي أصبح حاكم جرجان من قبل السامانيين، ثم انتقلوا بعد ذلك للعمل في خدمة مرداويج مؤسسة الدولة الزيارية؛ محمد نصر عبد الرحمان: إشكالية الهوية لدى البويهيين، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، الع 44، ج 1، 2006، ص 61.

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج 5، ص 275.

⁴ - ظهر بني بويه الديلم في الشرق من العراق في مقاطعة فارس التي كانت تعاني كغيرها من الاضطراب الأمني والسياسي، بدأ دخول بني بويه العراق عندما استتجد أبو عبد الله البريدي المتحكم بالبصرة بأحمد بني بويه ضد أمير الامراء ابن الرائق، حيث كان عام 325هـ / 936م العام الذي شهد الوحشة بين البريدي وابن الرائق، وقد استغل أحمد هذا الصراع، واستولت قواته على بعض المناطق العراقية، لكنه تراجع عنها واسترد البرديين تلك الأراضي لصالحهم. ومع الحالة المتردية والصراعات بن أمير الامراء وتوزون التركي وبين الحمدانيين استغل بني بويه الفرصة فدخلت القوات البويهية الى مدينة واسط، لكن بعد عقد الصلح بين الأطراف المتخاصمة اضطر بني بويه للخروج مرة ثانية. استغل أحمد

بعد دخولهم بغداد استكملوا سياسة الانفراد بالسلطة فسلبوا الخليفة كل ما تبقى له من نفوذ منذ كان يحكم في الخلافة القادة الأتراك، ازداد أمر الخلافة إدارياً في خلافة المطيع لله (334-362هـ/946-974م) فلم يبق له من الأمر شيئاً البتة؛ حيث استأثر معز الدولة بالسلطة من دون الخليفة الذي لم يبق له من الأمر شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة، ونقشه على السكة وحددت له اقطاعات يعيش فيها، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد،² ولم يكن للمطيع في ولايته من الحكم ما يستدل به على حاله.³

عزف بني بويه عن فكرة تحويل الخلافة لأسرة علوية بما يناسب خلفيتهم الشيعية، لأن ذلك كان من شأنه إضعاف نفوذهم أمام خليفة علوي سيصبح في نظر الجند والرعية أحق بالطاعة، وسيصبح من السهل التخلص منهم إذا أراد الخليفة العلوي ذلك، بالإضافة إلى أن مثل هذه الخطوة كانت ستثير عامة السنة ذات الأكثرية البويهية، وستثير أيضاً قوات الأتراك السنة، والبويهيين كانوا في حاجة إلى هؤلاء الفرسان من الأتراك إلى جانب قوات المشاة من الديلم.⁴

لم يتغير الخلفاء خلال هذه الفترة بسرعة كما كانوا يغيرون ويخلعون، حيث نلاحظ شيئاً من الاستقرار فالخلفاء يحكمون عشرات السنين دون أن يتعرض لهم أحد من ذوي

الأوضاع التي آلت إليها الخلافة وتحرك بقواته إلى بغداد سنة 334هـ / 945م، وخاف المستكفي وأمير الأمراء ابن شيراز واستترا خوفاً من البويهيين، فعندما دخلت القوات البويهية اتفق أحمد مع ابن شيراز على توليته الخراج وجباية الأموال حتى يكسبه في صفه. محمد نصر عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 64.

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص208.

² - المصدر نفسه، ج7، ص208.

³ - القلقشندي الشيخ أبي العباس أحمد (ت821هـ): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج1، (د.ت)، ص312.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص208؛ وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1991، ص41.

السلطان، بقي المطيع لله (334هـ-362هـ / 946م-974م) بالخلافة إلى أن خلع نفسه في ذي القعدة سنة 363هـ/974م ، فكانت خلافته إلى أن خلع تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر،¹ وبقي الطائع لله في الخلافة إلى أن خلع نفسه سنة 381هـ.²

ومرد ذلك إلى أن إمرة الأمراء في العصر البويهي كانت تتحمل كل المسؤولية، على حين بقي الخليفة رمزا لا يتحمل في حقيقة السلطان شيئا قابلا لأن ينازعه أحد عليه، فالخليفة لم يكن مسؤولا قط على الخزينة ولا على الإدارة المالية ولا الجند ولا عن السياسة، وإنما هو من يستطيع أن يعطي كل تصرفات البويهيين المالية والعسكرية والسياسية صفتها الشرعية، فمسؤولية هذا الوضع الجديد لا تقع إطلاقا على ملوك بني بويه، فهم لا يستحدثون شيئا من النظم؛ وإنما ساروا على سنة أنشئت من قبلهم وحلوا محل أمراء الأمراء مثال ابن الرائق، بجكم، توزون... وغيرهم. وكل الذي استجد انصب على التلقيب فقد أصبح أمراء بني بويه يلقبون بالملك.³

جرت معاملة بني بويه للخلفاء على نسق السنن السابقة، بل لعلمهم كانوا أكثر مجاملة من غيرهم لأنهم كانوا أكثر قوة، وعلى الرغم من ذلك فإن تغيير طفيف هو جعل إمرة الأمراء وراثية في بيت معين، فأصبحت المناصب تورث فاذا جاء أمير أمراء القوي واستطاع أن يجعل هذا المنصب وراثيا كان مدعاة للاستقرار، ومن ثم كانت الأسرة التي تتولى هذا المنصب لا بد أن تحس بما يلقي عليها من المسؤولية، ولا بد أن تحس بأن سلطانها مستقر متوطد.⁴

¹-القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص303.

²-المصدر نفسه، ج1، ص311.

³-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص516.

⁴-المرجع نفسه، ص517.

لم يكتف البويهيون بالاستبداد بالسلطة دون الخلفاء، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فشاركوهم في شارات الخلافة التي كانت تمثل السلطة السياسية، فذكرت أسمائهم في الخطب مع اسم الخليفة ولم تجر بذلك العادة الأمراء الذين سبقوهم وكذلك ضربت الطبول على أبوابهم.¹

بناءً على ما سبق من معلومات وضعت الجدول التالي لتوضيح صلة ولي العهد بالخليفة:

صلة ولي العهد بالخليفة				
ابنه	أخ الخليفة	أحد أقارب الخليفة	لم يعهد لأحد	
	X			المأمون (198-218 هـ / 813-833م)
X				المعتصم بالله (218-227 هـ / 842-833م)
X				إلواثق بالله (227-232 هـ / 847-842م)
X				المتوكل على الله (232-247 هـ / 861-847م)
X				المنتصر بالله (247-248 هـ / 862-861م)
	X			المستعين بالله (248-252 هـ / 866-862م)
		X		المعتز بالله (252-255 هـ / 869-866م)

¹ -صبيح نوري خلف: خلع الخلفاء العباسيين السلطانية للأمراء البويهيين (334هـ - 447هـ)، مجلة دراسات إيرانية، الع 8، (د.ت)، ص 137.

X				المهتدي بالله (255- 256هـ/869-870م)
			X	المعتمد على الله (256- 279هـ/870-892م)
			X	المعتضد بالله (279- 289هـ/892-902م)
X				المكتفي بالله (289- 295هـ/902-908م)
		X		المقتدر بالله (295- 320هـ/908-932م)
	X			القاهر بالله (320- 322هـ/932-934م)
X				الراضي بالله (322- 329هـ/934-940م)
X				المتقي لله (329- 333هـ/940-944م)
X				المستكفي بالله (333- 334هـ/944-946م)
			X	المطيع لله (334- 362هـ/946-974م)
X				الطائع لله (362- 381هـ/974-991م)

الجدول رقم (01): يوضع صلة ولي العهد بالخليفة العباسي خلال الفترة (198هـ -

391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -

من خلال ما سبق نلاحظ أن:

• الخلفاء العباسيين لم يضعوا نظاما موحدا لنقل السلطة، حيث كان ذلك يتم دون نظام مسبق أو قاعدة يُستند عليها، لكن سعى جميعهم للحفاظ على وراثة العرش القائم على أساس أسري سواء بتولية العهد للأبناء أو الإخوة أو الأقارب، كما عمل القادة الأتراك في بعض الأحيان لتولية أخ الخليفة لكن بأمر منهم، في حين لم يتمكن بعضهم من تعيين ولي العهد بسبب موته.

• بدى الصراع واضحا بين أفراد البيت العباسي حول ولاية العهد، حيث تكرر وقوع الحرب الأهلية بين الإخوة عدة مرات، خاصة عندما كان الخليفة يولي العهد لأكثر من أحد من أبنائه وكان هارون الرشيد أول من قام بذلك، فرغم ما حققه من إنجازات جعلت عصره يعرف "بالعصر الذهبي"، إلا أنه بهذا الإجراء سبب صدعا في الخلافة العباسية صعب تدارك نتائجه بعد وفاته، كما قسم الخليفة المتوكل على الله البلاد بين أبنائه وكان ذلك بداية فترة الاضطراب السياسي خاصة وأن ذلك تزامن مع حقبة الفوضى العسكرية.

• ساهم القادة الأتراك والأمراء البويهيين من بعدهم في عملية صنع القرار، فشملت تدخلاتهم الشأن العام للخلافة العباسية و خاصة أمر التولية والعزل، حيث زاد نفوذهم على الخلفاء أنفسهم وأصبحوا هم من يديرون الخلافة فعليا والخليفة مجرد رمز ديني، ورغم محاولات بعض الخلفاء لوضع حدٍ لذلك؛ إلا أن غياب الجهود المكثفة والأهداف الموحدة حال دون ذلك.

2. نهاية الخلفاء:

اختلفت نهايات الخلفاء العباسيين بين القتل والموت الناتج عن المرض، وذلك راجع لمدى سلطته وخضوعه للمتحكمين في زمام الأمور، فخلفاء العصر الثاني لم يكونوا ضعاف الشخصية أو ليسوا أهلا لهذا المنصب بقدر ما كانت الأوضاع العامة وقوة القادة واتحادهم

الفصل الأول:

أسباب الاضطرابات السياسية

وراء سلب سلطتهم وتعذيبهم أو سجن بعضهم قبل قتله، وهذا ما سنوضح في الجدول التالي بناء على ما ورد في المصادر.

الخليفة	القتل	الموت/ المرض	فترة الخلافة	المصدر
المأمون (198- 218 هـ / 813- 833م)		x	20 سنة	ابن طباطبا، المصدر السابق، ص220.
المعتصم بالله (218- 227 هـ / 833- 842م)		x	9 سنوات.	الدينوري أبي حنيفة حمد بن داود (282هـ): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د.ت)، ص406؛ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص231؛ الأربيلي، المصدر السابق، ص222.
الواثق بالله (227- 232 هـ / 842- 847م)		x	5 سنوات.	ابن طباطبا، المصدر السابق، ص236.
المتوكل على الله (232- 247 هـ / 847- 861م)	x		15 سنة.	المصدر نفسه، ص237؛ ابن العمراني، المصدر السابق، ص281؛ الأزدي، المصدر السابق، ج2، ص360.
المنتصر بالله (247- 248 هـ / 861- 862م)	x		سنة.	الأربيلي، المصدر السابق، ص228
المستعين بالله (248- 252 هـ / 862- 866م)	x			الأزدي، المصدر السابق، ج2، ص364.
المعتز بالله (252- 253 هـ / 866- 867م)	x		4 سنوات.	السيوطي، المصدر السابق، ص286. ابن طباطبا، المصدر السابق، ص243

				255هـ/866- (869م)
الكتبي، المصدر السابق، ج4، ص51؛ السيوطي، المصدر السابق، ص288؛ الأزدي، المصدر السابق، ص367؛ الطبري، المصدر السابق، ج9، ص469.	سنة.		x	المهتدي بالله (255- 256هـ/869- (870م)
السيوطي، المصدر السابق، ص292.	23 سنة.		x	المعتمد على الله (256- 279هـ/870- (892م)
المصدر نفسه، ص257.	10 سنوات.	x		المعتضد بالله (279- 289هـ/892- (902م)
المصدر نفسه، ص258.	6 سنوات.	x		المكتفي بالله (289- 295هـ/902- (908م)
ابن الاثير، المصدر السابق، ج7 ص72؛ ابن طباطبا، المصدر السابق، ص365.	25 سنة.		x	المقتدر بالله (295- 320هـ/908- (932م)
السيوطي، المصدر السابق ص308؛ الازدي، المصدر السابق، ج2، ص401.	سنتين.		x	القاهر بالله (320- 322هـ/932- (934م)
السيوطي، المصدر السابق، ص311؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص152.	7 سنوات.	x		الراضي بالله (322- 329هـ/934-

940م)				
المتقي لله (329- 333هـ/940- 944م)	x	4 سنوات.	الأزدي، المصدر السابق، ص409.	
المستكفي بالله (333- 334هـ/944- 946م)	x	سنة.	السيوطي، المصدر السابق، ص314؛ الأزدي، المصدر السابق، ص411.	
المطيع لله (334- 362هـ/946- 974م)	x	29 سنة.	مسكويه، المصدر السابق، ج 5، ص405.	
الطائع لله (362- 381هـ/974- 991م)	x	18 سنة.	الأزدي، المصدر السابق، ج2، ص416؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص311.	

الجدول رقم 02: يوضح أسباب موت الخلفاء العباسيين وفترة خلافتهم خلال الفترة

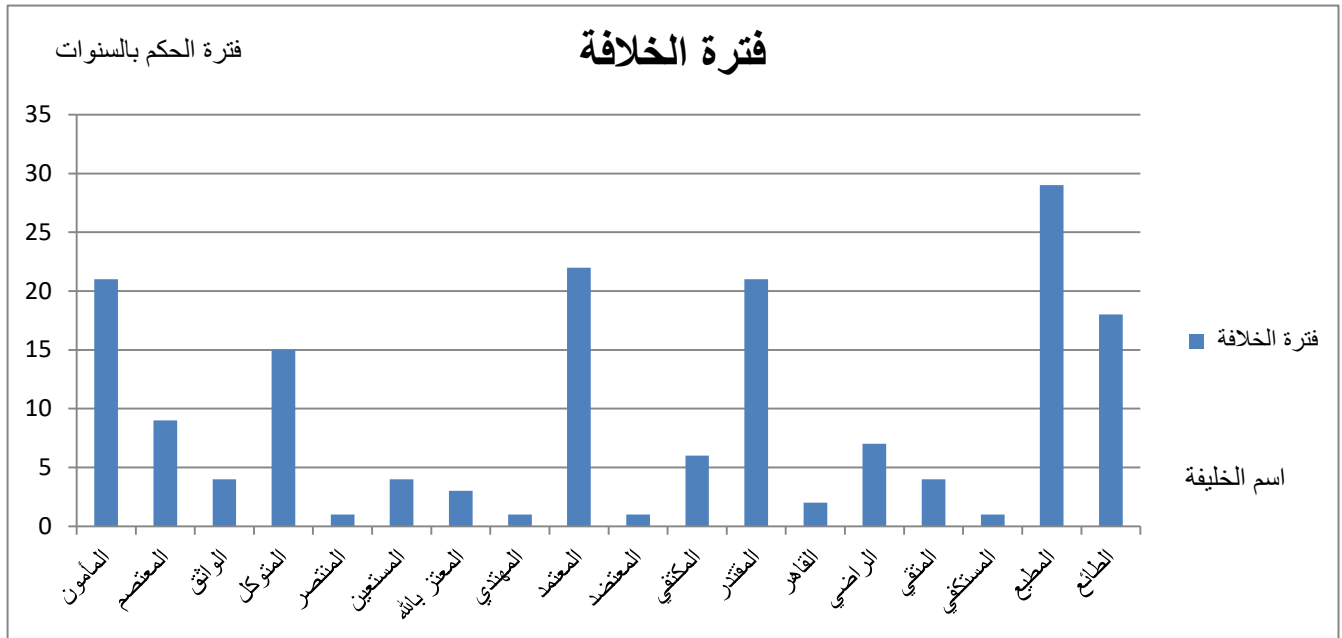
(198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - اعداد الباحثة - .

من خلال الجدول يتضح أن:

- الخليفة "الأمين" أول الخلفاء العباسيين الذي تعرض للقتل من قبل أخيه بسبب قضية ولاية العهد؛ التي اعتبرت من أكثر القضايا التي أحدثت الشقاق بين أفراد البيت العباسي، و أدت في كثير من الأحيان لحرب أهلية بين الاخوة.
- شهدت الفترة الممتدة ما بين 232هـ و334هـ تصعيدا في حالات قتل الخلفاء العباسيين؛ إذ يمكن القول أن أغلب خلفاء هذه الفترة كان مصيرهم القتل بمختلف الأساليب، وهي فترة سيطرة الأتراك على الخلافة وتحكمهم المباشر في تعيين الخلفاء ومساهماتهم في وضع حد لحياتهم ناسيين أفضالهم عليهم، فقد وجدوا أن قتل الخلفاء العباسيين أنجح وسيلة

للقضاء على كل من يحد من نفوذهم، وأول الخلفاء الذين تعرضوا للقتل هو الخليفة "المتوكل" ابن المعتصم الذي استكثر الأتراك وولاهم أهم المناصب ووسع من صلاحياتهم وأنعم عليهم بالقصور والإقطاعات، فلم يمنعهم كل ذلك من وضع حد لحياته والإنقاص من قيمته وقيمة بقية الخلفاء فبمجرد ما كان الخليفة يبدي معارضته أو يحاول استرجاع مكانة الخلافة أي أن يحد من نفوذهم يُجمع القادة الأتراك على قتل الخليفة.

- بداية من سنة 334هـ أي بداية من العصر البويهي نلاحظ طول فترة خلافة كل من الخليفة المطيع والطائع وتتحيزهم عن كرسي الخلافة بمحض إرادتهما وذلك راجع لطبيعة العلاقة القائمة بين الخليفة و بني بويه، فقد سيطر أمير الأمراء البويهي على جميع الجوانب وبقي للخليفة الوجود الاسمي فقط، فهو بذلك لا يتحمل شيئاً ينافي أحد عليه.
- اختلفت فترة خلافة كل خليفة تبعا للأوضاع السياسية السائدة إذ أن القتل كثيرا ما وضع حدا لحياة ومدة حكم الخليفة، الأعمدة البيانية أسفله توضح اختلاف فترات حكم الخلفاء العباسيين.



الشكل رقم 01: أعمدة بيانية توضح فترة خلافة الخلفاء العباسيين خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - إعداد الباحثة -.

من خلال المعطيات السابقة نجد أن:

• أثر النزاع على السلطة وتغير الخلفاء السريع و قصر مدة خلافتهم على الاستقرار السياسي للخلافة العباسية، وذلك لما خلفه هذا الوضع من اضطرابات وفوضى حالت دون قيام السلطة بدورها المطلوب في التسيير والإصلاح، إذ أن إحداث الاستقرار السياسي يتطلب مدة من الزمن وحاشية ومساعدين يعملون من أجل هدف واحد بعيداً عن المصالح الشخصية، وهذا ما غاب في كثير من الأحيان، فذب الفساد في مختلف المؤسسات الحكومية.

• أثر الصراع على السلطة وضعف الخلفاء على مركزية الخلافة فتراجعت مناطق نفوذ الخليفة، حيث تميز العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ / 749م - 847م) بقوة الخلافة وتمركز السلطة في يد الخلفاء العظام أصحاب الشخصيات القوية وتمكنت الدولة لذلك من الاحتفاظ بوحدها تحت الحكم المركزي في بغداد، لكن ما لبث أن تغير الحال في العصر العباسي الثاني الذي اتصف بانتقال الدولة الإسلامية من المركزية إلى اللامركزية في نظام الحكم، حيث قامت دول وإمارات مستقلة استقلالاً كاملاً أو جزئياً مع الاعتراف بسultan الخلافة فانقسمت الدولة العباسية إلى عدة دول¹.

• عندما شعرت الدولة في نهاية العصر العباسي الأول بخطر الحركات الانفصالية لجأت إلى سياسة تركيزية مضادة فقسمت الدولة (الخلافة العباسية) إلى قسمين، القسم الأول هو المغرب يشمل الشام ومصر والشمال الإفريقي، والقسم الثاني وهو المشرق ويشمل الأقاليم الواقعة شرقي العراق، وكانت قد جرت العادة أن يعهد الخليفة بولاية العهد من بعده الى اثنين يلي أحدهما الخلافة بعد الآخر وكانت إدارة المشرق توكل إلى ولي العهد الأول وإدارة المغرب لولي العهد الثاني، فالعالم الإسلامي خلال العصر العباسي الثاني كان عبارة عن دولة لامركزية تتألف من مجموعة من الأمم الإسلامية لكل أمة طابعها الخاص².

¹ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1999، ص 30 - 29.

² - سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان، 2009، ص 157.

• أما بالنسبة للعصر العباسي الثاني فكانت العراق تمثل مركز الخلافة في عصرها الثاني حيث ارتبط مصيرها مباشرة بالخلافة، وكانت العراق هي الجزء الذي بقيت عليه سيطرة الخلفاء وظلت الخلافة تحكمه حكما مباشرا، فقد ضعفت سلطة الخلفاء السياسية على العالم الإسلامي ولم يبق من سلطان الخليفة إلا مظهره فقط، ولم يعد في يده غير العراق حتى العراق نفسه اقتطع أجزاء كبيرة منه خضعت لحكم المتغلبين من حكام الأقاليم فلم يعد للخليفة في بعض الأحيان إلا بغداد وضواحيها.¹

المبحث الثاني: ظهور حركات اجتماعية ذات الأبعاد الاقتصادية والسياسية و الدينية.
1. طبقات المجتمع العباسي:

إن دراستنا للحركات الاجتماعية باختلاف أسبابها قد يغرقنا في كم هائل من التفاصيل والأحداث الجزئية دون الوصول لما نريد أن نثبته من كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ذات الأبعاد الاقتصادية والسياسية... في هذا العهد ، لذلك استوجب علينا دراسة الصراع في حال هيجانه مركزين على أهم الحركات التي برزت في قمة الأحداث آنذاك، دون الخوض في جزئياتها، كما أن ترتيب الحركات المدروسة موضوع لدينا حسب أهميتها الاجتماعية والتاريخية.

اختلف تصنيف طبقات المجتمع العباسي من فترة إلى أخرى تبعا لمجموعة من الأسس والمعايير، فقد كان المجتمع مجتمعا طبقيا يتكون من الطبقة الخاصة والطبقة العامة، والطبقة الوسطى التي كان أفرادها يندمجون في إحدى الطبقات في بعض الفترات.

ضعف معيار النسب في تحديد المنزلة الاجتماعية، بسبب التطور الاقتصادي والتباين في توزيع الثروات بين الأفراد، لذلك صعب ايجاد حدود وشروط لتقسيم أفراد المجتمع في

¹-حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص301.

الدولة العباسية بين الفئة العامة والخاصة، خاصة لبعض الفئات التي صنفت في فئة وسطى أي بين العامة والخاصة.¹

انقسم المجتمع العباسي استناداً إلى الأسس الاقتصادية وحيارة الثروة إلى طبقتين أساسيتين هما: طبقة الخاصة والتي تضم أفراد الطبقة الحاكمة من خلفاء وأمراء ووزراء... والطبقة العامة: وهي الطبقة الكادحة التي شملت الفلاحين، والحرفيين، والعاملين في المهن المختلفة، والرقيق والعاطلين عن العمل؛² حيث أطلقت عليهم عدة تسميات كالسفلة، الغوغاء، السقاط، الجماهير، الدهماء، والأوباش، ومن ذلك قسمت الطبقة العامة إلى نوعين، النوع الأول؛ يضم السوق والجمهور وهم أدنى المراتب، والنوع الثاني يضم التجار وأهل المراتب وهم يُحَصِّلُونَ العيش من أحسن وجوههم، ويتميزون بالاكْتِسَاب الدائم المعتدل، وبإظهار العدل في المعاملات وإظهار السيرة الحسنة.³

و الطبقة الوسطى التي ضمت كل المنتفعين والمرتبطين بالسلطة ممن يحتمل أن يكونوا أصحاب السلطة أو ثراء مثل: العلماء، كبار التجار، الاقطاعيين، الشعراء والأدباء ورؤساء الحرف،⁴ حيث كان أفراد هذه الطبقة يتمتعون بمستوى معيشي مقبول فمنهم من يوشك أن يحسب على قائمة الأثرياء، لكنه لا يرقى لبذخهم الفاحش وترفهم المفرط، ومنهم

¹ - سوزان حسين ياغي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى 334هـ/946م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001، ص 19.

² - بدري محمد فهد: العامة ببغداد في القرن الخامس هجري، مطبعة الارشاد، بغداد، 1967، ص 11، 12.

³ - أحلام يوسف: الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق (132هـ - 447هـ / 749م - 1055م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 08ماي 1945 قالمة، 2017-2018، ص 114-115.

⁴ - عبد اللطيف عبد الراوي: المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت)، ص 29.

من انحدار مستواه المادي والمعاشي إلى مستوى مادي ضعيف،¹ وذلك لأن الفرد منهم مضطر إلى الارتباط بإحدى هاتين الطبقتين، فإما أن يتعامل مع الطبقة الحاكمة وبذلك يصبح جزءاً منها أو يرتبط بالطبقة المُستَغَلَّة.²

والجدير بالذكر أن الخطوط التي كانت تفصل بين هذه الطبقات لم تكن جامدة، حيث يمكن لأفراد تلك الطبقة الانتقال من طبقة لأخرى حسب التغيرات الاقتصادية التي تطرأ عليها؛³ وبالتالي لم يكن لكل طبقة خصائصها المستقلة.

أصاب المجتمع العراقي بعض التطورات خلال العصر البويهى حيث عادت الطبقة الوسطى للظهور بشكل واضح،⁴ فقد ارتبط ظهور هذه الطبقة جلياً بأفول الطبقة الاقطاعية عن طريق محاولة ضعضة النظام الاقطاعي والسيطرة عليه خاصة أوائل العصر البويهى، إلا أن عودة رسوخ الإقطاع العسكري بعد انتهاء العصر البويهى وما سببه من كساد اقتصادي أعاد صياغة البناء الطبقي بانتكاسة الطبقة الوسطى وانضمامها إلى الطبقة العامة بعد تردي أحوالها وإفلاسها.⁵

¹ - عادل محي الدين الألوسي: الرأي العام في القرن الثالث هجري، (198 هـ - 295 هـ / 813 م - 907 م)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1987، ص72.

² - عبد اللطيف عبد الراوي، المرجع السابق، ص34.

³ - سوزان حسين ياغي، المرجع السابق، ص 19.

⁴ - محمود اسماعيل: المهمشون في التاريخ الاسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص21.

⁵ - محمود اسماعيل: سيولوجيا الفكر الاسلامي طور التكوين، سينا للنشر، ط4، 2000، ج1، ص76.

2. حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية:

طبقاً واقتصادياً ابتعد العامة عن الخاصة، حيث كان المال يتدفق على أفراد الطبقة الخاصة و ينفقونه بإسراف هم ونسائهم وأتباعهم،¹ وطبيعي أن يظهر أثر هذا الثراء العريض في أسلوب العيش ووسائله في الأوساط الغنية، التي يغشاها الترف والنعيم ويسودها البذخ ما جعلهم يتأنقون في المأكّل والمشرب واللباس والسكن،² حيث الولائم الكبيرة التي تحتوي على ألوان هائلة من مفاخر الطعام ومجالس المنادمة والشراب، ولم يكتفوا بإغداق الأموال بلا حساب على مجالس الغناء والطرب، بل حتى على حفلات الزواج.³

وفي المقابل أثقلت الضرائب الفادحة كاهل الطبقة العامة وأنهكتها ويلات الحروب المستمرة بين الأمراء والفتن الدامية بين الطوائف، وأقلقها أهل العيث والفساد من لصوص وقطاع طرق،⁴ كما استاء العامة من العنف في جباية الخراج، وخيانة العمال وارتشائهم، وانفاق الأموال لمصالحهم الشخصية،⁵ ضف لذلك سوء الأحوال السياسية وضعف الخلفاء وسيطرة الجند الأتراك ومن ثم البويهيين على مقاليد الحكم وتراجع مكانة الخليفة وصلاحياته ما جعل أوضاع العامة تزداد سوءاً باعتبارهم الطبقة الهشة من المجتمع.

فحدث اختلالاً هائلاً في التوازن الاقتصادي بين الطبقات، حيث كانت الحدود بينها واضحة كل الوضوح فإمعان في الترف يقابله فقدان القوت، وجدير بهذا الاختلاف الشديد في

¹ -أحمد أمين: ظهر الاسلام، هنداوي، 2012، القاهرة، ص273.

² -محمود غناوي الزهيري: الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة، مصر، 1949، ص43.

³ -على منصور نصر: العيارون والشطار في العصر العباسي، مجلة المؤرخ العربي، الع 6، المج 1، 1998، ص 260.

⁴ -محمود غناوي الزهيري، مرجع سابق، ص46

⁵ -حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، 1997، ص12.

أساليب العيش أن ينتج اختلاف شديد في الوعي والشعور، مما أنتج مظاهر اجتماعية متباينة ومذاهب فكرية متناقضة في صعيد واحد.¹

وجدت الحركات المناوئة للسلطة العباسية في ذلك مناخا مواتيا لازدهار حركة التمرد والثورة على الدولة بقيادة الطبقة العامة²، ولعل أخص ما امتازت به هذه الثورات اشتراكها في الرغبة في تغيير وضعهم الاقتصادي، أي تغيير توزيع الثروة بين الناس،³ ارتبطت درجة الاستجابة بدرجة تطور الوعي الاجتماعي لدى أفراد العامة ومدى إحساسها بالمسألة الاجتماعية، فكانت درجة المساهمة متفاوتة.⁴

فبرزت لذلك فئات لم تقبل ظروفها التعيسة، بل حاولت أن تثبت كيائها وتحسن أحوالها بكل وسيلة سلمية أو ثورية، حيث نلاحظ أن بعضهم أرادوا الوصول إلى نتائج سريعة بصرف النظر عن الكلفة فانظموا إلى الحركات الاجتماعية خاصة العبيد والفلاحين، بينما عبر أهل الصنائع والحرف عن ذلك بطريقة سلمية تعاونية فتكتلوا وكونوا الجمعيات والنقابات،⁵ في حين هناك فريق عز عليهم أن ينالوا ما يطلبون فقللوا مطالبهم وتصوفوا وعلموا أنفسهم الزهد والورع والكبت، فكثر التصوف من هذا الباب جريا على قولهم " إن لم يكن ما تريد فأرد ما يكون"،⁶ فقد تنوعت إذن وسائل التعبير عن الرفض بين طرق سلمية أو أو التمرد والثورة أو المحايدة. ومن هذه الثورات:

¹ - محمد غناوي الزهيري، مرجع سابق، ص 41.

² - الألوسي، مرجع سابق، ص 151.

³ - طه حسين: مع المتنبي، هنداوي، 2001، ص 26.

⁴ - محمد نجيب أبو طالب: الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تقديم: الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، (د.ت)، ص 68.

⁵ - عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995، ص 105.

⁶ - أحمد أمين، مرجع سابق، ص 272.

أ- ثورة الزنج¹: والتي تعرف كذلك بثورة العبيد، فالثوار هم عبيد من زنوج الصومال وزنجبار كانوا يشتغلون للمثريين من أصحاب المصالح في السهول الملحية قرب البصرة في كسح السباح² لجعل الأرض صالحة للزراعة وللإستفادة من الأملاح المتجمعة، انضمت إليهم جماعة من العبيد الهاربين من القرى والمدن المجاورة تخلصا من وضعهم السيء.³

كان هؤلاء الزنوج يشتغلون دون أجور في سبيل عيش نكد، فلم يكن أسيادهم يعطونهم إلا قوتا يوميا يتكون من قليل من الطحين والتمر، لذا كان أي وعد بتحسين وضعهم المعاشي مصدر إغراء لهم، وقد فهم صاحب الزنج⁴ حالتهم، بعد أن تحرى الوضع ولم يكن

¹- الزنج: لفظة الزنج تعني الشخص الذي تقبضت أمعائه من شدة العطش، ولا يستطيع الاكثار من الطعام والشراب وجمع لفظ زنج ، والزنوج جيل من السودان وهم احدى السلالات البشرية الزنجية التي ظهرت في قارة افريقيا يتميزون بصفات جسمية عامة، كالرأس الضيق، الجبهة المستديرة، والفك العلوي البارز..... بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان، ص208.

²- يعود السبب سبب قدوم الزنوج إلى البصرة، أن المستثمرين والتجار أرادوا استثمار أموالهم بشراء الأراضي جنوب العراق بثمان قليل جدا واستصلاحها والاستفادة منها، وهي مناطق تغمرها المياه ويمكن استخراج الملح منها كما أنها مغطاة بالأعشاب والآجام، لذلك اتجهوا نحو الصومال وزنجبار لشراء العبيد والزنوج مستغلين رخص أجورهم وحاجتهم لتحسين أوضاعهم وقوة أجسامهم وقدرتهم على تحمل المتاعب وهكذا بدأ قدوم الزنج الى البصرة لاستصلاح الأراضي وكسح السباح لاستخراج الملح والعمل في أعمال زراعية أخرى.. جميل محمد أبو الندى: الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2012، ص14.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص206.

⁴- صاحب الزنج: هو علي بن محمد بن عبد الرحيم نسبه في عبد القيس من قبيلة ربيعة، وعندما خرج من فرات البصرة في شهر شوال سنة 255هـ / 869م زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم غير نسبه الى يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بعد أن وفد عليه جماعة من العلويين في البصرة. كذلك عندما نزل بالبحرين أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المقتول بالكوفة، فب أيام الخليفة المسعين بالله فضلا عن زعمه أنه من ولد العباس بن أبي طالب، ثم من ولد الحسين بن عبد الله بن العباس. ارجع بعض الباحثين ثورته لأسباب تخص نسبه العلوي في حين نفى فريق بخر

في المثل والمبادئ ما يؤثر في هؤلاء المناكيد خاصة وأن أكثرهم همج لا يفهمون حتى اللغة العربية، لذا أكد صاحب الزنج على النواحي المادية،¹ وهو رجل فارسي اسمه "علي بن عبد بن محمد وكان يزعم أنه ينتسب إلى علي وفاطمة من طريق زيد بن علي، ودعا الزنج إلى الخروج على أصحاب الأراضي، والذي لا شك فيه أنه لم ينادي بشيء من اصلاح الأحوال الاجتماعية، ويكفي أنه وعد هذا الشهم المظلوم -والعبيد في جملتهم-، وعدًا قاطعًا بتحسين حالهم وضمان الحرية والثروة لهم، وهو لم يصدر في دعوته على أساس من حقوق أسرته بل جاهر بعقيدة الخوارج التي ترفض كل تمييز قومي،² ففي سنة 255هـ / 869م ألقى فيهم خطبة "ذكر فيها ما كانوا عليه وأن الله قد إستنقذهم به من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور".³

يقول علي بن محمد صاحب الزنج:

لهف نفسي على قصور بغداد وما قد حوته من كل عاص.

وخمر هناك تشرب جهرا ورجال على المعاصي حراس.

نسبه العلوي من الأساس؛ إيمان محمود عرفة: دينار نادر باسم صاحب الزنج ضرب المدينة المختارة سنة 259هـ، مجلة كلية الآثار، الع 27، 2024، ص582؛ للمزيد عن نشأته وسيرته أنظر: فاطمة سعيد خليفة محمد: حركة الزنج وآثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الدولة العباسية (255هـ / 870م - 270هـ / 883م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2009، ص32-55.

¹ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص94.

² كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس وآخرون، دار العلم للملايين، ط5، (د.ت)، ص215.

³ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص94.

لست بابين الفواطم الزهر إن لم أقم الخيل بين تلك العراض.¹

اشتد أمر الزنج وعظم شأنهم؛ ففي سنة 257هـ/871م أرسل المعتمد على الله جيشا لمواجهتهم، كما نفذ صاحب الزنج جيوشه إلى البطيحة وتنهب وخرب سنة 262هـ/876م،² و دخل الزنج سنة 265هـ/879م الأبله فقتلوا فيها خلقا كبيرا وأحرقوها وكان ما أحرقت الناس أكثر مما نهب.³

تجدر الإشارة إلى أنه لا يعرف نظير لثورة الزنج في القوة الاستمرار والعنف منذ نشبت وحتى اليوم الذي هزمت فيه، حتى بلغ الصراع بين الثورة وبين الدولة العباسية طوال هذه السنين حدا بالغا، وظلت جيوش الدولة تُمنى بالهزيمة تلوى الأخرى، حتى اضطر الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م) لتكريس كل موارد الدولة لحرب الزنج، بل وأيضا الاستعانة بأخيه الموفق بالله الذي تولى قيادة الجيش العباسي لمحاربتهم وضرب حركتهم في العراق الجنوبي، وبعد ثلاث سنوات من الحروب المتواصلة قتل صاحب الزنج سنة 270هـ/884م وأسر من معه، وهكذا طويت صفحة هذه الثورة التي كانت من أكبر الثورات إحداثا للصراع في العصر العباسي، وكذلك كانت أكثرها قسوة وعنف وإراقة للدماء،⁴

(الملحق رقم 01، ص 381).

¹ - أحمد فتحي سليمان: المسكوت عنه في التاريخ، الفكر والثقافة العامة، (د.ت)، ص 90.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6 ص 262.

³ - المصدر نفسه، ج 6، ص 225.

⁴ - جميل محمد أبو الندى، المرجع السابق، ص 583.

ب. الشطار والعيارين:

ثاني هذه الحركات هي "حركة الشُّطَار¹ والعيارين²": عرفوا أيضا بالصَّعَالِيك³، انضم إلى هذه الحركة أغلب أفراد الفئة الفقيرة المعدمة من عامة الشعب التي تعيش على هامش المجتمع وعلى سفحه من أجناس مختلفة من الموالي؛ ففيهم الأحباش والسودان والأفارقة والبرابرة والصقالبة والسنود والنبط والترك والأكراد وغيرهم من أصحاب الفتن والخصومات،⁴ كما ضمت مختلف الأوساط المذهبية فكان منهم من هو عباسي وعلوي من السنة والشيعة.⁵

استطاعت هذه الحركة استقطاب عناصر كثيرة ومختلفة وحدت فيما بينها أهدافها التي تتنادي بمبادئ سامية تدعو إلى تحقيق العدالة والمساواة في المجتمع العباسي ونبذ التمايز

¹ - الشَّاطِرُ: الشطر مصف الشيء، وشطره جعله نصفين، وشطره ماله ناصفه، ويقال هو الذي شطر على أهله وانفصل عنهم وتركهم مرغما أو مخالفا وأعياهم خبثا ومكرا؛ ابن منظور أبي الفضل جمال الدين (ت711هـ): لسان العرب، نشر أدب الحوزة، 1405هـ، ج4، ص406؛ يطلق هذا الاسم على الرجل الواسع الحيلة والدهاء الذي ابتعد عن أهله واقترب من الله بالطاعة وابتعد عن المعصية، وهو بهذا المعنى الاصطلاحي دخل أيضا التاريخ السياسي والاجتماعي والديني في الاسلام، وارتبط لفظ العيار أشد الارتباط بحركة الفتوة الاسلامية؛ أحمد الخطيمي: الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية 656هـ/ 1258م، مكتبة عبد الحميد شومان العامة، عمان، 2008، ص118.

² - العِيَارُ: في اللغة هو الرجل كثير المجيء والذهاب في الأرض وقيل هو الذكي كثير التطواف والحركة، يقال غلام عِيَارٌ نشيط في المعاصي، وغلام عيار نشيط في طاعة الله، وعَارَ الرجل في الأرض يعير بالسيف، وعَارَ الرجل في القوم يضربهم بالسيف؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص620.

³ - الصُّغْلُوكُ: هو الفقير الذي لا مال له، والصَّغْلَكَةُ: هي الغزو والإغارة للسلب والنهب والواقع؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص456.

⁴ - خليل سارة: العيارون والشطار في العصر العباسي (نشأتهم ومبادئهم)، اشغال الملئقى الدولي الخامس حول الحركات الاجتماعية في العالم العربي، 10-12 أفريل 2008، ص131.

⁵ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج15، ص33.

والنفرة،¹ اختلفت الآراء في تحديد طبيعتهم فهناك من وصفهم باللصوصية مستندا بأحداث السرقة والحرائق والفتن التي سببوها، وآخرين يجدونهم طائفة ظهرت بسبب التباين الاقتصادي وأن حركتهم موجهة ضد التجار وأهل اليسار، والقصد أن الشطار والعيارين صعاليك من جهة ودراويش من جهة أخرى.²

إن محاولة بعض الباحثين التفريق بين العيارين والشطار لم تلقَ تجاوباً، ومن ذلك قول جورجى زيدان "بأن الشطار أكثر انتشاراً في المملكة الإسلامية من العيارين وأطول بقاءاً منهم"،³ ويذهب رأي آخر إلى أن الشطار قاموا بحركات تشبه إلى حد كبير العيارين،⁴ في حين يذهب فريق آخر ليجعل كلمة فتى، شاطر، عيار كلها ذات مدلول واحد ظهر منذ ظهور هذه الفئة من العامة.⁵

في الوقت الذي كانت حركة العيارين والشطار مرفوضة من الناحية القانونية من قبل السلطة في العصر العباسي، كانت مقبولة من الناحية الاجتماعية، خاصة أن عناصرها من الطبقة العامة الذين اعتبروا أصحاب تلك الحركة أبطالاً في نظرهم ونظروا لحركتهم على أنها حركة ثورية يقودها الفقراء ضد الأغنياء ولو بالقوة،⁶ إذ لم يكن الشطار والعيارون وغيرهم من أهل الشرور يُعدون اللصوصية جريمة، وإنما كانوا يعدونها صناعة يحللونها

¹- علي منصور نصر، المرجع السابق، ص 248.

²- قصي طارق: العيaron والشطار في العصر العباسي، مطبعة الواعظ علوم أهل البيت، ط1، 2013، ص 9.

³- جورجى زيدان، تاريخ التمدن، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012، ج5، ص 52.

⁴- الكروي ابراهيم سلمان: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1989، ص 101.

⁵- سوزان حسين ياغي، المرجع السابق، ص 49.

⁶- علي منصور نصر، المرجع السابق، ص 249.

باعتبار أن ما يستولون عليه من أموال التجار الأغنياء زكاة تلك الأموال التي أوصي بإعطائها للفقراء.¹

ومن أجل تأكيد شرعية حركتهم في هذا العصر فقد تم إلحاق عيارتهم وشطارتهم بالفتوة المسندة إلى أصل ديني، الأمر الذي أدى لتفرقهم إلى فرق وطوائف متعددة بل متناحرة فأخذوا يتحزبون ويتعصبون ويفتكون وينهبون ويقتلون ويغتصبون باسم طريقة من الطرق المعزوة إلى الدين؛ فكان لذلك أسوأ الأثر في إجهاض انتفاضتهم الأمر الذي أتاح للدولة أن تصمد أمام ضرباتهم المتلاحقة، وأن توقع بهم الهزيمة مرارا، ولكن من غير أن تتمكن من القضاء عليهم أو على حركتهم بشكل حاسم أو جذري على الرغم من جدية الدولة وضخامة القوات التي كانت تعدها لمطارتهم.²

وكان ظهور هذه الكلمة "الفتى" بهذا المعنى في حصار بغداد الأول 197هـ/813م، وقد استعملها أحد الشعراء عندما كان يصف دور العيارين في هذا الحصار حيث قال:

ليس يدرون ما الفرار إذا الأب طال عادوا من القنا بالفرار.

واحد منهم يشد على ال فين عريان ماله من أزار.

ويقول الفتى إذا طعن الطعنة خذها من الفتى العيار.³

نلتمس بوادر هذه الحركة منذ عهد الخليفة المهدي (169-158هـ/775-785م) في مقاطعة سيبر التي كانت مروج لدواب الخليفة وأغنامه، حيث ذكر البلاذري أنه لما "كثر الصعاليك والذعار وانتشروا بالجبل في خلافة المهدي أمير المؤمنين جعلوا هذه الناحية ملجأ

¹ - جورجى زيدان، المرجع السابق، ص 53.

² - محمد رجب النجار: الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، 1981، ص 148.

³ - الذهبي، المصدر السابق، ج 13، ص 51.

لهم وحوزا فكانوا يقطعون ويؤدون إليها ولا يطلبون لأنها حد همذان والدينور وأذربيجان فكتب سليمان بن قيراط وشريك معه يقال له سلام الطيفوري، نجدهم وشكيا تعرضهم لما في أيديهم من الدواب والأغنام فوجه لهم جيشا عظيما وكتب إلى سليمان وسلام يأمرهما ببناء مدينة يأويان إليها وأعوانهما ورعاتهما ويحصنان فيها الدواب والأغنام مما خافا عليه فبنيا مدينة سيسر وحصناها وأسكنهاها الناس، ووليها عامل، وكان خراجها يؤدي إليه".¹

ويذكر البلاذري أيضا أن الصعاليك كثروا في عهد الرشيد (193-170هـ/786-809م) ، ونهبوا سيسر فأمر ببنائها وتحصينها ورتب فيها ألف رجل من أصحاب خاقان الخادم السعدي، وفي آخر أيام الرشيد وجه إلى سيسر عاصم بن مرة العجلي، ولم يزل مرة يؤدي الخراج عن سيسر في أيام الخليفة الأمين إلى أن وقعت الفتنة، ثم أخذت سيسر من عاصم بن مرة فأخرجت من يده في عهد المأمون ورجعت إلى ضياع الخلافة، فولى عليها المأمون قائدا يدعى همام بن هاني العبدي على أن يتعاون مع أهلها ويحصنها من غارات الصعاليك.²

رغم كثرة الصعاليك والشاطار في عهد الرشيد (193-170هـ/786-809م)، إلا أنهم كانوا لا يشكلون مصدر خطر يهدد سلطة الدولة أو مركز الخلافة رغم التفاوت الطبقي الذي عرفته الخلافة في عصرها الذهبي، حتى قيل عنهم أنهم "كانوا يطلبون الشيء الطفيف أو يصيبوا ثمرة من أهل السفينة أو القافلة فيصيبوا ما يمكن اختلاسه"³، فلم تكن غاية هؤلاء

¹ - البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ، ص307.

² - المصدر نفسه، ص308.

³ - محمد رجب النجار، المرجع السابق، ص 14.

الصعاليك حتى عهد الرشيد سوى أن يتعرضوا لقافلة أو سفينة فيختلسوا على حين غرة الشيء الطفيف الذي يسد عوزهم.¹

إنما كان يستفحل أمرها كلما وجدوا متنفسا لهم من ضعف السلطة الحاكمة أو فساد في المجتمع أو انهيار في الحياة الاقتصادية، وقد استمر نشاطهم طويلا في بغداد وذلك لأن الدولة كانت حتى وقتها قوية متماسكة وفي أوج سلطانها السياسي والحضاري، ولا تزال قبضتها قوية حتى على الأطراف إلا أن ذلك النشاط يخف عند سيطرة إدارة قوية.²

لعبت هذه الحركة دورا مهما في التاريخ العباسي بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص، أيام الحروب الطاحنة التي حصلت بين الأخوين، الأمين والمأمون ففي سنة 197هـ/ 785م، حين أحاطت جيوش المأمون بقيادة الطاهر بن الحسن بمدينة السلام، وشددت تلك الجيوش هجماتها على جند بغداد وأخذ جند الأمين يضعف ويتخاذل، في تلك اللحظات الحاسمة في تاريخ بغداد أخذ أبناؤها العيارون يقاتلون المهاجمين قتالا شديدا وقتل من أصحاب طاهر العدد الكبير.³

استطاع الأمين احتواء الحركة وسيرها لخدمة حربه،⁴ فقد وقف العيارون موقفا نبيلًا ودافعوا على بغداد دفاع الأبطال،⁵ فهم بذلك مثلوا التيار الشعبي المتدفق حيوية ونشاط أيام المحن والنكبات فكانوا يدافعون على مدينتهم⁶ وفي ذلك قال أحد العيارين وهو من أهل السجون:

¹ - خليل سارة، المرجع السابق، ص 135.

² - علي منصور نصر، المرجع السابق، ص 156.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ح 5، ص 397.

⁴ - علي منصور نصر، المرجع السابق، ص 248.

⁵ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج 2، ص 237.

⁶ - علي منصور، المرجع السابق، ص 153.

لنا من طاهر يوم عظيم الشأن
 علينا فيه بالأنجاد عن هرثمة الكلب
 رمنا لأبي الطيب يوم صادق الكرب
 أتاه كل كرار ولص كان ذا نقب
 وعريان على جنبه آثار من الضرب
 إذ حل من شرق أتينا من الغرب.¹

حاول الأتراك محاربة الخليفة المستعين (248هـ-252هـ / 862م-866م) ومحاصرة بغداد، فكانت محنة كبيرة على بغداد واستعد المستعين للدفاع عنها، وتلفت يمينه ويساره فلم يجد أكثر نشاطاً وأوسع حيلة وأعلى همة وأمضى صبرا على الحرب من جماعة العيارين؛ فاعتمد عليهم في ذلك.² حيث كانت لهم هيمة وجولة في بغداد سنة 315هـ/927م،³ وتحرك بعض العيارين في أمر السعر سنة 326هـ/937م،⁴ وفي سنة 330هـ/941م استدعى ابن الرائق العيارين واستعملهم ضد البريدي ففتحوا السجون.⁵

رغم قساوة السلطة البويهية في تتبع وإخماد حركة العيارين والشطار إلا أنها لم تستطع أن تقضي عليهم، وبلغ من شأنهم أن السلطة كانت تبعث لهم الجيوش للقضاء عليهم فلا تنال منهم،⁶ حيث كانت هذه الجماعة كلما تيسر من الوضع القائم وتشعر بفساده تظهر

¹- المسعودي، المروج، المصدر السابق، ج2، ص237.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص169.

³- المصدر نفسه، ج7، ص33.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص104.

⁵- الصولي، المصدر السابق، ص223.

⁶- علي منصور نصر، المرجع السابق، ص248.

على شكل جماعة تفرض سيطرتها ونفوذها وتشارك غيرها من الجماعات في زيادة من العبث والفوضى وتساهم في أي فتنة.¹

وقعت ببغداد فتنة عظيمة سنة 361هـ/972م وأظهر العامة العصبية الزائدة وعجز الناس، كما ظهر العيارون وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكان سبب ذلك ما ذكرناه في استنفار العامة للغزاة (الروم)، فاجتمعوا وكثروا فنهبت الأموال وقتل الرجال وأحرقت الدور وفي جملة ما احترق "محلة الكرخ".²

هكذا نرى أنه كلما زاد أمر الدولة ضعفا استفحل أمر هذه الجماعة وأظهرت نشاطها بشكل بارز، وهذا لأن سوء الأحوال السياسية في بغداد جعل الوضع الاقتصادي منهارا والوضع الاجتماعي مترديا، وهذا أمر يساعد على تركيز أمر العيارين ويشجع على إظهار نشاطهم بشكل واضح³، حيث أنهم وضعوا شروطا خاصة للانتماء إليهم واستطاعوا تنظيم أنفسهم في تلك الفترة؛ فاتسعت تنظيماتهم وأصبحت ذات شكل هرمي يترأسهم الأمير وكان لهم في كل محلة مقدم ولكل عشرة منهم عريف، ولكل عشرة عرفاء نقيب، ولكل عشرة نقيب قائد ولكل عشرة قواد أمير.⁴

ت. ثورة القرامطة: تلتقي حركة القرامطة مع حركة العيارين في عملية الرفض العنيف للتناقض الطبقي الذي يسود مجتمع العراق، لكن رفض القرامطة كان خاليا إلى حد ما من

¹-حسين أمين، العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد، مجلة التراث العربي، الع 2 السنة 1، مطبعة المعارف، بغداد، 1963، ص153.

²-ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص330.

³-حسين أمين، المرجع السابق، ص154.

⁴-عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطبع والنشر، بغداد، 1945، ص284.

الطابع الفوضوي الذي كانت عليه حركة العيارين، فقد انتهج القرامطة منذ اللحظات الأولى لدعوتهم سبلا سياسية واقتصادية قوية.¹

استطاع القرامطة تنظيم توجه السخط الاجتماعي والديني في البلاد الإسلامية باتخاذهم حق العلوين الشرعي في الحكم وسيلة للدعاية السياسية، وبمزجهم الداخلي لمبادئ من جميع الأديان والفلسفات مع نزعة قوية تحكم العقل في مذهبها الديني، وباستغلال التذمر الاجتماعي والاقتصادي وبتنظيماتها الدقيقة كجزء أساسي من فعاليتها،² كما تمكنوا من التأثير في الطبقات العاملة تأثيرا قويا باتصالاتهم بأصناف أهل الصناعات والحرف³ والفلاحين الذين كانوا يئنون من جشع الجباة واستغلال الملاكين.⁴

تسلل القرامطة إلى أهوية الناس بطرق وبرامج مغرية، فقد مثوا الناس بإصلاح أحوالهم الاقتصادية ووعدوهم بتوفير الحياة السعيدة والعيش الرغيد، وهذا واضح في زعم داعيتهم⁵

¹ - محمد نجيب أبو طالب، المرجع السابق، ص 33.

² - عبد العزيز الدوري، العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص 120.

³ - برنارد لويس: أصول الاسماعيلية بحث تأريخي في نشأة الخلافة الفاطمية، ترجمة خليل أحمد جلو وآخرون، تقديم عبد العزيز الدوري، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط 1، 2007، ص 153.

⁴ - التميمي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 1037هـ): الفرق بين الفرق، محمد علي الصبيحي وأولاده، 2005، ص 301.

⁵ - هو حمدان بن الأشعث كان فلاحا أصله من قرية تعرف "بالدور" على نهر "هد" بسواد الكوفة، وكان رجلا قصيرا ذا أرجل قصيرة، و"يقرمط" في مشيته أخطواته متقاربة، لذلك سمي بـ "قرمط"، وقيل لأنه كان أحمر العينين والبشرة تشبها له بالقرمذ "الطوب الأحمر"، وقد اختفى بعد انفصاله عن القيادة الاسماعيلية ولم يعرف له مصير، أما عن الدعوة القرمطية تعود في أصولها إلى الاسماعيلية الباطنية، فالقرامطة كفرقة دينية ماهي إلا ثمرة من غرس الإسماعيلية، وهو الأمر الذي جعل بعض الباحثين يعتقد أن القرامطة والاسماعيلية لفظان مترادفان يشيران إلى الشيء نفسه، وإن دل هذا على أمر ما فإنه يدل على وجود صلة بين القرامطة والاسماعيلية؛ آمال محمد حسن وصفي علي محمد عبد الله: القرامطة والفاطميين بين الحقيقة والتاريخ خلال القرنين الثالث والرابع هجريين/ التاسع والعاشر ميلاديين، مجلة البحوث، المجلد 3، العدد 9، 2023، للتفاصيل أكثر أنظر: سنا بورغيدة: القرامطة بين المنطلقات الاقتصادية

وهو في الكوفة بقوله "وغرضي أن ادعوا أهلها من الجهل إلى العلم ومن الشقاوة إلى السعادة وأن أستغفهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب".¹

كان مركز الحركة مدينة واسط بين الكوفة والبصرة والقرى المجاورة لهما، حيث كان أكثر سكان هذه البلاد خليطا من العرب والنبط والسودان؛ حيث كان أصحاب الأراضي الواسعة يجلبوهم من إفريقيا لإعمالهم بأرضهم واستغلالها وفق شروط، فقد كان أكثر أهالي تلك البلاد مستائين من حالتهم الاجتماعية وميالين إلى كل دعوة من شأنها أن تخفف عنهم حملهم الثقيل وتدعوا إلى الرحمة والرأفة بهم، وهذا هو سبب نجاح الدعوة القرمطية في تلك البلاد وتهافت الناس عليها.²

كان مساعدا وضع الخلافة على انتشار هذه الحركة، فهناك ضعف العباسيين السياسي وتقلص سلطتهم إلى جانب خيبة أمل الناس فيهم لأن حكمهم لم يحقق السعادة والسلام الموعودون، إضافة إلى تدمير الطوائف من العناصر غير العربية من حكم العرب ومن سيادة دينهم، وما زاد الأمر تعقيدا التبدل الاقتصادي الجديد الناتج عن الانتقال من طور زراعي إلى تجاري، والذي أدى إلى الاتحاد بين مصالح الأغنياء العرب وغيرهم من جهة وبين مصالح الفقراء من موالى وعرب على أساس اقتصادي، فقد أدرك رجال الحركة هذه الظروف فاستغلوها بشكل عجيب،³ إضافة لقلّة ثقافة الطبقة العامة وتسرب الخرافات إليهم

والطموحات السياسية، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 2019-، 2020 ص50.

¹ - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): فضائح الباطنية، تح: عبد الرحمان بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، (د.ت)، ص13.

² - بندلي جوزي، الحركات الفكرية في الاسلام، جمعية الصداقة الفلسطينية، ط2، 1981، ص 161.

³ - عبد العزيز الدوري، العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص127.

مما سهل قبول أي مبدأ حيث وصفهم البغدادي بـ"العامّة التي قلت بصائرهم بأصول العلم والنظر".¹

عظم أمر القرامطة وشنع بين الخليقة ذكرها، ودوخوا الممالك والأقطار وأذلو أعزة أهل البدو وسكان الأمصار،² يعود ظهور حركتهم لزمان المأمون (218-198 هـ/813-833م) وانتشرت في زمن المعتصم (227-218 هـ/833-842م)،³ فكثر اغاراتهم حيث انتشروا سنة 289 هـ/902م بسواد الكوفة⁴ وعجز الخليفة المقتدر (295-320 هـ/908-932م) على تثبيت سلطته أمام ما انفك القرامطة يتهددونها بخطر شديد.⁵

هجم القرامطة على البصرة سنة 311 هـ/923م وقتلوا خلقا كثيرا فطرح الناس أنفسهم في الماء فغرق أكثرهم، وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من المال والأمتعة والنساء والصبيان وعاد إلى بلده،⁶ تكرر دخولهم الكوفة سنة 312 هـ/924م،⁷ وسنة 313 هـ/925م،⁸ وردت أخبار بمسير أبو طاهر القرمطي نحو الكوفة سنة 315 هـ/927م، تمكن في طريقه إليها من الاستلاء على العلوفات ومائة كر من الدقيق وألف كر شعير.⁹

¹ - البغدادي، المصدر السابق، ص300.

² - سهيل زكار، المرجع السابق، ص 392.

³ - البغدادي، المصدر السابق، ص 284.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص410. مسكويه، المصدر السابق، ج4، ص392.

⁵ - بروكلمان، المرجع السابق، ص239.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص15.

⁷ - المصدر نفسه، ج7، ص22.

⁸ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص80.

⁹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص32.

دخل أبو طاهر القرمطي الدالية من طريق الفرات سنة 316هـ / 928م فلم يجد فيها شيئاً وقتل من أهلها جماعة،¹ وحج بالناس في سنة 317هـ / 929م منصور الديلمي وسار بهم من بغداد دخل أبو طاهر القرمطي الدالية إلى مكة فسلموا في الطريق، فوافاهم بمكة يوم التروية فذهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوه حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلع الحجر الاسود.²

ث. ثورة الزط:

قام الزط³ بانتفاضة عاتية في منطقة البطح⁴ حيث قوي أمرهم في فترة الصراع بين الأمين والمأمون وسيطروا على طريق البصرة وقطعوا الاتصالات بين البصرة وبغداد، وازدادت سطوتهم في عهد المأمون (218-198هـ / 813-833م).⁵

¹ - المصدر نفسه، ج7، ص38. مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص104.

² - ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص317. مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص114.

³ - الزط: لفظ فارسي معناه "عجر" أو "نور" دخل العربية في العصر العباسي، كان يطلق على جماعة من أصل هندي كانوا يقيمون بفارس قبل الاسلام ثم انتقل معظمهم إلى المنطقة الواقعة ما بين واسط والبصرة في العراق. كان لهم دور كبير في اثارة الفتن واشاعة الفساد؛ مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص222.

⁴ - البطح: بالفتح ثم الكسر وجمعها البطائح والبطيحة والبطحاء واحد، وسميت بطائح واسط لأن المياه المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديماً قرى متصلة وأرضاً عامرة، فحدث في أيام كسرى ابرويز أن زادت دجلة زيادة مفرطة وزاد الفرات أيضاً بخلاف العادة، فعجز عن سدها فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها فلما نفذ الماء توفي كسرى وتولى ابنه شيروية وضعف الحكم ثم جاء الاسلام وانشغل المسلمون بالحرب وبعد استقرار المسلمون في تلك النواحي استفحل أمر البطائح ودخلها العمال بالسفن فرأوا فيها مواضع عالية لم يصل الماء اليها فبنوا فيها قرى وسكنها قوم وزرعوا بها الأرز؛ الحموي الامام شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، 1977، ج1، ص450.

⁵ - محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط7، 2013، لبنان. ص130.

اختلفت المصادر في أصلهم حيث ذهب المسعودي بأنهم "خلق كثير من ناحية الهند جاءوا لغلاء وقع هناك فانتقلوا إلى بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز إلى أن وصلوا لهذه المواقع فسكنوها وغلبوا عليها وعظم أمرهم"،¹ في حين يذكر البلاذري أن "أصلهم هندي وأنهم جاؤوا من منطقة السند وتغالبا على البطيحة".²

حاول ولاية العراق استغلالهم في الزراعة، حيث أثاروا الاضطرابات ولم يتمكن المأمون من قمع حركتهم، كما أنهم أغاروا على السفن القادمة إلى بغداد من البصرة، وانضم إليهم العبيد وهاجموا المناطق ونهبوا الغلال حتى انقطع الطريق المائي إلى بغداد وانقطع الطريق بين واسط والبصرة.³

وجه المعتصم (227-218هـ/833-842م) القائد عجيف بن عنبسة لحرب الزط سنة 219 هـ / 931م، فرتب لهم الخيل في كل سكك البريد لكي يتعرف على أخبارهم، ثم قام بمحاربتهم فأسر منهم في معركة واحدة 500 رجل وقتل في معركة 300 رجل ف ضرب أعناق الأسرى وبعث الرؤوس إلى المعتصم وظل عجيف يتتبعهم ويقتل كل من يستطيع القبض عليه،⁴ وظل الزط شوكة في جنب الدولة العباسية إلى أيام المعتصم الذي قضى على حركتهم وقام بنفيهم إلى عين زربة في منطقة الثغور الإسلامية، ويبدو أنهم كانوا شديدي الحذر يتفرقون في الفيافي إذ داهمهم الخطر.⁵

كثرت انتفاضات العامة المترتبة عن نقص المواد الغذائية وغلاء الأسعار في بغداد، وكان أكثر ما يعاني منه العامة ويدفعهم للانتفاض ارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية،

¹ - المسعودي: التنبيه والاشراف، المصدر السابق، ص307

² - البلاذري، المصدر السابق، ص 522.

³ - المصدر نفسه، ص532.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص16. البلاذري، المصدر نفسه، ص532.

⁵ - سهيل طقوش، المرجع السابق، ص130.

والواقع أن هناك أسباب عديدة أدت لارتفاع الأسعار في العراق عامة وبغداد خاصة، حيث لعبت الظروف الطبيعية والمناخية من فيضانات ورياح وعواصف وقلة الأمطار أو زيادتها بشكل مدمر وانتشار الحشرات والآفات دورا كبيرا في ارتفاع الأسعار بسبب تأثر المحاصيل الزراعية بهذه التقلبات وتعرضها للتلف، ولم يتوقف تأثيرها على المحاصيل فحسب بل وصل للدواب والحيوانات، يضاف إلى ذلك الظروف السياسية المحيطة بالعراق من حروب طاحنة واحتكار السلع.

انتفض العامة كذلك بسبب زيادة الضرائب واستحداثها خاصة على الصناعات، حيث كانت الدولة تلجئ لذلك إما للاستفادة من ازدهار صناعات بعينها، أو لسد عجز خزينة الدولة أمام تراجع مواردها في الوقت الذي اشتد فيه تسلط الجند ومطالبتهم بالأموال بشكل مستمر.

ج- انتفاضات العامة ضد السلطة ورجال الدولة

تعرض أفراد العامة للعديد من التجاوزات والمعاملات التعسفية والتصرفات الخاطئة من طرف رجال الدولة والعديد ممن كانت له سلطة، وعبروا عن ذلك بانتفاضهم وتحركهم.

حدثت فتنة للعامة في بغداد سنة (312هـ/ 922م) بعد أن أوقع القرامطة بقافلة للحاج فنى معظم أفرادها، حيث اتهم العوام ابن الفرات بأنه يوالي القرامطة، وأن ما تم بتدبير منه وأنه يسعى للقضاء على المسلمين، فوثب العامة بالوزير وابنه فرجمهما وامتنعت من الصلاة يوم الجمعة.¹ كما انتفض عامة الكرخ سنة (362هـ/ 973م) على الوزير أبي الفضل الشيرازي ودعوا عليه جهرا في المساجد والكنائس لعنفه الشديد معهم بعد قتلهم صاحب الشرطة الذي قتل رجلا منهم ومصادرتهم للعامة والتجار لتوفير الأموال اللازمة لإعداد جيش

¹-مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص81.

لغزو الروم. وبدأ في ذلك بأهل الذمة ثم المسلمين، فقد أدت هذه الاجراءات لتذمر عامة الكرخ فخرّبوا وفتحوا السجون وأخرجوا المساجين ولم يحسن الوزير تدبير الأمور.¹

لم يكن رجال الشرطة بمعزل عن انتفاضات عامة العراق خلال العصر البويهي بل الواقع أن انتفاضات العامة ضدهم مالت على العنف والانتقام منهم بالقتل وكان العيارون أكثر فئات العامة مواجهة لأصحاب الشرطة.²

أصاب عمال الولايات نصيبهم من انتفاضات عامة العراق، ففي عام 360هـ/ 971م تذمر عامة البصرة من سياسة عاملها أبي طاهر الحسين بن الحسن، الذي تعسف بالعامة والتجار وصادر منهم أموالاً كثيرة، فنصح الوزير أبو الفضل الشيرازي معز الدولة البويهي بإرضاء العامة بعزل هذا الوالي ومصادرته خاصة بعد سوء الأحوال بالبصرة والخراب الذي أصابها جراء سياسته، وبالفعل أمر عز الدولة بالقبض عليه وعلى جميع أهله وأتباعه.³

تميزت علاقة العامة بالجند بالاضطراب نتيجة الأذى والعنف الذي أصابهم من الجند الأتراك، فكثر النزاعات بين الطرفين منذ استكثار العنصر التركي في الجيش العباسي في خلافة المعتصم بالله (218هـ-227هـ/ 833م-841م).⁴ إذ تجمع الروايات أن سبب انتقال المعتصم بجنده من بغداد إلى سامراء كان لضيق العامة بالجند، فقد كان هؤلاء يؤدون العوام في بغداد بإجراء خيولهم في الأسواق، وما ينال الضعفاء والصبيان والشيوخ من ذلك، فكان أهل بغداد ثاروا ببعض الجند فقتلوه عند صدمه امرأة أو شيخاً كبيراً أو ضريراً.⁵

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص216.

² - محمد نجيب أبو طالب، المرجع السابق، ص42.

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص384.

⁴ - الألوسي، المرجع السابق، ص179.

⁵ - فهمي سعد: العامة في بغداد دراسة في القرنين الثالث والرابع هجري دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1993، ص439.

تظلم العامة من الديلم ونزلهم في دورهم بغير أجره وتعديهم عليهم في معاملاتهم، فاجتمعوا يوم الجمعة سادس شوال سنة 329هـ/940م ومنعوا الخطيب من الصلاة فاقتتلوا هم والديلم، فقتل من الفريقين جماعة¹، كما انتفضوا سنة 367هـ/978م نتيجة الأذى الذي ألحق بهم بعد أن دخل الجند الديلم بيوتهم اجباراً.²

عبر العامة عن معارضتهم لما يتعرض له الخلفاء من القتل والتكيل، حيث أثار مقتل الخليفة المتوكل على أيدي الأتراك موجة من النقمة ضد تسلط الجيش فحدث في سامراء سنة 248هـ/842م حركة شعبية عبرت عن استنكار العامة لعبث الأتراك بالخلافة، وشارك في هذه الانتفاضة الغلمان الشاكزية ونحو ألف رجل من "الغوغاء" و"السوقة" من أصحاب الفقاع وأصحاب الحمامات وغلمان الباقلاء وأصحاب الناطف والسقاءين،³ كما استاءوا لتمادى الأتراك وتحكمهم في زمام الأمور واشتد الصراع بين الطرفين أثناء الحرب بين المستعين بالله والمعتز بالله.⁴

انتفض العامة لما لقوه جراء غارات الروم سنة 320هـ/931م في المحرم انتهب دار الوزير واصطبله واشتد الشغب، وفي جمادى الأولى اجتمع أهل الثغور والجبال إلى دار السلطان واستنفروا الناس ببغداد وذكروا ما ينالهم من الديلم والروم، وأن الخراج يؤخذ منهم ومن غيرهم ليصان به عامة الناس ويدفع عدوهم عنهم، فثار الناس معهم وساروا إلى الجامع فنهبوه ومنعوا الخطبة وضربوا الخطيب لأنه يدعو لرجل لا ينظر في أمور المسلمين، وفي جمادى الآخرة سود الهاشميون وجوههم وانتشروا في الطرق يطالبون بأرزاقهم وصاحوا:

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص156.

² - المصدر نفسه، ج7، ص206.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص150.

⁴ - الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص14.

الجوع الجوع، واشتد هياج العامة فكشف الدعار وأصحاب العصبية رؤوسهم وحملوا أصناف الحديد وتحاربوا في محلي القنطرة الجديدة وشاطئ الصراة.¹

استتفر العامة لضعف الدولة وعجزها عن صد هجمات الروم ، فاننفضوا على الخليفة المطيع لله (334-362 هـ / 946-974م) حين رأوا تخاذله وصمته أمام دخول الروم حلب سنة 352هـ / 964م وقتلهم لعدد كبير من المسلمين ونهبهم المدينة وإحراقهم مسجدها الجامع ثم انسحابهم،² كما انتفض عامة بغداد ضد الخليفة المطيع (334-362 هـ / 946-974م) بعد ما قام به الروم بنصيبين وديار بكر من حرق وسبي واخفاق الحمدانيين من التصدي لهم، إذ سار أهل هذه البلاد إلى بغداد واستنفروا أهلها فاجتمع عامة بغداد وهاجموا دار الخلافة واتهموا الخليفة بالعجز جهرا.³

د. انتفاضات ذات طابع ديني:

إن الحديث على الصراع الطبقي في المجتمع العربي الاسلامي لا يمكن أن يتم بمعزل عن الصراع في منظومة الأفكار والمعتقدات أو مؤثرات الانتماء (القبلية، القومية)، فتلك الأفكار والمعتقدات تمثل التعبير الحقيقي عن الواقع الاجتماعي وما يحصل فيه من تفاعلات.⁴

تسببت التجاوزات الدينية ومخالفة صريح الدين والشرع في العصر البويهية في انتفاض العامة من المسلمين وغيرهم ضد هذه التجاوزات غيرة منهم على الدين، ففي عهد معز الدولة فتح ابن الجصاص النفاط بيته في الجانب الشرقي ببغداد لممارسة البغاء ليلا

¹ - الأصفهاني حمزة بن الحسن (ت 360 هـ): تاريخ سني ملوك الارض والانباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961، ص 163، 162.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 278.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 329.

⁴ - أميرة طارق مصطفى، المرجع السابق، ص 162.

نهارا بعدما ضمن هذا النفاط لأحد قادة معز الدولة من الديلم لممارسة القمار والعيارة والبغاء وبيع الخمر وحماية اللصوص في بيته مقابل ألفي درهم شهريا، ووصل به الأمر إلى اجبار المارة على ممارسة أنشطه أو دفع أموال ممارستها، فانفض العامة ضد ذلك التجاوز الديني وتجمعوا حول بيت النفاط ويبدو أن تفريق حراس بيت النفاط للعامة ضد ذلك التذمر مما دفع معز الدولة إلى كبس البيت خاصة لما امتنع النفاط عن أداء أموال الضمان.¹

3. الفساد الإداري والنزاع حول المناصب الإدارية والسياسية:

اعتمدت الدولة الإسلامية في تنظيم وتسيير مؤسساتها الإدارية على قواعد الشريعة الإسلامية؛ ما جعلها تتمتع بخصوصية وجودة عالية في التنظيم والتسيير، وأعطى لها قدرة على مسايرة متطلبات واحتياجات كل عصر ومواكبة مختلف المتغيرات والمستجدات التي طرأت على الجهاز الإداري، فمنذ عصر الرسالة عمل الرسول صلى الله عليه وسلم على وضع الأسس الأولى للتنظيم الإداري بهدف تكوين أمة مترابطة، وسار الخلفاء الراشدين على تلك الأسس واجتهدوا في إضافة ما اقتضته الظروف خلال تلك الفترة.

عملت الدولة الأموية على إنشاء جهاز إداري متميز ذو كفاءة عالية ودعمت ذلك بأجهزة رقابية متخصصة لمواجهة مختلف التجاوزات الإدارية، مع استمرار المؤسسات الإدارية والرقابية التي سبقتها في المجال العملي، كما ساءرت المؤسسات الإدارية مختلف التطورات الحاصلة في الدولة العباسية، وابتكرت العديد من الأساليب والمؤسسات التي مازالت النظم الإدارية المعاصرة تدين لها.²

¹ - التتوخي، المصدر السابق، ج1، ص 186.

² -خولة عيسى صالح: الرقابة الادارية والمالية في الدولة العربية الاسلامية، بيت الحكمة، بغداد، 2001، ص5.

غالبا ما يرتبط صلاح الدولة بشخصية الخليفة باعتباره المسيطر والمتحكم في الجهاز الإداري، تستقيم الأمور وتصلح إذا كان ذا مقدرة إدارية، وإذا أحسن تدبيره واختياره للhashية والأعوان،¹ فقد تغير حال الخلافة العباسية من فترة إلى أخرى بتغير القوى المسيطرة والمتدخلة في أمر التعيين والعزل، مما أدى لتولية خلفاء غير أكفاء يسهل توجيههم ولم تكن لهم مساهمة في إدارة شؤون الدولة.

فبعد أن كان الخلفاء على استعداد تام لإدارة الملك أصبحوا يعتمدون على ولايتهم، فإن كانوا متمكنين وأخيار جرت الأمور على السداد، وإن كانوا جهالا أشرارا زاد البلاء والشقاء وطمع أصحاب الأطراف والنواب وخرجوا عن الطاعة، وقد لا تنتظم الأحوال حتى بوجود الوزراء المحنكين لأن الخليفة مرجع الأعمال وجميع السلطات.²

خضع التعيين والعزل في المناصب العليا للنساء والجواري نتيجة لضعف الخليفة ، والقادة الأتراك الذين كانوا يفتقرون لكثير من الخبرة الإدارية،³ حيث حاولوا تخطي واجباتهم الأساسية في كثير من المواقف؛ وبذلك لم يقتصر عملهم على الجندية التي احترفوها بل تدخلوا في الشؤون الإدارية فصاروا يُسَيِّرُونَ الأمور الإدارية بأنفسهم ، فلم يكن ذلك يجري على أساس من الكفاءة أو المقدرة الإدارية والنزاهة والإخلاص، وهذه الظاهرة تميز بها العصر العباسي الثاني حيث أنها تعتبر جانبا من جوانب سوء الإدارة.⁴

¹ - المرجع نفسه، ص68

² - محمد كرد علي: رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1913، ص185.

³ - حسن بن علي بن عون ذوي علي الحارثي الشريف: الرقابة الإدارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة 132هـ حتى سنة 247هـ / 749م-861م، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، مج2، 1993، ص425.

⁴ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج2 ص434-440. الكبيسي، المصدر السابق، ص

أصبحت الدولة حلبة لصراع الأقوياء وظهور المنافسين من العسكريين للوصول إلى منصب الأمير في الدولة متصرفين فيها كما يريدون باستحداث منصب "أمير الأمراء" ، فاستقل نفوذ الأمراء حتى أن القائم بهذا المنصب في عهد الخليفة الراضي 322هـ/934م أمر بذكر اسمه في خطبة الجمعة إلى جانب اسم الخليفة.¹

كان لنجاح البويهيين في الاستلاء على السلطة تأثير سلبي على الجهاز الإداري فما إن تملكو الخلافة اضطربت ولم يبق لها رونق ولا وزارة، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم وقرر للخلفاء شيء طفيف،² حيث يذكر ابن مسكويه أن معز الدولة البويهي "استغنى سنة 334هـ/946م عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمته وجمعت الأعمال كلها في ديوان واحد".³

إضافة لما عانتة الأقاليم من انقسامات بعد أن سيطر عليها المتمردون وأصحاب الفتن، حيث عملوا على طرد العمال والموظفين التابعين للسلطة المركزية وعينوا آخرين من قبلهم، يعملون على خدمة أمرائهم من دون مراعاة للمصالح العامة فيظلمون الناس ويتعسفون ويضعون الضرائب الثقيلة على أهلها، فكثيرا ما تلاعب عمال الأقاليم بمقادير الجباية، حيث ينفقون دينارا في بعض مصالحها فيقيدون عنها عشرة دنانير، مما أدى إلى اختلال الإدارة في تلك المناطق والأقاليم وانقطاع مواردها عن دار الخلافة.⁴

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج7، ص138

² - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 288.

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص283 . ابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت) ، ج13، ص366.

⁴ - جرجي زيدان: المرجع السابق، ج4، ص206-208.

1. توريث المناصب:

خضعت المناصب الإدارية "لنظام التوريث"، فبرزت تكتلات عائلية امتهن أفرادها صناعة الكتابة جيلا بعد جيل، ولعل أول عائلة احتل أفرادها مسؤوليات إدارية بالغة الأهمية في خلافة الرشيد هي "أسرة البرامكة".¹

حدث تصادم بين سلطة الخليفة والوزير في العصر العباسي الأول إبان الصراع الذي حدث بين الخليفة الرشيد (170هـ-193هـ / 786م-809م) والبرامكة سنة (187هـ/803م) ،

¹-أسرة البرامكة: هي أسرة فارسية، من أشرف مدينة بلخ بخرسان، أخذت لقب أجدادها الذين عملوا سدنة لمعبد النوبهار في المدينة كان رجلا عالما في الطب والتنجيم، وقد حضي الكثير من رجالها بمنزلة عالية عند الخفاء العباسيين؛ سالم محمد احمد عبد العزيز: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، دار الكتب العلمية، 2004، ص4؛ أولى الرشيد جعفر البرمكي مكانة حتى صار لا يقدم عليه أحد؛ الجهشيارى أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ): الوزراء والكتاب، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الألباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص177؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص379؛ يصف العبري البرامكة بأنهم "كانوا مستولين على الدولة متغلبين على الدنيا بالكلية؛ ابن العبري، المصدر السابق، ص79؛ حيث تذكر المصادر مدى استبداد وزرائه من بني برمك بالسلطة، وذلك لما منحهم من صلاحيات كبيرة جعلتهم يشرفون على معظم شؤون الدولة ففي سنة 178هـ فوض كل أموره إلى يحيى بن خالد البرمكي؛ الطبري، المصدر السابق، ج8، ص256؛ ونسب إليه بعض الإصلاحات والأعمال الإدارية التي عادة ما يقوم بها الخليفة حيث خاطبهم قائلا "احكم بما ترى، استعمل من شئت واعزل من رأيت وافرض من رأيت واسقط من رأيت فاني غير ناظر معك في شيء"؛ الجهشيارى، مصدر سابق، ص177؛ لاستبدادهم بالسلطة واحتجافهم أموال الجباية كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فنكب بهم؛ هاني أبو الرب: البرامكة ودورهم في الحياة العامة في الدولة العباسية قبل نكبتهم، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الع30، ج1، 2013، ص132.

وبين المأمون (198هـ-218هـ / 814م-833م) وآل سهل سنة (202هـ/818م)¹ حيث بلغت الوزارة في عهدهم حدا كبيرا من القوة وأضحى الوزير على درجة كبيرة من النفوذ.²

إلا أنه من الواضح أن الخلافة تلقت درسا من البرامكة، فاخفت التكتلات العائلية من الجهاز الإداري مدة من الزمن، ثم عادت لتبرز من جديد قبيل منتصف القرن الثالث للهجرة من بين هذه العائلات: بنو الجراح³، بنو وهب، بنو خاقان، بنو الفرات، فقد أصبحت هذه

¹ -يعتبر الفضل بن سهل صنيع البرامكة، حيث كان ملازما لهم، ورث آل سهل أفكار البرامكة وتقاليدهم كما ورثوا طموحاتهم وبراعتهم في تحريك الأمور عن طريق التأثير على الخليفة، اذ سعوا لإيصال المأمون للخلافة، وتحقيقا لهذا الهدف كان لهم دور بارز في الأحداث التي أعقبت وفاة هارون الرشيد؛ سرى ممتاز عبد الله: علاقة آل سهل بالخلافة العباسية 198هـ -218هـ / 813م -932م، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، الع39، 2020، ص406؛ حث رغب الفضل بالسلطة ورغب في إحياء الشعائر الفارسية ما جعله يرتكب أخطاء واتخذ إجراءات خلقت له العديد من الأعداء في البلاط العباسي، وبدلا من أن يعدل في سياسته فإنه أمعن في اجراءاته السياسية فاتبع سياسة غير حكيمة لم يقدر عواقبها، كان من نتائجها المعارضة الشديدة للعراق عامة وأهل بغداد خاصة فوصفوه بشتى النعوت، فقد رغب في ابقاء الخليفة في مرو وهذا ما أكد نزعتة الفارسية، لكن المأمون قرر العودة الى بغداد بعد أن استوثق من حقيقة الوضع المتدهور هناك، فهو بذلك أراد أن يواجه التحدي السياسي بنفسه، بدلا من اخفاء رأسه في أكاذيب الفضل بن سهل الذي أراد أن ينسج منها مجد الفرس لا مجد العرب، قتل الفضل من طرف مجموعة من خدم المأمون. فسياسة المأمون الجديدة لا تسمح بوجود الفضل بن سهل على دفة الوزارة، وبمقتله استطاع المأمون ايقاف المد الفارسي في الادارة والبلط، ورغم أنه استوزر الحسن بن سهل لفترة قصيرة وتزوج بابنته بوران، إلا أن ذلك كان للتصويه، فقد باشر المأمون الأعمال بنفسه واستكتب عمالا كثيرين بدل الوزير، فاروق عمر فوزي: الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخريب الفارسي في السياسة العباسية، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع32، 1982، ص222

² -البندري بنت عبد العزيز خضر: نكبات الوزارة في العراق وآثارها على الأوضاع العامة في العراق إبان العصر العباسي الثاني 232هـ -656هـ / 847م -1258، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، 2015، ص5.

³ -بنو الجراح: أسرة فارسية اشتهرت بالحكم والرياسة منذ قبل الإسلام، في فارس موطنهم الاصلي سموا بآل الجراح نسبة الى أبوهم الذي كان جراحا، له أربعة من الأبناء هم: داود، إبراهيم، محمد ومخلد، وقد خدم هؤلاء الدولة الإسلامية ككتبة ومستشارين غير أنهم لم يكونوا مشهورين. الصفدي، المصدر السابق،

83

892م) وكان أخوه الحسن يكتب للوزير محمد بن عبد الله الزيات،¹ عاد توريث المناصب الإدارية بالنفع على الإدارة العباسية في حال توفر الكفاءة والأمانة في المتولي، أما في حالات غياب هاته الصفات اعتبر استغلال نفوذ وبالتالي ساهم في الفساد الإداري.

تبلور الصراع في فئة الكتاب ابتداء من منتصف القرن الثالث ولم يعد شأن الأفراد بل شأن تكتلات قائمة في قلب طبقة الكتاب، ويحدث هذا الصراع في أن يلتف بعض الكتاب حول كاتب مرشح للمرتبة الثانية ويلتف آخرون حول مرشح غيره، وقد شهدت طبقة الكتاب انقساماً من هذا النوع في نهاية القرن الثالث هجري بين الكتاب المواليين لابي الحسن بن الفرات وآخرون المواليين لعلي بن عيسى بن داود ابن الجراح، وكانت هذه التكتلات تقيم تحالفاً مرحلياً مع بعض الأطراف العسكرية.²

احتل الكتاب طبقة اجتماعية كان الوزراء نخبته³، ما أدى لحدوث صراعات لم يكن القادة العسكريين وحدهم متورطين في تأجيجها _ ولو بشكل غير مباشر _ بل ساهم أيضاً في ذلك عدد من المقيمين في دار الخلافة من الخدم وأقرباء الخليفة.⁴

2. تعيين الأشخاص غير الأكفاء:

لم تأخذ الكفاءة بعين الاعتبار في تعيين العديد من الإداريين، فقد تولى الوزارة بعض الوزراء ممن لا تتوفر فيهم شروط توليها ك "الكفاية والهيبة التي يطاع بها في التنفيذ، والأمانة التي تمنعه من الخيانة والاستشراء"، وغيرها من الصفات التي يعتبر غيابها سبباً في عدم تقليده هذا المنصب،⁵ وذلك لانشغال الخلفاء وقلة الكفاءة الإدارية لبعضهم، وتدخل الحريم ورجال الجيش في أمور التعيين، مما أدى إلى إضعاف نفوذ الحكومة وأضحت هذه

¹ - عفاف عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 186.

² - ربيعة رفقة، المرجع السابق، ص 63.

³ - محمد كرد علي، المرجع السابق، ص 177.

⁴ - ربيعة رفقة، المرجع السابق، ص 64.

⁵ - الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ): قوانين الوزارة وسياسة الملك، تح رضوان

السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1979، ص 190.

المناصب يتولاها أشخاص يفتقدون الخبرة الإدارية والمقدرة،¹ والأمثلة على ذلك كثيرة من بينها:

عين المعتصم وزراء أعاجم لا يتقنون اللغة العربية، حيث لا يفهم ولا يفهم وأصبح أنصار الدولة والغيراء عليها يتأففون ممن لا يحسنون العربية؛ حتى وإن كان منطويا على صفات أخرى صالحة لتدبير أمور الدولة وذلك لكثرة من دخل في أعمال الدولة من غير العرب،² كما عين الخليفة المنتصر (247هـ-248هـ / 861م-862م)، "أحمد ابن الخصيب"، الذي اتصف بتقصيره في صناعته مطعونا في عقله ومات المنتصر وابن الخصيب وزيرا،³ كما عين أبا عمرة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم وظيفة المظالم، ولأنه لم يكن كفؤا ولا أمينا قيل فيه:

يا ضيعة الإسلام لما ولي مظالم الناس أبو عمره

صير مأمونا على أمة وليس مأمونا على بعة.⁴

تولى الخاقاني الوزارة سنة 299هـ/911م، حيث كان لا يقرأ الكتب الواردة إليه ولا الخارجية من عنده، واعتمد في تسيير أموره على ابنه أبي القاسم ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تحكم أولاده عليه وكل منهم يسعى لمن يرتشي منه، وكان الخاقاني كثير التولية حتى أنه كان يولي في الأيام القليلة عدة عمال، فقد ولى خلال عشرين يوما سبعة عمال،⁵ ولسوء سيرته قيل فيه شعر:

¹ - توفيق سلطان البيوزيكي، المردع السابق، ص203.

² - محمد كرد على: الادارة الاسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1943، ص167- ص168.

³ - ابن طباطبا، مصدر سابق، ص 270.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص145.

⁵ - المصدر نفسه، ج6، ص 370؛ الصابي، المصدر السابق، ص286.

وزير قد تكامل في الرقاعة يولي ثم يعزل بعد ساعة

غذا أهل الرشا اجتمعوا لديه فخير القوم أوفر بضاعة

وليس يلام في هذا بحال لأن الشيخ أفلت من مجاعه.¹

تميز "العباس بن الحسن" وزير المكتفي بالله بالدهاء والمكر والأدب الوافر لم تكن سيرته محمودة ، وكان عاكفا على لذاته والأمور مهملة وكان يقول لنوابه بالأعمال: "أنا أوقع إليكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة" فقد كانت الأمور مضطربة في أيامه²

تضاءلت أهمية الوزارة باستبدال الأتراك بإدارة الدولة، فأصبح منصب الوزير يخضع لتأثيرهم المباشر فحل محل كبار الوزراء ذوي الثقافة العالية والشخصية القوية وزراء لا يتميزون بالكفاءة في إدارة شؤون الدولة،³ كما بطلت الدواوين وبطلت الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور وإنما كان ابن الرائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء من بعدهم، وصارت الأموال تحمل إلى خزائهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون، وبطلت بيوت الأموال وتغلب أصحاب الأطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبقى للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم في جميعها لابن الرائق ليس للخليفة حكم.⁴

تولى الإدارة العباسية خلال فترة الدراسة كفاءات استطاعت أن تثبت قدرتها وكفايتها الإدارية رغم معارضة مناوئي الإصلاح من الجيش والحرم والحاشية لها، وذلك لتعارض

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص371.

² - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص259.

³ - البندري بنت عبد العزيز، المصدر السابق، ص6.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص123.

البرامج الإصلاحية مع منافعهم الشخصية التي ستزول مع برامج التصحيح الإداري والمالي،¹ ومن هذه الكفاءات:

محمد بن الفضل الجرجرائي: استوزره المتوكل على الله سنة 233هـ / 847م، وكان كبير السن ليس لديه معرفة في أمور الوزارة وقليل العلم، سأله المتوكل على الله عن الكلاء فلم يعرفه، فقال المتوكل على الله "مللت عرض المشايخ فاطلبوا خلي حديثاً من الأولاد الكتاب"² كانت توقيعات "أبي صالح محمد بن يزداد" وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة بفضل أدبه، ولما تولى الوزارة للمستعين ضبط الأموال فصعب ذلك على أمراء الدولة وكان قد ضيق عليهم، فتهدده بالقتل فهرب،³ وكذلك "أبي جعفر أحمد بن اسرائيل الأنباري" كان أحد الكتاب الحذاق الازكياء يحفظ وجوه المال جميعها دخلاً وأخرجاً على ذهنه، إلا أن الاتراك وثبوا عليه فأخذوه وضربوه واستصفوا أمواله⁴

نهض علي بن عيسى بأمور الوزارة وضبط الدواوين والأعمال وقرر القواعد وكانت أيامه أحسن أيام وزير⁵ سار على الطريقة المألوفة في تعيين الأقارب والأصدقاء واكتفى بالكفاءات الإدارية منهم، إلا أنه اصطدم بالحاشية والحرم، مما أدى إلى عزله.⁶

¹ - محمد فياض العزي: النزاع بين قادة الجيش الأتراك والخلافة العباسية في ظل الفوضى العسكرية (247هـ-334هـ / 861م-945م)، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017، ص103.

² - الحنفي علي بن محمد الرحبي السمناني (ت499هـ): روضة القضاة وطريق النجاة الناظم للشرع والمقيم للدين، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص756؛ الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص58.

³ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص242.

⁴ - المصدر نفسه، ص244.

⁵ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص268.

⁶ - محمد فياض، المرجع السابق، ص105.

اعيد استوزاره سنة 314هـ / 927م، حيث اشتغل بأمور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الأمور واستقامت الأحوال،¹ إلا أنه اصطدم بشغب الجند الذين زيدت أرزاقهم بأمر من الخليفة المقدر، الأمر الذي تعارض مع برنامج الإصلاح المالي الذي خطط له الوزير فقدم استقالته، ويلاحظ أن الكفاءات الادارية التي تعمل لصالح الدولة تعزل وتولي وزارات جديدة لا علم لها بالإدارة.²

3. انتشار الرشوة:

اعتبرت الرشوة من أهم أسباب الفساد الإداري، فقد ساهم كل من الخلفاء ووزرائهم وكبار الموظفين في استفحالها، وتطورت هذه الظاهرة إلى درجة حتى أصبح لا يمكن الوصول إلى شيء من هذه الوظائف (الوزارة، القضاء، ولاية الأقاليم وسائر الأعمال...) إلا بالمال الجزيل،³ ولم يتردد بعضهم من الاعتراف علنًا بأنه قد ارتشى.⁴

والأرجح أن أهم موارد الوزراء والولاة كانت من نهب جباية الدولة أو بيت مالها، ومن الهدايا التي يضطر صغار عمالهم إلى تقديمها في كل فرصة، ومن رشا يتناولونها ممن يحاولون استخدامها في أعمال الدولة إلى غير ذلك من وجوه انتهاب الأموال و إعانات الناس،⁵ وبهذا ازدادت ثروة الوزراء مما دفع غيرهم إلى منافستهم للحصول على المنصب وبذل الرشوة والهدايا للقواد ولنساء الخليفة، وأحيانًا إلى الخليفة نفسه عن طريق الضمان

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص28.

² - محمد فياض، المرجع السابق، ص105.

³ - الأبشيهي شهاب الدين ت850هـ: المستطرف في كل فن مستظرف، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، لبنان، 1992، ص145؛ اليوزكي، المرجع السابق، ص217.

⁴ - الصابي أبي الحسن الهلال بن المحسن، الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (د.ت)، (د.ت)، ص239.

⁵ - محمد كرد علي، المرجع السابق، ص167.

فيتعهد للخليفة بدفع مبلغ معين لقاء حصوله على المنصب¹ مثلما فعل أبو علي بن مقلة، عندما أرسل للخليفة الراضي (329-322هـ/934-940م) يتعهد له في دفع خمسمائة ألف دينار مقابل استيزاره.²

من الوزراء في عهد المكتفي (295-289هـ/902-908م) من فادوا بخمسمائة ألف دينار ليصلوا إلى الوزارة، ومنهم من أعطوا المنجمين مائة ألف دينار ليحتالوا على الخليفة ويغيروا خاطره على أحد وزرائه ثم يصلون إلى منصب الوزارة.³

كان العامل متى تقلد المنصب حاول استرداد ما خسره معتمدا في ذلك على الخيانة لأن لكل شيء ثمن يبذل خاصة لمناصب الدواوين ، فكان العمال مثلا يعطون أرزاقا لقوم لا يحضرون للعمل وأرزاقا بأسماء قوم لم يخلقوا، وكانوا يقيدون برسم الفقهاء والكتاب بأسماء الغلمان والوكلاء في الحاشية، وكانوا يصرفون الورق والقراطيس ثم يبيعونه فيحصل لهم منه المال.⁴

استمرت ظاهرة الرشوة ولم تنقطع إلى عهد الخليفة المقتدر (320-295هـ/908-932م)، وربما كان مرد ذلك إلى الخليفة نفسه وحاشيته المقربين، فهم الآخرون قد انساقوا في قبول الرشوة والهدايا من بعض ولاة الأقاليم الذين صاروا يشعرون بأن بقائهم في مناصبهم لفترة أطول منوط بتقديم بعض الهدايا والهبات في المناسبات العامة للخليفة وبعض أفراد حاشيته، وهذا ما فعله والي مصر سنة 299هـ/ 911م حيث أرسل هدايا غريبة وثمانية

¹ - اليوزبكي، المرجع السابق، ص217.

² - ابن طباطبا، المصدر السابق ، ص280.

³ - محمد كرد علي، المصدر السابق، ص180.

⁴ - آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري عصر النهضة في الاسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت)، مج1، ص159.

بالإضافة إلى خمسمائة ألف دينار¹ واقتدى به الأمير الساماني أحمد بن اسماعيل الذي بعث هدايا "مُذَهَّبَةً ومرصعة بفاخر الجواهر وتاج مذهب بجوهر له قيمة كبيرة، ومناطق ذهب..وشمامات مسك وعنبر كله مرصع وعشر أفراس بسروجها ولأحده سرج ذهب"، ووردت هدايا ابن ابي الساج أربعمائة دابة، وثمانون ألف دينار، وفرش أرمني لم يرى مثله²

كما تدخلت السيدة أم الخليفة المقتدر مباشرة في شؤون الوزارة، وساهمت في تعيين وزراء يأتَمرون بأمرها ويحققون مصالحها ومصالح ابنها، وتعز الوزراء إن وجدت أنهم مخالفين لتحقيق رغباتها السياسية والمالية، أو معادين لسياسة ابنها المقتدر تقلد الوزارة طيلة عهد ابنها حوالي تسعة وعشرون وزيراً، فقد أمرت السيدة بتعيين ابن الفرات وزيراً لابنها المقتدر (295-320هـ/908-932م)، وقد تقلد هذا المنصب ثلاثة مرات لكن صودرت أمواله في كل مرة يعزل فيها، وظهر نفوذ السيدة أم المقتدر وغيرها من نساء القصر في وزارة ابن الفرات³

أورد الصابي العديد من الملاحظات الموجهة من قبل ابن الفرات إلى السيدة أم المقتدر وخطاباً قائلاً "أطال الله بقاء الخالة" والدعاء لها عدة سطور، وايضا خاطب القهرمانات ثمل و زيدان بالقول: "أطال الله بقائك والعنوان ثمل والزيدان من أبي الحسن ثم زاد زيدان خاصة أيا أختي" وهذه المخاطبات تدل على تنفذ النساء وقيامهن بتدبير أمور الخلافة والوزارة.⁴

استدعى الوزير علي بن عيسى أبي القاسم بن بسطام من مصر سنة 307هـ/920م لمحاكمته وذلك لخيانة ظهرت منه عندما استغل منصبه في جمع الأموال، فحضر إلى بغداد

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص124.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص124.

³ - آمنت محمود عودة الذيابات: دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232هـ - 334هـ)، مجلة البحوث التاريخية، الع1، المجلد6، 2022، ص293.

⁴ - الصابي، المصدر السابق، 295.

حاملا الهدايا الفخمة والأموال الجزيلة إلى الخليفة المقتدر ووالدته، مما حال دون تطبيق العقوبة عليه.¹

تسبب التهافت على طلب الوزارة في كثرة نكبات الوزراء فسادت بعضا من مظاهر الفوضى والشغب بحق بعض الوزراء، فعندما يجلس وزير جديد يلقي نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق، وقد يعود الوزير إلى منصبه أكثر من مرة فيعود معه أعوانه مشبعين بروح الانتقام، وما يتبع ذلك من اضطراب الأمن وأمور الدولة وانتشار الظلم والأحقاد وتدبير المؤامرات والمكائد للإيقاع بخصومهم ومنافسيهم بالتعاون مع قادة الجيش ونساء القصر.²

أوردت المصادر أن " أول ما انحل في نظام سياسة الملك فيما شاهدناه القضاء، فإن ابن الفرات وضع منه وأدخل فيه قوما بالذمامات لا علم لهم"،³ حيث قدمت الرشوة كذلك في سبيل الحصول على منصب القضاء، أو الحسبة، أو المظالم... فالوظائف الدينية هي الأخرى لم تسلم من توليها عن طريق البذل، فقد كان بعض الوزراء ينظرون إلى هذه المناصب نظرة مالية بحتة من دون الاهتمام بكفاءة من يتولاها، ففي سنة 328هـ/940م توفي قاضي القضاة "أبو الحسين أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي" فعين ابنه مكانه وتم ذلك بدفع عشرين ألف دينار،⁴ وعين معز الدولة البويهري "أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب" قاضي للقضاة رغم معارضة المطيع (362-334هـ/946-974م) له، وذلك مقابل مائتي ألف دينار.⁵

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص73.

² - البندري بنت عبد العزيز، المرجع السابق، ص185.

³ - التتوخي، المصدر السابق، ج1، ص121.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص320.

⁵ - المصدر نفسه، ج11، ص392.

4.تضمين المناصب:

اعتمد مانحي المناصب على نظام "التضمين"، والذي يعني أن يعين الوزير شخصا في منصب أو إقليم على أن يتضمن للخزينة المركزية مبلغا متفق عليه من المال،¹ أو التعهد بدفع رواتب الجند أو تقديم مقادير معينة من المواد الغذائية، فمن كانت له قدرة مادية تقدم ليتقلد الوظيفة، استغل الكثير من الطامحين للمناصب الإدارية العليا حالة الدولة والأزمات المالية التي عانت منها مبدئين استعدادهم لسد عجز الخزينة.²

كان البعض من الوزراء يدفع مبلغ الضمان للسنة الأولى مقدما عند إصدار أمر تعيينه ثم يوالي إرسال المبلغ من ولايته وذلك لحاجته للمال، إلا أنه في الغالب ما كان يعجز الوزير عن الايفاء بالمبلغ المطلوب منه فيكون معرضا للعزل من جانب الخليفة أو السجن أو المصادرة لأمواله³، وعندما كان الوزير يعجز عن ايجاد من يدفع مبلغ الضمان كاملا مقدما، كان يضطر تحت إلحاح حاجته إلى الأموال أن يتسلم قسطا من مبلغ الضمان مقدما ويؤجل للضامن مع الباقي إلى أن يستلم عمله، فمثلا كان المهدي بالله (256-255هـ/869-870م) يمتدح وزيره "سليمان بن وهب" ويلاحظ اعتماده أسلوب الضمان بقوله " نعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل".⁴

¹ - فاروق عمر فوزي، مرجع سابق، ص 120-121.

² - حسام الدين السامرائي: المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247هـ - 334هـ/86م - 945م)، دار الفكر العربي، ط2، (د.ت)، ص 167.

³ - دارين سليم محي الدين جوهر: المحن والنكبات السياسية للكتاب والوزراء في العصرين العباسي الأول والثاني (132هـ - 334هـ / 749م - 945م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار الاسلامية، 2007، ص 54.

⁴ - السامرائي، المؤسسات الادارية، المرجع السابق، ص 167

قلدت إدارة الاقاليم أيضا لمن يدفع مبلغا أكثر من غيره من الموظفين،¹ فكان تعيين العمال مجالا للمساومة؛ فمن يدفع أكثر يستحق التعيين بغض النظر عن كفاءته وإخلاصه والطرق التي يتبعها في جمع الأموال في الولاية ومدى تعسفه وظلمه لأهلها ودون مراعاة للمصالح العام.²

أعطى بعض الخلفاء للعمال صلاحيات واسعة في التسيير والتصرف حيث فوض الأمور كلها لهم، مثلما عمل الواثق بالله (232-227هـ/842-847م) وولات عهده أبنائه، فأصبح المِصْرُ الواحد يحكم برأي عامله وجماعة ممن يختارهم لمشاورتهم ومعاونتهم، فينظر إلى الأمر بحسب فهمه وما يوحيه إليه محيطه والعادة والعرف، فإذا كان العامل يحسن عمله يعرف مدى المسؤولية الملقاة عليه ولا يرجع في العادة إلى استشارة العاصمة إلا في عويص المسائل التي يمكن تأجيلها، على عكس بعض الخلفاء أمثال الرشيد الذي قدم للولاة العديد من الصلاحيات، إلا أن أمر التنفيذ لا يتم إلا بالرجوع إليه.³

5. إحاكة المكائد والوشايات:

لعبت المكائد والوشايات دورا كبيرا في عزل وتعيين الموظفين، والتي غالبا ما كانت للتخلص من شخص برئ أو إزاحته من موقعه لدى السلطة بسبب اتهامات وأكاذيب وشى بها الحاقدون⁴، "كما كان الايقاع بكبار رجال الدولة يتم على مبدأ الحيلة، وتتجلى الحيلة

¹ - الصولي، المصدر السابق، ص 276.

² - حسام الدين السامرائي، المؤسسات الادارية، المرجع السابق، ص 166.

³ - على كرد، المرجع السابق، ص 181.

⁴ - أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، ط8، ج3، ص265؛ علاء كامل صالح العيساوي: الوشاية بالعلويين وأتباعهم في العصر العباسي (132هـ 247 هـ/ 746م 861م)، بأقلام باحثينا نضع الحياة، المؤتمر العلمي الخامس لكلية التربية العلوم الانسانية، أبحاث التاريخ، 13، 14 أبريل 2012، ص 776.

بالسعاية، والسعاية هي العمل بهدف انتقاص نفوذ شخص ما للحلول محله أو من أجل الحماية الذاتية.¹

حذر الخليفة المأمون (218-198 هـ/813-833م) ابنه من خطر الوشاية قائلاً :
 "يا بني نزهوا أقداركم وطهروا أحسابكم عن دنس الوشاة وتمويه سعايتهم"، كما بين أهدافهم
 بقوله "فلا تعطوا الوشاة أمانيتهم فيمن يشون بهم"، فهو بذلك لم يترك مجالاً للوشاة يخربون
 بيوت من يشون بهم.²

حفلت بيئة الكتاب بالصراعات وكان الكاتب شخصاً مهدداً باستمرار في المركز والثروة
 والسلامة، ولعل ابن المقفع كان يستقرئ التاريخ عندما قال "إعلم أن أكثر الناس عدواً مجاهراً
 حاضراً جريئاً وأشياء، وزير السلطان ذو المكانة عنده لأنه منقوس عليه بما ينفس على
 السلطان ومحسود كما يحسد غير أن يجترأ عليه ولا يجترأ على السلطان، لأن من محاسديه
 أعباء السلطان الذين يشاركوه في المداخل والمخارج لا ينقطع طمعهم في الظفر به فلا
 يغفلون عن نصب الحبال له".³

كثر في عصر المتوكل (247-232 هـ/847-861م) انتشار المصادرات بصورة كبيرة
 بسبب الوشائيات التي تعود لعداوات شخصية⁴ ، حيث تم الايقاع ببعض كبار رجال

¹ - الأبهيشي، المصدر السابق، ص1245. رويذة رفقة ، المرجع السابق، ص66.

² محمد علي كرد، المرجع السابق، ص160.

³ -المقفع عبد الله ابن (106-142 هـ / 724-759م): آثار ابن المقفع، دار الكتب العلمية، لبنان،(د.ت)، ص256.

⁴ المصادرة: مشتقة لغوياً من الفعل: "صدر" أي أخرج الشيء بمحض إرادته، أو من القفل "صادر" وهو يعني معنى الإلحاح، والمصادرة جاءت من المطالبة، يقال صدره على كذا، أي طالبه به، ومن هنا فالمصادرة تعني إخراج الشيء بالطلب والإلحاح؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص447؛ اصطلاحاً: تعني حكم ولي الأمر بانتقال ملكية أشياء معينة من الشخص الى بيت المال، أي نزع الملكية الخاصة لصالح الدولة، وأخذ الاموال كعقوبة مالية على جريمة معينة، أو نزع المال جبراً من

الدولة،¹ فقد كانت أهم عقوبة تقع على الظالم من عمال الأقاليم هي المصادرة أو التتكيل، وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الأموال وهم موقنون بأن مصيرهم بما جمعه إلى المصادرة والقتل.²

كما تعرض الوزراء والكتاب وغيرهم من أصحاب المناصب العليا للمصادرة أو التتكيل لما قاموا به من تجاوزات إدارية واستغلال للنفوذ، حتى أصبحت المصادرات أمراً مألوفاً في القرنين الثالث والرابع هجري، إضافة أنها كانت تتم أحياناً في ظل الأزمات المالية، أي في فترة كانت الدولة في أمس الحاجة لإيجاد المال لسد نفقات بيت المال، كان من المعتاد أن يتهم كل وزير سلفه بسوء التصرف والظلم ويطلب من كتابه وأعوانه أن يفتدوا أنفسهم بكميات من المال، وكانت الطريقة المتبعة أن يلقي القبض على الوزير المعزول وأعوانه بصورة مفاجئة ويسجنون، ثم يبدأ الوزير الجديد تحرياته ليستخرج الأموال بالإقناع والتهديد.³

كان تقلب الأحوال ونكبة الكتاب والوزراء أو مصادرتهم يؤثر سلباً على فعالية الجهاز الإداري، إذ أصبح هذا الجهاز غير قادر على أن يسير بمعزل عن التحولات السياسية الناتجة عن انتقال العهد أو تبديل الوزير، فيصاحب ذلك في كل مرة تغيير الكتاب الذين

صاحبه لمصلحة عامة. محمد فتحي محمد عبد الجليل: أهم المصادرات في عهد الخليفة المتوكل على الله (232هـ-247هـ / 846م-861م)، مجلة الدراسات الانسانية والادبية، الع 26، 2022، ص4؛ مجيد تحسين حميد: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع هجري، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، 2015، ط1، ص138.

¹ عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص51؛ محمد فتحي محمد عبد الجليل، المرجع السابق، ص992.

² صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعارف، بغداد، 1955، ص165.

³ فرات حمدان عبد المجيد الكبيسي: الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب تجارب الأمم لمسكويه (295هـ-369هـ / 907م-979م)، أطروحة دكتوراه، مجلس كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، 2002م، ص45.

على رأس الدواوين وكان يعتمد هؤلاء إلى تعيين كتاب من خواصهم يكتبون لهم وهكذا لم تستطع المسؤولية الإدارية أن تصمد أمام التقلبات الثانوية.¹

كما كان للجواري والقهرمانات مساهمة في إحاكة المكائد والدسائس لكبار رجال الدولة، فقد طالت يد كل من السيدة شغب وجاريتها المناصب الإدارية العليا وتمكنتا من العزل والتعيين،² كان الوزير "أبي جعفر محمد بن الفضل الجرجاني" شيخا ظريفا حسن الأدب عالما بالغناء مشتهرا به، فخف على قلب المتوكل (247-232هـ/847-861م) فاستوزره، مدة قصيرة ثم كثرت السعايات به فعزله المتوكل،³ كما تميز ابن الفرات بكفاءته في تسيير الدواوين وتدبير الأمور والأعمال⁴ ما جعل السعايات والوشايات ضده تكثر إلا أن الخليفة رفض تصديقهم.⁵

كانت تتصل بكل طامح للوزارة عصابة من المؤيدين له تأمل أن تتسلم الأعمال والدواوين عند استيزاره، حيث يستعين بهم الوزير في إدارة الولايات، وكان هؤلاء يعزلون عند عزل الوزير الذي عينهم، وعند ذلك يصبحون من عناصر الشغب التي تتحين الفرص لإثارة الفتن حتى تعود جماعتهم إلى الحكم.⁶

¹ - ربيعة رفقة، المرجع السابق، ص 95.

² - يوسف كاظم جغيل الشمري وميثاق كاظم هادي الخفاجي: السعاية والوشاية عند القهرمانات في بغداد ابان العصر العباسي (247هـ 590 هـ / 861م، 1193م)، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، الع 10، 2020، ص130.

³ - ابن طباطبا، المصدر السابق، ص137.

⁴ - الصولي، المصدر السابق، ص 117.

⁵ - قاسم خضير كاظم الطالبي وآخرون: الوزير علي ابن الفرات (ت312هـ) ودوره السياسي والإداري، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، المجلد 3، العدد 8، سنة 2023، ص161.

⁶ - حسام الدين السامرائي، المؤسسات الادارية، المرجع السابق، ص 167.

فعندما يجلس وزير جديد يلقي نفس المعاملة التي عامل بها الوزير السابق، وقد يعود الوزير إلى منصبه أكثر من مرة فيعود معه أعوانه مشبعين بروح الانتقام وما يتبع ذلك من اضطراب الأمن وأمور الدولة وانتشار الظلم والأحقاد وتدبير المؤامرات والمكائد للإيقاع بخصومهم ومنافسيهم بالتعاون مع قادة الجيش ونساء القصر.¹

المبحث الرابع: الصراع على المناطق الحدودية العباسية البيزنطية:

تأرجحت علاقة الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية بين الحرب والسلام؛ حيث تعود الجذور التاريخية لهذا الصراع منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما بعث "دَحِيَّة الكلبى" إلى "هرقلة" قيصر الروم يدعو للإسلام بالحسنى لكنه رفض² قائلاً " لو كان في البلاد لاتبعته ونصرته"³، فأخذت العلاقة تتضح وتتطور بين الطرفين حيث قامت العديد من المعارك والغزوات بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام مثل "سرية مؤتة" التي تعد أول مواجهة مباشرة بين البيزنطيين والمسلمين في ميدان القتال،⁴ والتي كانت نتائجها وآثارها بعيدة المدى،⁵ حيث أثبتت تعاظم قوة المسلمين العسكرية والمعنوية التي دفعتهم إلى غزو الروم في مستعمراتهم.⁶

¹ - البندري بنت عبد العزيز، المرجع السابق، ص185.

² - اليعمرى الحافظ ابي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (ت734هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح محمد العيد الخضراوي، دار ابن كثير، المدينة المنورة، (د.ت)، ج2، ص344.

³ - ابن الفراء ابي على الحسين بن محمد (ت458هـ) : رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح صلاح الدين المنجد، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة، 1947، ص4

⁴ - الواقدى محمد بن عمر بن واقد (207هـ): المغازي، تح: جونس ماردسن، عالم الكتب، (د.ت)، ج2، ص755.

⁵ - أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، لبنان، 1955، ص237.

⁶ - محمد فهد مشكل: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية في عصر الرسالة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، الع 20، 2016، ص247.

كما بذل الخلفاء الراشدين جهدا كبيرا في سبيل الجهاد ضدهم مثل " معركة اليرموك 13هـ " وغيرها من الفتوحات التي بفضلها تم إعلاء كلمة التوحيد في مساحات شاسعة من أراضي الامبراطورية البيزنطية،¹ ومع تأسيس الدولة الأموية وانتقال العاصمة إلى دمشق اختلف طابع العلاقات العربية البيزنطية إذ أصبحت أكثر وضوحا، شهدت العقود الأولى من القرن الأول هجري إتساعا في نطاق الاحتكاك بين العرب والبيزنطيين أدت إلى اكتساح أراضي واسعة كانت تحت السيطرة البيزنطية.²

بقيام الدولة العباسية تغيرت استراتيجيتها مع البيزنطيين عن استراتيجية الأمويين، فبينما كان الأمويون يعتمدون سياسة الفتح وزيادة رقعة الدولة الإسلامية،³ لم يرد في المصادر ما يدل على أن العباسيين خططوا للاستلاء على إحدى المدن أو فتح القسطنطينية، ولذلك أخذ الصدام العسكري بين الطرفين يأخذ صورة إغارات انتقامية تخريبية، بهدف إنزال كل فريق بالآخر أكبر قدر من الخسائر في الأرواح والعمران والأموال،⁴ فقد أظهر العباسيون قوة الدولة ومناعتها من خلال جهادهم.⁵

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص4.

² - هاميلتون جب: دراسات في حضارة الاسلام، تر: احسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ط3، لبنان، 1979، ص 63 .

³ - فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1951، ج2، ص263؛ ابراهيم العدوي: الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية، مكتبة نهضة، مصر، (د.ت)، ص7.

Julius Wellhausen: Arab Wars with the Byzantines in the Umayyad Period, Arab-Byzantine Relations in Early Islamic Times Aldershot and Burlington, vol 8, Ashgate, 2004, p39.

⁴ - نادية حسني صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول (دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله)، المكتبة الفيصلية، لبنان، 1985، ص17.

⁵ - صباح ابراهيم الشخيلي: الخلافة العباسية وموقفها من المطامع البيزنطية نظرة في الدوافع والأسباب، مجلة المورد، جامعة بغداد، الع4، 2005، ص20.

ارتبط الصراع العباسي البيزنطي إذن بظاهرة تاريخية قديمة موروثية، فهو استمرار لسلسلة من الحروب عبرت عن ما يعرف بالصراع بين الشرق والغرب، كما لعب الدافع الديني دوره في تأجيج الصراع، فالجهاد الذي شُرِعَ أساساً للدفاع عن الإسلام ونصرته كان حافزاً لاستمراره¹، وانسجاماً مع الصبغة الدينية التي أضفاها بنو العباس على خلافتهم واتحاد الدين والسياسة في دولتهم كان لابد للخلفاء العباسيين من إدامة روح الجهاد،² كما كان للأهداف الشخصية مساهمة واضحة في توجيه الخلفاء للحملات، وذلك أنها تحافظ للخليفة على هيئته وتحقق له مكانة سامية في نظر رعيته.³

كان لوجود مصالح اقتصادية متضاربة بين الطرفين مساهمة في اضطراب علاقتهما السياسية، وذلك لرغبة كل منهما في السيطرة على فعاليات التجارة بين الشرق والغرب، خاصة وأن طرق التجارة الدولية الرابطة بين شرق العالم وغربه تسير تحت إشراف العباسيين؛ حيث أنها تمر بأراضي ومياه الدولة العباسية قبل وصولها لعاصمة الامبراطورية البيزنطية.⁴

كان خط الحدود العباسي- البيزنطي عبارة عن سلسلة من المواقع المحصنة تبدأ من طرسوس TARSUS على البحر ويتجه شرقاً الى أذنة ADANA على نهر سيحان SARUS والمصيصة MOPSUESTA على ضفتي جيحان PYRAMUS، ثم إلى الشمال الشرقي حتى مرعش GERMANICREA، بعد أن يمر بغربي اللكام AMANUS الشمالي بحصن

¹ - عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، (د.ت)، ص73

² - ابراهيم العدوي، المرجع السابق، ص19

³ - فازليف: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مر: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص19

⁴ - عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص73

الهارونية، ثم تمتد سلسلة من الحصون في شمال شرقي مرعش غير بعيدا عنها حتى الحدث ADATA، وفي شمال شرقي هذا الثغر تقع ملطية MELITENE أهم الحصون على نهر الفرات الأعلى وعندها ينحرف خط الحدود فيسير شرقا الى خصن زياد وخرتبرت وحاني حتى بحيرة وان LAC VAN ، ويتبع هذه الثغور من ورائها العواصم ما بين أنطاكية على ساحل الشام حتى بالس PAR PALISUS عند ضفة الفرات اليميني وحتى مدينة منبج HIERAPOLIS ثم أيضا سميساط SAMOSATE¹ وقد سميت بالعواصم لأنها تعصم الثغر.² (أنظر الملحق رقم 02 ص 382)

أما عن الأسباب الخاصة بالإمبراطورية البيزنطية؛ تعود جذورها لبداية الدعوة الإسلامية وتوسعها في الشام وبلاد المغرب على انقراض النفوذ البيزنطي في تلك الأصقاع، لذلك عملت بيزنطة على استرداد ما فقدته من ولايات ثرية سيطرت عليها الخلافة الإسلامية.³

إضافة للعلاقات الحربية تجسدت بين الطرفين صورا متعددة من العلاقات السلمية، حيث اجتازت السفارات حدود الدولتين لتوقيع معاهدة أو عقد هدنة أو لإيصال هدايا أرسلت، وتجارات تمت بين الطرفين، كما توالى الاتصالات والرحلات العلمية للتعرف إلى ما آل إلى بيزنطة من تراث فكري ونقل النافع منه لترجمته في بغداد.⁴

¹ - مصطفى شاكِر: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973، ج2، ص327.

² - الثُغْر: بالفتح ثم السكون، وراء كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرا، كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج2، ص79.

³ - اسمت غنيم: الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية، دار المعرفة، مصر، 1987، ص41-42.

⁴ - سليمان الرحيلي: السفارات الاسلامية الى الدولة البيزنطية سفارات الدولة العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس، مكتبة التوبة، (د.ت)، ص50.

ولرسم صورة تقريبية عن طبيعة العلاقات السياسية بين الدولتين؛ تم انجاز الجدول التالي بعد الاطلاع على جملة من المصادر سواء المعاصرة أو القريية من فترة الخلافة العباسية.

السنة الهجرية	الحمالات بين الدولتين	المصدر
210 هـ / 825م	قدم وفد الطاغية يسأل الصلح فلم يجب إليه وكتب المأمون إلى عمال الثغور فساحوا في بلاد الروم فأكثرُوا فيها القتال.	البلاذري، المصدر السابق، ص270.
215 هـ / 830م	خرج المأمون متوجها إلى أرض الروم، فغزا الصائفة وافتتح أنقرة ¹ نصفا بالصلح ونصفا بالسيف وأخربها وهرب.	اليعقوبي، المصدر السابق، ج3، ص197.
216 هـ / 831م	غزا المأمون أرض الروم ففتح 12 حصنا وعدة مطامير.	المصدر نفسه، ج3، ص200؛ الطبري، المصدر السابق، ج8، ص625؛ ابن الوردي زين الدين عمر بن مطفر (ت749هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996، ج1، ص210.
217 هـ / 832م	عاد المأمون الى بلاد الروم وأتاخ على حصن لؤلؤة ² 100 يوم ثم رحل، وبنى فوقه حصنين.	اليعقوبي، مصدر سابق، ج3، ص201؛ الطبري، مصدر سابق، ج8، ص629؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج1، ص210.

Marius Canard: Les relations politiques et sociales entre Byzance et les Arabes, Dumbarton Oaks Papers, 1964, p. 44

¹ - أنقرة: اسم مدينة المسماة أنكورية، وقال بطليموس أن مدينة أنقرة طولها ثماني وخمسون درجة وعرضها تسع وأربعون درجة وأربعون دقيقة، فتحها الخليفة المعتصم في دريقة إلى عمورية؛ الحموي، المصدر السابق، ج1، ص272.

² لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس؛ المصدر نفسه، ج5، ص26.

218 هـ / 834م	غزا المأمون بلاد الروم، وقد استعد لحصار عمورية، فأتاه رسول ملك الروم يدعو إلى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى فلم يقبل.	اليعقوبي، المصدر السابق، ج3، ص204.
220 هـ / 836م	غزا الحسن بن مصعب بلاد الروم فنكب وهزم وأسر عامة جيشه.	بن خياط، المصدر السابق، ج2، ص515.
222 هـ / 838م	خرجت الروم إلى زبطرة ¹ فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخربوها.	البلاذري، المصدر السابق، ص270.
223 هـ / 839م	شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم فذكر أنه تجهز جهازا لم يتجهز مثله قبله خليفة قط من السلاح والآلة، وفتح مدينة عمورية ² فقتل بها مقتلة عظيمة وسبى سبايا كثيرة وخرّب المدينة وهدمها.	بن خياط، المصدر السابق، ج2، ص516؛ الطبري، المصدر السابق، ج9، ص57.
231 هـ / 847م	سار جيش لبلاد المشركين.	الطبري، المصدر السابق، ج6، ص88؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص164.
237 هـ / 853م	سار العباس في جيش كثيف وفتح حصونا كثيرة، غزا في هذه السنة الصائفة علي بن يحيى الأرميني.	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص191؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص113.
238 هـ / 854م	غزا الصائفة علي بن يحيى الأرميني.	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص195؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص158.

¹- زَبْطَرَة: إحدى مدن الثغور الواقعة بين مدينة ملطية ومدينة سميساط. ابن رسته أبي علي عمر: الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1891، ص107؛ الحموي، المصدر السابق، مج3، ص130-131.

²- عمورية: بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم وفتحها سنة 223 هـ / 837م وقيل سميت بذلك الاسم نسبة لعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام. المصدر نفسه، ج4، ص158.

السابق، ج6، ص117.		
الطبري، المصدر السابق، ج9، 196؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص119.	غزا الصائفة على بن يحيى الأرميني.	239 هـ / 855م
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج11، ص282؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص125.	أغار الروم على عين زربة ¹ فأخذت من كان بها أسيرا من الزط مع نسائهم وذرائعهم ودوابهم.	241 هـ / 857م
الطبري، المصدر السابق، ج6، ص126؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص207.	خرجت الروم من ناحية سميساط ² بعد خروج علي بن يحيى الأرميني من الصائفة حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا وأسروا نحو 10 آلاف، فكتب المتوكل إلى علي بن يحيى الأرميني أن يسير إلى بلاد الروم شاتيا.	242 هـ / 858م
الطبري، المصدر السابق، ج9، ص210؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص322؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص129.	وجه المتوكل بغا الكبير لغزو الروم فغزا الصائفة.	244 هـ / 860م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص330؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص218.	غزا علي بن يحيى الأرميني الصائفة. أغار الروم على سميساط فقتلوا وسبوا حوالي 500.	245 هـ / 861م
الطبري، المصدر السابق، ج9، ص219؛ ابن الأثير، المصدر	غزا عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة فأخرج 17 ألف رأس وحملة الفضل بن قارن بحرا في	246 هـ / 862م

¹ - عين زربة: بتقديم الزاي مدينة مشهورة بالثغور الشامية قرب المصيصة؛ ص320. ياقوت بن عبد الله الحموي شهاب الدين أبي عبد الله: المشترك وضعاً والمتفرق صقعا، عالم الكتب، ط3، 1986، ص320.

² سَمِيسَاط: بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة، مدينة على شاطئ الفرات من طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص258.

20 مركبا فافتتح حصن انطاكية وحملة بلكاجور فغنم وسبى وأغار على بن يحي الأرميني.	السابق، ج6، ص134.
غزا المنتصر وصيف التركي إلى بلاد الروم.	المصدر نفسه، ج6، ص146.
غزا جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصنا ومطامير ، وعمر بن عبد الله فحدثت حرب قتل فيها خلق كثير من الفريقين.	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص261.
غزا الصائفة بلكجارو	المصدر نفسه ، ج9، 277.
غزا بلكجارو غزوة فتح أصاب فيها غنيمة كثيرة وأسر مجموعة من الأعلاج.	المصدر نفسه ، ج9، ص327.
غزا محمد بن معاذ بالمسلمين في ذي القعدة.	المصدر نفسه ، ج9، ص377.
غزا الصائفة محمد بن علي بن يحي الأرميني	اليعقوبي، المصدر السابق، ج3، ص241.
نزلت الروم على سميساط ثم على ملطية وقاتلهم أهلها فانهزمت الروم وقتل بطريق البطارقة.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص245
دخل عبد الله بن الرشيد بن كاوس بلاد الروم في أربعة آلاف فارس فغنم وقتل.	ابن العبري أبي الفرج غريغوريوس (ت785هـ): تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ص256.
خرج خمسة بطارقة من الروم الى أذنة فقتلوا وأسروا.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص284.
وردت سرية من سرايا الروم تل يسمى ديار ربيعة ، فقتلت من المسلمين وأسرت نحو من 250 انسانا فنفر أهل نصيبين وأهل الموصل	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص549؛ المصدر نفسه، ج9، ص553.

	فرجعت الروم. غزا خليفة ابن طولون على الثغور الشامية ¹ من 300 رجل من أهل طرسوس فخرج عليهم العدو في بلاد هرقله فاقتتلوا قتالا شديدا.	
267 هـ / 883م	بث الحسن بن العباس السرايا إلى بلاد الروم وأخرجت الروم سراياهم فأصابوا من المسلمين. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص307.	
268 هـ / 884م	خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلية فنازل ملطية فأعانهم أهل مرعش والحدث فانهزم ملك الروم. غزا الصائفة من ناحية الثغور الشامية الفرغاني عامل ابن طولون فقتل من الروم بضعة عشر ألفا وغنم الناس فبلغ السهم أربعين دينار.	الطبري، المصدر السابق، ج6، ص314. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص612.
269 هـ / 885م	خرج محمد بن الفضل أمير صقلية في عسكر إلى ناحية رمطة وبلغ العسكر الى قطانية فقتل كثيرا من الروم وسبى وغنم.	المصدر نفسه، ج6، ص330.
270 هـ / 886م	خرجت الروم في 100 ألف فنزلوا على قملية، فقتل منهم فيما يقال 70 ألفا وقتل مقدمهم وهو بطريق البطارقة، وقتل أيضا مجموعة من البطاريق وأخذ لهم 7 صلبان من ذهب وفضة وصليبيهم الأعظم من ذهب مكلل بالجواهر،	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص336. ابن الجوزي، مصدر سابق، ص229.

¹-الثغور الشامية والجزرية: كانت تشكل حدود الشام الشمالية مع الروم، فمما يلي الروم الثغور، وهي ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربي والمصيصة وأذنة وطرسوس وقد جمعت الى الشام وبعض الثغور، تعرف بثغور الشام وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سمي من ملطية الى مرعش ثغور جزرية لأن أهل الجزيرة بها يرابطون، ومنها يغزون لا لأنها من الجزيرة وبين ثغور الشام والجزيرة جبل اللكام؛ فائزة عبد الرحمان حجازي: تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي 139هـ-335هـ / 757م-946م، مؤتة للبحوث والدراسات الع6، المجلد21، 2006، ص149.

	وأخذ 15 ألف دابة وبغل ومن السروج وغير ذلك وسيوفا محلاة وأربعة كراسي من الذهب و200 كرسي من الفضة وأتية كثيرة ونحوها من 10 آلاف علم وديباجا كثيرا. ورد الخبر إلى بغداد بأن الروم نزلت ناحية باب تلميذ وهم زهاء 100 ألف يرأسهم بطريق البطارقة أندرياس.	
ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص346.	غزا الصائفة بازمار فغنم وعاد.	272 هـ / 888م
الطبري، مصدر سابق، ج10، ص13؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج12، ص261؛ ابن الأثير، المصدر سابق، ج6، ص351.	غزا بازمار فأوغل في أرض الروم فأوقع فيها بكثير من أهلها وقيل غنم وسبى وأسر وعاد سالما الى طرسوس	274 هـ / 890م
المصدر نفسه، ج10، ص14.	غزا بازمان في البحر فأخذ للروم أربعة مراكب.	275 هـ / 891م
المصدر نفسه، ج6، ص366.	دخل أحمد العجيفي طرسوس وغزا مع بازمار الصائفة.	278 هـ / 894م
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج12، ص333.	ورد خبر بغزو اسماعيل بن احمد بلاد الترك وقتله خلق كثير من الترك.	280 هـ / 896م
الطبري، مصدر سابق، ج10، ص38؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص378.	غزا المسلمون الروم فكانت بينهم حرب 21 يوما فظهر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وانصرفوا.	281 هـ / 897م
الطبري، مصدر سابق، ج11، ص63؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص391.	فتحت قرّة من بلد الروم على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب.	284 هـ / 890م
ابن الجوزي، مصدر سابق، ج12، ص378؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص394.	غزا راغب مولى الموفق في البحر فغنم مراكب كثيرة، فضرب 3 آلاف من الروم، احرق المراكب وفتح حصونا كثيرة وعاد سالما ومن	285 هـ / 891م

معه		
288 هـ / 894م	سير الحسن بن علي كورة صاحبة نزار محمد إلى صائفة الروم، فغزا وفتح حصونا كثيرة للروم وعاد ومعه الاسرى.	ابن الأثير، ج6، ص408. ابن العبري، المصدر السابق، ص263.
291 هـ / 897م	خرج الروم قصدوا المسلمين في جيش عظيم.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص23. العبري، مصدر سابق، ص267.
292 هـ / 898م	أغار الروم على مرعش ونواحيها.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص425.
293 هـ / 900م	أغار الروم على قورس من أعمال حلب.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص431. ابن العبري، مصدر سابق، ص268.
294 هـ / 901م	غزا ابن كيغليخ الروم من طرسوس فأصاب من الروم 4 آلاف رأس.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص434.
296 هـ / 903م	سار مؤنس المظفر الخادم في جمع كثير لقتال الروم فظفر وغنم وأسر منهم.	المصدر نفسه، ج6، ص464.
297 هـ / 904م	غزا القاسم بن سيما الصائفة.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص93؛ ابن الأثير، ج6، ص466.
298 هـ / 905م	غزا القاسم بن سيما الصائفة.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص469.
299 هـ / 906م	غزا رستم أمير الثغور الصائفة من ناحية طرسوس.	المصدر نفسه، ج6، ص471.
301 هـ / 908م	غزا الصائفة الحسين بن حمدان فورد كتاب من طرسوس يذكر أنه فتح حصونا كثيرة وقتل من الروم خلق كثير.	الطبري، مصدر سابق، ج10، ص147؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص141.

302 هـ / 909م	ورد كتاب من بشير عامل السلطان على طرسوس ¹ على السلطان يذكر فيه غزوه لأرض الروم وما فتح فيها من الحصون وما غنم و سبى نحو ألفي فارس. قرئ على المنابر كتاب بفتح بلاد الروم وورد من بشير الخادم كتاب يذكر فيه ما فتح من حصون الروم وما سبى وأنه أسر من بطارقة الروم 150.	الطبري، مصدر سابق، ج10، ص150؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص150؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص486.
303 هـ / 910م	أغار الروم على الثغور الجزرية وقصدوا حصن منصور وسبوا من فيه وجرى على الناس أمر عظيم. لم يكن للمسلمين صائفة فسبوا وغنموا.2	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص302؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص301.
304 هـ / 911م	سار مؤنس المظفر إلى بلاد الروم لغزاة الصائفة، ففتح حصونا كثيرة من الروم، وعتب عليه أهل الثغور قالوا لو شاء لفعل أكثر من هذا.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص496.
306 هـ / 913م	غزا بشير الأفشينى بلاد الروم وافتتح عدة حصون وغنم وسلم وغزا شمال في بحر الروم فغنم وسبى وعاد، وفيها دخل الصفواني بلاد الروم فنهب وخرب وأحرق وفتح وعاد، فقرأت الكتب على المنابر ببغداد بذلك.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص306.
310 هـ / 917م	قرئت الكتب على المنابر في الجوامع بفتح كان في بلاد الروم لأهل طرسوس وملطية. غزا المسلمون في البر ولبحر فغنموا وسلموا.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص11؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج13، ص210.
311 هـ / 918م	غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح	ابن الاثير، مصدر سابق، ج7،

¹ - طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين ملهتين بينهما واو ساكنة، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص27.

حصونا، وغزا شمال ايضا في البحر فغنم وسبى.	ص16.
دخل المسلمون بلاد الروم فنهبوا وسبوا وعادوا.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص78؛ ابن الأثير، ج7، ص23.
كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يرسم لهم أداء الخراج فأن فعلوا والا قصدهم، فقتل الرجال وسبى الذرية، فلم يفعلوا ذلك فصار اليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية فأخربوها	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص82. ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص25.
خرجت الروم الى ملطية وما يليها مع الدمستق ومعه مليح الأرمني صاحب الدروب فنزلوا على ملطية فحاصروها وخرّبوا قرى كثيرة ونهبوا الموتى ومثلوا بهم ورحلوا عنهم، وغزا أهل طرسوس صائفة فغنموا وعادوا.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص82. ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص30.
هاجت الروم وقصدوا الثغور ودخلوا سميساط وغنموا جميع ما فيها من مال وسلاح وغير ذلك، وخرج المسلمون وأثر الروم وقاتلهم وغنموا منهم غنيمة عظيمة.	مصدر نفسه، ج7، ص31.
وصل 700 رجل من الروم إلى ملطية.	مصدر نفسه، ج7، ص48.
ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الروم عنهم وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر بالله، وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا.	مصدر نفسه، ج7، ص57.
أوقع ثمل مولى طرسوس بالروم وقعة عظيمة.	مصدر نفسه، ج7، ص69. ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص167.

322هـ / 929م	سار الدمستق في 50 ألف من الروم فنازل ملطية وحاصرها مدة طويلة وهلك أكثر أهلها بالجوع، وصار أكثر البلاد في أيديهم.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص161؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص106؛ ابن الكثير، مصدر سابق، ج11، ص177.
330هـ / 937م	في ربيع الأول وصل الروم إلى قرية حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا نحو 15 ألف انسان، وفيها دخل الثملي من ناحية طرسوس الى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم.	ابن الأثير، ج7، ص168؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص203.
332هـ / 939م	دخل الروم رأس عين في ربيع الاول فأقاموا بها 3 أيام ونهبوا وسبوا من أهلها فقتلهم أهلها.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص185.
337هـ / 944م	سار سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم فلقية الروم واقتتلوا فانهزم وأخذ الروم مرعش وأوقعوا بأهل طرسوس.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص289؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص229؛ العبري، مصدر سابق، ص292.
339هـ / 946م	دخل سيف الدولة الى بلاد الروم فغزوا وأوغل فيها وفتح حصون كثيرة وسبى وغنم .	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص233؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص274.
340هـ / 945م	قامت الحرب بين المسلمين والروم في صقلية فانهزم الروم.	ابن الأثير، ج7، ص239؛ ابن الوردي مصدر سابق، ص275.
341هـ / 946م	في هذه السنة ملك الروم مدينة شروج وسبوا أهلها وغنموا أموالهم وأخربوا المساجد.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص243.
343هـ / 948م	غزا سيف الدولة بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وكان فيمن قتل قسطنطين بن الدمستق، حيث كان النصر للمسلمين.	المصدر نفسه، ج7، ص250؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص276؛ العبري، مصدر سابق، ص292.
345هـ / 950م	سار سيف الدولة في جيوش إلى بلاد الروم وغزاها، وسار الروم في البحر وأوقعوا بأهل طرسوس وقتلوا منهم	ابن الاثير، مصدر سابق، ج7، ص257.

348هـ/953م	غزت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وغنموا وعادوا سالمين.	المصدر نفسه، ج7، ص263؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص234.
349هـ/954م	غزا الأمير سيف الدولة بلاد الروم.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص349؛ ابن العبري، مصدر سابق، ص293؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص278.
350هـ/955م	دخل الأمير سيف الدولة بلاد الروم.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص270. ابن الكثير، مصدر سابق، ج11، ص237.
351هـ/956م	نزل الروم مع الدمستق على عين زربة وفتحوها بالأمان فقتلوا خلقا كثيرا .	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص273؛ ابن العبري، مصدر سابق، ص293؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص280.
352هـ/957م	دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين ودخلها، حصر الروم مع الدمستق المصيصة وقاتلوا أهلها وأحرق الروم رستاق أدنة.	ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص336؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص279؛ ابن الكثير، مصدر سابق، ج11، ص243.
353هـ/958م	نزل امبراطور الروم على طرسوس وجرى بينهم وبين أهلها حروب كثيرة.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص284؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص253.
354هـ/959م	حاصر نقفور المصيصة وطرسوس ورفع السيف عن بقي من المسلمين ونقلهم إلى الروم وكانوا 200 ألف.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص287؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص255.
355هـ/960م	خرجت الروم فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحصروها وقاتلوا أهلها فقتل منهم 300 رجل وأسر نحو 400 أسير.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص295؛ ابن الوردي ، مصدر سابق، ص282.

357هـ / 962م	وصلت سرية كثيرة من الروم إلى أنطاكية ¹ فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا 12 ألفا من المسلمين.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص357؛ ابن العبري، مصدر سابق، ص294.
358هـ / 963م	دخل الروم الشام وأنطاكية.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص313؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص285.
359هـ / 964م	أخذ الروم مدينة أنطاكية ووضعوا في أهلها السيف وأخذوا الشباب من الرجال والنساء والصبيان والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سبيا.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص318؛ ابن الوردي، مصدر سابق، ص285؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص265.
361هـ / 966م	أغار امبراطور الروم على الرها ونواحيها.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص329؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص390.
362هـ / 967م	كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني وبين الدمستق.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص336؛ ابن الجوزي، مصدر سابق، ج5، ص39.
367هـ / 972م	دارت الحرب بين قائد عضد الدولة و الروم.	ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص379.
375هـ / 980م	سار صمصام الدولة الى بلاد الروم.	المصدر نفسه، ج7، ص423.

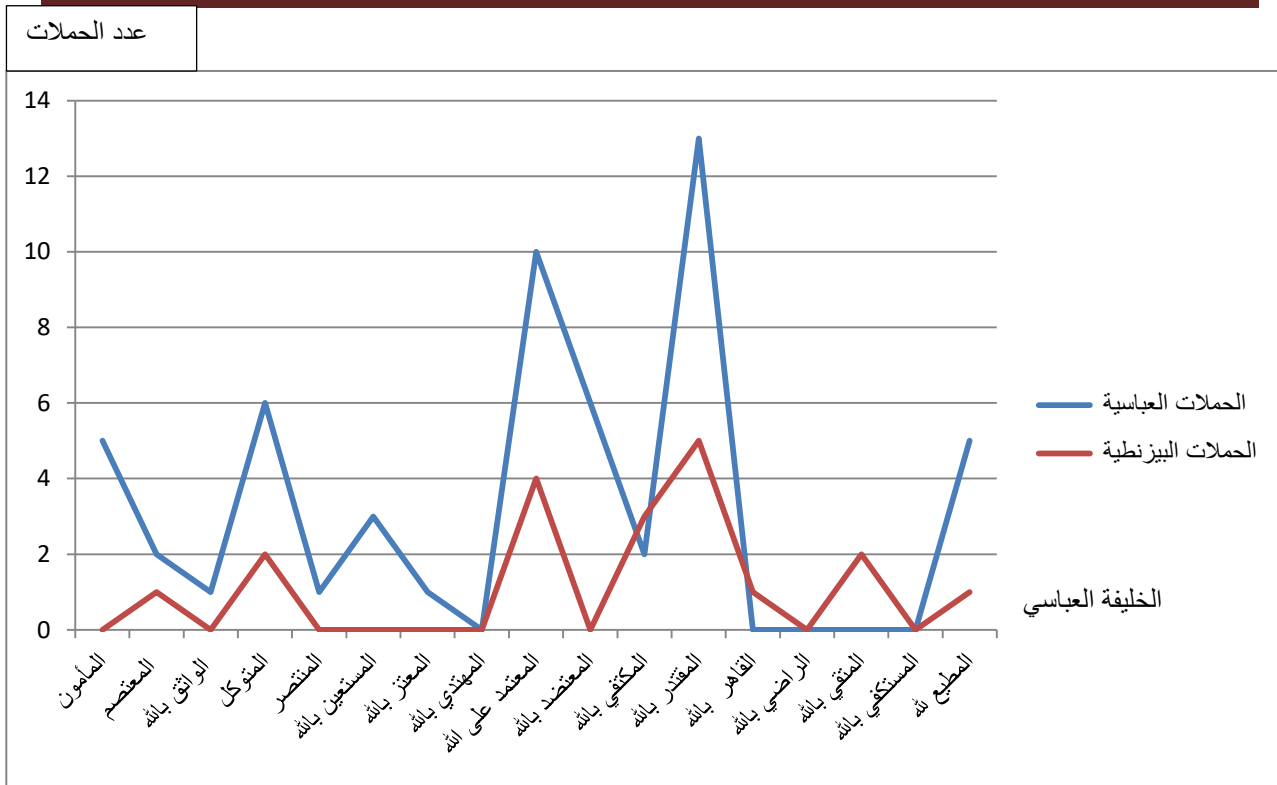
الجدول رقم 03: يوضح العمليات الحربية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية العباسي خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - اعداد الباحثة -
اعتمادا على ما ورد في الجدول أعلاه ولتوضيح منحى الحملات بين الطرفين تم وضع جدول لعدد الحملات بين الطرفين في عهد كل خليفة عباسي:

¹ - أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة وحسن طيب الهواء. الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص266.

الخلافة العباسي	عدد الحملات العباسية	عدد الحملات البيزنطية
المأمون (218-198هـ/813-833م)	5	0
المعتصم بالله (227-218هـ/833-842م)	2	1
الواثق بالله (232-227هـ/842-847م)	1	0
المتوكل على الله (232-247هـ/847-861م)	6	2
المنتصر بالله (247-248هـ/861-862م)	1	0
المستعين بالله (248-252هـ/862-866م)	3	0
المعتز بالله (252-255هـ/866-869م)	1	0
المهتدي بالله (255-256هـ/869-870م)	0	0
المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م)	10	4
المعتضد بالله (279-289هـ/892-902م)	6	0
المكتفي بالله (289-295هـ/902-908م)	2	3
المقتدر بالله (295-320هـ/908-932م)	13	5
القاهر بالله (320-322هـ/932-934م)	0	1
الراضي بالله (322-329هـ/934-940م)	0	0
المتقي لله (329-333هـ/940-944م)	0	2
المستكفي بالله (333-334هـ/944-946م)	0	0
المطيع لله (334-362هـ/946-974م)	5	1
الطائع لله (362-381هـ/974-991م)	5	10

الجدول رقم 04: يوضح عدد الحملات بين الطرفين (العباسي والبيزنطي) خلال الفترة

(198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - إعداد الباحثة -.



الشكل رقم 02: منحى الحملات العسكرية العباسية والبيزنطية على مناطق التخوم خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م). - اعداد الباحثة - ص 121.

بالتمعن في معطيات الجدول التي ترجمها الشكل رقم 02 نلاحظ:

- ✓ ارتفاع وانخفاض حادة في نشاط العباسيين والبيزنطيين على مناطق التخوم.
- ✓ رسم لنا التباين بين مختلف المصادر صورة متكاملة عن الحملات بين الطرفين، حيث انفردت بعض المصادر دون الأخرى بذكر بعض الحملات، وهذا لا يعني تناقضها مع بعضها بل أنها تكمل بعضها البعض.

- قاد بعض الخلفاء (المأمون، المعتصم...) العديد من الحملات، كما برزت أسماء بعض القادة مثل: ثابت بن نصر الخزاعي، علي بن يحيى الأرميني....
- تأرجحت سياسة الطرفين بين الهجوم والدفاع والمصالحة.
- أخذت هجمات العباسيين تتضاءل تدريجيا ماعدا بعض الفترات، وذلك لأن الخلافة سارت نحو الاضمحلال، كما أنها وجهت تركيزها لمواجهة اضطرابات سياسية على أخرى.
- من حجم الخسائر والتجهيزات والأسرى يتضح شدة العداء والمعارك وقوتها.

- وجود نظام للغزو حيث كان للمسلمين أوقات معينة يغيرون فيها على الأراضي البيزنطية والتي عرفت بالصوافي والشواتي¹، كانت الصوافي أكثر شيوع، لم يكن البرد القارس الذي ميز الشتاء في آسيا الصغرى هو فقط الذي جعل الاغارات في الشتاء صعبة، ولكن المشكلة الرئيسية كانت تكمن في كيفية توفير العلف للدواب خلال هذا الفصل البارد أما حملات الشتاء لا تكون إلا في حالات الضرورة القصوى.²
- نلاحظ اختلاف النشاط بين خليفة عباسي وآخر وذلك راجع لمجموعة من الظروف والأوضاع السائدة آنذاك:³

¹ - كان المسلمون يقدون إلى بلاد البيزنطيين مرتين في السنة في غاراتهم في الصيف والشتاء، إذ تبدأ الصوافي في منتصف شهر ماي بعد نهاية فصل الربيع وانتهاء البرد، وتكون خيولهم قد أربعت وقويت ويستمر الغزو في الصائفة ثلاثين يوما وفي بعض السنين يغزون صائفتين، أنا غارات الشتاء (الشواتي) فتكون عند الضرورة، وتكون في آخر فيفري الى النصف الأول من شهر مارس؛ فائزة عبد الرحمان حجازي: تبادل الاسرى بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي 139هـ-335هـ / 757م-946م، مؤتة للبحوث والدراسات المجلد 21، الع 6، 2006، ص 147.

² - فازليف، مرجع سابق، ص 91

³ - والدليل على ذلك أن فترة خلافة الرشيد شهدت الحد الأعلى من النشاط العسكري حيث أرسل الخليفة حملات عسكرية ابتداء من سنة 170 هـ إلى غاية سنة 197 هـ دون انقطاع، ابن الأثير، الكامل، ج 5 ص 279، ج 5، ص 317. خليفة بن خياط، ج 2، ص 481، 482، 484، 493؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ج 3، ص 167، 168، 178؛ ويعود ذلك إلى الهدوء النسبي الذي تمتعت به الدولة، ومن المحتمل أن يكون سببه تلك السياسة التوفيقية التي سار عليها الخليفة المهدي، كما كان للازدهار الاقتصادي الذي شهدته البلاد دور أساس في ذلك إذ تمكنت الخلافة من تجهيز الجيوش الكافية لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية. موفق سالم نوري: العلاقات العباسية البيزنطية 132-247 هـ 750-861م دراسة سياسية حضارية، وزارة الثقافة والعلام دار الشؤون الثقافية العامة، 1992، ص 181-180؛ بانتقال مركز الخلافة إلى بغداد أخذ العباسيون يؤقلمون سياستهم إزاء البيزنطيين على أساس الوضع الجديد فكان بعد المشقة بين بغداد والقسطنطينية مدعاة لرسم سياسة حربية جديدة اختلفت عن سياسة دمشق، إذ لم تدخل حيز التنفيذ الجدي إلا زمن الخليفة هارون الرشيد الذي اعتمد منهجا عمل به في مناطق التخوم والقائم على تكوين منطقة إدارية مستقلة تتمثل في الثغور، والتي عين عليها حراسا حربيين عرفوا بحكام الثغور، دعمت تلك المنطقة بحاميات أطلق عليها حراس الحدود مهمتهم مساعدة حكام منطقة الثغور. ابراهيم العدوي، مرجع سابق، ص 71؛ كما دأب في التحصينات والاستحكامات وتعزيز الحاميات بها، موفق

غياب النشاط العسكري بين الطرفين في الفترة ما بين 198-215هـ وذلك لانشغال الدولتين بمشكلاتهم الداخلية والخارجية وسيادة أجواء الهدوء على العلاقات بينهما عموماً، لتبدأ مرحلة الصراع خلال الفترة ما بين 215-218 هـ.¹

فتح المأمون اثنين وسبعين حصناً ومدينة وكان يقود بنفسه حملات الصوائف،² كما حدث تطور جديد في الصراع العباسي البيزنطي، حيث استغل الخليفة ظروف الامبراطورية الداخلية وتحالف مع "توماس الصقلي" الذي عمل على خلع الامبراطور البيزنطي فحالفه على أن يمدّه بقوات تساعد على فتح القسطنطينية. وكذلك فعل البيزنطيون مع "بابك

سالم، مرجع سابق، ص199؛ وبالتالي يمكن اعتبار الرشيد صاحب الحملات الحقيقية ضد الروم إذ تميزت خلافته بحملات لامعة قادها بنفسه. فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري الكتاب الأول في الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها، الدار القومية للطباعة النشر، (د.ت)، ص158؛ أما من الجانب البيزنطي فقد انشغلت قواتهم على التخوم مع البلغار؛ مجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، تعليق: الأب البير أبونا، مطبعة شفيق، بغداد، 1986، ج1، ص19، كما عرفت الامبراطورية اضطرابات سياسية نتيجة عمل ايريني على إقصاء ابنها قسطنطين على العرش، مما أعطى القوات العباسية الفرص المواتية لزيادة الضغط على البيزنطيين؛ فقد جنحت ايريني للسلم مقابل دفع الجزية والتخلي عن الهجمات المتبادلة، فوافق الرشيد، لذلك لم ترد في المصادر صوائف ولا شواتي الى غاية سنة 187هـ، إلا أن نقفور نقد العهد وكان رد فعل الرشيد بإرسال حملة كانت بمستوى رد الفعل اللازم. موفق سالم، مرجع سابق، ص204-207.

¹ - جاسم آوجي: العلاقات السياسية والثقافية بين الدولة العباسية والدولة لبيزنطية في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ)، كلية الآداب قسم التاريخ جامعة اسطنبول، (د.ت)، ص94.

² Michael Bonner, *Arabie Violence and Holy War. Studies in the Jihad and the Arab-Byzantine Frontier*. New Haven, Connecticut, American Oriental Society, 1996, p100.

الخرمي" اذ دعموه ضد العباسيين¹ وذلك ليس بالأمر الغريب فطالما كانت أراض الدولتين ملاذا للمعارضين السياسيين لكليهما.²

استمرت الاضطرابات السياسية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية خلال خلافة المعتصم بالله (227-218هـ/833-842م)، حيث سار غازيا، فيذكر أنه تجهز جهازا لم يتجهز مثله خليفة قط من السلاح وآلة وفتح مدينة عمورية،³ وكان ذلك ردا عن خروج الروم قاصدين مدينة زبيرة⁴ وردا عن تحالف الامبراطور البيزنطي مع بابك واعتدائه على الثغور،⁵ فالاستلاء على عمورية يعتبر مكسبا للعباسيين "فلم يكن شيء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين" أي أنقرة وعمورية.⁶

ورث الواثق بالله (232-227هـ/842-847م) تركة مثقلة بالمشاكل والتي تضخمت وكثرت في عهده ، وظهر فتور - ان لم يكن فقدان - روح الجهاد ضد البيزنطيين لينتهي الأمر بثبات مناطق الثغور، وبالمقابل فإن ظروف الامبراطورية البيزنطية حتمت عليها مسألتهم؛ إذ أنها كانت في حالة ضعف بعد فقدانها لقواعدها البحرية في كريت وصقلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد رأت الحكومة القائمة ضرورة التركيز على بناء الدولة من الداخل وبالتالي لم يكن للواثق أي دور عسكري على الحدود البيزنطية.⁷

¹ - نادية حسني صقر، المرجع السابق، ص22.

² - موفق سالم، المرجع السابق، ص232.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص57.

⁴ - البلاذري، المصدر السابق، ص270.

⁵ - أسماء محمد عبد اللطيف شحاتة: تحصينات مدينة عمورية ومواجهاتها الحربية في العصر العباسي الأول (132-232هـ)، كلية الدراسات الانسانية، جامعة الأزهر، الع 27، 2021، ص1034.

⁶ - فازليف، المرجع السابق، ص144.

⁷ - نادية حسني صقر، المرجع السابق، ص34.

وبداية من خلافة المتوكل (247-232هـ/847-861م) بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحكم العباسي، حيث ضعف الخلفاء وتغلب عليهم وزرائهم الأتراك واثارت الفتن والثورات في كل مكان، وما زاد الحال سوءا بمقتل الخليفة على يد الأتراك ، وليست الحال بمختلفة كثيرا في الدولة البيزنطية في صدر هذه الفترة، إلا أن أحوالها السياسية والاقتصادية قد تحسنت كثيرا في النصف الثاني منها،¹ فانعكس هذا على العلاقات العباسية البيزنطية.

فبداية من النصف الثاني من القرن الثالث هجري شهدت بيزنطة تحولا عسكريا وسياسيا، ولعل التخلص النهائي من الخلافات الدينية هو الذي مهد لهذه النهضة؛ فاستعاد البيزنطيون موقفهم الهجومي واستأنفوا نشاطهم على التخوم، سجلت المصادر حدوث إغارات للروم ورافقتها ردود من الطرف العباسي، ويمكن القول أن هذه الفترة عرفت توازن للقوتين، فإذا رجعنا لفترات سابقة نلاحظ غلبة الاغارات العباسية حيث قليلا ما تذكر المصادر عن هجمات للبيزنطيين.

جدت صحة بيزنطية خلال النصف الأول من القرن الرابع للهجرة على مستوى المؤسسات والتنظيم العسكري كما برز أباطرة وقادة عسكريين على درجة عالية من الكفاءة ألحقوا عديد الهزائم بالمسلمين وتمكنوا من ضم العديد من مدن الثغور الى المجال البيزنطي فحدث تصعيد في العمليات العسكرية البيزنطية.²

¹ - سليمان الرحيلي، المرجع السابق، ص83. أسماء محمد السيد علي، المرجع السابق، ص79.

² - لطفي بن فرج: الأسرى في العلاقات العباسية- البيزنطية من قيام الدولة البيزنطية إلى واقعة ملاذكرد (132هـ-463هـ / 750م - 1071م)، شهادة الكفاءة المهنية، جامعة تونس، قسم التاريخ، 1993، ص1-2.

وخلاصة القول في هذا الفصل:

- كانت مظاهر الاضطرابات السياسية في الدولة العباسية تظهر جلية خلال بعض الفترات في حين يعم الاستقرار السياسي فترات الأخرى لكن بشكل مؤقت لتعود الاضطراب مرة آخر والتي تزامنت مع سيطرة العناصر الأجنبية على الحكم وتراجع مكانة الخليفة.
- تراجعت مكانة ولاية العهد لدى الخلفاء العباسيين حتى غاب أثرها ولم يعد لها دور في تعيين الخليفة، إذ كان ذلك التراجع نتيجة تسلط الأتراك ومن بعدهم بني بويه على الحياة السياسية في الدولة، فإذا عصا الخليفة أمرهم خلعه أو قتلوه أو سملوا عينيه وأتو بمن يسير تحت سيطرتهم.
- تعد الاضطرابات السياسية ظروفًا مشجعة ومواتية لتفشى الفساد الإداري، فانحطت مكانة المناصب الإدارية وأصبحت عرضة للرشوة والتوريث ، فكثرا ما استغل أصحاب المناصب نفوذهم لتلبية أطماعهم ورغباتهم.
- تكرر حدوث الحركات الاجتماعية بمختلف أبعادها والتي برهن فيها العامة على قوتهم واتحادهم للتعبير على موقفهم والمطالبة بحقوقهم ومساهمتهم في تسيير مجريات الأحداث.
- تراوحت العلاقات العباسية البيزنطية بين العداء والمهادنة لكن الصفة الغالبة كانت العداء، الذي أدى لحدوث حملات عسكرية متبادلة بين الفريق.

الفصل الثاني:

النتائج الاقتصادية للاضطرابات السياسية.

1- تراجع النشاط الزراعي نتيجة الفتن والحروب:

أثر انعدام الاستقرار السياسي على جودة ووفرة المحاصيل وصحة وسلامة الثروة الحيوانية، فكانت الأراضي الزراعية هي المتضرر الأول جراء ما تعرضت له من تخريب وحرق، وما طبق عليها من أنظمة زراعية أضرت بالأرض والفلاح، إضافة لما لحق منشآت الري وتخزين الماء من تخريب وإهمال، فأنزلت الأراضي والمحاصيل مما أدى لندرتها وارتفاع أسعارها.

1- مساهمة العوامل البشرية في تراجع مقومات النشاط الزراعي:

تأثرت مقومات النشاط الزراعي (الفلاح، منشآت الري..) بالفوضى السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية، فطبيعي أن قبضة الأتراك في هذه الفترة قد صرفت اهتمام الخليفة عن دعم أي مشروع لري الأراضي، زد لذلك الأحداث الفظيعة لثورة الزنج، حيث تأتي في طليعة الأسباب التي كانت وراء تردي الأوضاع الزراعية في البلاد لصمودها طويلاً، في وجه الخلافة العباسية (255هـ - 270هـ)، واتساع نطاق تمرداتها في جنوب العراق، حيث اعتمد صاحب الزنج أسلوب حرب العصابات والمباغته؛ فكانت المدينة الواحدة عرضة لهجمات الزنج المتكررة، وما رافقها من الاستباحة والتخريب والتقتيل، ثم تركوها وانسحبوا منها إلى مدينتهم الحصينة بأسوارها وخنادقها والأدغال الكثيفة والقنوات العديدة، وهذا ما جعلها تستعصي على الدولة العباسية.¹

عمل الزنج على قطع القناطر وتدمير الجسور وتضييق ممرات ومجاري الأنهار لسد الطريق في أوجه الأطراف المتحاربة -الجيش العباسي من جهة بقيادة الموفق طلحة أخ المعتمد وقوات الزنج من جهة أخرى-، ناهيك عن تدهور أوضاع الزراعة بسبب إقدام الزنوج

¹ - الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، المرجع السابق، ص 87.

على قطع النخل والأشجار وقتل الزراع وتخريب القرى والعيث في السواد واكتساحهم البصرة.¹

تضرر جراء أحداث ثورة الزنج كثير من الفلاحون، فالفلاحة على حد تعبير ابن خلدون "معاش المستضعفين، يختص أهلها بالمزمنة"،² فمنهم من هرب من وجه الزنج وترك أرضه،³ أما باقي الملاكين والفلاحين فقد كانت حاصلاتهم مهددة دوماً بالتهب والسرقة، وإزاء هذا الوضع المتردي فإنه من الطبيعي أن تتخفف إرادات الأراضي في هذه المناطق ويقل خراجها.⁴

بعد انتهاء خطر الزنج أصدر الموفق منشورا إلى جميع أقاليم الخلافة العباسية يعلمهم بانتهاء خطر الحركة والقضاء عليها، ويدعوا "أهل البصرة والابلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج وقتل الفاسق، وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم فسارع الناس إلى ما أمروا به" فسارع الناس بالرجوع.⁵

أيقن قادة الحركات الاجتماعية أن فئة الفلاحين هم الورقة الرابحة في حركتهم، فاستقطبهم بوعود تخلصهم من واقعهم المرير، فاستجابوا لذلك وثاروا ضد السلطة، وكان من فئات الثائرين بالسواد كما أورد ابن الجوزي " قوم ضعفت عقولهم وقلت بصائرهم وغلبت عليهم البلادة والبله، ولم يعرفوا شيئا من العلوم كأهل السواد... " وأهل السواد المعنيين هم من الفلاحين النبط المقيمين بمنطقة البطيحة، يضاف إليهم طائفة من الزنج المجلوبين من

¹ - حسين بن سعدون: البصرة ذات الوشاحين (التاريخ والسياسة والثقافة) 2500 ق.م - 1491م، مكتبة مدبولي، مصر، 2006، ص102.

² - ابن خلدون المصدر السابق، ص199.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج6، ص225.

⁴ - أحمد علي: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، دار الفرابي، بيروت، ط3، 2007، ص206.

⁵ - الطبري، المصدر السابق، ج7، ص663.

السواحل الشرقية الإفريقية لفلاحة الأرض الضياع واستصلاح الأراضي بمنطقة البصرة، وكذا عنصر الزط من فقراء الهنود¹؛ وقد تأثرت الزراعة باشتراكهم وانشغالهم عن أعمالهم.

كانت فترة "إمرة الأمراء (324-334هـ / 935-945م)" وبالأعلى على الدولة، فقد أدت الحروب بين المتنافسين على الإمارة وفوضى الجند، لخراب كثير من الأنهار وقنوات الري، حيث كانت اشتباكاتهم كثيرا ما تحدث بالقرب من ضفاف الأنهار وفوق مياهها، فينتج عن ذلك بثوق عديدة في الأنهار وتدمير للجسور والسدود التي تحتفظ بمخزون كبير من المياه للري.²

خلال النزاع بين الأميرين التركيين بجكم و ابن الرائق خرب هذا الأخير نهر ديالي، وفعل أفعالا كانت سببا لبثق³ النهروان فغلت الأسعار،⁴ وبتحويل النهروان إلى أسافل نهر ديالي واجهت كل منطقة كثيفة السكان مشكلة الشحة في الماء مما لم يكن له حل سوى الهجرة المؤقتة، فالإهمال القاسي لرفاه الفلاحين الاقتصادي كان له أثره ونتائج المفجعة وقد انعكست هذه الكارثة على بغداد حيث ندرت الحنطة.⁵

انبثق نهر الرفيل ونهر بوق سنة 329هـ/941م " فلم يقع عناية بتلفهما حتى خربت بادوريا بهاذين البثقين بضعة عشرة سنة" واشتد الغلاء في هذه السنة وبلغ الكر من الدقيق

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص297.

² - ضيف الله يحيى الزهراني: النفقات وإدارتها في الدولة العباسية 132 هـ - 334هـ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1404هـ، ص336.

³ - بثق : بَثَقَ النهر بَثْقًا وَبَثْقًا وَبَثَقًا: كسر شطه لينبثق الماء كبثقه واسم ذلك الموضع البثق، ج بثوق. الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817)، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص865.

⁴ - الصولي، المصدر السابق، ص106.

⁵ - روبرت ماك آدمز: أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهو ديالي، تر: صالح أحمد العلي وآخرون، المجمع العلمي العراقي، 1984، ص279.

مائة وثلاثين ديناراً وأكل الناس الحشيش، وكثر الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلاة،¹

انبثق النهروان نتيجة سوء تصرف ابن الرائق وجنده سنة 330هـ/942م ، ويصف الصولي أثر ذلك بأن خربت الدنيا وعلت الأسعار إلى وقتنا هذا أي لحوالي 334هـ/² وفي سنة 270هـ/884م انبثق نهر عيسى³ تكرر ذلك سنة 232هـ/944م،⁴ وفي سنة 333هـ/945م ولم يستطع أمير الأمراء إصلاحه،⁵ كما انبثقت به بثوق كثيرة سنة 367هـ/978م غرق بسببها خلق كثير نتيجة زيادة دجلة زيادة كثيرة؛⁶ ومما سبق يتضح اقتران حدوث البثوق بارتفاع الأسعار مما يدل على مساهمة إهمال مشاريع الري في تراجع جودة ووفرة المحاصيل الزراعية.

2-تطبيق أنظمة زراعية تعسفية.

أدت الاضطرابات السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية لاختلال إدارة الموارد نتيجة ضعف السلطة المركزية، فسعت السلطة القائمة غالباً إلى تعويض خسائرها المالية والعسكرية بفرض أنظمة زراعية ضارمة وجائرة على الفلاحين لضمان استمرار مواردها الاقتصادية.

عانى القطاع الزراعي في الدولة العباسية من عسف بعض أنظمة وأنماط ملكية الأرض، حيث اختلف نظام توزيع واستغلال الأراضي الزراعية والتصرف بها تبعاً لمجموعة

¹- مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص237.

²- الصولي، المصدر السابق، ص225.

³- الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص37.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص278.

⁵- مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص282.

⁶- ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص382.

من العوامل السياسية، فلجأت الخلافة العباسية لمنح وتمليك الأراضي الزراعية في شكل "إقطاعات عسكرية"، ولجأ الفلاحون "لإلجاء" أراضيهم مما أضر بالأرض والفلاح.

أ- الإقطاع العسكري:

قام العباسيون منذ بداياتهم في الحكم بالاستلاء على ضياع الأمويين وأمرائهم وأعوانهم ثم أقطعوا منها لأتباعهم؛ فقد واصلوا توزيع الإقطاعات كما كان سائرا تحت الحكم الأموي، إذ أنهم لم يحدثوا على النظام أية تعديلات جوهرية تميزه عن النظام الإقطاعي الأموي، فاستمر منح الأراضي من أراضي الموات والصوافي ومن أرض الخراج التي مات صاحبها دون وارث، وأحيانا من الأراضي السلطانية.¹

تعزز الإقطاع في الدولة العباسية خاصة في طورها الأول وذلك راجع لتوسع رقعة الدولة،² ورغبة الخلفاء الملحة لاستقطاب المؤيدين ومكافأتهم بمنحهم إقطاعات صارت ملكا خاصا لمقطعيها،³ قدمت هذه الإقطاعات كامتيازات ومنح إضافية كما أنها كانت محدودة جدا إذ انحصرت بعدد قليل من القادة الأتراك.⁴

¹ - فؤاد خليل: الإقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1996، ص 153؛ محمد نجمان ياسين: أرض الصوافي الأرض الخاصة بالدولة في الإسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العهد الأموي دراسة في الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص 41.

² - جمال رداحي: دور الإقطاع في ظهور الحركات الاجتماعية في الخلافة الإسلامية، مجلة مدارات تاريخية، مج 2، ع 6، (د.ت)، ص 326.

³ - غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث هجري الممارسات والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط 1، 1994، ص 323.

⁴ - حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي -مقاطعة فارس- 334هـ - 447هـ / 945م - 1055م، الدار الجامعية، 1987، ص 268.

كان الخليفة العباسي هو المانح الأول للإقطاع لا يشاركه في هذا الامتياز أحد، حيث تمنح أغلب الاقطاعات بملكية تامة أي "اقطاع تملك"،¹ ويجوز توريثها إلا أن هناك اقطاعات أخرى مؤقتة، ويمكن للخليفة استرجاعها متى شاء لأي سبب من الأسباب ويطلق على هذه الإقطاعات "المسترجعات"، لم يكن على صاحب الإقطاع شيء سوى دفع بعض الضرائب وتصلح القنوات والجسور التي تقع في أرضه.²

اشتراط في المستفيد من الإقطاع أن يكون قادراً؛ أي أن الإمام لا يجوز له أن يقطع إلا قادراً على الإحياء،³ وحددت المدة التي يمهل فيها المقطع من أجل إحياء الأرض المقطعة بثلاث سنوات، وذلك احتجاجاً بما صدر عن الخليفة عمر بن الخطاب، حين جعل أجل

¹- اقطاع "التمليك": عرفته المصادر بعدة تعريفات منها: " أن يدفع الأئمة إلى من يرون أن يدفعوا إليه شيئاً من الأراضي فيملك المدفوع ذلك إليه رقبته بحق الإقطاع ويجب عليه فيه العشر؛" قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981، ص218؛ كما يعرف بأنه "وحدته قطيعة، وهي أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبته وتسمى تلك الأرضون قطائع؛" الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (387هـ)، مفتاح العلوم، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989، ص86. "ويشترط أن لا يكون الاقطاع إلا في ما ليس له مالك، فإن كانت الأرض كذلك فأمرها على الإمام؛" أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ): الأموال، تح: محمود عمارة، دار الشروق، ط1، 1989، ص371؛ ويؤكد ذلك الماوردي حيث أورد أن السلطان يمنح من الاقطاع ما جاز فيه تصرفه، ونفذت فيه أوامره ولا يصلح فيما تعين فيه ماله وتميز مستحقه، وهو ضربان اقطاع تملك واقطاع استغلال" ويُقسم اقطاع التملك إلى اقطاع الموات واقطاع العامر؛ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص248

²- عبد العزيز الدوري: نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج20، 1970، ص15؛

³- الهيثمي شهاب الدين بن حجر (ت974هـ): حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، ج6، دار الفكر، (د.ت)، ص245.

الإقطاع ثلاث سنوات بقوله: "من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين فلم يعمرها قوم آخرون فهم أحق بها".¹

والنوع الثاني من الإقطاع السائد خلال هذه الفترة هو إقطاع "الاستغلال"² وهو أن يهب الخليفة خراج الأرض أو العشر لأحد معاونيه مدة حياته أو يقيد ذلك بسنوات معينة، وعادة ما تعطى هذه الاقطاعات لموظفي الدولة مثل الوزراء والقواد وأفراد الحاشية لتكون لهم عوناً إلى جانب الرواتب التي يتقاضونها، فإذا تقلد الوزير منصبه أقطع الخليفة ضيعة واسعة على أن يسترد منه هذه الضيعة في حالة عزله أو ووفاته،³ وهذا الإقطاع لا يورث مطلقاً.⁴

انتشر هذا النوع من الإقطاع انتشاراً واسعاً مع دخول الجند الأتراك وتملكهم زمام الأمور، حيث استُعِلَّت الأرض بمدة محددة يحددها الحاكم للشخص الذي منح الإقطاع على أن يؤدي خراج تلك الأراضي إلى الدولة، وأن يؤدي الالتزامات العسكرية الواجبة عليه في وقت الحرب وفي السلم أيضاً إن احتاج الحاكم.⁵

يشير الماوردي أن هذا النوع من الإقطاع يشمل أراضي الخراج،⁶ ويؤكد ذلك القلقشندي بقوله "وهو الذي يؤخذ فيه خراج الأرض ورقبتها باقية لبيت المال"،¹ كما ورد

¹ - الماوردي، المصدر السابق، ص 61.

² - إقطاع تملك وهو أن يملك الأرض ويقرر عليه قطيعة منه تأخذ لبيت المال وتسمى هذه المقاطعة؛ الماوردي، المصدر السابق، ص 248؛ القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي (ت 821هـ): مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراح، عالم الكتب، (د.ت)، ج 3 ص 210.

³ - أحمد شرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، 1981، ص 38.

⁴ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 47.

⁵ - مازن صباح عبد الأمير الاعرجي: الإقطاع العسكري وأثره على الأوضاع الاقتصادية في العراق بالعصر السلجوقي (447هـ-590هـ)، مجلة آداب المستنصرية، كلية التربية، قسم التاريخ، 2013، ص 5.

⁶ - الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 253.

تعريف الاقطاع كالتالي: "واقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج"² أي أنه قُرن بالأرض الخراجية فقط.

طالب الجند بزيادات في الأرزاق فكانوا يثيرون الشغب في معظم الأحيان لتحقيق مطالبهم، فكان الاتجاه في البداية إلى الزيادة في رواتبهم وهو ما كلف الدولة أموالاً طائلة يصعب توفيرها بسهولة؛ مما أجبر الخلفاء على البحث عن حلول سريعة لتوفير الأموال لسد حاجيات الجند وطلباتهم المتزايدة، فلجأوا للاقتراض من التجارة، وإنشاء مصرف رسمي مركزي يسلف الخلافة عند الضرورة، ولتنظيم أدق للميزانية والحسابات.³

لجأت الخلافة لبيع الضياع السلطانية من أجل توفير رواتب الجند المتزايدة، فاضطر الوزير ابن مقله تحت ضغط شغب الجند وإفلاس خزينة الدولة إلى بيع بعض الضياع السلطانية سنة 317هـ/930م، وباع الوزير الحسين بن القاسم بعض الضياع السلطانية بمبلغ خمسمائة ألف دينار لتسديد مرتبات الموظفين والجند سنة 319هـ/932م.⁴

بيعت بعض الأراضي السلطانية عند تولي الخليفة القاهر سنة 320هـ/933م، وباع أبو العباس النوبختي مفوضاً من الخليفة بعض الأراضي كما باع ابن مقله أراضي سلطانية جراء مليونين وأربعمائة ألف دينار تدخل إلى الخزينة، وقد استمرت هذه الأزمات ومعها

¹ - القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ): مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراح، عالم الكتب، (د.ت)، ج3، ص210.

² - الفيروزآبادي، المصدر السابق، ج3، ص71. الماوردي، المصدر السابق، ص253.

³ - عبد العزيز الدوري: نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج20، 1970، ص18.

⁴ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص109.

بالتوازي بيعت الضياع السلطانية، حتى بعد خلع القاهر سنة 322هـ/935م وحتى دخول البويهيين بغداد؛¹ وهكذا بدأ التناقص في تلك الضياع السلطانية لصالح الإقطاع العسكري.

وبشكل أكثر دقة فإن الأراضي السلطانية التي كانت تتبع الخليفة مباشرة تم اقطاعها للقواد الترك بديلاً عن الرواتب والعطاءات فأصبح اقطاع استغلال أول الأمر، وشيئاً فشيئاً أصبحت اقطاعات تملك ووراثته، وبدأ الإقطاع بالأرض الزراعية ثم شمل الولايات والمدن والكور التابعة للخليفة مما أدى لتراجع مساحة الدولة العباسية،² (أنظر الملحق رقم 6، ص386)

بدأ الإقطاع مرحلة جديدة مع دخول البويهيين بغداد سنة 334هـ/946م، حيث انتقلت الأراضي الزراعية من أيدي الخلفاء العباسيين إلى الأمراء البويهيين، فأصبح معز الدولة البويهي القاطع الثاني بعد الخليفة فله الحق أن يقطع من يشاء من الموظفين والقادة العسكريين.³

بمرور الوقت وبسبب تراجع صلاحيات الخليفة و تزايد نفوذ الأمير البويهي بحكم القوة العسكرية لم يبق الخليفة هو المسؤول الأول، فالأمير البويهي هو من يتحكم في الأراضي الزراعية بل وصل الأمر أن يقطع الخليفة ذاته؛ حيث أقطع معز الدولة أرضاً للخليفة ومن أيرادها يعيش، بلغ مقدار خراجها ألف دينار في السنة وعين له كتباً للنظر في تلك الأعمال.⁴

¹ - المصدر نفسه، ج5، ص114.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 51.

³ - المرجع نفسه، ص51.

⁴ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص286.

يرى "بولياك" أن أصول الاقطاع العسكري الاسلامي ترجع إلى المؤثرات التركية الماغولية، وفي نظره بدأ هذا النظام في دولة محمود الغزنائي ثم انتقل إلى السلاجقة،¹ أما "لوكجارد" فيرى أن ذلك راجع إلى تنامي دور العسكريين وإقامتهم في المناطق الحدودية للدولة ورأى أن لذلك جذورا ترجع إلى ما قبل الاسلام،² ويؤكد "كلود كاهن" دور سيطرة العسكريين في ذلك منذ القرن الثالث هجري،³

يضيف طرخان لذلك ازدياد ضعف الخلافة العباسية وسوء تصرف البويهيين في الاقطاعات،⁴ يربط الدوري ظهور وانتشار هذا النظام لماضي البويهيين ووضعهم الحضاري بل وخاصة إلى جذورهم القبلية الإقطاعية التي استندوا عليها في انتهاجهم خط الاقطاع العسكري.⁵

في حين يرجع محمود اسماعيل ذلك الى حاجة الدولة للجند إضافة للأزمة المالية، فلم يكن ثمة حل إلا اقطاع الأرض للجند في مقابل الخدمة العسكرية خاصة مع انهيار الخلافة العباسية سياسيا، فاذا ما أدركنا أن العسكر شكلوا القوة الضاربة على الصعيدين السياسي والاجتماعي أمكن تفسير ايلولة معظم الاراضي الزراعية إليهم كإقطاعات ممنوحة من قبل الدولة؛ حتى أنها اغتصبت قسرا من مالكيها القدامى خاصة بعد استفاضة الحلول الأخرى، كبيع أراضي الدولة وممتلكات الخلفاء الخاصة والاستدانة من التجار والمصادرات وزيادة الجبايات، فتلك الاجراءات لم تقدم حلا ناجعا بقدر ما أدت إلى مزيد من تفاقم الأزمة

¹ -Abderaham N poliak :la féodalité islamique ،editions geuthner، 1936، p 254 .

² -Lookkegaared: islamique taxation in the islamic period ،braner ogkorch ،1950، 64.

³-Claude cahen L'évolution de l'iqṭā' du IXe au XIIIe siècle : contribution à une histoire comparée des sociétés médiévales annales، 1953, p 32 .

⁴ -طرخان ابراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص71.

⁵-عبد العزيز الدوري، نشأة الاقطاع العسكري، ص20.

المالية، وبالتالي مزيدا من الأزمة السياسية التي أسفرت عن فوزى يستفاد منها الطامعون في السلطة والاقطاعيون.¹

يعود سبب اتساع الإقطاع العسكري لنقطة الضعف الأساسية في الجيش البويهى وهي تركيبته المزدوجة؛ إذ كان يتركب من عنصرين متنافسين هما الديلم والأتراك، ونظرا للعداوة المتأصلة بين القوميتين؛ فقد كان من المستحيل دمجهما في جيش نظامي واحد، فركن الدولة كان يفسح لجنده وعسكره على طريق مداراتهم ما لا يمكن لأحد تلافيه وردهم عنه، وكان مضطرا لفعل ذلك لأنه لم يكن من أهل بيت الملك، ولا كانت له بين الديلم حشمة يمثل جميع أمره، وإنما يرأس عليهم بسماحة كثيرة كانت فيه، ومسامحتهم في أشياء لا يحتملها أمير من مأمور.²

أمام صعوبة السيطرة على هؤلاء الجند؛ ولتثبيت أركان السلطة البويهية قادت الضرورة إلى ارتباط الأتراك وزيادة تقربهم والاستظهار بهم على الديلم؛ لذلك قام معز الدولة بالزيادة في أعدادهم وتوسع في منحهم الإقطاعات وفي زيادتها لهم، وكانت هذه الإقطاعات من ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيراز وحق بيت المال في ضياع الرعية، وتبعاً لذلك أصبحت جل أراضي السواد في عهد معز الدولة مقطعة للقادة الجند وخاص منهم الكوفة،³ فأذكى ذلك روح المنافسة والتحاسد بين الطرفين، فتعددت الفتن بينهما لأنه حسب قول مسكويه، "بحسب انصراف العناية إلى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك،

¹ - محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الاسلامي طور الازدهار، سينا للنشر، القاهرة، ط3، 2000، ص26.

² - مصطفى التوايتي: الأدباء والمفكرين وعلاقتهم بالسلطة في العهد البويهى، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 1995، ج1، ص95.

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج6، ص283.

فسدت النيات وفسد الفريقان، فالأتراك فبالطمع والضرارة، وأما الديلم فبالضرر والمسكنة، واشتدت الفتن بين الفريقين".¹

لعل أخطر حدث وقع في هذا الصدد التمرد الذي قام به الديلم ضد معز الدولة سنة 337هـ/949م وكادوا يقضون فيه على الحكم البويهى في البلاد، لولا وقوف جنوده الأتراك لجانبه وعقب القضاء على هذا التمرد، أطرده الأغلبية المطلقة من العساكر من الدلم فانضاف منهم إلى صفوف العامة، مضخمين بذلك أعداد المهمشين الناقمين على الدولة.²

عمل البويهيون على التوسع الاقطاعي كفسلفة في تعاملهم مع الجيش أو مع الإدارة المدنية، حيث أصبح البديل الطبيعي للعطاء والرواتب الخاصة للجند في الجيش،³ حيث أنهم واصلوا منح الإقطاعات للجند بدلا من الرواتب حيث كانت رواتبهم تدفع من بيت المال العباسي، وكثيرا ما يتأخر صرفها مددا متفاوتة نظرا لما تمثله من ثقل على الخزينة، وعادة ما أدى هذا إلى تفجير الوضع وشغب الجند ومطالبتهم بأرزاقهم بل وإلى اندلاع حركات تمرد وثورات داخل الجيش،⁴ فنتج عن ذلك كله مزيد من التدهور في الأوضاع الاقتصادية

كثيرا ما لجئ الأمراء البويهيين لفرض ضرائب عالية ليست لها أصول في الشريعة الإسلامية مما كان يربك المجتمع وتنعكس آثاره السيئة على الإدارة والمجتمع، ذلك أنهم وجدوا أنفسهم في عجز عن تأمين مرتبات الجند وتلبية طلباتهم المادية المتكررة والكبيرة،⁵

¹ - المصدر نفسه، ج5، ص283.

² - المصدر نفسه، ج5، ص291.

³ - حسن منيمنة، المرجع السابق، ص342.

⁴ - ضيف الله الزهراني، المرجع السابق، ص298.

⁵ - حسن منيمنة، المرجع السابق، ص268.

فالمرتبات كانت تدفع أحيانا مقدما وربما لأكثر من شهر واحد ولذلك فإن حالات الأزمات أو عند مبايعة خليفة جديد.¹

شمل الاقطاع العسكري كل أنواع الأراضي تقريبا حيث أقطعت جل الأراضي في السواد للجند، وكان كلما ضعف الأمير البويهى توسعت اقطاعات الجند، وذلك لارتهان الأمراء البويهيين للجند خاصة في مرحلة ما بعد عضد الدولة (338هـ-372هـ/ 949هـ-982م)، أدى إلى انفلات الجند من السيطرة على الإقطاعات والاستلاء على الأراضي.²

يدل هذا على اتساع الأراضي الإقطاعية على حساب الأراضي الأخرى؛ فقد شمل الاقطاع حتى الأراضي الوقفية، التي كانت وفقا لجهة ما أو منفعة ما من المنافع العامة، ومتى تم وقف الأرض لم يعد بالإمكان التصرف فيها بأي طريقة من الطرق.³

لم تكن هذه الاقطاعات في جملة الاقطاعات تُملَّك بل كانت اقطاعات استغلال، وبما أن أصحابها أخذوها مقابل أجورهم ورواتبهم، فقد وقع توزيعها عليهم بحسب استحقاقات كل واحد منهم، فكان يحسب ناتج الضياع المقطعة سنويا وهو ما يسمى العبرة، حتى يأخذ كل مقطع من الضياع ما يساوي دخلها قيمة أجوره وأرزاقه السنوية، وكان ذلك مدخلا لتلاعبات كثيرة جلبت أضرار فادحة على خزينة الدولة، لأن الوزراء وأصحاب الدواوين والمهندسين والمساحين، كانوا يأخذون الرشاوي من هؤلاء المقطعين ويقبلون الشفاعات في البعض منهم، فحصلت لهم الإقطاعات بعبر متفاوتة وهي غالبا أقل من قيمتها الحقيقية.⁴

¹- ضيف الله الزهراني، المرجع السابق، ص299.

²- منيمنة، المرجع السابق، ص269.

³- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص49-50.

⁴- مصطفى التوايتي، المرجع السابق، ص96.

توسع نطاق الإقطاع العسكري زمن بختيار بن معز الدولة، الذي خلف أباه في حكم العراق سنة 356هـ ولعل من أهم ما قام به هذا الأمير في مجال الإقطاع هو نفيه لكبار رجال الديلم طمعا في إقطاعاتهم وأموالهم وبالتالي تسنت له السيطرة على جميع هذه الإقطاعات،¹ كما استولى على إقطاعات صاحب الجيش سبكتكين الموجودة بالأهواز والقبض على جميع وكلائه وعماله هناك سنة 363هـ.²

كانت الآثار الاقتصادية كبيرة وعميقة في سلبياتها على اقتصاديات البلاد، فالزراعة شهدت انهيارا كاملا، لأن العسكر الذين سيطروا على الإقطاعات العسكرية لم يكن عملهم الزراعة وبشهادة مسكويه حيث يقول: "فسدت المشارب وبطلت المصالح لأن المقطعين بقوا من غير تفتيش ومن غير إشراف على احتراس من الخراب"،³ والأسوأ من ذلك أنهم كانوا يتركونها بعد ذلك فيعوضهم السلطان البويهى منها من حيث يختارون والنتيجة واحدة وهي زيادة مساحة الأراضي المهملة وتناقص إنتاجها، وذلك بجانب ما يلحق أهالي الإقطاعات من ظلم وحيف ومصادرات، اشتد الاضطراب وزاد الخلل على عهد بختيار بن معز الدولة حيث اتفقت كلمة الأتباع من الترك وغلمان القصر على ألا يعارض كل منهم صاحبه في "طلب الحظ لنفسه" مما أجبر السلطان على أن يضمن لهم جميع ما التمسوه، فأهلك دولته بإقطاع الإقطاعات وإيجاب الزيادات.⁴

¹ - مسكويه، المصدر السابق، ج6، ص353، 354.

² - ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص339.

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص282.

⁴ - طورخان: الإقطاع الاسلامي أصوله وتطوره دراسة مقارنة. المجلة التاريخية المصري، المجلد 6، العدد6، 1957، ص71.

يصف مسكويه حال المزارعين بقوله: " وصاروا بين هارب حال وبين مظلوم صابر لا ينصف، وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شره ويرافقه"¹، فكان حالهم سيئاً يعيشون تحت رحمة من يتحكم في إقطاعاتهم، هربوا تاركين الأراضي للخراب فقد كان هؤلاء الوكلاء الذين يتحكمون في الإقطاعات الكبيرة يعاملون الفلاحين معاملة سيئة، لأن مهمهم هو الاستيلاء على الجباية والخراج وهو ما أثر في الزراعة وأحوال المزارعين.²

كانت أحوال الفلاحين تزداد سوءاً بينما كانت الطبقة المقطعة تزداد ثراءً وتسلطاً، مستغلة في ذلك ضعف الخلافة وعدم قدرتها على الردع، لذلك اتسعت الهوة بين الطبقات وبلغ التناقض الاجتماعي مداه،³ فئة تستحوذ على أراضي شاسعة وتستفيد من عدة امتيازات وتمتلك وسائل الإنتاج، وفئة أخرى محرومة وتعيش حياة جد صعبة الشيء الذي أدى لقيام عدة ثورات وانتفاضات.⁴

خلف الاقطاع العسكري نتائج سلبية أضرت النشاط الصناعي والتجاري اللذان كانا يرتبطان إلى حد كبير بالمنتوج الفلاحي (صناعة النسيج والعمود.... تجارة الحبوب والمواد الغذائية المختلفة...)، ولم يعد الفلاحين وصغار الملاك وحدهم يعانون من تسلط الجباة فأصبح هؤلاء والثناء أي رؤساء القرى معا تحت رحمة أصحاب الإقطاعات الجدد والجباة المتقبلين للضمانات من الدولة وطمع مختلف الموظفين المشتغلين في الحسابات تلك الآداءات وتقديرها واستخلاصها.⁵

¹ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص282.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص64.

³ - محمود اسماعيل: مذاهب اسلامية في الميزان رؤية معاصرة، دار القلم، بيروت، (د.ت)، ص117.

⁴ - رداحي جمال، المرجع السابق، ص327.

⁵ - مصطفى التوايتي، المرجع السابق، ص98.

ب- نظام الإلجاء:

الإلجاء: لغة من الفعل "لَجَأَ" وَلَجَأَ إِلَى الشَّيْءِ وَالْمَكَانِ لَجَأًا وَلُجُوءًا لَازِئًا عَلَيْهِ وَاعْتَصَمَ بِهِ، وَيُقَالُ لَجَأَ إِلَى فُلَانٍ: اسْتَدَّ إِلَيْهِ وَاعْتَصَدَّ بِهِ وَلَجَأَ عَنْهُ، عَدَلَ عَنْهُ عَنْ غَيْرٍ،¹ وَاللَّجَاءُ إِلَى الشَّيْءِ: اضْطَرُّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّجَاءُ: عَصْمَةٌ، وَالتَّلَجُّتُ: الْإِكْرَاهُ وَهِيَ "تَقْلَعُهُ" مِنَ الْإِلْجَاءِ كَأَنَّهُ قَدْ أُلْجَأَ إِلَى أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا بَاطِنُهُ خِلَافَ ظَاهِرِهِ، وَأُحْجِجُكَ إِلَى أَنْ تَفْعَلَ فَعَلًا تَكْرَهُهُ.²

يعرفه الخوارزمي: أَنْ يُلْجَى الضَّعِيفُ ضِيعَتَهُ إِلَى قَوِيٍّ لِيَحَامِيَ عَلَيْهَا، وَجَمْعُهَا: الْمَلَاجِي، وَالتَّلَاجِيُّ وَقَدْ يُلْجَى الْقَوِيُّ الضَّيْعَةَ وَقَدْ أُلْجِئَهَا أَصْحَابُهَا إِلَيْهِ،³ فَالْمُرَادُ بِالْإِلْجَاءِ كِتَابَةُ الرَّجُلِ أَرْضَهُ بِاسْمِ أَمِيرٍ قَوِيٍّ يُلْجَأُ إِلَيْهِ وَيَحْتَمِي بِهِ، وَحِينَئِذٍ يَقُومُ صَاحِبُ النُّفُوزِ بِدَفْعِ الْخَرَاجِ، وَيَتَوَلَّى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَالِيَةِ حَتَّى تَصِيرَ فِي الْغَالِبِ إِلَيْهِ، وَيَصْبَحُ مَالِكُهَا الْوَحِيدُ.⁴ يُمْكِنُنَا أَنْ نَسْتَنْتِجَ مَا طُبِقَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِ الْإِلْجَاءِ حَيْثُ أَنَّهَا تَمْنَحُ إِسْمًا لِمَنْ يَحْمِيهَا فَيُخَفِّفُ عَنْ صَاحِبِهَا مَا يَدْفَعُ مِنْ أَمْوَالٍ لِبَيْتِ الْمَالِ وَمَا كَانَ يَتْبَعُهَا مِنْ إِضَافَاتٍ لِلْجَبَاةِ الْمُتَعَسِّفِينَ وَهَذَا مَا يَظْهَرُ تَأْثِيرَ الْمَحْسُوبِيَّةِ فِي الْجَبَايَةِ.

كان الإلجاء معروفًا قبل الإسلام في كل من الدولة الفارسية والبيزنطية وهو ما عرف "بنظام الحماية" حيث لم يكن الإلجاء إسلامي الأصل، ولم يعرف في العهد الإسلامي إلا في الدولة الأموية والدولة العباسية بصورة الإلجاء أي أنه كان بديلاً عن نظام الحماية البيزنطي.⁵

¹ - مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص 815.

² - ابن منظور، المصدر السابق، ج 1، ص 152.

³ - الخوارزمي، المصدر السابق، ص 87.

⁴ - ابن قدامة، المصدر السابق، ص 380.

⁵ - عالية أحمد عبد الحميد شعبان: نظام الإلجاء في العصرين الأموي والعباسي الأول ((41هـ/232هـ/ 661م-847م)): مجلة التاريخ والمستقبل، العدد 73، جامعة المينا، 2023، ص 192.

استمر "نظام الإلجاء" خلال العصر العباسي لأن مظاهر التعدي والعسف من قبل عمال الخراج ظلت موجودة، خاصة في الأطراف لبعدها عن مركز الدولة، وهناك من الشواهد ما يؤكد ذلك، حيث سارع بعض المزارعين من أهل الأهواز إلى الاحتماء بأبي أيوب المورياني وزير المنصور، كذلك ما قام به أهل شعبية في الفرات من إلجاء أراضيهم إلى علي بن الرشيد، بالإضافة إلى كثرة الوقائع في إقليم فارس¹.

اتسع "نظام الإلجاء" بسيطرة الأتراك على الإقطاع حيث تنازل صغار الملاكين طوعية عن أراضيهم لتكون في حماية الأمراء والولاة وأصحاب النفوذ وذلك مقابل دفع جزء من الحاصل إلى الحامي، فالطبقة العسكرية الجديدة أصبحت طبقة اقطاعية ولذلك انتقل "نظام الإلجاء" من الصفة المدنية إلى الصفة العسكرية².

عانت الخلافة من فتن وثورات في كثير من الأحيان، وما يتبع ذلك من غارات للجيش والقبائل على المزارع والقرى ونهب وسلب و اتلان محصولاتهم أو ربما لاشتراك بعض الفلاحين والمزارعين في تلك الحركات، كان هذا سبب فقدان الأمن والاستقرار في تلك الأرياف، مما دفع المزارعين والملاكين الصغار أن يبحثوا لأنفسهم عن حماية ليحموا بها أنفسهم وأرضهم خارج سلطات الدولة، وتبرز هذه الحاجة الماسة بصورة خاصة في الأماكن البعيدة عن مركز السلطة المركزية؛ حيث لا يجد السكان أمنهم وطمأنينتهم في ظل مؤسسات الدولة البعيدة عنهم، أو لانشغال تلك المؤسسة في إخماد الفتن والثورات المضادة لها، أو عندما تفرض على الفلاحين ضرائب غير شرعية أو عندما يتعسف بهم الجباة،

¹ - عالية أحمد، المرجع السابق، ص 187.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 55.

فيضطر السكان آنذاك للإلجاء إلى أي متنفس أو قوي ليستمدوا منه العون لحماية أرواحهم وأموالهم مقابل التنازل عن أملاكهم الخاصة.¹

لجأ بعض الفلاحين لهذا النظام فرارا من الضرائب أو التشدد في جمعها، لذا فهم يُلجؤون أراضيهم إلى بعض الكبراء في ديوان الضياع فيمتنع جباة الضرائب عن التعرض لهذه الضياع أو استعمال القسوة أو الشدة في جباية الضرائب، وبمرور الوقت يفقد صاحب الضيعة ملكيتها ويحتفظ بحق الانتفاع بها، بينما يتمتع الملجأ إليه بحق بيعها أو توريثها لأبنائه،² فقد اجتمع عسف الإقطاعيين إلى ظلم الجباة مما أدى لزيادة وقائع الإلجاء.

كانت النتيجة النهائية لهذه الحالة هي أن الجيش أدرك بأن الإلجاء مشابه للإقطاع العسكري ولذلك فقد أخذ العسكر الكثير من الأراضي الملجأة من العمال ولكنهم فشلوا في دفع الواجبات المالية وأصبحت هذه الطريقة قناة أخرى لتوسع القطاع العسكري وكانت النتيجة لهذا التوسع هو التدهور الاقتصادي.³

3- تراجع العديد من الصناعات

شكلت الصناعات⁴ جزءا أساسيا من الاقتصاد في الدولة العباسية، حيث أنها شهدت تطورا هائلا بفضل مجموعة من العوامل التي خلقت بيئة مناسبة لتطور النشاط الصناعي

¹ - عالية أحمد عبد الحميد شعبان، المرجع السابق، ص 178.

² - جاسم صكبان علي: دراسات في تاريخ الإقطاع في العصور الإسلامية، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 4، 2015، ص 10.

³ - جاسم صكبان علي، المرجع نفسه، ص 20.

⁴ الصناعة: بالكسر حرفة، الصانع وعمله الصناعة؛ الرازي محمد ن أبي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، الكويت، (د.ت)، ص 155. إن أتم وصف للصناعات في العصر العباسي نجده في رسائل اخوان الصفا ففي هذه الرسائل نجد الحرف مصنفة بأشكال مختلفة وفق أسس متعددة، فقد صنّفوا الصناعات حسب فائدها إلى : الصناعات الضرورية للمجتمع كالزراعة والحياكة والبناء، و صناعة تأتي في الدرجة الثانية فهي إما تابعة للأولى أو مكملتها فمثلا لا تتم الحياكة إلا بصناعة الغزل وصناعة الغزل لا تتم إلا بصناعة الحلج و

بما يتماشى مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع في ذلك الوقت، فأصبحت الحرف والصناعات بذلك مصدر دخل للكثيرين من أفراد المجتمع، كما أنها ساهمت في خلق أسواق حيوية مزدهرة تم فيها تداول وبيع المنتجات الحرفية المحلية والمستوردة.

ومن تلك العوامل:

ت- سياسة الخلفاء الاقتصادية اتجاه الصناعة القائمة على دعم وتنمية وتشجيع النشاط الصناعي، فقد عمل خاصة خلفاء العصر العباسي الأول على توفير المواد الأولية الزراعية والمعدنية والحيوانية سواء من داخل البلاد أو خارجه.¹

اهتم الخلفاء وولاة الأقاليم بالصناعة من منطلق أنها من أهم المؤشرات الدالة على التقدم والتحضر داخل الدولة ، وعملوا على تنشيطها وتطويرها وإقامة صناعات جديدة، كما وفروا جميع الشروط التي تضمن جودة وكفاءة المنتج لتوجيهه للبيع في الأسواق المحلية والخارجية، وذلك من خلال منح الحرية للقوى البشرية لممارسة الأنشطة الحرفية والاستفادة من خبرات الوافدين، وتسهيل الحصول على المواد الخام، ووضع شروط وضوابط تنظيمية للعملية الصناعية(تنظيم توزيع الصناعات في السوق بما يضمن السير الحسن للعملية الانتاجية، تعيين من يتولى أمر مراقبة جودة الصناعات).

صنائع للجمال والزينة: مثل صناعة العطور وصناعة الحرير، كما صنّفوها حسب موضوع الصناعات إلى نوعين وهما: الصنائع الروحانية: وتشمل المهن الفكرية، الصنائع الجسمانية وتشمل الحرف اليدوية، كما أنهم صنّفوها حسب قيمة إنتاجها فهي تتميز من خلال قيمتها والحاجة إليها وفائدتها للناس وصنّفوها وتصنيفها تصنيفاً رابعاً حسب الأدوات والآلات المستعملة فيه؛ اخوان الصفا، المصدر السابق، ج1، ص 281-283.

¹ - أيوب مشايرية، رابع أولاد ضياف: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الاول (132هـ-232هـ/ 749م-847م)، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، -قسنطينة-، المجلد: 35، الع1، 2021، ص1272.

ث- ساهم تغير نظرة العاملين لمسألة السعي لطلب الرزق والعمل بالصناعة في ازدهارها، هذه النظرة المستمدة من الكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾¹، حيث حسم الإسلام مسألة السعي في طلب الرزق ورغب بها أي ترغيب، حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره، كما حثنا على استغلال الموارد ونبه العقول على الاستفادة من الثروات الطبيعية -في مختلف صورها- في آيات كثيرة، منها² قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾³ وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾⁴.

ج- إضافة لوفرة الايدي العاملة⁵ وكثرة الأهالي حيث تميز المجتمع العباسي بتنوع عناصره ما أدى إلى تنوع المهن، والتناسب مع تقسيم العمل، والذي بدوره انعكس على الانتاج الصناعي⁶، فالطبقة العاملة تكونت من فئات متعددة عرب وغير عرب، مسلمين وغير مسلمين، أحرار وعبيد، وقد عبر صاحب المستطرف عن ذلك بقوله:

¹ - سورة الجمعة الآية 10.

² - أنور أحمد خان البغدادي: الحرف والصناعات في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013، ص 65.

³ - سورة الحديد، الآية 25.

⁴ - سورة ياسين الآية 34 - 35.

⁵ - بعد بناء بغداد وتدفق الهجرات إليها ازداد عدد قاطنيها بصورة كبيرة، يقول موريس لومبار: "اذ قيل في ساويولو انها أسرع مدن العالم نموا (60000 نسمة في سنة 1888م) و (2مليون نسمة في سنة 1950م) فماذا نقول نحن عن في بغداد التي زاد عدد سكانها في ظرف سنوات أقل أي من سنة 762م حتى سنة 200م من بعض مئات ليلين مليوني نسمة؛ موريس لومبار: الاسلام في مجده الأول من القرن 2 الى القرن 5هـ (8 - 11م)، تر: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 2003، ص 181.

⁶ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 39.

تأملت أسواق العراق فلم أجد دكاكينهم إلا عليها المواليا جلوسا.¹

ح- عمل الخلفاء العباسيون على نقل الكثير من الصناعات والحرف إلى مدن البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وغيرها من العواصم الجديدة، التي جذبت العمالة إليها لتوافر فرص العمل، فأقدم بعضهم على تعلم الصناعات على أيدي أرباب تلك البلاد،² خاصة وأن الدولة أباحت الهجرة إلى المدن؛ فقد سمح لأهل مدن مرو وبخارى وخوارزم بالسكن في مدينة بغداد،³ فانتقل أهل الصناعات إليها من كل بلد وأتوها من كل أفق،⁴ ما جعل ابن الفقيه يصفها بقوله: "قل في عجائب بغداد ما شئت التي قد إجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات".⁵

ومن أمثلة تأثر العرب بالأمم والشعوب التي احتكوا بها من الصناعات، إنشاء دور السكة والمصابغ ودور إنتاج البردي البيزنطية، فقد سمح العرب لهذه الصناعات بالاستمرار تاركين إياها بأيدي أهل البلاد الأصليين، بل تتلمذ الكثير من الصناع العرب على يد أرباب الصناعات الفنية في تلك البلاد وحاولوا تقليده أو نقل الصناعات إلى العراق في العواصم التي تم إنشائها؛ وحظيت بالدعم الكبير من الخلفاء العباسيين، فعندما أراد المتوكل بناء سامراء قام بجمع الصناع من أقاليم مختلفة وأدى هذا إلى خلق تجمعات وتكتلات، ولاشك

¹ - الأبهشي شهاب الدين احمد (ت850هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، المطبعة العامرة المليجية، ط1، 1911، ص23.

² - سليم أبو طالب سليم: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الاسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الاشعاع، 1999، ص137.

³ - صباح الشخيلي: الاصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بيت الوراق، ط1، 2010، ص31.

⁴ - اليعقوبي، المصدر السابق، ص25.

⁵ - الهمذاني ابن الفقيه ابي بكر أحمد بن محمد (ت290هـ): مختصر تاريخ البلدان، درا احياء التراث العربي، بيروت، 1888، ص252.

أن تجمع مثل هذه الأعداد الكبيرة من العمال والصناع من كل أمصار الدول كان له أبعد الأثر في ازدهار الصناعة نتيجة الاحتكاك وتبادل المعرفة والخبرات.¹

أدت الطبقية في سلم الحرفيين ، لخلق تناسب في تقسيم العمل، إذ اختص كل فرد بمهام معينة حسب رتبته في الهرم الحرفي، وهذا ما كفل السير الحسن للعملية الانتاجية وخلق جوا من التكامل بين العاملين في المحل، وما سهل تحول المادة الأولية البسيطة لمنتج موجه للبيع، حيث كان لكل حرفة (رئيس) من أعضائها تعينه الحكومة أو تعترف به، ويليهم الأساتذة وهم المتقدمون في الحرفة، ويليهم الصناع، وهم الذين أتقنوا الحرفة وبإمكانهم فتح حوانيت خاصة بهم للعمل مستقلين، وأدنى درجة في الحرفة تتمثل في المبتدئين الذين ينتسبون الى الحرفة ولا يزالون في مرحلة التعلم.²

المعتاد في الصناعة هو حانوت يديره صانع واحد أو عائلة أو عدد من الشركاء، وقد يعمل الصانع في بيته، وقد يعمل بمفرده أو يكون معه عدد من المبتدئين يتدربون عليه ويساعدونه، وتتوقف سعة الحانوت من حيث عدد العاملين على نوع الصناعة وإمكانية الصانع، وعادة كان الصناع يشتغلون لحسابهم ويبيعون انتاجهم لكن في بعض الاحيان كانوا يعملون لحساب غيرهم من المستهلكين مقابل أجور يومية أو حسب وحدة الانتاج، وكان كل صانع يفضل حرفته على جميع الحرف الأخرى.³

خ- ساهم توفر المواد الأولية في ازدهار الصناعة، فهي وسط بين مواد أولية محصلة ومحسنة تأخذ فتعمل فيها عملها فتحولها إلى مواد أخرى صالحة للاستخدام، فقليل في هذا

¹ - صباح الشخيلي، المرجع السابق، ص 30-31.

² -فايزة عبد الرحمان حجازي: أهل الحرف والصنائع في بغداد في العصر البويهي، المنارة، المجلد 22، العدد 1، 2016، ص 213.

³ -عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 115- 116.

الصدد "أن الغاية من العلم العمل، والعمل على ثلاثة أنواع: محصل، محسن، ومغير، فالزراعة تشترك بين الأول والثاني والصناعة تقع بين الثاني والثالث".¹

تعتمد الصناعة إذن بدرجة كبيرة على مواد أولية خام أو طراً عليها بعض التحويلات لتصبح قابلة للاستعمال، فقد ساهم توفر الموارد والثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية في دعم النشاط الصناعي، كما ساهم تأمين طرق التجارة البرية والبحرية في توفير مختلف المواد الرئيسية والكمالية للعمليات الصناعية والحرفية، فازدهرت الصناعات النسيجية والخشبية، الغذائية، والصناعات الحربية وصناعة الورق والزجاج....

¹-يعقوب صروف وفارس نمر: استخراج المعادن، مجلة المقتطف، بيروت، مج1، الع3، 1972، ص61.

قامت الدولة بتمويل انشاء وتشغيل المشروعات الاستراتيجية المتعلقة بالأمن والدفاع كصناعة بناء السفن و انتاج السلاح وضرب العملة لتمكين الدولة من أداء مهامها في الحماية والأمن، أما باقي الصناعات فقد ترك للناس أمر النهوض بها وحرية تسعير منتجاتها بعد أن يسرت لهم الدولة سبل انتقال المواد الأولية اللازمة للإنتاج وتسويق منتجاتها وتهيئة المناخ الملائم للإنتاج من باب "توسيع المعاش" على الناس، وبذلك أفسحت الدولة المجال للمبادرة الفردية وحرية الابداع والتجديد والابتكار دون أن تتغمس في الانتاج المباشر واقتصر دورها في خلق المناخ الملائم للإنتاج.¹

د-ازدهار العمران يرفع قدر الصناعات في المجتمع ازدهار العمران وهذا ما أقره ابن خلدون وكرره في أكثر من موضع في مقدمته، بقوله: "ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"،² كما أنه يرى "على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة"،³ فكلما ازداد العمران وازدهر طلب فيه الكمالات، وكان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها، فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها"⁴ فالتوسع العمراني والتطور الحضاري الذي عرفته الخلافة أدى لانتشار صناعة أدوات الترف التي يستعملها الأغنياء بشكل خاص اضافة للعديد من الصناعات الضرورية.⁵

¹ - سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص 139.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص335.

³ - المصدر نفسه، ج1، ص335.

⁴ - المصدر نفسه، ج1، ص 336.

⁵ - عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، تاريخ العراق الاقتصادي، ص115- 116.

ذ- اهتم الخلفاء كذلك بالأسواق وتنظيمها باعتبارها ركيزة أساسية في اقتصاد الدولة ومجالاً للإنتاج والبيع ومورد مالي يمتاز بالثبات والدوام، وقد ظهر ذلك عندما وضع الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة (145هـ / 762م) اللبنة الأولى لتأسيس مدينة بغداد فقام بنقل الأسواق من خارج العاصمة إلى الكرخ، وعمل على تأمينها وتنظيمها تنظيمًا دقيقاً¹.

ويعطينا اليعقوبي وابن رسته وصفاً لأسواق الكرخ وطريقة تنظيمها إذ كان فيها "لكل تجارة وتجار شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنف ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم وكل سوق مفردة وكل اهل صنف مفردون بتجاراتهم"².

وذلك ما يضمن السير الحسن للعمليات التجارية والصناعية، خاصة وأن طبيعة بعض الصناعات تثير الضجر بسبب صوت الدق وما يحدثه من ضوضاء و بعض الصناعات التي عادة ما ينتج عنها أوساخ بسبب موادها الأولية أو مخلفاتها، وبعض الصناعات التي يستلزم قيامها توفر شروط النظافة كالصناعات الغذائية.

¹ - علي كاظم عبدالله، المرجع السابق، ص 54.

² - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 24؛ ابن رسته، المصدر السابق، ص 246.

استمرت بغداد على ما نظمت عليه أسواقها منذ تأسيسها، فقد وجدت محلات كثيرة فيها محلة البزازين ومحلة أصحاب الصابون ومحلة السواقين ومحلة القطنين،¹ وأيضاً هناك محلات متخصصة في صناعة من الصناعات مثل محلة التسترين² في الجانب الغربي من بغداد ومحلة العتابة التي كانت مشهورة في جميع البلدان الإسلامية في صنع الملابس العتابية، وأيضاً كان هناك الأسواق والمحلات في الجانب الغربي من بغداد مثل سوق يحي الذي كان فيه الدكاكين من خبازين ودقاقين فضلاً عن سوق الطير الذي كان يجمع فيه الرحايين إلى جانبها الصيارفة وسوق الصاغة وسوق الوراقين، أما في الجانب الشرقي فقد وجد فيه سوق السلاح وسوق الداية وكانت هذه المحلة تخص كبار التجار والصناع وأرباب المناصب.³

همت السلطة المركزية منذ البداية إلى مراقبة الصناع والصناعات ومدى مطابقتها للمواصفات الشرعية، من أجل ضمان وتحسين جودة المنتجات الصناعية سواء في المواد التي تصنع منها أو طريقة صنعها، لذا فقد أوكلت هذه المهمة للمحتسب والمسؤولين ممن يقوم الخليفة بتعيينهم.⁴

¹ - الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص108.

² - تسترين: جمع نسبة الذي قبله محلة ببغداد في الجانب الغربي بين دجلة وباب البصرة بيكنها اهل تستر وتعمل بها الثياب التسترية، ياقوت الحموي، ج2، ص31.

³ - مثني عباس عواد وعمر أحمد سعيد: الأصناف والحرف في بغداد (دراسة في نشأتهم وتكوينهم حتى نهاية العصر البويهي 149-447هـ / 766-1055م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، الع26، 2019، ص199.

⁴ - مشايرية أيوب ، المرجع السابق، ص1291.

استطاعت الخلافة العباسية أن تحقق الريادة في المجال الصناعي بفضل ما سبق ذكره من عوامل ، فغزت منتجاتها أسواق العالم آنذاك، وحققت الاكتفاء في العديد من الصناعات سواء الكمالية منها أو الأساسية، إلا أن هذا لا ينفي ما واجهته الصناعة والعاملين بها من تحديات وصعوبات في ظل ما عانتها الخلافة من اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية هددت القوى الانتاجية و المواد الأولية فَعُرِّقَ النشاط الاقتصادي، وتراجعت العديد من الصناعات كما تأثرت كفاءة وجودة المنتجات في العديد من المرات.

سيطرت الدولة على الصناعات الاستخراجية وإنتاج المواد الخام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، حيث تم استغلال المناجم وبصورة مباشرة عن طريق نظام العهدة "أي التشغيل لحساب الدولة"، ويعود فائض الاستثمار لبيت المال وبصورة غير مباشرة بمنح حق استغلال المناجم لبعض الأفراد، ويظل هذا الحق قائماً طالما ظل العمل مستمرا وفي هذه الحالة يكون للدولة خمس الانتاج قياسا على خمس الغنائم في الأموال المنقولة، وكانت الدولة تعين عند كل منجم قاضيا أو عضوا من قبل المحتسب حتى تضمن حقها فيما يستخرج من معادن.¹

¹ - سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص 142.

عرفت الأماكن التي تسك فيها النقود بـ"دار السكة" أو "دار الضرب" وهي على هيئة منشأة صناعية تتبع السلطان أو الحاكم وتقوم بإصدار عملات نقدية ذهبية أو فضية أو نحاسية، تتمثل أهمية دور الضرب في ضرب الكميات اللازمة من النقود التي يجري بها التعامل التجاري اليومي والمبادلات التجارية، ومهمة هذا الدور هي زيادة أو تقليل ضرب النقود من أجل الموازنة في السوق، كما أنها تقوم بخزين المعادن المستعملة في ضرب النقود كاحتياطي، فضلاً عن قيامها بتزويد بيت المال بالموارد المالية لأنها هي التي تقوم بسك النقود وفق الوزن المقرر شرعاً¹. إلا أنه نتيجة الاضطرابات السياسية التي أفقدت الخلافة هيبتها، تعرضت النقود العباسية للغش في العيار والوزن.

تأثر النشاط الصناعي كذلك بتراجع النشاط التجاري بسبب تعرض القوافل التجارية الخارجية لأعمال النهب والسلب والقتل وتعرض الأساطيل البحرية لخطر القرصنة، فمهمة التبادل التجاري تنصب في سد النقص الحاصل من السلع والبضائع في مجتمع ما، أي نقل السلع والبضائع من أماكن وفرتها إلى أماكن ندرتها ونتيجة لهذه الآلية تحدث عملية التبادل الذي يتم وفق معطيات عديدة أهمها وجود الطرق البرية والبحرية التي تسهل عملية نقل السلع والبضائع من مكان إلى آخر.²

¹سهيل تركي عنتر: المعاملات المالية واثرها على الواقع الاقتصادي في العصر العباسي الثاني في القرن الخامس والسادس الهجريين، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، الع69، 2022، ص90.

²عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي: طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات والصادرات في العصر العباسي الأول، مجلة آداب الفراهيدي، سامراء، قسم التاريخ، الع2، السنة 1، (د.ت)، ص395.

ومن أمثلة ذلك أدى كثر الطلب على المنتجات الخشبية وقلة الناتج المحلي من الأخشاب التي تغطي هذا الطلب المتزايد، إلى استيراد خشب الساج الذي كان يستخدم في صناعة السفن التي مثلت عصب النشاط التجاري والحربي ، فضلا على أنهم استخدموها في صناعة الأثاث كالأبواب والنوافذ والسقوف، خاصة في منازل كبار التجار والأثرياء، وقد استخدم في بغداد وازداد الطلب عليه، وكانت بلدان الخليج العربي تقتقر إلى هذه الأخشاب لعدم ملائمة مناخها لنمو شجرة الساج التي اتصف بطوله وضخامته في نفس الوقت. وكذلك بصلابته ومتانته التي تستطيع مقاومة وتحمل العوامل والتأثيرات الجوية والبحرية القاسية،¹ ولذلك عمل تجار العرب على استيراده من الهند.²

عرقلت المصادمات والمشاحنات بين أصحاب الحرف والسلطة كذلك النشاط الصناعي، حيث بدأ الصدام بين أهل الأصناف والحرف والأمراء البويهيين في سنة 334هـ/ 945م؛ ولاسيما بعد أن اتبع معز الدولة سياسة المصادرات تجاههم بهدف الاستحواذ على أموالهم، فأخذوها ودفنوها في الحفر خشية المصادرة فعمد معز الدولة لكبس منازلهم بحثا عن هذه الأموال، فوجد في بيت أحدهم غرفة فوق السقف وفوقها دور آخر علوي فيها الكثير من المال، كما وجد في بين آخر أموال كانت مدفونة تحت الأرض في قدر، فأفرط معز الدولة في استخدام القوة لاستخراج مثل هذه الأموال من أجل المصادرة.³

تضرر أصحاب الحرف والصناعات من الضرائب التي فرضت عليهم خاصة خلال القرن الرابع هجري، وذلك لسد العجز المالي الذي عانت منه الخلافة في بعض المرات

¹-لمياء بنت عبد الرحمان عثمان الصالح: أثر نشأة بغداد على نمو النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي حتى نهاية العصر العباسي الاول(145هـ-232هـ / 762م-848م)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الع21، شوال 1437هـ، ص230.

²- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص209.

³-مثنى عباس عواد وعمر أحمد سعيد، المرجع السابق، ص200-201.

فأغلقت المحلات وكسدت حركة البيع والشراء ونهبت البضائع وارتفعت أسعار مواد الخام حيث لم يبق البويهيون على أية سلعة من السلع إلا وقد فرضوا عليها الضرائب.

استاء أهل الأصناف والحرف في عهد الأمير عضد الدولة (367هـ-372هـ/ 977م-982م) من سياسته بسبب فرض ضريبة الأرحاء والطواحين في أواخر أيامه جاعلا لأصحابها شيئا يسيرا من مواردها فخرجوا عليه وتذمروا منه،¹ كما احتكر صناعة الثلج وتربية دودة القز لإنتاج الحرير نظرا لما تدرهاتان الصناعتان من أرباح طائلة، حتى وصفه ابن الأثير بأنه "كان يتوصل بأخذ المال بكل الطرق"، مما أدى لاستياء أصحاب الأصناف والحرف من سياسته فخرجوا عليه وتذمروا منه لأن سياسته هذه أسهمت في ارتفاع أسعار المواد الغذائية.²

فرض الوزير ابن سعدان وزير الأمير بويهى صمصام الدولة أيضا ضريبة العشر على الاصناف والحرف سنة 373هـ/ 983م، فسبب ذلك ارتفاعا للأسعار وحدوث الغلاء، وأرسل أصحاب أسواق محلة باب طاق شكوى إلى الوزير من تفاقم الأمر وتذمر أصحاب الأسواق عليه وخوفه من شمول أسواق بغداد جميعها للاضطرابات، لذلك عمد إلى تسعير الخبز كل ثمانية أرطال بدرهم، وألزم أصحاب الأسواق بهذا البيع.³

فرض صمصام الدولة هو الآخر سنة 375هـ/ 985م ضريبة على المنسوجات الحريرية والقطنية وقد كان مقدار هذه الضريبة عشر الثمن من بيعها، وأمر بإحصاء ما سيجبى من تلك الضريبة فبلغت مليون درهم في السنة، مما تسبب في هياج سكان بغداد واجتمعوا في جامع المنصور ببغداد وكاد الأمر أن يتحول غلى ثورة شعبية، مما اضطر صمصام الدولة إلى الرضوخ لمطالب الناس فأمر بإلغائها.⁴

¹- مثنى عباس عواد وعمر أحمد سعيد، المرجع السابق، ص201.

² ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص425.

³- التوحيدى، الامتاع والمؤانسة، المصدر السابق، ج2، ص26.

⁴- ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص311.

استغلت الحركات الاجتماعية المعارضة للخلافة العباسية وضع الصناع حيث أنهم احتلوا المرتبة السفلى من السلم الاجتماعي، أما واردهم لا يكفي إلا للضروريات المعيشية في الظروف الاعتيادية، وقد عبر عن ذلك المقدسي حين قال: "وأما الصنایع العملية وهي المهن فقد قيل قديماً: الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمة".¹ ولعل الحريري كان أكثر واقعية في تقديره لوضع الصناع حين يقول: "وأما حرف أهل الصناعات فغير فاضلة عن الأوقات ولا نافقة في جميع الأوقات ومعظمها معصوب بشيبة الحياة".²

يشير الحريري بهذا إلى صعوبة وضع الصناع معاشياً، لصعوبة التوفير وضنك العيش أحياناً حيث كان الصناع بصورة عامة صنفين: من يشتغل بأجرة مثل الصناع الذين يعملون في معامل الخلافة للنسيج أو في دار الضرب، وفي حوانيت صناعية تشغل لصالح التجار كما هو الحال في عمل النسيج، ومنهم من يشتغل لنفسه ويملك من مواد أولية وآلات تقتضيها الصنعة وهؤلاء الصناع والاساتذة.³

لدينا إلا أمثلة قليلة مبعثرة عن الأجور، نوردّها للتمثيل لا لإعطاء صورة مقبولة: كانت أجرة الزجاج النحوي في أواخر القرن الثالث هجري؛ وهو فتي يشتغل بخرط الزجاج تبلغ درهما ونصف درهم في اليوم، وأجرة عامل في حانوت في أواخر القرن الرابع هجري نصف درهم في اليوم مع طعامه وكسوته ثم زيدت إلى درهم في اليوم.⁴

¹ - عبد العزيز الدوري: نشوء الأصناف والحرف في الاسلام، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع1، 1959، ص154.

² - الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد (ت516هـ): مقامات الحريري، مكتبة جامعة زيورخ، المانيا، 1818، ص241.

³ - عمر رضا كحالة: العلوم العملية في العصور الاسلامية، المطبعة التعاونية بدمشق، سوريا، 1972، ص301.

⁴ - المرجع نفسه، ص301.

ظهرت بالمقابل فئة تمتلك رؤوس أموال كبيرة وتستطيع إنشاء المعامل والمصانع، حيث حصل تركيز في العمل على نطاق أوسع يتمثل في المعامل الكبيرة في المدن الهامة كالكوفة والبصرة وبغداد، وهذه العوامل أثرت على وضع "العامة" وبينهم أرباب الصناعات والمهن بصورة خاصة، وأوجدت لديهم روح التذمر والتمرد وجعلتهم يساهمون في الحركات الإجتماعية بصورة فعالة، بل وكونت بينهم وجهة ثورية تتمثل في حركات العيارين والشطار منذ القرن الثالث هجري¹.

وصف المسعودي أوضاع السوق آنذاك بقوله:

الكرخ أسواقه معطلة يستن عيارها وعابرها
خرجت الحرب بين الأسواق أسود غيل علت قساورها²

حصل ارتباك سياسي وسوء إدارة نتيجة تسلط الأتراك في القرن الثالث فأربك الحياة الاقتصادية وأضر بأهل الصنائع بصورة مباشرة، ورافق ذلك ارتفاع في الاسعار دون وجود ما يشعر بارتفاع مقابل في الأجور، وظهرت تيارات اجتماعية تدعوا - باسم الدين - للإصلاح وتؤكد بصورة خاصة على تحسين الوضع المالي والاجتماعي كما فعل صاحب الزنج والقرامطة³.

¹- عبد العزيز الدوري، نشأة الاصناف، المرجع السابق، صص156.

²- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص334.

³- عبد العزيز الدوري، نشأة الأصناف، المرجع السابق، ص 156.

فمن دراسة الحركة الاسماعلية -القرمطية- نجد أنها لقيت انتشارا واسعا بين جماعات الفلاحين والصناع، حيث انضم كثير من الأعاجم إلى الحركة الإسماعلية -القرمطية- وفيهم أعداد كبيرة من الصناع، ومما يؤكد انضمام أهل الحرف والمهن إلى هذه الحركة أن معظم دعايتها من ذوي المهن والحرف؛ فالحسين الأهوازي وهو أول داعي اسماعيلي في سواد الكوفة كان عاملا ويأكل من كسبه، كما اشتغل ناطورا في حفظ البساتين، وكان حامد قرمط وهو أول مستجيب لهذا الداعي مكاريا يحمل على أثوار له، أما الداعي الاسماعيلي في قرية زابوقة -من عمل الفلوجة- فكان من معلم صبيان، كما نجد أن أسماء بعض دعاة هذه الحركة تدل على الحرف كالكيال والصائغ والحداد.¹

المبحث الرابع: اختلال التوازن المالي:

أ- ارتفاع الأسعار وحدوث المجاعات:

تميزت أسعار المواد الغذائية خاصة الأساسية في العصر العباسي بعدم الثبات تبعا لتوفرها أو ندرتها؛ حيث أن ذلك خضع لمجموعة من المؤثرات الطبيعية من فيضانات ورياح وعواصف وقلة الأمطار أو زيادتها بشكل مدمر وانتشار الحشرات والآفات، التي تؤدي لتضرر القطاع الفلاحي الذي يعتبر الممول الأول والأساسي للغذاء.

يضاف لذلك الظروف السياسية المحيطة بالعراق من حروب طاحنة وسيطرة عسكرية، واقتصادية ومحاولات تضيق على السلطات والعوام داخل المدن، كما كانت طبيعة السياسة الاقتصادية التي اتبعتها بعض الخلفاء و سلاطين بني بويه بعدهم من إهمال للأراضي الزراعية وإهمال تقويم شبكات الري وتوقف الدولة عن وضع حد للنظام الاقطاعي ومراقبة سلوك المقطعين -خاصة الجند-، سببا مباشرا في نقص الغذاء وغلاء الأسعار.

¹ - صباح الشبخلي، المرجع السابق، ص52.

أشار الجاحظ لقاعدة تجارية هامة بأن السلع تسعر على مقاديرها؛ أي أن الشيء يرخص بوجدانه ويرتفع ثمنه بنقصانه¹ موضحاً بأن جودة السلعة ترتبط بسعرها،² كما ذكر المقرئزي الغلاء في مقدمة كتابه "اغاثة الأمة" معبراً عنه "بأن الغلاء والرخاء مازالا يتعاقبان في عالم الكون والفساد"³ وكأنه يقرر قاعدة وقانوناً في حركة التاريخ الإنساني، فإذا ما جاء غلاء إلا أعقبه بعد حين رخاء وما جاء رخاء إلا أعقبه غلاء وشدة.

كان الاحتكار كذلك أحد الأسباب المباشرة لرفع الأسعار، وكان تأثيره شديد السوء وبخاصة إذا كان المحتكر ذو سلطة تسهل عليه التحكم في سعر البضائع والسلع عند شرائها، ورفعها بالقدر الذي يناسبه عند بيعها، تقاعست الحكومة العباسية في حل مشكلة الاحتكار حيث كان بمقدورها وضع حد لتلاعب التجار وغيرهم بأسعار السلع،⁴ فالسلطة تمتلك كميات كبيرة من الغلال عن طريق نظام المقاسمة الذي تتبع في جباية الخراج، وكان بإمكانها طرح هذه الكميات على الأقل في أسواق بغداد التي عانت مرارة الاحتكارات وارتفاع الأسعار، لكي توفر للعوام ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية، إلا أن ذلك لم يحدث لأنه ليس في مصلحة من كان بالسلطة من رجال الدولة ولهم ضياع ومستغلات تدر عليهم أموالاً طائلة في حالة ارتفاع الأسعار، كما ليس من مصلحة الضملاء الذين كان همهم

¹- الجاحظ ، التبصرة في التجارة، المصدر السابق، ص13.

²- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت255هـ): رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد الهارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت)، ج2، ص179 ج2.

³- المقرئزي أحمد بن علي عبد القادر أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين (ت845هـ): اغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2007، ص81.

⁴- حمدان عبد المجيد الكبيسي: اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، (د.ت)، ص300.

الأكبر تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح ويتحقق ذلك في حالة زيادة أسعار الغلال والمواد التي ضمنوها.¹

أدى الحصار الذي ضربه المستعين بالله (252-248هـ/862-866م) على بغداد أثناء الفتنة بينه وبين المعتز بالله سنة 251هـ / 865م لمنع الميرة عنها فانتهبت القرى فخربت الضياع ، حتى كان الفقير يباع بمائة درهم أي أن الفقير الواحد من الحنطة يباع ب(4-5) دنانير، وشربة الماء بثلاث دراهم، مما أدى لغضب العامة، وكان لهذا الغضب أثر كبير في قبول المستعين الصلح مع أخيه المعتز، وخلع نفسه من الخلافة،²

خرجت الروم من ديار ربيعة سنة 266هـ / 879م، وتعذرت الأقوات وعم الغلاء سائر البلاد في الحجاز والمدينة والعراق والموصل،³ وأدت الحرائق التي أحدثها صاحب الزنج في الجسور سنة 269هـ / 882م لانقطاع الميرة، فبلغ الرطل⁴ من خبز البر(خبز يصنع من حبات القمح دون أن ينزع أي جزء منها) عشرة دراهم، فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب ثم لم يزل الأمر بهم حتى أكل الواحد صاحبه إذا انفرد به⁵، وفي هذا نوع من المبالغة، استخدمت المصادر هذه الأوصاف لتعبر عن شدة الجوع بسبب ارتفاع الأسعار

غلا السعر ببغداد سنة 272هـ / 885م وكان سببه أن أهل سامراء منعوا انحدار السفن بالطعام فغلت الأسعار، ومنع أهل بغداد عن سامراء الصابون⁶، وزادت الأسعار

¹- حمدان عبد المجيد الكبيسي، المرجع السابق، 301. هيثم محمد محمد السائيس، المرجع السابق، ص164.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص168. السيوطي، المصدر السابق، الخلفاء، ص 285. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص38.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص290.

⁴- الرطل: يساوي 12 أوقية والأوقية تساوي 12 درهما؛ الزبيدي مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، 1888، ج7، ص346.

⁵ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص321

⁶-المصدر نفسه، ج6، ص346.

بشكل كبير سنة 307هـ/919م وكان السبب هو رغبة الوزير حامد بن عيسى -وزير المقتدر بالله- الانفراد بالسلطة وإبعاد الوزير علي بن عيسى، فعرض على الخليفة عرض أعمال الخراج بالسود والأهواز وأصبهان مقابل أربعمئة ألف دينار زيادة عن متوسط خراجها، قبل الخليفة المتعطش للأموال رغم تحذير علي بن عيسى من ذلك، لأنه سيؤدي إلى زعزعة الأوضاع الاقتصادية، إذ سيحاول حامد بن العباس تعويض الأموال التي يدفعها من الفلاحين، وسيحتكر وبعض رجال الدولة بعض الغلال مما سيرفع سعرها بما لا يتحمله العوام، وحين حدث ما حذر منه الوزير اجتمع العوام عند المسجد وكسروا المنابر وزاد الأمر سوءا انضمام الجند لهم¹.

تعامل حامد بن العباس مع الموقف بعنف، فوقع قتلى من العوام ولم يستطع صاحب الشرطة السيطرة على الموقف خاصة مع اتباع العوام الأسلوب التخريبي من حرق الجسور وفتح السجون؛ فأرسل الخليفة قوات من الجيش للسيطرة على الأمر، وتم القبض على مثيري الشغب، ومعاقتهم بالضرب وقطع الأيدي لمن ثبت عليه الإفساد، ومن جهة أخرى أمر الخليفة برفع الاحتكار وعرض الغلال المخزنة للبيع وخفض أسعار الحنطة والشعير بعد أن بلغ الخبز ثمانية أرطال بدرهم².

عَزَّ الدقيق بمدينة السلام بسبب جيش البريدي وبلغ المكوك ستة دراهم سنة 309هـ/921م³، وارتفعت أسعار السلع الرئيسية فبلغ كر الحنطة مائة وعشرون دينار، وذلك بسبب الأضرار التي خلفتها الرياح التي هبت خلال تلك السنة، إضافة لما أحدثه الجند من

¹-مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص42.

²- مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص42.

³- الصولي، المصدر السابق، ص225.

شغب ونهب للأسواق، وانتفاضة الحنابلة التي وصلت ذروتها في الاعتراض على شكل حركة البيع والشراء مما لا شك أنه كان له أثر بالغ على الأسعار سنة 323هـ/934م¹.

غلا السعر سنة 324هـ/935م فجاج الناس وعَدَمَ الخبز خمسة أيام ومات من أهل البلد خلق كثير من الضعفاء، وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بهم ويحمل على الجنازة الواحدة اثنين من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي وربما حفرت الحفرة الواحدة، فتوسع حتى يوضع فيها جماعة ومات من أصبهان حوالي مائتي ألف إنسان².

كانت سنة 334هـ/954م صعبة على بغداد وما جاورها من مدن وذلك بسبب دخول بني بويه البلاد والحالة السياسية الصعبة، ضف لذلك احتراب معز الدولة بن بويه وناصر الدولة الحمداني داخل بغداد من أجل محاولة تثبيت أقدام بني بويه في المدينة وطرده النفوذ الحمداني منها، كما تأثرت المحاصيل بحشود القمل والحشرات، فلحق الناس غلاء شديد وعدموا الأقوات وما زاد الأمر سوءا تسلط الجيش على الغلات حيث كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها لمعسكرهم؛ فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع إذا وجد³.

سُرقت امرأة هاشمية صبيا فشوته وهو حي وأكلته لشدة الجوع وجدت، وامرأة أخرى أخذت صببية شقتها نصفين فطبخت النصف، وقد بلغ المكوك من الحنطة خمسة وعشرون درهما، واضطر الناس إلى أكل البز وأكلوا الجيف وروث الحيوان وخرج الناس من البصرة خروجاً مسرفاً، فمات أكثرهم في الطريق بسبب الصراع بين ناصر الدولة والقرامطة، لحق الناس غلاء شديد وعدموا الأقوات، وما زاد الأمر سوءا تسلط الجيش على الغلات حيث

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص350؛ مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص181-187.

² - ابن الحوزي، المصدر نفسه، ج13، ص357؛ المصدر السابق، ابن كثير، 15، 96.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص46-48. الأصفهاني، المصدر السابق، ص149.

كانوا يحصدونها ويدرسونها ويحملونها لمعسكرهم؛ فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع إذا وجد وزاد ظهور حشرات و القمل الوضع سوءاً.¹

زادت الأسعار وعمدت الأقوات سنة 364هـ / 984م وبيع الكر من الدقيق بمائة نيف وسبعين دينار وضافت العلوفة فبيع الحمل من التبن بعشرة دراهم، وأخرج السلطان كراعه إلى السواد،² سكت ابن الجوزي عن السبب الحقيقي إلا أن السبب سياسي فهذه السنة هي السنة التي قدما فيها عضد الدولة بن بويه إلى العراق إذ اعجبه ملكها وأطلق يد الجند الأتراك فيها ليشغبوا على عز الدولة الذي كان يحكم عندئذ، ولا بد أن هذا الاضطراب الأمني قد أثر على طرق التجارة وفي المحاصيل الزراعية الواردة.³

وصل سعر الرطل من الخبز سنة 382هـ / 991م أربعين درهم والحوزة منه بدرهم وهي أسعار مرتفعة؛ والسبب في ذلك يعود إلى الاشتباكات بين السنة والشيعية سواء في العام السابق أو في تلك السنة، والتي قد أثرت على البيع والشراء وصول للمواد الغذائية، إلى الأسواق إذ لم تسجل المصادر أي اضطراب أمني أو سياسي إضافة للفتن الداخلية والحروب الأهلية بين بهاء الدولة وصمصام الدولة، والقبض على الخليفة الطائع (-362 381هـ/974-991م) وخلعه وتولية القائم بأمر الله.⁴

ساهمت الأزمات الغذائية الاقتصادية في بروز حدة التباين الاجتماعي في المجتمع العباسي، واتساع الهوة بين فئاته وطبقاته، ففي الوقت الذي نجد فيه فئة قليلة مسيطرة ومستنفذة ومترفة لا تعاني وطأة الأزمات بل وتزداد ثراء، نجد افتقار الطبقة العامة وهي

¹ - الأصفهاني علي بن الحسين أبو الفرج (ت356هـ): الأغاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1994، ج4، ص149. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص46-48.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص236

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص414.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص458.

الغالبية العظمى في المجتمع العباسي، عانت من ضنك العيش حتى تعذر على معظمهم تأمين غذائهم وشراء ما يحتاجونه من ضروريات بسبب ضيق ذات اليد.¹

كانت طبقة العامة من أكثر الطبقات تضررا من غلو الأسعار فكثيرا ما كانوا يصيحون بسبب غلاء الأقوات والأسعار،² وذلك لقلّة دخلهم بما لا يتناسب مع الغلاء الذي ضرب أطناب العراق، ففي العقد الرابع تراوحت الرواتب اليومية بين نصف درهم ودرهم كامل يوميا أي ما يتراوح شهريا بين 25 و30 درهم وهو مبلغ لا يتناسب مع الغلاء،³ اختلفت الأجور من صناعة إلى أخرى ومن مكان لآخر، ومن سنة إلى أخرى وذلك تبعا لظروف صاحب الحانوت أو المصنع أو الأرض الزراعية أو حسب الاستقرار الاقتصادي أو الاضطرابات التي عانت منها الدولة. وبالتالي قد يتعذر عليه الحصول على أبسط المواد الغذائية.

كانت الأسعار في العصر العباسي الأول رخيصة مقارنة بالعصر العباسي الثاني وبالتالي سادت الرفاهية في البلاد وقائمة أسعار المأكولات خير دليل على ذلك، ففي زمن أبو جعفر المنصور كان الكباش يباع بدرهم والحمل بأربع دنانق (سدس الدرهم)، والتمر زنة ستين رطلا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم، والسمن ثمانية أرطال بدرهم، وكان ينادى على لحم البقر تسعين رطلا بدرهم، ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم؛ ومما لاشك فيه أن هذه الأسعار الرخيصة تدل بشكل قاطع على الرخاء وكثرة الخيرات،⁴ فالثروة التي كانت تبلغ سبعمائة دينار تعتبر ثروة كبيرة، وكذلك كان يكفي الرجل من عامة الناس هو وزوجته في

¹ - آ آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، المرجع السابق، ص228.

² - الألويسي، المرجع السابق، ص117.

³ - فهمي سعد، المرجع السابق، ص295.

⁴ - أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، سوريا، (د.ت)، ص359.

عصر هارون الرشيد ثلاثمائة درهم في السنة، ويرجع السبب في ذلك إلى اهتمام الخلفاء بشؤون البلاد الاقتصادية وعملهم على تنمية موارد البلاد.¹

اتسم القرن الثالث هجري بسوء الأوضاع الاقتصادية، باستثناء فترات قصيرة أبرزها فترة العشر سنوات (279هـ - 289هـ)، وهي خلافة المعتضد التي وصفت بالرخاء والاستقرار السياسي، فقد سكنت الفتن وصلحت البلاد وهذا الهرج ورخصت الأسعار حتى كان يكفي عيشة عائلة عشرة دنانير في الشهر الواحد،² فيذكر الصابي أن وارد السواد لم يرتفع لأحد بعد عمر بن الخطاب إلا زمن المعتضد بالله فقد رفعه أبا العباس أحمد بن الفرات في أيامه ثلاثمائة ألف واربعين كر شعير مصروفا بالفالج وباع الكرين بالمعدل من الحنطة والشعير بتسعين دينار وحصل من الخراج وأبواب المال أكثر ألف ألف دينار ماعدا هذه الفترة³ فقد تميز القرن الثالث الهجري بالفاقة والعوز.⁴

وصف المقدسي أوضاع العراق وأحواله في هذا العصر وهو احد المعاصرين لهذه الحقبة بقوله "انه بيت الفتن والغلاء، وهو كل يوم إلى وراء، ومن الجور والضرائب في جهد وبلاء، مع ثمار قليلة، وفواشش كثيرة، ومؤن ثقيلة"⁵، أما بالنسبة للقرن الرابع هجري فقد تميزت الأسعار بالارتفاع -باستثناء فترات قصيرة- فأسعار الحنطة تراوحت بين 60 دينار و40 دينار للكرة، أما سعر الخبز فكان يتماشى مع سعر الحنطة فإذا زاد سعر الحنطة يزداد تلقائيا سعر الخبز.⁶

¹ - المرجع نفسه، ص356.

² - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج4، المصدر السابق، ص185.

³ - الصابي، الوزراء، المصدر السابق، ص209.

⁴ - الألويسي، المرجع السابق، ص 121.

⁵ - المقدسي، المصدر السابق، ص113.

⁶ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص271.

قاد تكرار حدوث المجاعات بعض أفراد الطبقة الخاصة والعامة إلى الانحدار نحو الفقر، وزيادة عدد الفقراء في المجتمع، فهناك العديد من النصوص التي دلت على دور الأزمات الاقتصادية في الانحدار إلى درجة الفقر وضعف المستوى المعيشي، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذكر ابن الجوزي عن تأثير أزمة الغلاء في سنة 329هـ/941م في الناس وشدة وطأتها حتى "تكشف المتجملون وهلك الفقراء"¹، وذكر عن أزمة الغلاء عام 330هـ، 941م "وافقر أهل الغنى واليسار"² فللعامل الاقتصادي دور مهم في الحراك الاجتماعي نحو الأعلى والأسفل.³

اقتصرت طعام الفقراء على ما هو بسيط ورخيص ويأتي في مقدمتها الخبز حتى قيل فيه "أنه قوام أهل الأرض وأصل الأقوات وأمير الأغذية"⁴، ولذلك ركزت المصادر على ذكر أسعاره كلما أورت حدوث الغلاء، فمن الطبيعي أن تشتد أهمية الخبز والحاجة إليه إبان الأزمات الاقتصادية والسياسية، خاصة وأن الدولة كانت تفقر احتياط من الحاصل لتتقذ به الناس من المجاعة، وكل ما كانت تستطيع فعله هو جلب القوت إلى الأماكن المبتلات بالمجاعة من الخارج، إلا أن الدولة العباسية أدركت فيما بعد ضرورة انشاء "ديوان الأهراء" الذي كان يشرف على ما يرد إلى بيت المال من غلال، لخرن احتياط من المحاصيل لمواجهة المجاعات والشدائد.⁵

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14 ص 06.

² - ابن الجوزي، ج 14، ص 20

³ - موفق سالم النوري، المرجع السابق، ص 29.

⁴ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت 225هـ): البخلاء، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009، ص 50.

⁵ - احسان صدقي العمدة: الخبز في الحضارة العربية الإسلامية، حوليات كلية الأدب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الع: 76، الس 12، 1996، ص 110.

يعتبر الدقيق والتمر كذلك من أرخص أنواع الطعام وأشدّها إملاءاً للمعدة في الوقت معاً، ولذلك أولع بها العوام والفقراء وخاصة في منطقة البصرة، حيث يعتبر التمر انتاجاً محلياً وقد كان طعاماً رئيسياً يوزع يومياً على الزنج دون ثمن مقابل أتعابهم وعملهم المرهق،¹ وكثيراً ما تضرر النخيل من حدوث الرياح القوية مما يؤدي لارتفاع سعره.

ندر استعمال اللحم لدى الفقراء بالقياس إلى المواد الغذائية الأخرى، حيث قيل لابن العتاهية (ت230هـ) "إنك شحيح على نفسك لا تشتري إلا من عيد إلى عيد، فقال: لقد اشتريت يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم"²، وكان البوابون في قصور الخلفاء والوزراء يأكلون الفول يستغيضون به عن اللحم لندرته وارتفاع سعره،³ ومن طريف القول ما قيل لعبد الله بن يعقوب "ما تشتهي أن تكون؟ قال: أشتهي أن أكون دابة تأكل الليل والنهار"،⁴ وقيل لأعرابي "ما اسم المرق الذي عندهم؟ قال: السخين، قال: فإذا برد؟ قال لا ندعه يبرد"،⁵ وهذا من يدل على شدة الجوع والتلهف للأكل.

أصبح الفقر الذي هيمن على شريحة واسعة من طبقة العامة مشكلة لازمت المجتمع العباسي خاصة عند حدوث الأزمات الاقتصادية، وعدم وجود حلول جذرية لتحسين أوضاعهم المعيشية؛ مما أدى لخلق فئات اجتماعية تسعى لتحقيق المساواة في توزيع الثروة كفئة الشطار والعيارين، التي اعتبرت كنتاجاً طبيعياً وإقراراً منطقياً للفروق الفردية أواسط

¹ - الألويسي، المرجع السابق، ص124.

² - الأصفهاني، المرجع السابق، ج4، ص270.

³ - الألويسي، لمرجع السابق، ص124.

⁴ - أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو 400هـ): البصائر والذخائر، مكتبة الأطلس 1964. ص556

⁵ - الجاحظ 255 أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت255هـ): البيان والتبيين، المطبعة العلمية، مصر، 1893، ج1، ص160.

المجتمع العباسي، كما كان لذلك دور في بروز اللصوصية بشكل كبير منذ العصر العباسي الثاني.¹

ب- سوء الأنظمة المالية المتبعة في تقدير الموارد وجمعها:

تعد قلة الجباية وكثرة النفقات من المشاكل الاقتصادية التي عانت منها الخلافة العباسية في فترات عديدة، فقد ورث العباسيون نظاما ضريبيا شكل بيت المال مخزنا لمعظم إيراداته التي كانت تجبى من الخراج²، الزكاة³، الغنائم⁴، العشور⁵، ريع المنشآت العامة⁶،

¹ -الألوسي، المرجع السابق، ص124.

² -الخراج: هو "ما دفع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها" الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص187. هو الضريبة السنوية المفروضة على الأرض التي تزرع حبوبا ونخيلا وفاكهة يدفعها المزارع لخزانة الدولة؛ عامر محمد نزار جعلوط، فقه الموارد العامة لبيت المال، تق: سامر مظهر قنطقجي، دار أبي الفدا للنشر، 2012، ص213.

³ -الزكاة: هي أحد أركان الاسلام الخمسة وفريضة أساسية من فرائضه، فقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يأخذها من الأغنياء وتوزيعها على الفقراء، وهي نوعان مالا يمكن اخفاؤه كالزروع والثمار والمواشي، وما أمكن اخفاؤه من الذهب والفضة وعروض التجارة. الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص145-146.

⁴ - الغنائم: هي أموال الكفار التي ظفر بها المؤمنون على وجه الغلبة والقهر. الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص166.

⁵ - العشور: وهي الضرائب التي تؤخذ من بضائع التجار غير المسلمين الذين يقدمون للتجارة في أسواق أسواق المسلمين من دار الكفار إلى دار الاسلام، ولم تكن العشور من الموارد التي ذكرها القرآن الكريم ولكنها فرضت بعدما فرض أهل الحرب العشر على التجار المسلمين عند تجارتهم في مدن الكفار. أبو يوسف، المصدر السابق، ص241.

⁶ - ريع المنشآت: شكل ريع المنشآت العامة موردا لا بأس به من موارد الدولة العربية الاسلامية لاسيما لاسيما في العصر العباسي إذ قامت الدولة ببناء الكثير من الأسواق والدور والخانات وغيرها وتم تأجيرها للعامه مقابل مبلغ معين من المال؛ ايمان سليم كاظم حسين: التنظيمات المالية في العصر العباسي (132هـ/566م - 749م-1170م، مجلة التراث العلمي العربي، الع: 47، 2020، ص236).

المواريث¹، المصادرات²، إضافة لمجموعة من الضرائب المستحدثة التي فرضتها السلطة على أصحاب الصناعات والمزارعين والتجار لتغطية عجزها المالي، والتي عبر ابن خلدون عنها بقوله "فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على البياعات ويفرضا لها قدرا معلوما على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع".³

إن ما تعرضت له الخلافة من اضطرابات جعل قيمة الجباية تختلف من فترة إلى أخرى، وما كان يزيد الأمر تعقيدا هو عدم قدرة الخلفاء على تحقيق الموازنة بين ما يجب وما ينفق؛ مما كان يخلق جوا من الضغط خاصة على الفلاح باعتبار أن الاقتصاد العراقي كان زراعيا، فقد شكلت ضريبة الخراج رأس النظام الضريبي؛ أما بقية الضرائب لم تكن على درجة عالية من التأثير، وقد تراجعت هذه الثروة للأسباب التالية:

❖ **تراجع النشاط الزراعي:** تراجعت قيمة الجباية لما عانتها الأرض من إهمال وتراجع للمنشآت الاروائية بسبب الكوارث الطبيعية ونتائجها التدميرية، والحروب التي انشغلت السلطة في اخمادها فأهملت إصلاح المنشآت التي خربت بسببها؛ تلك المنشآت التي كانت تضمن توزيعا عادلا وسليما لمياه السقي، وكانت تخفف من وطئت الكوارث المناخية(خاصة الفيضانات والسيول)، وتحويل أكثر الأراضي إلى ضياع، وذلك من خلال ما طبق على أكثر الأراضي من أنظمة زراعية تعسفية كالإقطاع العسكري، نظام الإلجاء، ونظام التضمين...

¹-المواريث: هي ما يؤخذ من تركة من يموت ولا وارث له ويذهب ميراثه عادة إلى بيت المال حتى وإن كان له أقرباء من الدرجة البعيدة وكان لا يؤخذ شرعا إلا من مواريث المسلمين؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس هجري، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص116.

²-المصادرات: وهي الأموال التي تأخذها الدولة بعد عزل أحد الموظفين الكبار لديها اذا أساء عمله فتقوم الدولة بمصادرة أمواله وتذهب الى بيت المال. ايمان سليم كاظم حسين، المرجع السابق، ص236.

³- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص346.

❖ عسف العمال وسوء جباية الخراج:

تحدث القاضي أبو يوسف عن أهمية العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم، مع ما في ذلك من الأجر يزيد به الخراج وتكثر به عمارة البلاد والبركة مع العدل تكون، وهي تفقد مع الجور والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرّب،¹ أدت أوضاع الخلافة المضطربة وفقدان الخليفة لصلاحياته في أغلب الأحيان أو انشغاله في إخماد الحركات المعادية لصرف الاهتمام عن مدى توفر الشروط اللازمة في عمال الجباية ومدى التزامهم بمهامهم، فعين منهم غير الأكفاء والأمناء، ومن هذه الأنظمة و السياسات التي استفحلت:

الخُرْصُ: ويكون الخرص بأن يجري تقدير ما على الزروع من خراج قبل وقت حصادها، أما الأشجار المثمرة فيقدر ما عليها من خراج قبل نضج ثمارها وجنيها، ويعتمد هذا التقدير من قبل من كان يرسلهم عامل الخراج إلى المزارعين في حقولهم، ويؤخذ به كخطوة أولى وأخيرة لتقدير خراج الزروع والغلال؛ الأمر الذي يلحق الظلم بالمزارعين، فيلجأ أكثرهم إلى مغادرة ديارهم وترك حقولهم وهجرة قراهم والفرار لتخليصهم مما هو فوق طاقتهم وليس لهم عليه احتمال، فيكون وبال ذلك وبالتالي وخيما على أراضي الدولة²، التي يصير انتاجها في تراجع وإقلال، وعلى بيت المال ووارده من خراج المحاصيل والثمار مما سينسحب أثره -لأريب- على اقتصاد البلاد وعمارتها.

رَوَاجُ الدَراهِم: اعتاد عمال الخراج على أخذ ما يعرف بدراهم الرواج من أهل الخراج وقد حذر أبو يوسف من هذا الأسلوب في الجباية حيث قال: "ولا يؤخذ منهم ما قد يسمونه رواجاً لدراهم يؤدونها في الخراج، فإني بلغني أن الرجل منهم يأتي بالدراهم ليؤديها في خراجه

¹ - أبو يوسف، المصدر السابق، ص115.

² - المصدر نفسه، ص112.

فيقتطع منها طائفة ويقال هذا رواجها وصرفها"¹، والتي عرفت كذلك بضريبة "مال الجهبذة"، وهي ما يقدم للجَهْبَذ² من أموال نضير خدماته ويتمشى ذلك المبلغ مع ما يمر على الجهبذ من أموال، رغم أن قيمة الرواج تقدر بـ1%، أي أنه يُؤخَذُ من كل مائة درهم درهما واحداً، وهي نسبة بسيطة إلا أن هذا أرهق دافعي الضريبة وزادت معاناتهم باعتبارها زائدة على ما هو مفروض من مقادير الخراج³.

كيل الحاصل بعد الدوس ثم تأخيره في البيدر: حيث كان عامل الخراج يلجا إلى كيل الحاصل بعد عملية الدوس، ثم يوضع هذا الحاصل في البيادر لدة شهر أو شهرين ثم يقاسمهم، أي يقاسم العامل الزراع وأهل الخراج فيكيه ثانية، فإن نقص عن الكيل الأول قال: أوفوني، وأخذ منهم ما ليس له⁴، وإذا تضرر الفلاح شتموه وحلقوا لحيته وضربوه وقد لا يرضيهم ذلك فيغتصبون الضياع برمتها⁵.

كثيرا ما كان الزرع يحفظ بعد ديسه في البيدر حيث يمكث فيه لمدة طويلة، مما يجعله عرضة لاستعمال وعبث الزراع والمارة، كما قد تذهب به الحيوانات والطيور إذ تأكل منه الكثير، وكذا الرياح بهبوبها تفرقه وتنتثره⁶.

¹ - المصدر نفسه، ص113.

² - **الجهبذ:** هو كاتب يرسم الاستخراج والقبض وكتب الوصولات وعمل المخازن والختمات وتواليها ويطلب بما يقتضيه تخريج ما يرفعه من الحساب اللازم له لا الحاصل؛ ابن مماتي أبو المكارم الأسعد بن المهذب (ت577هـ): قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، 1934، ص 9.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع نفسه، ص228.

⁴ - محمد الخضري بك: الدولة العباسية محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، 2016، ص119.

⁵ - الألوسي، المرجع السابق، ص 148.

⁶ - محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص119.

دفع أجرة حصاد المحصول ودياسه: والتي كانت تدفع من طرف المزارعين ومن بيت المال، وهو ما أشار إليه أبو يوسف بقوله "وتقدم في أن يكون حصاد الطعام ودياسه في الوسط"¹، أما الذي كان يجري على الغالب فهو دفع هذه الأجرة من المزارعين وحدهم دون بيت المال وفي هذا ظلم وإجحاف بحقهم².

الإيغار: وهو ضرب من استهلاك الخراج، ومعناه في الأصل "استيفاء" فيقال "أوغر العامل الخراج أي، استوفاه"، ثم استعمل بمعنى الإعفاء من الخراج بمال معين يدفعه صاحب الأرض مرة واحدة، ولذلك قالوا: "أوغر الملك الرجل الأرض" جعلها له من غير خراج،³ فما طبقه الجباة من ممارسات أضرت بالفلاحين والعاملين في الأرض دفعتهم للهجرة وترك أراضيهم فخربت وفسدت الزراعات بها وانعكس ذلك على مختلف الجوانب الاقتصادية الأخرى.

القَبَالَة: أو الضمان: يقضي هذا النظام بأن يوكل إلى شخص معين قبض الخراج في منطقة معينة، مقابل أن يلتزم بأداء مبلغ مضمون للدولة وإن كان أقل من الخراج المجموع، أي أن هذا الشخص يكفي الحكومة مؤونة جمع الخراج في منطقة معينة، مقابل أن يلتزم بأداء مبلغ مضمون للدولة وإن كان أقل من الخراج المجموع، أي أن هذا الشخص يكفي الحكومة مؤونة جمع الخراج في منطقة معينة.⁴

حذر القاضي أبو يوسف من هذا النظام بقوله: "ورأيت ألا تُقَبَّلَ شيئاً من السواد ولا غير السواد من البلاد فإن المتقبل إذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف أهل الخراج،

¹ -أبو يوسف: المصدر السابق، ص110.

² - محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص121.

³ - جورج زيدان، المرجع السابق، ج2، ص124.

⁴ - أماني صالح: الشرعية بين فقه الخلافة وواقعها، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مصر، ط1، 2007، ص720.

وحمل عليهم مالا يجب عليهم وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ليلم مما دخل فيه، وفي ذلك وأمثاله هلاك للرعية وخراب للبلاد¹ وفي رواية أوردها الصولي: لا خير في القبالة وإنما كرهها لأنها بيع ثمر لم يخلق بعد ولم يبد صلاحه وزرع نابت لم يستحصد ومن قبل أن يزرع فهذا هو الغرر المنهى عنه".²

انتشر هذا النظام خاصة خلال القرن الثالث هجري، ويعود السبب لبروز ظاهرة الولاة الانفصاليين الذين يستقلون بأقاليم معينة عن مركز الخلافة العباسية، وقد أدى ذلك بالطبع إلى انخفاض الموارد الضريبية التي كانت تحصل عليها حكومة الخلافة من تلك المناطق، فقد ارتبط باستقلال تلك المدن امتناع أمرائها عن إرسال الخراج، والاكتفاء بإرسال الهدايا والخلع للخليفة في المناسبات، أما من واصل من الأمراء أداء الخراج للخليفة فقد طبق عليه نظام مالي رديء هو "الضمان".³

كان تضمين اقطاعات للقادة العسكريين الكبار والأقوياء من باب التعامل مع الأمر الواقع والقبول بأخف الضرر، فبدلاً من أن تنتشر أراضى الخلافة العباسية وتضيع خيراتها وأموالها، تبقى الولايات تحت حكم مركز الخلافة في بغداد أو سامراء بشكل لا مركزي، مقابل أموال معينة، متفق عليها تحمل لبيت المال من تلك الأقاليم بشكل منظم.⁴

¹ - أبو يوسف، المصدر السابق، ص 109.

² - الصولي أبي بكر محمد بن يحيى (ت 336هـ): أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجت الأثري، المكتبة العربية، بغداد، (د.ت)، ص 222.

³ - جورجى زيدان، المرجع السابق، ج 2، ص 123.

⁴ - رامز محمد هاشم تماراز: تدخل القادة العسكريين في العمل السياسي وأثره على الخلافة العباسية (232هـ-334هـ/ 847م-945م)، أطروحة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2020. ص 149.

عقد الخليفة المستعين للقائد العسكري "موسى بن بغا" بعد وفاة والده سنة 248هـ/ 862م على أعمال أبيه كلها، كما عقد لـ "محمد بن عبد الله بن طاهر" على العراق والحرمين،¹ وصرف المعتمد القائد العسكري "بن بغا" عن أعمال المشرق بطلب منه، وضمنها لأخيه القائد العسكري "الموفق طلحة" سنة 261هـ/ 874م.²

كما ضمن الموفق القائد العسكري "محمد بن طلحة" سنة 268هـ/ 881م أعمال خرسان فاستخلف عليها "رافه بن هرثمة"،³ وطلب القائد العسكري التركي "هارون بن خماروية بن طولون" من الخليفة المعتضد سنة 286هـ/ 899م أن يتسلم أعمال قنسرين والثغور على أن يحمل كل سنة لبيت المال ببغداد أربعمائة وخمسين ألف دينار.⁴

عقد القائد العسكري العباسي "موفق بن طلحة" لابنه القائد "أبي العباس بن موفق" على أعمال مصر والشام سنة 271هـ/ 884م⁵ وعقد الخليفة المكتفي سنة 290هـ/ 903م للقائد العسكري "طاهر بن ليث" على أعمال فارس،⁶ وقام الخليفة المقتدر سنة 296هـ/ 908م بعقد بعقد ضمان أذربيجان إلى القائد العسكري "يوسف بن أبي الساج" مقابل مئة وعشرون دينار يؤديها سنويا لبيت المال.⁷

¹-مسكويه، المصدر السابق، ج4، ص148.

²- المصدر نفسه، ج4، ص281.

³- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص310.

⁴- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص398.

⁵- الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص220.

⁶- ابن الاثير، ج6، ص420.

⁷- الطبري، المصدر السابق، ج10، ص142. مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص10.

تضمن القائد العسكري "حامد بن العباس" سنة 299هـ/911م أعمال واسط ونواحيها لمدة أربع سنين على أن يدفع لبيت المال كل سنة مائتين وأربعين ألف دينار، وألفين وأربعمائة كر شعير للكراع يستوفي منه مع المال الذي سبق وذكرنا.¹

قلد المقتدر القائد العسكري "أبا بكر بن علي الماذرائي" أعمال مصر والإشراف على أعمال الشام سنة 301هـ/913م،² كما قلد الخليفة المقتدر القائد العسكري "مؤنس الخادم" أعمال مصر والشام سنة 309هـ/921م،³ ضمن أحمد بن العباس أعمال الخراج والضياح الخاصة والعامة والمستحدثة والفراتية بسواد بغداد والكوفة وواسط سنة 307هـ/920م وأظهر زيادة ظاهرة في الأموال فسّر المقتدر بذلك وبسط يد حامد في الأعمال وكان حامد يخزن الغلال وكذلك غيره من القواد فتحرك السعر،⁴

حمل القائد العسكري "يوسف بن أبي الساج" في سنة 310هـ/922م خمسمائة ألف دينار إلى بيت المال من أعمال ضمننت إليه من قبل الخليفة المقتدر،⁵ في كثير من الأحيان الأحيان كان يتأخر القادة العسكريون أو يتماطلون في سداد قيمة الاقطاع والضمان المتفق عليه، مما كان يؤثر على بيت المال بالسلب، فكان الخليفة العباسي يكلف أحد القواد العسكريين بمصادرته وسحب عقد الضمان.⁶

عانت الدولة البويهية منذ بدايتها من فوضى في الجبايات والرسوم، ففي عهد معز الدولة البويهية، أطلقت أيدي أصحاب الاقطاعيات والضمانات في الجباية، وتم التعامل مع

¹ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص16.

² - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص45.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص199.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص503.

⁵ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص208.

⁶ - محمد فياض العزي، المرجع السابق، ص47.

الفلاحين بعسف وجور وظلم، حيث أدت هذه الفوضى إلى فرض ضرائب إضافية دون علم الدولة، تذكر المصادر أن "جبايات تحدث على غير رسم، ومصادرات ترفع على محض الظلم، وإضافة إلى ارتفاعات ليست بعبارة، وحسابات في النفقات لا حقيقة لشيء منها ومتى تكلم كاتب من الكتاب في شيء فكان ذا حل ضمن ونكب"،¹ وازداد الأمر اجحافاً في إمارة معز الدولة بما ارتكبه أهل القطائع من إفراط في المطالب وحمل الزراع مالا طاقة لهم به وخرجت الحسابات عن حدودها.²

تكثر في عهود التولية في العصر البويهي النصائح للأمراء باختيار العمال الأمناء الموثوقين وبالابتعاد على الظلم وبالرفق بالرعية، كما أن الخلفاء كانوا يؤكدون للأمراء بأن العدل يجلب الرفاه ويؤدي في الأخير إلى زيادة الواردات، كما أنهم كانوا ينصحون باستعمال الشدة مع الذين يراوغون في دفع الضريبة.³

لكن الواقع يُظهر أن الولاة لم يأخذوا بهذه النصائح، فترتب عن ممارسة هذا النظام عدة تجاوزات منها ظلم الفلاحين : لأن الضامن لا يهتم أهل الخراج ولا أرضهم إنما همه هو الربح من هذا كله، فقد يحمل الأرض وأصحابها فوق طاقتهم وبقدر لا يتحملون مما يضطرهم لترك الأرض بلا زراعة ويهملون فيؤدي ذلك إلى خراب الأرض، وبالتالي ضياع الخراج الذي يستفاد منه في مصارف المصالح العامة؛ فجابي الخراج يؤديه كما استوفاه من غير زيادة ولا نقصان بينما الضامن يؤدي ما اتفق عليه وسواء كان المجبى أقل أو أكثر فإن

¹-مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص283.

²- شرفي عبد المجيد، الفرقة الهاشمية في الاسلام بحث في تكوين السنية الاسلامية ونشأة الفرق الهاشمية وسيادتها واستمرارها، مركز النشر الجامعي، 1999، ص185..

³- عبد العزيز الدووري، تاريخ العراق، ص229

كان أقل فهو يغرم النقصان، وإن كان أكثر تملكه لنفسه فهو منافي لحكم الأمانة لذلك فهو باطل¹.

❖ تدخل القادة العسكريين في جباية الخراج:

شملت جباية الخراج أيضا صلاحيات القادة، حيث كان القائد العسكري التركي "موسى بن بغا" واليا على الري سنة 255هـ / 868م وكان يجبي خراجها عام بعد عام، ويدفع منه أرزاق الجند ونفقاتهم وغيرها من النفقات، ويذكر أنه جبي في يوم واحد خمسمائة ألف درهم،² وفي سنة 288هـ / 900م ولى الخليفة المعتضد مولاه بدرا فارس، وأمره بالشخص إلى لها بلغه أن طاهر تغلب عليها فصار إليه في جيش عظيم في جمادى الآخرة، فلما قرب من فارس تتحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر، فدخلها بدر وجبى خراجها.³

عقد الخليفة المكتفي لـ "عمر بن الليث" سنة 290هـ / 902م بلاد فارس فاستقل بها، لكنه اشتغل باللهو والصيد وأعرض عن أمور ملكه ومضى في بعض الأيام إلى ساجستان فوثب على فارس الليث بن علي بن ليث، فاعترض عليه قائد عسكري كان معه يسمى أبا قابوس وغادر إلى بغداد فأحسن المكتفي إليه، فكتب طاهر للخليفة المكتفي في رد أبي قابوس إليه على أن يحتسب له ما معه من أموال الجباية، ما يدل على تحكم واستفراد القائد العسكري طاهر بن الليث بالخراج وجبايته وإدارته.⁴

¹ - بشار حسين العجل: الخراج والضريبة المعاصرة في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص 137.

² - الطبري، المصدر السابق، ج 9، ص 408-409.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 407.

⁴ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 3، ص 445.

بعد أن ولى الرازي الخلافة سنة 322 هـ/934م، رأى القائد العسكري "هارون بن غريب الخال" أنه أحق بالخلافة من غيره، فراسل القواد وأمرأه الجيش ببغداد يعدهم الزيادة في الأرزاق، وشرع في جباية الأموال لنفسه دون رضا الخليفة العباسي الرازي بالله،¹ كما استحوذ القائد العسكري بجكم سنة 325 هـ/935م على بلاد الأهواز وجبى خراجها بأمر من ابن الرائق.²

من هنا يظهر مدى تدخل القادة العسكريين في مسألة جباية سواء برضا الخليفة العباسي أو دون رضاه، حيث كانت أموال الجباية والایرادات المتحصلة تذهب إما لحسابهم الشخصي أو على شكل نفقات للجند لكسب ولائهم، الأمر الذي أفقد الخليفة هيئته، وأضعف الخليفة ماليا ما ترتب عليه زيادة فرض ضرائب على الناس لسد النفقات الكبيرة للدولة.³

لا يخفى ما تتطوي عليه تلك النظم الضريبية والصلاحيات الممنوحة للعسكريين والمقطعين من مشكلات مالية وسياسية وأن واحد، فهي من جانب تتطوي على الانقاص من الحقوق الضريبية والمالية التي يستحقها بيت المال، ومن الناحية السياسية فإن هذه الأنظمة تحمل مغزى مهم وهو تخلي الدولة عن جانب مهم من اختصاصاتها السيادية و جمع الضرائب من مواطنيها، وتنقل تلك الاختصاصات التي تتضمن ممارسة العديد من سلطات الضبط إلى رعايا لها تملكهم رقاب الآخرين، ومن ناحية ثالثة فإن تلك الأنظمة تشير إلى انفاض كفاءة أجهزة الدولة وعدم ثقة الحكومة في أجهزتها في القيام بتلك المهام، بما تتطلبه من كفاءة فنية عالية في جمع الضريبة وضبط الحسابات الرقابية.⁴

¹ - المصدر نفسه، ج3، ص494.

² - ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص103.

³ - رامز محمد هاشم، المرجع السابق، ص146.

⁴ - المرجع نفسه، ص720-721.

❖ تخفيف مقادير الخراج وتعديل مواعيد الجباية:

ساهمت بعض الحلول التي وضعها الخلفاء من أجل الاهتمام بأهل الخراج ومراعات أوضاعهم والسماع لشكاويهم في تراجع قيمة الجباية، حيث عمل الخلفاء على تخفيف نسبة الخراج الواجبة، فبعد أن ألغى الخليفة المهدي (158هـ-169هـ / 775م-785م) بمشورة وزيره معاوية بن عبد الله خراج المساحة¹ عوضه بخراج المقاسمة² وحدده بنصف الحاصل في الحبوب على أن يروى في القنى ثم رفعه إلى ثلثي الخمس الحاصل،³ قرر المأمون (218-198هـ/813-833م) سنة 204هـ / 819م تخفيض الخراج إلى خمسي الحاصل،⁴ واستمر ذلك إلى القرن الرابع هجري لكن هذه النسبة أغفلت في بعض الأحيان وبلغت النصف في العصر البويهي، كما كانت الشكوى متكررة من الجباية والتجاوز فيها.⁵

كان لكل من النظامين إيجابياته وسلبياته، فمن فوائد تقدير الخراج تبعاً لمساحة الأرض أنه يُؤمّن للدولة موارد ثابتة لا تتأثر بتقلبات الأحوال الزراعية؛ لأنه يعتمد على مساحة الأرض وهي ثابتة، كما أنه يشجع الفلاحين على تحسين الإنتاج وزيادته، إذ مادام مقدار الضريبة ثابتاً فإن زيادة الحاصل والفائدة من تحسينه تذهب إلى الفلاح، وتقوم الدولة بين

¹ - خراج المساحة أو خراج الوظيفة: وهو ما يفرض على الأرض حسب المساحة ونوع المحصول؛ عباس كريم الخفاجي: الموارد المالية وأهميتها في العملية الاقتصادية الإسلامية، مجلة جامعة بابل، العدد 1، المجلد 17، 2009، ص 147.

² - خراج المقاسمة أو خراج المقاطعة: هي ضريبة عينية تؤخذ بنسبة معينة من المحصول، المرجع نفسه، ص 147.

³ - الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 189. البلاذري، المصدر السابق، فتوح البلدان، ص 627.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج 8، ص 576.

⁵ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 212.

فترة وأخرى بإعادة مسح الأراضي وفحص منتوجاتها ويعاد تقدير الضريبة على أساسها،¹ ومن سلبيات هذا النظام أن في سنوات حدوث الكوارث الطبيعية والآفات الزراعية تتأثر المحاصيل و يضطر الفلاح لدفع قيمة الجباية أي أن الخراج المفروض لا يراعى فيه كمية الخراج كثيرة كانت أم قليلة.

الأصل في نظام المقاسمة إنصاف دافعي الضريبة والتخفيف من أعبائهم من دون المساس بحق الدولة، وهذا ما كان يهدف إليه الوزير معاوية بن عبيد الله عندما اقترح على المهدي الأخذ بنظام المقاسمة في الجباية، وما رمى إليه القاضي أبي يوسف عندما اقترح على الرشيد (193-170هـ/786-809م) التحويل من المساحة إلى المقاسمة، بعد أن أصبح العمل بنظام المساحة أمراً مرفوضاً مع تذبذب الأسعار وعدم ثباتها،² ومن سلبيات هذا النظام تراجع قيمة الجباية لأن ذلك أدى لتخفيف قيمتها وبالتالي تراجع قيمة واردها عما سبق.

شكا الفلاحون ثقل ضريبة الخراج زمن المهدي (255-256هـ) قائلين له: "فما معنى أخذنا لسنة لم نبتدئ بعمارته"،³ وفي سنة (284هـ / 987م) أمر المعتضد بالله باستخراج خراج الأموال لسنتين في سنة واحدة وذلك لفرغ الخزائن وهو يحتاج في اليوم لما لا يقل من النفقات إلى سبعة آلاف دينار وتعذر عليه قيام وجهها.⁴

¹ - عبد الرضا طه سرحان، دور الحضارة العربية الإسلامية في تطور أساليب الزراعة والري في العراق، جامعة القادسية، أساليب الانتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الإسلامية، بحوث القيت في المؤتمر الثالث الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، الأردن، 2000، ص139.

² - غيداء خزنة كاتب، المرجع السابق، ص277.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص408.

⁴ - الصابي، المصدر السابق، ص13.

كان أمير الامراء يتولى إمارة الجيش و المناصب المالية، لذلك كانت الأموال تحمل إلى خزينته يتصرف بها كما يريد ويطلق للخليفة ما يريد فبطلت بيوت الأموال القديمة، وصارت تابعة للأمير المسؤول الأول عن الناحية المالية.¹

شكا أهال منطقة "بدارويا" إلى الوزير حامد بن العباس أنهم يدفعون ثلاثة دراهم على كل نخلة مع أن ثمن تمرها درهمان، وكتب علي بن عيسى إلى عامل ديار ربيعة سنة 313هـ / 925م : "وقد ورد الحضرة جماعة من وجوه الثناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين مما عوملوا به في سني 311هـ - 313هـ من إكراههم على تضمن غلات ببادرهم بالحزر والتقدير، وإلزامهم حق الأعشار على ضياعهم على التربيع، واستخراج الخراج منهم على أوفر عبء، أي قبل إدراك غلاتهم". فأمر الوزير عامله أن يرجع الضرائب لنسبها العادية.²

كان من مشاكل سوء جباية ضريبة الخراج أنها تجبى في غير ميعادها مما يحدث حيفاً يصيب الزرع والفلاحين، ولذلك فإنهم طالبوا السلطة بتنظيم وقت مناسب لجبايتها أو تطبيق ما يعرف بنظام "الكبس الفارسي"؛ الذي حدد ميقات البدء في جباية الخراج بيوم "النيروز" وهو وقت مناسب لنضج الثمر وجني الحاصل، حيث لاحظ المتوكل (232-247هـ / 847-861م) في إحدى جولاته أن الزرع ما يزال أخضر و وأن الغلال لم تدرك فقال لبعض مرافقيه: مادام الزرع لم يدرك فمن أين يعطي الناس الخراج؟ فأصدر أوامره للعمل بنظام الكبس، فأخر الجباية إلى منتصف حزيران بعد أن كانت تؤخذ في نيسان.³

¹ - احمد ابراهيم الشريف وآخرون ، المرجع السابق، ص369.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص212

³ - صبحي الصالح: النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي،، إيران، ط1، 1417هـ، ص360. محمد عبد المعطي محمد خرم: سنوات الإزلاف والنقل وأثرها على الأوضاع الاقتصادية في العصر العباسي (132-656هـ) / (749م - 1258م)، مجلة قطاع اللغة العربية والشعب المناظرة لها، الع 15، 2021، ص2805.

وقد استحسن الرأي العام هذا الاجراء خاصة الفلاحون وحمدوا للخليفة عمله، لكن سرعان ما توقف العمل به بعد مقتله وعادت فوضى الجباية كما كانت، وفي سنة 282هـ/ 895م زمن المعتضد (279-289هـ/892-902م) أُعيد العمل به ثانية وقد جعله في الحادي عشر من حزيران بعد أن كان تقدم شهرين كاملين إلى الحادي عشر من نيسان.¹

يتبين بذلك أن معظم خلفاء القرن الثالث لم يحددوا وقتاً معيناً لجباية الضرائب، وبخاصة الخراج منها بل أن بعضهم يلجأ إلى إجراءات اضطرارية وجبايات مجحفة في حق الزراع، عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله: "ويفرض لها قدراً معلوماً على الأثمان في الأسواق وعلى أعيان السلع".²

ساهمت الجزية كغيرها من الواردات في إثراء خزينة الدولة، حيث بلغ مقدار أخذ الجزية في بغداد " جزية رؤوس أهل الذمة بحضرة مدينة السلام، وهي مائتا ألف درهم"³ ، بلغ مقدار الجزية المأخوذ في عهد المعتصم (227-218هـ/833-842) مائتي ألف درهم وتضائل وارد الجزية لاسيما في أواخر عهده نظراً لدخول أهل الذمة في الاسلام فأصبح يأخذ العشر عن منازل أهل الذمة بدل الجزية، كذلك أخذت الجزية في عهد المتوكل على الله (247-232هـ/847-861م).⁴

¹ - البيروني أبي الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ): الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: پرويز ادكايي، مركز پژوهشي ميراث مكتوب، تهران ، إيران، 2001، ص31-32.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص346.

³ - عبد الحسين علي أحمد: بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ، الجامعة الأردنية، الأردن، 1992، ص63.

⁴ - زينب مهدي رؤوف: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في إثراء بيت المال خلال العصر العباسي، رسالة ماجستير، مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، 2022، ص123.

امتازت سياسة الخلفاء اتجاه أهل الذمة تارة بالشدة والقوة وتارة أخرى باللين والتسامح، حيث تشدد المقتدر بالله (320-295هـ/908-932م) في أمر أخذ الجزية لكنه سرعان ما تسامح معهم، وفي عهد الخليفة الفاهر بالله (322-320هـ/932-934م) ازدادت نسبة الجزية المفروضة مما كان له أثر في إثراء بيت المال،¹ كان واردها سنة 225هـ/831م مائتي ألف درهم في السنة، بلغت حوالي مائة وثلاثين ألف درهم سنة 232هـ/847م، وتناقصت فيما بعد إلى أن وصلت ستة عشر ألف دينار في سنة 306هـ/919، ولتعرض الدولة للعديد من الأزمات المالية كانت تتم جبايتها قبل موعدها المقرر، وأحيانا تجري محاولات لرفع نسبتها أو لفرض ضرائب على أهل الذمة، ففي سنة 330هـ/942م جبي آل البريدي الجزية قبل موعدها المقرر وتكرر ذلك سنة 332هـ/944م حيث افتتح موعد الجباية في وقت غير مناسب ولحق أهل الذمة ظلم عظيم من جراء ذلك.²

إذا ما جاء القرن الرابع هجري حتى لم يبق أثر لغنائم الحرب وتقلصت أراضي الخلافة لحد كبير وكان دفع الزكاة من المثرين يقتصر على زكاة المواشي والزروع، وهكذا حدث نقص كبير في موارد بيت المال، ومن الجهة الثانية بقيت المؤسسة الإدارية على سعتها وكثرة موظفيها، وارتفعت الرواتب عما كانت عليه قبل، ووصلت نفقات البلاط حد البذخ الزائد، وكان من الضروري إيجاد مصادر جديدة للوارد فظهرت ضرائب جديدة تدعى عامة "بالمكوس" أو الضرائب الغير مشروعة.³

أورد المؤرخون مقادير الجباية في الدولة العباسية، فذكروا تارة مقدار الخراج يقصدون به خراج الأرض الخراجية خاصة، وتارة يذكرونه فاصدين به ما يشمل الخراج والجزية

¹ - فهد مطر المطيري: التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247هـ - 334هـ، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد والمصارف، جامعة اليرموك، 2016/2015، ص 203 .

² - المرجع نفسه، ص 205 .

³ - زينب مهدي رؤوف، المرجع السابق، ص 142.

والعشور،¹ ولأن الخراج هو العمدة في زيادة الثروة سموا مجموع الجباية خراجا بإطلاق البعض على الكل، فإذا قالو خراج فارس كذا وكذا أرادوا مجموع جبايتها من كل الضرائب،² فلم يتيسر لذلك معرفة الإيرادات جملة ولا تفصيل، إلا أنهم قدموا لنا صورة تمكننا من معرفة منحنى مقادير الجباية.

فالقائمة التي أوردها ابن خلدون³ تورد مقادير الجباية بما تتضمنه من أموال وأمتعة وعروض لجميع النواحي، والتي بلغ مجموعها 375855000 درهم (بحساب 1دينار=15 درهما)، وبلغ مجموعها 402574000 درهم (بحساب 1دينار =22 درهم)⁴ كما قدمت لنا قائمة الخراج التي أوردها قدامة الحالة المالية للدولة خلال الربع الأول من القرن الثالث هجري ابتداءً من سنة 204هـ/820م فهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين بالحضرة، لأن الدواوين أحرقت أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون،⁵ فالمبالغ المذكورة في القائمة هو متوسط الإيرادات السنوية منذ العام المشار إليه وإلى عدد من السنين بعده، فقائمة قدامة تبين إذن الخراج في عصر المأمون (218-198هـ/813-833م) والمعتصم (227-218هـ/833-842م)، وبجمع مجموع الخراج الكلي وثمان العروض والأمتعة؛

¹ - خلاف المرجع السابق، ص 144.

² - جورجى زيدان، المرجع الساب، ج3، ص80.

³ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص224-225.

⁴ - فؤاد طوهارة، السياسة المالية في الدولة العباسية 132هـ-232هـ، أطروحة دكتوراه، جامعة 8ماي

1945 قالمة، الجزائر، قسم التاريخ، 2016-2017، ص123.

⁵ - قدامة، المصدر السابق، ص162.

فإن المجموع إذن لا يقل عن 400 مليون درهم،¹ وبالضبط ما بين 408523700 و439113700 درهم.²

بمقارنة ذلك بالخراج في قائمة الجهشيارى أي في عصر الرشيد (-170 193هـ/786-809م) وقد بلغ 500 مليون درهم نجد أنه حدث نقص بنحو مائة مليون درهم،³ فقد نمت الثروة في عهد المأمون (218-198هـ/813-833م) لكنها لم تصل إلى ما وصلت إليه في عهد الرشيد، وقد حدثت أزمات مالية في عهده فأراد أن يستدين مقدار عشرة ملايين درهم ولكن خراج فارس وصله قبل أن يأخذ القرض.⁴

تطورت الثروة في عهده فموارده المالية تزيد عن نفقاته بمبالغ طائلة، فقد أورد لنا الرفاعي مبلغا أجماليا لنفقاته السنوية ومبلغا إجماليا للتوفير في بيت المال، فقد بلغت نفقات الدولة في السنة زمن المأمون 50000000 درهم، وبذلك يبقى 350000000 درهم متوفر في بيت المال، وهذا طبعا حساب إجمالي لقائمة الخراج في عهده وهذه القائمة أوردتها قدامة بن جعفر،⁵ وأورد ابن خردزابة قائمة للخراج وهو من رجال القرن الثالث هجري، كان معاصرا للوائح والمتوكل ثم المعتمد حوالي سنة 232هـ/944م؛⁶ حيث بلغ مقداره 328725840 درهم.⁷

¹ - محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط3، 1969، ص531.

² - فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص131.

³ - محمد ضياء الرئيس، المرجع السابق، ص531.

⁴ - اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت284هـ)، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليه في كل عصر، تح: عبد الرحمان الشقير، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 2019، ص107.

⁵ - قدامة، المصدر السابق، ص163-166. الرفاعي، المرجع السابق، ص53.

⁶ - محمد ضياء الرئيس، المرجع السابق، ص532.

⁷ - فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص136.

عمل علي بن عيسى جريدة مفصلة بواردات الدولة العباسية وخاصة العراق لسنة 306هـ / 918م، ويضاف إلى ما ذكره وارد الضياع السلطانية الواسعة التي كانت تمتد في مختلف الأراضي العباسية، في العراق وخارجه وقد بلغ واردةا بالإضافة إلى الأوقاف، مقدرا 1768015 ديناراً في السنة¹.

يقر المقدسي أنه قرأ بنفسه كتاباً في خزانة عضد الدولة (338هـ - 372هـ / 949م - 982م) جاء فيه: أن أثمان غوال (ج. غلة) السواد 86780000 درهم، ومن أبواب المال الأخرى بالسواد 4008000 درهم، وخراج دجلة 8500000 درهم،² أما فيما بعد فلم تكن هناك دواوين وسجلات للخراج لأن الدواوين بطلت فالدولة وجدت نفسها أمام ندرة النقد فوزعت الأراضي في شكل إقطاعات.³

قوائم الخراج على اختلاف مصادرها لا يمكن اعتمادها اعتماداً كلياً؛ لأنها بصورة عامة لا تخلو من الأخطاء والنقائص فبعضها يذكر جباية منطقة من المناطق بأقل من جبايتها الحقيقية، وبمبلغ لا يتناسب مع قدرتها الإنتاجية كما أن بعضها يهمل أجرة بعض الأقاليم نقداً ويقتصر على ذكر إيرادات معينة، هذا إلى جانب الكثير من الأخطاء في عمليات تحويل الدينار إلى دراهم ومختلف العمليات الحسابية الأخرى، ولا ربما أن بعض هذه الاختلافات متأتية من أخطاء النساخ في عمليات النقل والكتابة.⁴

¹ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 218

² - المقدسي، المصدر السابق، ص 133.

³ - أحمد اسماعيل الجبوري: الخراج في الموصل والجزيرة في العصر العباسي 132هـ - 334هـ / 749م -

945م، دراسات موصلية، الع 25، 2009، ص 9.

⁴ - فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 139.

بينت هذه القوائم مقدار التناقص في الخراج ومدى علاقته باستقلال الأطراف حيث لم يبق لها سوى ما جاور بغداد وجزء من بغداد. كما بينت تأثر الجانب المالي للدولة بسياسة الخلفاء والقوى المسيطرة على مقاليد الحكم.

ج- سوء الإدارة المالية:

بدأ الإسراف والبذخ في النفقات مع بداية الخلافة العباسية، حيث عرف الخلفاء العباسيون الأوائل بالتوسع في النفقات، والظهور بمظهر الأبهة والبذخ، وإنفاق الأموال على المؤيدين والأتباع، ولعل الذي شجعهم على ذلك كثرة موارد الدولة وتعددتها، فاستحل بعضهم المال العام، ومثل ذلك يمكن قوله بشأن بعض الأمراء والوزراء والقواد وغيرهم من كبار رجال الدولة، إذ أطلقوا أيديهم في البذل والعطاء لغرض الدعاية لأنفسهم فكانت النتيجة تبذير فادح لأموال المسلمين¹.

عانى الخليفة المأمون (198-218هـ / 814-833م) من العجز المالي في سنين حكمه الأولى بسبب خلو خزانة الدولة من الأموال، وكثرة النفقات التي صرفها للإصلاح والتعمير بعد الحرب والخراب الذي لحق ببغداد والمدن المجاورة لها، فاضطر إلى استدانة مبلغ عشرة ملايين درهم لولى مجيئ خراج فارس ووصله قبل أن يأخذ القرض،² كما نفذت الأموال وهو في طريقة لقتال الروم فشكا إلى أخيه المعتصم قلة المال عنده، فأمدّه من أموال الخراج بلاد الشام ومصر،³ ثم اتبع سياسة إدارية ومالية وزراعية حكيمة حينما عاد إلى

¹ - سليم ابو طالب، المرجع السابق، ص313.

² - اليعقوبي: مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم، المصدر السابق، ص207-208.

³ - رياض أحمد وسعد رمضان الجبوري: العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع في العصر العباسي الأول (132-247هـ / 750-862م)، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 3، العدد 10، 2023، ص444.

بغداد، وأبدى اهتماما بالغاً في الشؤون المالية وأشرف على الأمور وراقبها بنفسه، فنمت ثروة البلاد حتى أصبحت موارده المالية تزيد عن نفقاته بمبالغ طائلة¹.

سار الخليفة المعتصم (218-227هـ / 833-842م) سيرة أخيه المأمون (198-218هـ / 813-833م) وسار على سياسته ونهجه في إحكامه ونظامه،² فقد ترك بعد موته ثروة قدرت بثمانية آلاف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم وقيل ثمانية عشر ألف درهم،³ والسبب في ذلك يعود إلى كثرة النفقات في عهده بسبب الجند ودخول العنصر التركي إلى الجيش العباسي للجند النظامي وتزايد أعدادهم، وبسبب كثرة الحملات العسكرية،⁴ حيث قيل "لم يكن بالنفقة على شيء اسمح منه بالنفقة في الحرب"،⁵ فالحملة التي قادها الأفشين للقضاء حركة بابك الخرمي سنة 222هـ / 837م بلغت نفقتها 31000 000 درهم ، وحملة فتح عمورية سنة 223هـ / 838م بلغت نفقتها 1000 000 دينار،⁶ إضافة لنفقات بناء سامراء وما كان يقدمه من أعطيات وصلات، إضافة لما عانته الخلافة في عهده من فساد إداري وخيانة بعض الوزراء وسطوتهم على أموال الدولة واختلاسها.⁷

لم يكن عهد الواثق (227-232هـ / 842-847م) أحسن حالا ، فقد زاد في تقريب القادة الأتراك إليه وأعطاهم صلاحيات واسعة، فتدخلوا في سياسة الدولة وتولوا المناصب

¹ - خولة عيسى علي، المرجع السابق، ص 73-74.

² - أحمد خضير رميض: الأحوال الاقتصادية والموارد المالية في عهد الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ)، مجلة ديالي، العدد 24، 2014، ص 14.

³ - ابن الزبير أبي الحسن أحمد بن القاضي الرشيد (ق 5هـ): الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، الكويت، 1959، ص 213.

⁴ - أحمد خضير رميض، المرجع السابق، ص 15.

⁵ - الطبري، المصدر السابق، ج 9، ص 121.

⁶ - ضيف الله يحيى الزهراني، النفقات وإدارتها، المرجع السابق، ص 311-312.

⁷ - اليوزبكي، المرجع السابق، ص 142.

الإدارية ما أدى لزيادة نفوذهم، وزادت طلباتهم للأرزاق زيادة لا تتوقف عند حد، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يطلبون الإقطاعات التي لم تعد تقتصر على أرض الصوافي بل تعدتها أحيانا إلى أرض الضياع والملكيات الخاصة واستأثروا بخيراتها.¹

عانت الخلافة في عهده من تسلط بعض رجال الإدارة واختلاسهم الأموال، فقد كان الخليفة يطلب الأموال من أجل النفقة فلا يجد فاضطر للإيقاع بهم وضرب بعضهم وصادر أموالهم ، حيث يذكر الطبري في ذلك "فقام الواثق بحبس الكتاب وألزمهم أموالاً".²

بدأ العصر العباسي الثاني وكان على رأسه الخليفة المتوكل (247-232 هـ/847-861م) الذي كان نموذجاً للترف والإسراف حتى قيل: "لم تكن النفقات في عصر من العصور ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل"³، فقد بلغت نفقاته السنوية 2000100 دينار و 26500000 درهم،⁴ وبلغ عدد القصور التي شيدها تسعة عشر قصراً وبلغ مجموع ما أنفق على بنائها مائتي ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم ومن العين مائة ألف ألف دينار.⁵

فقد بدد جميع الأموال التي جمعها أسلافه واتخذ من المصادرات وسيلة للحصول على مزيد من الأموال لسد النفقات، اعتبر عهده البداية للأزمة المالية،⁶ ومع كل ذلك فقد ترك في بيت المال نحو أربعة ملايين دينار وسبعة ملايين درهم،⁷ لم تكن سياسته المالية أي أثر

¹- حسام الدين السامرائي، المؤسسات الادارية، المرجع السابق، ص12.

²- الطبري، المصدر السابق، ج9، ص125.

³- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص100.

⁴- ابن الزبير، المصدر لسابق، ص218.

⁵- الشابشتي أبي الحسن علي بن محمد (ت388هـ): الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، لبنان، لبنان، 1986، ص159.

⁶- فهد مطر المطيري، المرجع السابق، ص229.

⁷- ابن الزبير، المصدر السابق، ص218.

أثر اقتصادي سيء على المجتمع فقد وصف المسعودي أيامه " أيام المتوكل في حسننها ونضارتها ورفاهية العيش بها، وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء... كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل، ورخص السعر، وأمان الحب، وأيام الشباب".¹

زاد ضعف الإدارة المالية زمن المتسعين (248-252هـ / 862-866م) لضعف شخصيته حيث وصفه ابن الطقطقي: " واعلم أن المستعين كان مستضعفا في رأيه وعقله وتدبيره وكانت أيامه كثيرة الفتن شديدة الاضطراب"،² فقد أنفق هو الآخر كل ماكان في الخزائن من العين والورق والجواهر والفرش والأسلحة والطيب وآلات الحرب، حتى قال له بغا الكبير "يا أمير المؤمنين هذه الخزائن مادة المسلمين إدّخرها الخلفاء قبلك لملم³ يسبح أو عارض يعرض في الإسلام" فلم يلتفت إليه ولا إلى قوله.⁴

اتصفت سياسته المالية بالإسراف وعدم صرف الأموال بالشكل الصحيح فأنهك خزينة الدولة وضيع مدخراتها، ولم يكتف بهذا الإسراف بل أطلق يد أمه السيدة "مخارق" وكل من القائد "أوتامش" والقائد "شاهك الخادم"، حتى أصبحت الأموال التي في خزينة أمه تفوق كمية الأموال التي في خزينة الدولة.⁵

اصطدم المعتز بالله (252-255هـ / 866-869م) منذ بداية حكمه بالأزمة المالية والخزينة خاوية على وشك الإفلاس، حيث كان الانهيار المالي نتيجة طبيعية لسوء الإدارة وانشغال القادة العسكريين بتثبيت مراكزهم السياسية واستمرار الفرق العسكرية في التنازع

¹ - المسعودي، مروج الذهب، ج4، ص100.

² - ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص180.

³ - الملم: الشديد من كل شيء. المعجم الوسيط، ج2، ص840.

⁴ - ابن العمراني، المصدر السابق، ص124.

⁵ - منى يعقوب عباس والدرويش جاسم ياسين محمد: السياسة المالية للخليفة المستعين بالله العباسي (248-252هـ 862-866م، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، الع2، 2022 مج 47، ص390).

والخلاف، كما استعصت مشكلة الأرزاق ودفع رواتب الجند بانتظام؛ فكتب إلى أمراء الأطراف بتوجيه الأموال إليه ولكنهم لم يرسلوا إليه شيئاً.¹

سلك المهدي بالله (255هـ-256هـ / 869-870م) نهجا مغايرا يهدف للإصلاح الإداري والمالي، حيث خفف من نفقات اللباس والطعام والشراب، وحوّل آنية الذهب والفضة إلى دراهم ودنانير، إلا أن تحكم الأتراك والقادة ومقتله فيما بعد على أيديهم حال دون استمرار هذه الاجراءات الاقتصادية.²

استمر العجز المالي في خزينة الدولة وقد أصبح شبه مزمن في خلافة المعتمد على الله (256-279هـ / 870-892م)، على الرغم من الاصلاحات والمعالجات التي قام بها بعض وزرائه، ولعل عدم التوصل إلى إصلاح الخلل في الإدارة المالية ومعالجة العجز المالي والوصول إلى توازن متساوي بين النفقات والواردات يرجع إلى كثرة النفقات ولاسيما العسكرية بسبب كثرة الاضطرابات والحروب الداخلية التي اضطرت الدولة مواصلتها مع القرامطة والزنج ... لدرجة أنه احتاج في بعض الأيام إلى ثلاثمئة دينار فلم تتوفر.³

تولى المعتضد (279-289هـ / 982-902م) الخلافة كانت الخزينة خاوية فلم يجد ببيت المال غير سبعة وعشرين درهما زائفة ووجد الدنيا خرابا فعملها بالعدل⁴ حيث اقتصد في النفقات وأحسن التدبير وأصلح الأمور، حتى صلحت الأحوال في زمنه ووصف بأنه أكبر الخلفاء اقتصاداً فحقق التوازن بين الموارد والنفقات، وبعد تسع سنوات من حكمه

¹ - فاروق عمر فوزي، الجيش والسياسة في العصر الاموي ومطلع العصر العباسي 41هـ / 661م-334هـ/956م دراسة تاريخه، دار المجلد لاوي للنشر، 2005، ص56.

² - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص153.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص476.

⁴ - ابن حمدون أبو المعالي بهاء الدين البغدادي (ت562م): التذكرة الحمدونية، معهد الأنماء العربي، 1983، ج1، ص442. محمد فياض العزي، المرجع السابق، ص136.

استطاع أن يجمع في بيت المال بعد سائر النفقات العادلة والطارئة تسعة ملايين دينار وكان يعتقد أن يتمها عشرة آلاف ألف دينار، وي طرحها على باب العامة ليلبغ أصحاب الأطراف أن له عشرة آلاف ألف دينار وهو مستغن عنها، لكن المنية بلغت قبل بلوغ الأمانة¹.

حافظ المكتفي بالله (289-295هـ / 902-908م) على ما حققه والده الخليفة المعتضد، حيث استطاع أن يضيف إلى خزينة الدولة خلال مدة حكمه القصيرة أكثر من أربعة ملايين دينار أضافه لما تركه والده، فضلا عن كثرة النفقات العسكرية التي تم صرفها لقمع حركات المتمردين،² وهكذا نجد أن قوة شخصية خلفاء هذه الفترة حدثت من تسلط القادة الأتراك، على عكس فترة الفوضى العسكرية (247-256هـ / 861-869م) التي تميزت بتمرد القادة وتحكمهم في الخلفاء.

تولى المقتدر (295-320هـ / 908-932م) الخلافة وفي الخزائن أموال كثيرة، إلا أنه أنفق وأتلف ذلك كله، وعانت الخزينة في عهده من العجز المالي والأزمات المالية بسبب توسعه في الإسراف، و صغر سنه فتح المجال لتدخل النساء والحاشية في أموال الدولة فأتلف في عهده نيفا وسبعين ألف ألف دينار، زاد الخراج في عهده بسبب انضمام إقليم فارس وإقليم كرمان للدولة العباسية إلا أنه أنفق ذلك كله، فعانت الخلافة من العجز المالي فزادت النفقات على الموارد كثيرا، فيذكر أن الوارد كان يساوي مليوناً وأربعمئة وستة وثلاثين ألف وأربعمئة وستة وسبعين درهماً، بينما بلغت النفقات مليونين وخمسمائة وستين ألف وتسعمائة وستين دينار.³

¹ - الصابي، المصدر السابق، ص 209-210.

² - المصدر نفسه، ص 216.

³ - فهد مطر المطيري، المرجع السابق، ص 231-230.

تدخل الجيش في اختيار الخليفة مرة أخرى، إذ وقع الاختيار على القاهر بالله (320-322هـ / 932-934م) الذي جاء للخلافة ووجد الكلمة مختلفة والخزائن فارغة حتى أنه لم يستطع أن يعطي الجند أرزاق البيعة كما هي العادة عند جلوسهم على عرش الخلافة، لما كانت تعانيه الدولة من ضائقة مالية حادة، إلا بعد أن بيعت الضياع والأملاك السلطانية.¹

استطاع الخليفة أن ينتصر في صراعه السياسي مع الجيش وأن يستعيد هيبة الخلافة وهيمنتها، وإرجاع السلطة وإدارة شؤون البلاد إليه، وإبعاد الجيش عن مجال التحكم والسيطرة وذلك بعد اكتشافه لمحاولة خلعه عن الخلافة،² حيث حاول إصلاح الوضع المالي بعد إصلاح الوضع السياسي وتوفير الأموال للإنفاق على دار الخلافة، إلا أن قصر مدة حكمه لم تتح له تنفيذ ما وضعه من خطط إصلاحية،³ كان الخليفة الراضي آخر خليفة له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته ومطابخه وخدمه وحجابه على ترتيب الخلفاء المتقدمين.⁴

نفقات الدولة لم تنقص رغم خروج كثير من الأقاليم من يد الدولة، واقتصرت سلطة الخليفة على مدينة بغداد وما جاورها، وأصبح من المتعذر تحقيق التوازن بين النفقات وال إيرادات وعدم تمكن الوزراء من إدارة البلاد وأحوالها المالية وعدم الاستفادة من الامكانيات المالية المتيسرة واشتداد الأزمة، اضطر الخليفة إلى استحداث منصب أمير الأمراء.⁵

إلا أن هذا زاد الأمر سوءا للأسباب التالية: زادت النفقات لاسيما العسكرية لكثرة الحروب بين القادة المتنافسين على منصب إمرة الأمراء التي استنزفت أموالا كثيرة، تسلط

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص152-153.

² - للاطلاع على تفاصيل مؤامرة خلع الخليفة القاهر بالله، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج11، ص279-280.

³ - توفيق سلطان البيوزيكي، المرجع السابق، ص178.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص152.

⁵ - مساعد بن مساعد محمد الصوفي، المرجع السابق، ص175-176.

الأمراء على ميزانية الدولة وبيت المال فكانت الأموال تذهب إلى خزانتهم وجيوبهم، حيث صارت أموال النواحي تحمل على خزائن الأمراء ويأمرون وينهون فيها، وينفقونها كما يريدون، ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون، غياب سياسة معينة لدى أمراء الأمراء يسرون عليها، فقد كان التنافس على السلطة هو أساس التنافس والحصول على الجاه.¹

يذكر الثعالبي في ذكر خلفاء بني العباس وأموالهم يقول: "يقال لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة، فالفاتحة المنصور والواسطة المأمون والخاتمة المعتضد، وكان يقال ما جمعه السفاح والمنصور والمهدي والرشيد من الأموال فرقه الأمين وما جمعه المأمون والمعتصم والوثق فرقه المتوكل وما جمعه المنتصر والمعتز والمهتدي والمعتد والمعتضد والمكتفي فرقه المقتدر.²

خلال فترة التسلط البويهى وصفتهم المصادر بالرضوخ والخضوع للبويهيين فغابت أخبارهم في المصادر، حيث اتهمهم المسعودي بقوله: "ولم يعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم، إذ كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم... فتفرد بالأمور غيرهم، فصاروا مقهورين خائفين، قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة."³ ويضيف ابن خلدون في نفس السياق قوله: "ولذلك صارت أخبار الدولة إنما تؤثر عنهم، وإن كان منها ما

¹ - تقي الدين عارف الدوري: عصر إمرة الامراء في العراق دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، مطبعة اسعد، بغداد، 1975، ص 78.

² - الثعالبي ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، لطائف المعارف (ت429هـ): (د.م.ن)، (د.ت)، ص 71.

³ - المسعودي، التنبيه والإشراق، المصدر السابق، ص 346. أبو الفداء، المختصر، المصدر السابق، ج 2، ص 127.

يختص بالخليفة قليل، فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي إلى المتقي مندرجة في أخبار بني بويه... لعطلهم من التصرف إلا قليلاً.¹

اتسم الوضع المالي للخلافة خلال فترة التسلط البويهي بالاضطراب، حيث عانت الخزينة من العجز وذلك بسبب زيادة الإنفاق من طرف الأمراء البويهيين في مصالحهم الخاصة في ظل قلة خبرتهم بصورة عامة بالإدارة، وانعدام الرؤية الاقتصادية الواضحة المعالم في سياستهم، فمما لاشك أن فشلهم في معالجة العجز المالي له علاقة مباشرة بمدى تفهمهم للشؤون الاقتصادية والمالية، وكثيراً ما اصطدمت جهود الوزراء الإصلاحية الإدارية والمالية بسلطة هؤلاء البويهيين ونفوذهم، الذين كانوا لا يكثرثون للإصلاح وتحسين أحوال البلاد، فضلاً عن عدم اهتمام الوزراء بتنظيم أعمال الدولة الإدارية والمالية لانشغالهم بما ترتب عن الحروب الأهلية بين أفراد البيت البويهي من مشاكل زاد في انحدار الإيرادات وتفاقم ادارتها وفسادها، وكان لذلك دور في اضعاف آل بويه وسقوطهم فيما بعد.²

د - فرض ضرائب جديدة:

إن ما تم في صدر الإسلام من تنظيم للجباية وسن للضرائب، أصبح القاعدة المتينة التي سارت عليها أمور الضرائب وإدارتها في العصور اللاحقة، مع مراعاة الأوضاع والتطورات الجديدة، حاول الخلفاء العباسيون في عصرهم الأول إعادة النظر في بعض الضرائب وأساليب جبايتها مع التأكيد على المبادئ الإسلامية، فألفت لهم العديد من الكتب التي وضعت الأسس الصحيحة للتنظيم المالي في الدولة الإسلامية، واهتم الفقهاء بتحديد

¹ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص 521.

² - محمد مسفر الزهراني: نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ/ 590م (العهدان البويهي والسلجوقي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980، ص168.

هذه الموارد في كتبهم الفقهية وكتب الخراج والأموال وتقسيمها بحسب أصنافها منبهين على شرعية بعضها وعدم شرعية أنواع أخرى.¹

إن ما عاشته الخلافة العباسية من ظروف أدى لتراجع إيراداتها ومداخيلها، وأمام حاجتها المتزايدة للأموال اضطر الخلفاء لفرض ضرائب جديدة، فصدرت بعض التشريعات المالية تنص على فرض ضرائب لم تشرع قبل هذا العهد، ولم يذكرها الفقهاء من ضمن الضرائب الشرعية التي يعدونها في مؤلفاتهم، مستغلين التطور الصناعي الذي عرفته الخلافة آنذاك، فكثيرا ما فرضت ضرائب على أنواع معينة من الصناعات المزدهرة لما كانت تدر من مداخيل للتجار، كما استغلت العلاقات التجارية الوطيدة بين الخلافة وغيرها من الأمصار وفرضت على كل من يدخل أرض الخلافة من سفن وقوافل ضرائب اختلفت مقاديرها، الأمر الذي أدى لاستياء التجار والصناع وأصحاب الحرف في كثير من الأحيان.

يصف المقدسي حجم وثقل الضرائب المفروضة بقوله: "وأما الضرائب فتثيلة في البر والنهر وفي البصرة تفتيش صعب وشوكات منكرة وكذلك بالبطائح تقوم الأمتعة وتفتيش، وأما القرامطة فلهم ديوان على باب البصرة وللديلم ديوان آخر حتى أنه يؤخذ على الغنمة واحدة أربعة دراهم ولا يفتح إلا ساعة من النهار، وإذا رجع الحاج مكسوا أحمال الأدم والجمال، وكذلك بالكوفة وبغداد يؤخذ من الحاج للحمل ستون ومن الكسية أو حمل البر مائة"²، ويضيف: "وكان يؤخذ من كل حمل دخل حي اليهودية بمدينة أصفهان ثلاثون درهما³ وكان

¹ - صالح الحمارنة: بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص197.

² - المقدسي، المصدر السابق، ص133-134.

³ - المصدر نفسه، ص400.

في طوران يؤخذ على الحمل ستة دراهم إذا دخل وكذلك إذا خرج ومن الرقيق اثنا عشر إذا دخل وإن كان من نحو الهند فعشرون من الحمل وإن كان من قبل السند فعلى حسب الغنم.¹

ومن هذه الضرائب:

❖ **ضريبة المكوس :** فالمكس: هي ضريبة تؤخذ من التجار في المرافد،² تفرض على السفن الواردة في البحر إلى البصرة،³ وهي استقطاع مالي فرض على أموال التجارة الخارجية يخضع لها الذميون والمستأمنون، فهي بالنسبة للذمي تفرض على الأموال المصدرة للتجارة إذا انتقل من بلد إلى آخر دخال الدولة الإسلامية، وهي بالنسبة للمستأمن تفرض على من يدخل به من مال للتجارة إلى إقليم دار السلام.⁴

لم يعرف عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الموارد؛ وذلك لأنه في بداية الأمة الإسلامية لم تكن النفقات كبيرة ولا تحتاج الدولة إلى موارد كبيرة، لذلك لم تفرض ضرائب، في ذلك الوقت فقط يتم إخراج الزكاة باعتبارها المورد الوحيد آنذاك، لكن بتولي الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة ولاتساع الأمة الإسلامية وزيادة الفتوحات اضطر لفرض ضرائب إلى جانب الزكاة من أجل زيادة موارد الأمة الإسلامية، فإلى جانب الخراج والجزية تم فرض العشور على التجارة.⁵

¹ - المصدر نفسه، ص 485.

² - الخوارزمي، المصدر السابق، ص 72.

³ - عمار لبيد إبراهيم: الإيرادات المالية لخزينة (بيت المال) في العهد العباسي الأول، المرجع السابق، ص 117.

⁴ - رحمة نابتي: النظام الضريبي بين الفكر المالي المعاصر والفكر المالي الإسلامي -دراسة مقارنة-، مذكرة ماجستير، قسم علوم التسيير، جامعة قسنطينة 2، 2013-2014، ص 86.

⁵ - المرجع نفسه، ص 86.

كتب أبو موسى الأشعري إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر قال: فكتب إليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر وخذ من المسلمين من كل أربعين درهم درهمًا وليس فيما دون المائتين شيء، فإن كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فحسبناه".¹

يعد الكثيرين المكس والعشر شيئًا واحدًا، ولكن الحقيقة أن عشور التجارة هي غير ضريبة المكس، فالأولى ضريبة فرضها عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تجار دار الحرب الذين يدخلون دار الإسلام من باب التعامل بالمثل، إذ كان أصحاب الحرب يأخذون من تجار المسلمين عند دخولهم بلادهم العشر في تجارتهم، وكانت تأخذ على السلع التجارية الصادرة والواردة عند اجتيازها الحدود من بلد إلى بلد آخر، استوجب دفع الضريبة إذا بلغت قيمة السلع مائتي درهم فأكثر، وتجبي مرة واحدة في السنة مهما تكررت مرات التجارة،² فهي إذن كانت تفرض على غير المسلمين، وما يدل على ذلك نص عن عبد الرحمن بن معقل قال: سألت زياد بن حدير من كنتم تعشرون؟ قال "ما كنا نعشر مسلما ولا معاهدا قلت: فمن كنتم تعشرون؟ قال: تجار الحرب، كما كانوا يعشروننا إذا أتيناهم".³

ألغى الخليفة أبو العباس السفاح (132هـ - 136هـ / 750م - 754م) ضريبة المكس كونها لم تكن ذات أهمية في بداية العصر العباسي بسبب كثرة إيرادات بيت المال والغنى والثراء الكبير الذي كان يتمتع به بيت المال آنذاك، فضلا عن قلة النفقات إذا ما قورنت

¹ - أبو اليسر رسيّد كهوس: محاضرات في سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، المنهل، 2013، ص90.

² - أبو يوسف، المصدر السابق، ص135.

³ - ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر (ت751هـ): أحكام أهل الذمة، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، (د.ت)، ص125.

بفترات التي تلتها ، في حين نجد الخليفة أبو جعفر المنصور (136هـ - 158هـ / 754م - 770م) قام بفرض المكوس.¹

أجاز أبو يوسف لهارون الرشيد (193-170هـ/786-809م) جباية العشور بشرط ألا تتعدى فيما عليهم، فتأخذ منهم أكثر مما يتوجب عليهم، وكل ما يؤخذ من التاجر المسلم من عشور فسبيله الصدقة (الزكاة)، وإذا ما أخذ من أهل الذمة وأهل الحرب فطريقه إلى الخراج.²

أثناء الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون لم تكن ضريبة العشور تفرض على السفن والبضائع القادمة من البلدان الأخرى إلى العراق، وإنما فرضت الضرائب على السفن التي تنتقل بالأنهار محملة بالبضائع في داخل العراق، فكان الذي يقوم بجبايتها زهير بن مسيب "فيرمي بالعرادات من أقبل وأدبر ويعشر أموال التجار ويجبي السفن وبلغ من الناس كل مبلغ"،³ وقد بلغت قيمة الجباية التي قاموا بجبايتها من السفن والبضائع ما بين ألف درهم إلى ألفين أو ثلاثة.⁴

أمر الواثق (232-227هـ/842-847م) بترك جباية أعشار سفن البحر سنة 232هـ/847م؛ من أجل تخفيف الحمل على التجار القادمين من البلدان المختلفة للمتاجرة في العراق، وهو كنوع من أنواع تشجيع التجارة وزيادة عدد السفن المحملة بالبضائع القادمة إلى العراق إبان العصر العباسي.⁵

¹ - عبد العزيز الدوري: النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008، ص 180.

² - أبو يوسف، المصدر السابق، ص 135-136.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج 8، ص 445.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج 8، ص 461.

⁵ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 11، ص 176؛ علي كاظم عبد الله: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في إثراء بيت المال خلال العصر العباسي (132هـ-334هـ / 750م - 946م)، رسالة ماجستير، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية التابع لجامعة الدول العربية، بغداد، 2022، ص 143.

إعتبر التجار المكوس نوع من الظلم والتغريم وشكوا حالهم عن طريق الشعر:

ألا تستحي منا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوؤا الدم بالدم

وفي كل أسواق العراق إتاوة في كل ما باع امرؤ مكس درهم.¹

أنشئت دور خاصة في أماكن مختلفة خاصة على ضفاف الأنهار عرفت " بالمآصر لضمان السير الحسن لعملية جباية المكوس²، في الطريق من بغداد إلى البصرة شرقي دجلة،³ وكان أول من وضعها ببغداد هو ابن الرائق (324هـ - 326هـ / 935م - 937م) ولم تعرف بغداد ذلك من قبل.⁴

كانت المكوس تفرض على السفن القادمة إلى مدينة البصرة في الجنوب العراقي، وكذلك السفن النهرية التي تصل إلى مدينة واسط، حيث تذكر المصادر أن سفينة كانت محملة بالآلات والحديد فرضت فيها المكوس بما يبلغ ثمانية آلاف درهم وهو مبلغ كبير.⁵

كما كانت المكوس في بغداد تفرض على البضائع التي يأخذها الحجاج أو يأتون بها، وقد افتخر عز الدولة في كتاب أرسله إلى حاجبه سنة 363هـ / 973م بأنه أحسن إلى أهل بغداد إذ يقول: "ورفعنا عنهم ما كان يؤخذ منهم لك ولنظراتك من ضرائب الغنم المجلوبة

¹ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب بن فزارة (ت255هـ): الحيوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1424هـ، ج6، ص391.

² - المآصر: سلسلة أو حبل يشد معترضا في النهر ليمنع السفن من المرور والمضي إلا بعد جبايتها الخوارزمي، مصدر سابق، ص79-80.

³ - ابن رسته، المصدر السابق، ص184-185.

⁴ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص198.

⁵ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص223.

والأمتعة التي يأخذها الحجيج صادرة وواردة"¹، كما كانت هناك ضرائب فيما وراء النهرين تفرض على الرقيق، فقد كان الرقيق لا يعبر نهر جيحون إلا بجواز من السلطان ويأخذ السلطان مع الجواز من سبعين إلى مائة درهم، وكذلك يؤخذ على الجواري بدون جواز إذا كانوا أترাকা حيث يؤخذ على المرأة عشرون إلى ثلاثون درهماً، وعلى الجمل درهمان وعلى قماش الراكب درهم.²

تكمن أهمية هذه الضريبة لبيت المال أنها مصدر دخل كبير، والدليل على ذلك أن أحد التجار البصرة الذي يدعى "بالحسن بن العباس" يمتلك العديد من السفن والمراكب التي تسافر إلى الهند والصين، وبلغ مقدار ما يدخل من مبالغ لبيت المال عن طريق ضريبة العشر المفروضة على تجارته مئة ألف دينار في السنة، لذلك عدت البصرة من أهم المنافذ التي تجبى فيها ضريبة العشور وفيها ما يكون أكثر دخل من أعشار السفن، فيبلغ مقدار أعشار السفن القادمة من عدن مائتين ألف دينار، وبعد ذلك أصبحت ضريبة العشور التي تجبى من السفن تقدر بـ 11400 دينار.³ علق ابن الأثير على حجم الأموال التي كانت تأتي عن طريق جباية أعشار السفن، بقوله "أعشار سفن البحر كان مالا عظيماً".⁴

أما بالنسبة للتجار، فقد كانت عبئاً كبيراً لهم، مما جعل الأسعار ترتفع، إضافة لما كان التجار يعانونه من مخاطر في البحر وخسائر في العتاد نتيجة الرياح وغيرها من المعوقات الطبيعية، كان يفرض عليهم دفع مبالغ كبيرة قد لا تتناسب مع كمية وقيمة البضائع المتاجر بها.

¹-المرجع نفسه، ص 244؛ نادية محمد مصطفى: في الذاكرة التاريخية للأمم تحولات ومآلات حضارية معاصرة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، (د.ت)، ص 165.

²- المقدسي، المصدر السابق، ص 340.

³- جورج زيدان، المرجع السابق، ج 2، ص 94.

⁴- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 93.

❖ ضريبة المستغلات:

فرضت الضرائب على "المستغلات" والتي تشمل الدور والطواحين التي تم بنائها على الأرض الحكومية، وقد بلغ وارد مستغلات بغداد مع دار الضرب 1500000 درهم في سنة 272هـ / 885م، وبلغ وارد مستغلات بغداد حوالي سنة 300هـ / 912م مبلغ قدره 13000 دينار، وفي أواسط القرن الثالث هجري كان مجموع هذه الضريبة في بغداد 11900000 درهما في السنة، وبلغ وارد أسواق الغنم في أسواق بغداد وسامراء وواسط والبصرة والكوفة في جريدة بن عيسى مبلغ 16970 دينار سنوياً،¹ أشار علي بن عيسى في وزارته الأولى (300هـ - 304هـ / 982م - 915م) على الخليفة المقتدر (320-295هـ / 908-932م) بوقف المستغلات بمدينة السلام وغلتها حوالي ثلاثة عشر ألف دينار.²

وكانت تفرض ضرائب جديدة أحياناً على بعض المواد في الأسواق، فلما فتح عضد الدولة الأحواز سنة 367هـ / 877م أعلن أنه سيخلص الأهالي من عبئ ثقل بإلغاء الضرائب على الطحين والمواد الغذائية، ووعد أن يفعل ذلك في العراق.³

يشير ابن حوقل إلى فرض ضرائب على الطواحين والحمامات والحوانيت، وقد كانت ضريبة "رحا البطريق" أي "مطحنة البطريق" في بغداد مائة ألف درهم سنوياً، وضرائب أخرى قد فرضت على الطواحين في الموصل،⁴ كما فرضت ضرائب أخرى على المنشآت التي شيدت على أراضي تابعة للدولة وهي ما يطلق عليها "أجور العرصات"؛ وهي خاصة على

¹ - سوسن بهجت يونس، المرجع السابق، ص 379.

² - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 310.

³ - الصابي أبو اسحاق بن ابراهيم بن هلال (ت 384هـ / 994م): المختار في رسائل الصابي (رسائل الصابي)، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الكتب المصرية، دار النهضة، بيروت، (د.ت)، ص 245-246.

⁴ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص 194.

الدور عرفت بأجرة العرصة وقد كان واردها كبيرا خلال عصر الخليفة المقتدر (295هـ - 320هـ / 907م - 932م) كما كانت تفرض على المنشآت والبنائات العمومية.¹

يدل هذا على أن المستغلات أصبحت موردا لا بأس به للخرينة، وفي فارس كانت الطواحين احتكار للسلطان وكذلك أجرة الدور التي يعمل فيها ماء الورد وفي مدن فارس كانت أراضي الأسواق وشوارعها ملكا للحكومة تأخذ عنها أجر،² كما كانت الحمامات أيضا تدفع ضرائب حيث يخبرنا ابن حوقل أن ما يقبض من طواحين في القصبة (نصيبين) والضياح المقبوضة والمشتريات، وغللات العقار المسقف من الخانات والدور ستة عشر ألف دينار وذلك سنة 358هـ / 998م³

❖ ضرب السوق:

اختلفت الضرائب في أول الدولة عما هي عليه في آخرها، فكانت الضرائب أول الأمر على حالها، فما أن استولى البويهيون على بغداد استحدثوا ضرائب أخرى غير شرعية فرضت على الرعية عامة، ثم مارسوا أسلوبا تعسفيا في جبايتها نظرا إلى حاجتهم الماسة إلى الأموال، رغم أن هذا الحل لم يأتي بنتيجة فكلما ارتفعت الضرائب غلت الأسعار إلا أن الكثير منهم فرضها، لم تسلم الطبقة الفقيرة والكادحة التي تعمل بأجور يومية زهيدة من ضرائبهم، إذ أنهم فرضوا رسوما على أجور الشياطين والذباحين والدلاليين وأصحاب السفن

¹-سوسن بهجت يونس، المرجع السابق، ص380.

²-المرجع نفسه، ص180.

³-ابن حوقل، المصدر السابق، ص143.

الصغيرة المارة بالأنهار، ورسومًا على مبيعات الحبوب وعلى بعض المنسوجات وعلى بيع وشراء الدواب والأمتعة، وعلى أسواق الدقيق ومقالي الباذنجان وغيرها.¹

كما فرضت ضريبة على المراعي والمواشي فقد توسع البويهيون في ضريبة المراعي، ولاسيما في أيام عضد الدولة، الذي أدخل ضريبة المراعي وأقر ضريبة على جميع أسواق بيع الدواب والحمير والجمال، وعما يباع ويشترى فيها في عام 371هـ / 981م وأنشأ لها ديوانًا سمي "ديوان المراعي" ضم عمالًا وكتابًا وجهازة،² وكانت مهمته ضبط العوائد المتحصل منها والبالغة أكثر من مليون درهم في السنة من أرض السواد فقط، وقد ألغى هذه الضريبة بهاء الدولة سنة 379هـ / 989م.³

❖ ضريبة المنسوجات:

انتقض العامة العاملون في مجال المنسوجات سنة 375هـ / 985م عندما همَّ صمصام الدولة بوضع ضريبة العشر على المنسوجات القطنية والحريية التي تعرف بالابريسميات والقطنية التي تصنع ببغداد، وذلك للاستفادة من ازدهار هذه الصناعة في تلك الفترة والعائد الكبير الذي تحققه، حيث عرض أحد الأشخاص "أبو الفتح الرازي" على صمصام الدولة ضمانها بمليون درهم سنويًا، فاعترض العامة على ذلك، واجتمعوا عند جامع المنصور ببغداد وكادوا يمنعون صلاة الجمعة، فاضطر صمصام الدولة لإلغاء الضريبة مستجيبًا لرغبة العامة.⁴

¹ - عباس العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية من صدر الإسلام إلى آخر العهد العثماني، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1959، ص 24-25.

² - أبو شجاع محمد بن الحسن: ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص71.

³ - المصدر نفسه، ج3، ص174.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص311؛ أبو شجاع، المصدر السابق، ج3، ص117-118.

شكلت زيادة الضرائب واستحداثها عامل لانتفاضات العامة، حيث تكشف المصادر عن عدم تهاون العوام طوال العصر البويهي في الانتفاض اعتراضاً على ذلك، ففي عهد معز الدولة البويهي تذر عامّة البصرة على عاملها أبي طاهر الحسين بن الحسن سنة 360هـ / 970م، بسبب تعسفه واستخراجه منهم الأموال بزيادة الضرائب المقررة عليهم واستحداث الجديد منها، وبحثاً عن حل لتهدئة العامة أشار الوزير أبو الفضل الشيرازي على عز الدولة البويهي بعزل عامل البصرة، فاستجاب السلطان البويهي لمشورة الوزير وقبض على ابن الحسن وأهله وصادر أمواله وولى غيره، كما تذر العامة على آخر عهد عضد الدولة عندما استحدث بعض الرسوم، مما اضطر صمصام الدولة إلى إسقاط بعضها في أول عهده بعد موت أبيه عضد الدولة¹

❖ المصادرة:²

اتبع العباسيون نظام المصادرة لتزويد خزينة الدولة بالأموال، وربما شُرع هذا النظام كنظام عقابي على الخيانة، ولكنه فيما بعد أضحى من الموارد المهمة لبيت المال لضخامة

¹ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص385،

² - المصادرة: تعني في كتب الفقه الاستيلاء على مال الغير ظلماً وهو ما يطلق عليه بالغصب، ولكنها في لغة الكتاب وأصحاب الدواوين تختلف عن ذلك؛ فهي تعني المطالبة بالأموال عموماً بغض النظر عن واقعها الشرعي أو الغير شرعي، ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987، مج5، ص417. لقول الأزهري: ومن كلام كتاب الدواوين أن يقال: "صودر فلان العامل على مال يؤذي أي فورق على مال ضمنه"، الأزهري محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت)، ج12، ص135.

الأموال التي كانت تصدر، لذا تصدر الأموال لا من أجل خيانة صاحبها للدولة وإنما بسبب حاجة الخليفة للأموال.¹

قام المتوكل (232-247 هـ/847-861م) بمصادرة الأموال لبناء مدينة الجعفرية، يروي الطبري هذه الحادثة فيقول: "فلما عزم المتوكل على بناء الجعفري قال له نجاح وكان في الندماء يا أمير المؤمنين أسمى لك قوما تدفعهم أليّ حتى أستخرج لك منهم أموالاً؟ تبني بها مدينتك هذه، فإنه يلزمك من الأموال في بنائها ما يعظم قدره ويجل ذكره فقال له سمهم...".²

أخذت المصادرات خلال هذه الفترة تأخذ طابعها المتميز والمباشر، فلم تعد تقتصر على من اختلس مالا من موظفي الدولة، أو من خرج على سلطة الخليفة؛ فشملت جميع رجال الدولة من الوزراء، الولاة، الكتاب، الحجاب، التجار، وحتى النساء وحاشية القصر.. فقد أصبح كل صاحب منصب أو مال عرضة للمصادرة.³

ويمكن اعتبار مصادرة أموال التاجر ابن الجصاص من أبرز الامثلة على ذلك، حيث صودرت له أموال كثير من الذهب والفضة والدواب وغير ذلك، فقد وُصف ابن الجصاص بأنه بيت مال يمشي على الأرض⁴ وكان يقول عن نفسه "إن ثروتي سبعة آلاف ألف دينار سوى الجواهر".⁵

¹ - محمد طه حسن الحسين: التنظيم المالي للدولة منذ صدر الإسلام حتى سقوط الدولة العثمانية، المركز العربي للأبحاث، 2017، ص128.

² - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص214.

³ - فهد مطر المطيري، المرجع نفسه، ص210.

⁴ - المرجع نفسه، ص215.

⁵ - الصابي، المصدر السابق، ص125.

شملت المصادرات: العملات الذهبية والفضية، الجواهر والأواني الذهبية والفضة، الملابس والأثاث والطيب، الكتب، الضياع والعقارات، الدواب والأسلحة، العبيد، الاقطاعات. كان حجمها يزداد ويقل بحسب طبيعة قرار المصادرة، فإذا كان استصفاء أو نكبة شملت جميع الأموال، وقد تكون المصادرة مخففة تشتمل على مبالغ معتدلة من العملات، مقابل إطلاق بقية الأموال المقبوضة¹.

استلزم الأمر استحداث ديوان خاص للنظر في شؤونها يسمى "ديوان المصادرات"، وعين له موظفين لدرجة أن وجد له نائب في حال غياب رئيسه، وإن كانت الأموال التي ستصادر كثيرة، كان الوضع يتطلب استحداث ديوان خاص لإدارة هذه الأموال، ومن ذلك "ديوان المقبوضات" الذي استُحدث سنة 310هـ، وذلك للقبض على أموال أم موسى الهاشمية²، و"ديوان المخالفين" الذي استحدث لمصادرة أملاك مؤنس الخادم في سنة 319هـ³.

كان لانتشار المصادرات بأنواعها المختلفة في العصر العباسي أثره الواضح على الحياة الاقتصادية بمعالمها المختلفة ايجابا وسلبا، حيث أثرت على الوضع المالي للدولة وعلى النشاط الاقتصادي للناس من تجارة وزراعة، فانعكس ذلك على نشاط الأسواق من حيث عدم ثبات الأسعار من فترة إلى أخرى، كما أدى نقشي المصادرات إلى زيادة ثروة جبة الأموال وتحبس عن التداول وتتحصر في أيدي فئة معينة، تحاول قدر المستطاع الاستئثار بالأموال واكتنازها وإخفائها، مما يؤدي إلى قلة النقد المتداول في الأسواق وكساد السلع،

¹ - مجيد تحسين حميد: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع هجري، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، 2015، ط1، ص235.

² - ابن مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص141.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص136.

وضعف القوة الشرائية عند الناس الأمر الذي يؤدي إلى تراجع الحركة التجارية الداخلية والخارجية ويقود إلى البطالة ويزيد الفقر¹.

ولأن خطر المصادرة يهدد كل فرد من أفراد المجتمع، أدى ذلك إلى هجر المزارعين لأراضيهم، وترك العمال لأعمالهم ومن الأمثلة على ذلك ما فعله معز الدولة عام 334هـ/945م عندما شغب عليه جنده مطالبين بأرزاقهم، فاضطر إلى اللجوء للمصادرات لحل أزمته فاستخرج الأموال من غير وجهها" ولم يكتفي بذلك بل قام بمصادرة الكثير من الضياع والأراضي وأقطعها لقواده وجنده، مما أدى إلى تركهم لأعمالهم الزراعية وهجرهم أراضيهم وصار أكثر السواد مغلقا وزالت أيدي العمال عنه".²

أدت هذه الأزمة أيضا إلى ازدياد المصادرات، ونجم على العمال والتجار وسائر الناس مالا لأرزاق الجند، وأدى الأمر إلى كان يغمر على من عنده قوت من الحنطة أعده لعياله فيكبسه ويأخذه منه وكثرت الضرائب حتى هاجر التجار من بغداد.³

أدى تطبيق هذه الضريبة إلى الخراب، حيث قعد التجار عن أعمالهم مما أدى إلى كساد الحركة التجارية، وضعف النشاط التجاري في الأسواق، وانتشرت السرقات والنهب وانعدم الأمن بين أفراد المجتمع فتراجع المستوى المعيشي، وانشغل الأفراد بالحصول على القوت بصرف النظر عن الطريقة سواء شرعية أو غير شرعية.⁴

حاول كثير من الأغنياء عند تعرضهم للمصادرة التظاهر بالفقر أو الهروب بالمال عند حدوث الأزمات والاضطرابات، فقد شهدت بغداد هروب أصحاب الأموال بأموالهم أثناء

¹ - محمد تركي محمد شنطاوي، المرجع السابق، ص252.

² - ابن مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص274.

³ - مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق: عمر السعيد، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، (د.ت)، ج4، القسم 1، ص426-427.

⁴ - محمد تركي محمد شنطاوي، المرجع السابق، ص218.

الفتنة بين الأمين والمأمون، فبعد أن قلت الأموال بين يدي المأمون، وضاق عليه الأمر نتيجة لحصار طاهر بن الحسن لبغداد، أمر غلامه زُريحاً أن يتتبع أصحاب الأموال والذخائر ويصادر أموالهم، فجمع بهذه الطريقة أموالاً كثيرة، فهرب الناس من بغداد بحجة الحج وفي ذلك يقول الشاعر:

أظهروا الحج وما يبغونه بل من الهرش يريدون الهرب
كم أناس أصبحوا في غبطة ركض الليل عليهم بالعطب.
كل من زار زريح بيته ناله الذل ووافاه الحرب.¹

وكان تهريب الأموال معناه نقصان النقد من أيدي الناس وعند الدولة، وهذا ينعكس على العمل فيؤدي إلى الركود والكساد الاقتصادي، ولم يقتصر الأمر على تهريب الأموال بل تظاهر أصحاب الأموال بالفقر خوفاً من المصادرة، وأنكر الكثير منهم امتلاك الأموال، ومثاله ما حدث مع الفضل بن جعفر الذي أتهم بتحريض الساجية والحجرية - وهم غلمان القاهر في الجيش - على الثورة، فقام القاهر بالقبض عليه وأمر الوزير الخصيبي بمصادرته بثلاث مائة ألف دينار فقال الفضل: "لو كنت ذا مال لكانت لي ضياع ودور وخدم ومروءة بحسبها".² خاصة رواتب الجند، وأدى هذا في بعض الأحيان لتحقيق التوازن الاقتصادي في الدولة.³

جلبت المصادرة للدولة الوبال، حيث أنها أدت إلى إرباك الوضع الاقتصادي للدولة فتزداد ثروة جباة الأموال في الدولة، وتُحبس عن التداول وتتحصر في أيدي فئة معينة تحاول قدر استطاعتها الاستئثار بالأموال واكتنازها وإخفائها، مما يؤدي لقلة النقد المتداول

¹ - المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج3، ص335.

² - محمد تركي محمد شنطاوي، المرجع السابق، ص224.

³ - المرجع نفسه، ص252.

في الأسواق وكساد السلع، وضعف القوة الشرائية عند الناس الأمر الذي يؤدي إلى تراجع الحركة التجارية الداخلية والخارجية، ويقود إلى البطالة وزيادة الفقر وسوء الأحوال داخل المجتمع.¹

من خلال ما تقدم من الامثلة عن الضرائب المفروضة على الأسواق والحوانيت وغيرها من المنشآت في العصر العباسي، نستطيع أن نستدل أن الدولة كانت تفرض الضرائب على أصحاب الصنائع والحرف والتجار في الأسواق حسب الظروف، فهذه الضرائب لم تخضع لقاعدة ثابتة، ولم يلتزم بها الكثير من الولاة في بعض الأحيان، وقد يعود ذلك إلى الحالة السياسية التي عاشتها الخلافة في ظل الخلفاء المتأخرين والتي لم يكن لبغداد إلا السلطة الاسمية على إقليم المشرق الإسلامي أعاققت النمو الزراعي والصناعي دون الأخذ بعين الاعتبار مصلحة الدولة واقتصادها فكان في النتيجة المحتومة لهذه السياسة خلق اقتصاد غير متوازن تمثل بهذه الضرائب الثقيلة على الأسواق.²

هـ - تزيف النقود:

اتبعت الدولة العباسية سياسة نقدية وفقا للمعايير الاقتصادية والسياسية السائدة آنذاك، حيث أرادوا بذلك إظهار تفوقهم على أسلافهم ، واهتموا بإقامة دور ضرب النقود وأشرف الخلفاء أو من ينوب عنهم بصورة مباشرة على تلك الدور ومراقبة العاملين عليها، لكي يتحققوا من ضوابط العمل وليبعدوا عنها احتمالات الغش والتزيف،³ كانت قيمة العملة

¹ - لطيفة صلاح عبد الهادي علي: المصادرات في العصر البويهي (334هـ / 447هـ / 945م - 1055م)، سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، الع 4، 2022، ص233.

² - سوسن بهجت يونس، المرجع السابق، ص381.

³ - حمدان عبد الرحمان الكبيسي: أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، 1988، ص43؛ ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، (د.ت)، ص1233.

تتحدد عن طريق النقاء المعدني لها وعليه تتحدد قيمتها الشرائية، فقد كانت العملة في الدولة العباسية كجميع النقود الإسلامية على مدار التاريخ؛ تتكون من الذهب في حالة الدينار والفضة في حالة الدرهم¹

استمر العمل بذلك إلى عهد الخليفة الواثق بالله (227هـ-232هـ / 835م-840م)، أشار قدامة بن جعفر لذلك في قوله: "كانت الأعيرة المعمول عليها في دور الضرب ما جمع عياره من ثلاثة دنانير مضروبة في تلك الدول الثلاث" وقد عني "بالدول الثلاث" الواردة في النص عصور كل من الخليفة الرشيد والمأمون والواثق.²

تأثرت العملة بما تعرضت له الخلافة من فوضى سياسية وتدخل العناصر الأجنبية في الحكم؛ مما أدى للتراخي في الإشراف على دور الضرب، ومن مظاهر ذلك نوعية ووزن العملة المستعملة في المعاملات، والتي اتسمت بالرداءة خاصة بعد مقتل الخليفة المتوكل على الله سنة 247هـ / 861م وقد عبر المقرئ عن وضع الخلافة آنذاك بقوله: "فتناثر سلك الخلافة وبقيت الدولة العباسية في ترف وقوى عامل كل جهة على ما يليه وكثرت النفقات وقلت الجبايات بتغلب الولاة على الأطراف وحدثت بدع كثيرة حينئذ ومن جملتها غش الدراهم"³، حيث انتشر التعامل بالنقود الزيوف⁴، البهرجة¹، القراضة²، والمموهة³، والمغمورة⁴.

¹- عبد الحميد سعيد: خليفة الله ظل الله في الأرض دراسة في اصول الاستبداد السياسي وأدواته، دار نقوش عربية، تونس، 2021، ص 122.

²- قدامة بن جعفر: المصدر السابق، ص 60.

³- المقرئ تقي الدين أبي العباس أحمد (ت 845هـ): رسائله، تح: رمضان البديري، دار الحديث، القاهرة، 1998، ص 166-167.

⁴- الزيف: من وصف الدراهم يقال زافت عليه دراهمه، أي صارت مردودة لغش فيها، وقد زيفت إذا ردت، وكانت زيوفاً وقسية أي رديئة، والجمع زيف زيوف، ابن منظور، المصدر السابق، ج 9، ص 142.

تجدر الإشارة إلى أن التوسع الكبير الذي شهدته الخلافة العباسية في إنشاء دور الضرب بسبب منح الخلفاء العباسيون وولاة الأقاليم والوزراء في الدولة الحق في إصدار العملات؛ كان من الأسباب المؤدية إلى تدهور جودة الإصدار النقدي وانتشار زيف المسكوكات خاصة في العصر العباسي الثاني، وقد أكد حدوث هذا التدهور الصولي بقوله: "كثر التخليط في أمر النقد ودار الضرب".⁵

كانت أعمال الزيف تتم خارج دور الضرب الرسمية وعلى أيدي أشخاص ماهرين في النقش، متخصصين في هذا الضرب من العمل كما أن بعض أعمال الزيف كانت تتم في ظل ظروف سياسية شاذة عن طريق دور الضرب الحكومية نفسها وقد ارتبط ذلك خاصة بزيادة النفقات وتراجع الجبايات.⁶

¹- البَهْرَج: رديء الدرهم الذي فضته رديئة والبهرج الدرهم المُبْطَلُ السكة و هي المسكوكات التي يكثر فيها المعدن الرخيص ودرهم برهج مزيف ملبس بالفضة، ابن منظور، المصدر السابق، ج12، ص216.

²- القَرَاضة: أو المثلومة وهي الدنانير أو الدراهم المقطوعة أو المكسورة الحرف، ويقطع عليها اسم الدراهم القُطْع، وهذا القرض أو التلم قد ينتج في المسكوكات بقصد الغش والتزييف، وقد يكون عفويا بسبب التداول، أو قد يكون بهدف تسهيل أمور البيع والشراء في جال عدم وجود أجزاء الدنانير والدراهم؛ طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي: المسكوكات العباسية حتى منتصف القرن الخامس هجري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص138.

³- مُمَوَّة: وهي تعني الطلاء بالذهب أو الفضة وما تحت ذلك شبه أو نحاس أو حديد زمنه؛ التميمي وهو التلبيس، فيتبين من ذلك أن التميمي هو ضرب معين من ضروب التزييف؛ عبد العزيز حميد، المرجع السابق، ص306؛ عاطف منصور محمد رمضان: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008، ص388.

⁴- المغمورة: تطلق على رذال المال، ومعنى غمرت لينت، والغميرة العيب؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص389.

⁵- الصولي، المصدر السابق، ص136؛ عبد العزيز حميد: المسكوكات المزيفة في العصر العباسي، كلية الآداب، جامعة بغداد، (د.ت)، ص 309.

⁶- طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص153.

قدمت المصادر مجموعة من حوادث التزييف، ففي سنة 267هـ / 875م عمده الخليفة المعتمد (279-289هـ/892-902م) على نفي ضرابي المسكوكات في سامراء وهو إجراء يدل على أن الضرابيين ارتكبوا جريمة غش المسكوكات وتلاعبوا في عيار العملة.¹ حيث ضرب أمير الأمراء بجكم (326هـ-329هـ / 937م-940م) " دنانير وحشة وحمل عليها حملا كثيرا"² بزيادة نسبة المعدن الرخيص فيها، وبأوزان قدرت بعدة مثاقيل³، ويبدو أن التعامل بها كان كبيرا وتداولت سريعا بين الناس ثم قادت الإجراءات النقدية لأمير الأمراء بجكم إلى الفوضى في مجال التعامل النقدي إذ أدت إلى فساد النقد جودةً وعياراً، وكانت إجراءاته تلك تهدف إلى تلافي العجز الحاصل في الميزانية وتغطية نفقاته ونفقات جنده التي بلغت أموالاً ضخمة جداً، تعجز الإيرادات عن استيفائها تغطيتها ثم عمل على سحب النقود الجيدة من الأسواق وادخارها بدفنها في باطن الأرض لتتمكن عملته الرديئة من أن تأخذ طريقها للتداول.⁴

استغل الصيارفة رداءة النقد فأخذوا يُروجونَ للزيوف، وبقي الحال على ما هو عليه حتى عام 310هـ / 941م حين قام أمير الأمراء ناصر الدولة الحمداني بإلغاء ضربها وأمر بتجويد العيار وتصفية العين والورق، ثم ضرب الدنانير الإبريزية،⁵ لاقت هذه النقود رواجاً كبيراً وبيع الدينار الجديد بثلاثة عشر درهماً بعد أن كان عشرة وذلك لجودة عيارها، حيث حملة كلمة "إبريز" وهي تعني الذهب الخالص تعبيراً عن جودة عيارها.⁶

¹-ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيوف النقود الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، مكة المكرمة، 1993. ص28.

²- الصولي، المصدر نفسه، ص136.

³- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج4، ص268.

⁴-ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيوف النقود الإسلامية، المرجع السابق، ص30.

⁵- الصولي، المصدر السابق، ص231.

⁶- عاطف منصور، المرجع السابق، ص365.

خلال العهد البويهى أخذت الدنانير العباسية منحى متزايدا من الرداءة والتدني من حيث النقاء والجودة،¹ حيث زاد التراخي في الإشراف على دور الضرب إلى درجة كبيرة فعهد بها إلى أشخاص معنيين بالضمان واللزمة مما كان يتسبب في كثير من الأحيان بأمر غير حميدة، إذ من المعروف أن الأجور التي كانت تتقاضاها دور الضرب عن الخدمات التي تقدمها كانت في بادئ الأمر 1% أو أكثر بقليل من القيمة الكلية للمسكوكات المضروبة لتغطي ثمن الخطب، وأجور العمال وغير ذلك من النفقات الأخرى، ومما يؤسف له أن المصادر التاريخية لم تكشف لنا فيما إذا كانت الأجور في العراق في العصر البويهى كانت مشابهة للأجور في العصر الأول أم أنها كانت أعلى من ذلك أو قريبة، ولا ندري إذا ماكنت كافية لتغطي النفقات الجديدة في العصر البويهى المترتبة على الضمان واللزمة، أم أن الضامن أو الملتزم كان يتلاعب بالعيار للحصول أرباح غير مشروعة.²

تولى ابن حباب أمر الإشراف على دار الضرب بصنعاء، فضرب سنة 232هـ/ 840م مسكوكات عرفت بالحبابية (خليط من الفضة والذهب) وهي دنانير واضحة بيض أكثر من نصفها فضة مبهجة عرفت بالزرسيم.³

حاول البويهيون تدارك هذا الوضع، فأصبحوا يقومون بإدارة دور الضرب بأنفسهم،⁴ كما عهدوا للقضاة أمثال القاضي التتوخي بالإشراف على صحة العيار وكان عقاب المزيف شديد يصل لحد القتل، ومع ذلك تفشت ظاهرة خلط المعادن الرخيصة كالنحاس مع الذهب،⁵

¹ - طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص 62.

² - عبد العزيز حميد، المرجع السابق، ص 311.

³ - الهمذاني أبي محمد الحسن بن أحمد (ت 345هـ تقريبا): الجوهريتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تح: أحمد فؤاد باشا، مطبعة الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص 141.

⁴ - طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص 104.

الذهب،¹ إلا أن ما عانتته الخلافة من اضطرابات سياسية وأزمات اقتصادية ساهم في انتشار الغش في العملة بصورة كبيرة، ففي سنة 330هـ ضرب ركن الدولة علي بن بويه (320هـ-366هـ / 932م-976م)، دنانير سمية بـ"الركنية"، كان نصفها نحاسا خالصا وكان الدينار منها يساوي ثلث الدينار المعتاد، كما ضرب عضد الدولة البويهى 367هـ-382هـ دراهم مخلوطة بالنحاس والرصاص سمية بـ"التيجانية" لم يقبلها التجار في الأسواق،² ووصل الأمر إلى مرحلة حرجة في عهد بهاء الدولة حيث وصل نقاء الدينار عام 375هـ إلى دون 50%.³

تسربت أعداد هائلة من الدراهم المزيفة كانت تحمل إلى العراق من إيران وغيرها من الأقاليم منذ مطلع ذلك القرن، ومن ذلك ما يروي من أن "الأصغير الأعرابي" اعترض الحاج سنة 384هـ / 994م ومنعهم المرور لأن الدنانير التي أعطيت له قبل سنة كانت مطلية ولم يسمح لهم بالمرور إلا إذا أعطوه الرسم مضاعفا فرفض العراقيون ذلك ولم يتم حجهم تلك السنة،⁴ ولم تكن الدولة قادرة على كبح اتجاه التدهور في اقتصاد العراق وعلى العكس من ذلك أصبح التدهور مع مرور الزمن - أكثر وضوحا فأصبح استخدام الدينار في تلك الفترة قليلا واقتصر على هدايا الزفاف.⁵

اختلف سعر صرف الدينار من فترة زمنية إلى أخرى حيث كانت قيمة العملة تتحدد عن طريق النقاء المعدني لها؛ وبالتالي تتحدد القيمة الشرائية، حيث أن سعر صرف الدينار

¹ - التتوخي، ج1، المصدر السابق، ص142؛ ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي، نقود الدولة البويهية 334-447هـجري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، الع 75، (د.ت)، ص135.

² - طلال بن شرف، المرجع السابق، ص153.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص249.

⁴ - ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج14، ص369.

⁵ - طلال بن شرف، المرجع السابق، ص153.

بالدرهم تغيير في القرنين الثاني والثالث الهجريين في أيام هارون الرشيد بلغ $22=1$ ، في أيام المأمون $15=1$ في أيام المتوكل $25=1$ ، وفي أيام المنتصر $20=1$. أي أن السعر تراوح بين 4 % الى 6,6 %،¹ قدم الدوري سعر صرف الدينار الواحد لبعض السنوات خلال القرن الرابع هجري والذي اختلف من سنة فترة إلى أخرى، وهذا راجع للتغيرات في قيمة الذهب والفضة وإضافة رسم على تحويل الفضة على الذهب عند الدفع والتي من شأنها أن تؤدي إلى خسارة دافعي الضرائب،² (أنظر الملحق رقم 04، ص384).

لم تكن الدولة العباسية مبتدعة في تحديد أوزان وعيار العملة وإنما كانت متبعة لما كان قد أُقر في صدر الإسلام من أوزان، فالمسكوكات الإسلامية معروفة الوزن والمقدار في المجتمع المكي قبل الإسلام وأقرها الإسلام على ما كانت عليه، وعلى ذلك فإن الدينار و الدرهم الشرعيين معلومان مقدران في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعده ثم في عهد عبد الملك بن مروان كان إصدار المسكوكات الإسلامية وهي مغايرة في سكها وشاراتها للنقد الأجنبي لكنها موافقة في أوزانها للأوزان الشرعية.³

التزم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/673-694م) في إصلاحاته النقدية الوزن الشرعي للنقود الإسلامية معتبرا في ذلك النسبة بين وزن الدرهم والدينار وهي نسبة (10=7) أي أن الدرهم يمثل سبعة أعشار الدينار أو بمعنى آخر فإن عشرة دراهم تساوي سبعة دنانير، وبناءا على ذلك فإن الوزن الشرعي للدرهم الإسلامي وفق الموازين الحديثة هو (2,97) غرام وذلك أساس أن الوزن الشرعي للدينار بالموازين الحديثة هو

¹ - محمد عقل: الدولة العباسية في عهد المتوكل على الله (232هـ-247هـ / 847م-861م)، أي كتب، لندن، 2019، ص76.

² - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص245.

³ - النقشبندی ناصر الدين محمود: الدينار العراقي في المتحف العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953، ص25-30.

(4,25) غرام.¹ وقطر الدينار لم يتغير فهو على ماكان عليه في العهد الأموي وهو 20ملم²

اعتمادا على ما قدمه عالم الآثار "ناصر السيد محمود النقشبدي" في كتابه "الدينار الإسلامي في المتحف العراقي -الدينار الأموي والعباسي-"، والذي كان عبارة عن دراسة لنماذج من الدنانير العباسية المحفوظة في المتحف العراقي ومتاحف العالم، عملت على جمع أوزان الدينار وأقطاره الواردة في النصوص وعرضها في جدول لأخذ صورة أكثر وضوحا عن أوزان العملة، وللتعرف إذا ما تأثر الوزن هو الآخر بأعمال الزيف أم لا؟

اسم الخليفة	السنة	الوزن	القطر
المأمون (198هـ-218هـ)	198هـ / 814م	3,765 غ	17,2 ملم
	199هـ / 815م	3,299 غ	18,3 ملم
	203هـ / 819م	4,136 غ	16,9 ملم
	205هـ / 821م	4,217 غ	19,7 ملم
	207هـ / 823م	215,4 غ	19,1 ملم
	208هـ / 824م	4,224 غ	19,4 ملم
	209هـ / 825م	4,030 غ	19 ملم
	210هـ / 826م	4,210 غ	17,8 ملم
	211هـ / 827م	3,912 غ	18 ملم
	214هـ / 830م	4,218 غ	19 ملم
	215هـ / 831م	4,068 غ	19,4 ملم
	215هـ / 831م	4,191 غ	19,4 ملم
	218هـ / 834م	4,128 غ	20,6 ملم

¹ - طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي، المرجع السابق، ص 67- 68.

² - النقشبدي، المرجع السابق، ص 34.

20,3 ملم	4,182 غ	218 هـ / 834 م	
20,6 ملم	4,105 غ	224 هـ / 840 م	المعتصم بالله (218 هـ - 227 هـ)
19,4 ملم	3,480 غ	224 هـ / 840 م	
20,7 ملم	4,203 غ	225 هـ / 841 م	
21,4 ملم	4,232 غ	226 هـ / 842 م	
21,5 ملم	4,184 غ	229 هـ / 845 م	الواثق (227 هـ - 232 هـ)
20 ملم	3,919 غ	233 هـ / 848 م	المتوكل (232 هـ - 247 هـ)
21,3 ملم	4,180 غ	234 هـ / 849 م	
21,3 ملم	4,250 غ	235 هـ / 850 م	
20,7 ملم	4,283 غ	237 هـ / 851 م	
21,2 ملم	4,208 غ	238 هـ / 852 م	
20,7 ملم	4,131 غ	239 هـ / 853 م	
20,8 ملم	4,268 غ	243 هـ / 857 م	
21,3 ملم	4,140 غ	245 هـ / 859 م	
20,9 ملم	4,145 غ	245 هـ / 859 م	
18 ملم	4,180 غ	247 هـ / 861 م	المنتصر (247 هـ - 248 هـ)
17,4 ملم	4,115 غ	247 هـ / 861 م	
19 ملم	3,26 غ	247 هـ / 861 م	
20,8 ملم	4,471 غ	249 هـ / 863 م	المستعين (247 هـ - 251 هـ)
22 ملم	4,417 غ	250 هـ / 864 م	

22,5 ملم	4,330 غ	251 هـ / 865 م	
/	2,58 غ	251 هـ / 866 م	المعتز (251 هـ - 255 هـ)
18 ملم	2,80 غ	256 هـ / 871 م	المهتدي (246 هـ - 255 هـ)
/	3,75 غ	256 هـ / 871 م	
23,4 ملم	4,788 غ	269 هـ / 884 م	المعتمد (256 هـ - 279 هـ)
	4,112 غ	270 هـ / 885 م	
10,16 ملم	1,147 غ	282 هـ / 897 م	المعتضد (279 هـ - 289 هـ)
13 ملم	1,82 غ	286 هـ / 898 م	
12,7 ملم	0,953 غ	287 هـ / 899 م	
22,4 ملم	4,111 غ	292 هـ / 904 م	المكتفي (289 هـ - 295 هـ)
24,5 ملم	4,132 غ	294 هـ / 906 م	
24,7 ملم	4,169 غ	298 هـ / 910 م	
24,7 ملم	4.657 غ	306 هـ / 918 م	المقتدر (295 هـ - 320 هـ)
9,5 ملم	0,900 غ	312 هـ / 924 م	
25 ملم	5,129 غ	319 هـ / 931 م	
23,5 ملم	4,28 غ	322 هـ / 933 م	القاهر (320 هـ - 322 هـ)
25 ملم	4,082 غ	325 هـ / 936 م	الراضي

			(322هـ-329هـ)
/	3,75 غ	941م / 330هـ	المتقي (329هـ-333هـ)
22	4,402 غ	945م / 334هـ	المستكفي (333هـ-334هـ)
/	2,47 غ	953م / 342هـ	المطيع (334هـ-363هـ)
17	1.303 غ	960م / 348هـ	
/	3,50 غ	966م / 355هـ	

الجدول رقم 05: يمثل أوزان الدينار خلال الفترة (198هـ-381هـ / 814م-991م)

اعتمادا على كتاب الدينار الإسلامي في المتحف العراقي -الدينار الأموي والعباسي-
لناصر السيد محمود النقشبندى " -إعداد الباحثة-¹

بناء على ما ورد في الجدول أعلاه يتضح أن:

• أعلى وزن للدينار ضرب سنة 269هـ/883م في عهد الخليفة المعتمد (256هـ-279هـ) والذي بلغ وزنه 4,788 غ وقطره 23,4 ملم وهو وزن قريب للوزن الشرعي، وأخف دينار ضرب سنة 312هـ/925م في عهد الخليفة المقتدر بالله (295هـ-320هـ/908-932م) بلغ وزنه 0,900 غ وقطره 9,5 ملم.

• ضربت العديد من الدنانير وبأوزان مختلفة خلال عهد كل خليفة، وهذا راجع للصلاحيات التي قدمت للوزراء والأمراء... والتي سمحت لهم بضرب دنانير خاصة بهم، وقد يكون أيضا من بينها دنانير الصلة وحفلات الزفاف التي اتصفت بارتفاع وزنها وجودة عيارها، ويرجع ذلك أيضا لانتشار دور الضرب في معظم أقاليم الخلافة.

¹ - النقشبندى، المرجع السابق، ص 113-165.

• تأرجحت أوزان العملة بين الاقتراب (بالزيادة أو النقصان) أو الابتعاد من الوزن الشرعي، لكن أغلبها قريب للوزن الشرعي وبالتالي فأعمال الزيف مست درجة نقاء المعدن أكثر مما مست وزنه.

• يعطي وزن الدينار العديد من الدلالات الاقتصادية باعتباره من معدن الذهب، فارتفاع وزنه دلالة على توفر معدن الذهب ربما لانخفاض أسعاره، أو قد يدل على حرص الدولة على ضبط وزن العملة ونقاوة معدنها، وفي حالة تعرض الدولة لأزمات سياسية أو مالية تلجأ لتخفيف وزنها أو زيادة نسبة المعادن الرخيصة فيها، أو أن الدنانير خفيفة الوزن قد تكون ضربت خارج دور ضرب الدولة.

• اقترن ذكر وزن العملة بقطرها، وهذا ما قد يعطينا صورة عن مدى تناسب الوزن مع القطر مما سينعكس حتما على صلابة الدينار، فعلى سبيل المثال تأرجحت أقطار العملات التي بلغ وزنها 4 غرامات ما بين 16 و 25 ملم وهذا ما قد يجعل صلابتها تختلف رغم اقتراب وزنها من الوزن الشرعي، وبلغت أقطار بعض الدنانير التي كان وزنها 2 غ أو أقل بين 9 و 18 ملم، وهذه المقاييس قد تختلف لعدم اتقان استدارة الدينار، وهذا قد يجعل الدنانير أقل صلابة لعدم تناسب وزنها مع قطرها ويجعلها أكثر عرضة للكسر والتي تعرف بـ "القراضة" وبالتالي تفقد قيمتها.

إن غش وتزييف النقود يؤدي إلى فساد النظام النقدي للدولة، لأنها كما يذكر ابن العربي : "كسر الدنانير والدرهم ذنب عظيم، لأنها الواسطة في تقدير قيم الأشياء والسبيل إلى معرفة كمية الأموال وتنزيلها في المعاولات"، وكسرها أي إفسادها وإنقاصها بعد تذويبها وتزييفها،¹ فالغرض من النقود أن تكون معيارا للقيمة ويؤكد على ذلك ابن القيم

¹ - ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله المالكي (ن543هـ): أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، 2012، دار الكتب العلمية، لبنان ، ج3، ص23.

فيقول: "وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة، ولا يقوم هو بغيره إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض فتفسد معاملات الناس".¹

تزيف النقود يعمل على الإخلال بوظائفها التي وضعت من أجلها وقضت به على تعب التبادل والمقايضة فهي تمهد السبيل لأنشطة الإنتاج،² كما أنها تعمل على تحقيق التوازن الاقتصادي كونها الوسيط بين السلع والخدمات، ويقول الإمام الغزالي في هذا الصدد "نعم الله تعالى، خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعينهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمة وملبسه وسائر حاجاته"،³ فإذا مس الغش النقود تعطلت جميع الحاجات والأنشطة الاقتصادية، وكلما زاد الغش تفقد قبولها والثقة في التعامل بها.

4- اضطراب نشاط الأسواق وحركة التجارة

أ- حرق وتدمير الأسواق:

بلغ النشاط التجاري في الدولة العباسية درجة عالية من التوسع ما جعلها تحتل مركزاً متميزاً في تاريخ التجارة العالمية آنذاك، كان من شأن هذا التوسع أن يؤدي لقيام علاقات تجارية واسعة بين الدولة العباسية والعالم الخارجي، كما كان من شأنه أن يؤدي لقيام مراكز وموانئ تجارية هامة سيطر عليها المسلمون سيطرة تامة.

¹ - ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب (751هـ): إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الأرقم، لبنان، 2016، ص 394.

² - علي سيد اسماعيل: أحكام النقود المزيفة في الاقتصاد الإسلامي والقانون، دار التعليم الجامعي، 2019، ص 142.

³ - الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت)، ج4، ص88.

شكلت الأسواق مركز البيع والشراء ومجالا حيويا للنشاط المالي، كما أنها كانت مركز قيام العديد من الصناعات، فزواج التجارة العالمية في تلك الفترة وتحكم الدولة العباسية بها أدى إلى تدفق السلع والمواد الأولية لمختلف الصناعات، تأثرت الفعاليات التجارية والصناعية ومدى مساهمتها في المجال الاقتصادي بما تعرضت له الأسواق والموانئ وطرق المواصلات من تحديات سياسية وطبيعية، فنتج عن ذلك كساد النشاط التجاري وتراجع العديد من الصناعات خلال فترات حدوثها.

يعطينا الحديث عن أسواق بغداد في العصر العباسي صورة واضحة عن مدى التقدم وازدهار التجارة، فقد شكلت بغداد ملتقى كثير من الطرق التجارية فهي تقع بين دجلة والفرات فتأتيها التجارات برا وبحرا وبأيسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من أرض الإسلام وغير أرض الإسلام، فإنه يُحملُ إليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة، وسائر البلدان.¹

اعتبرت بغداد مركزا للتجارة في العالم الاسلامي، و في وصف لها يقول الخطيب البغدادي "لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلال قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وتميز خواصها وعوامها وعظم أقطارها وكثرة دروبها ودورها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها وطيب هوائها وعذوبة مائها واعتدال صيفها وشتائها وربيعها وخريفها".²

شكلت الأسواق جزءا حيويا من المدن، فعندما وضعت خطط بغداد في القرن الثاني هجري، وجعل المنصور بغداد مجمع الأسواق بالكرخ وأمر التجار فابتنوا الحوانيت، وفي خطط سامراء في القرن الثالث هجري وجهت عناية خاصة للأسواق، ولما بنى المتوكل مدينة الجعفرية جعل في كل ناحية سوقا،³ ثم نمت هذه الأسواق حيث وجدت فيها الأسواق

¹ - اليعقوبي، البلدان، المصدر السابق، ص13.

² - البغدادي الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ): تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص87.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص145.

الرئيسية والفرعية والتي وصفت بالزحام الشديد حتى أن المارة لا يستطيعون اجتيازها لكثرة روادها، كما شكل التجار جزءا كبيرا من سكان بغداد وذلك بسبب هجراتهم المتواصلة إليها للعمل بالتجارة، وغيرها، بالإضافة إلى تجار بغداد وهذا جعلها تنمو وتزدهر بسرعة.¹

تخصص كل سوق بتجارة معينة وكان لكل تجار وتجارة شارع معلوم وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وساحات، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غير صنفه ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق منفردة وكل أهل منفردون بتجاراتهم.²

من أشهر أسواق بغداد خلال العصر العباسي السوق العظمى وهي "سوق الكرخ" وهي "معدن التجار" وعلى جانبي درب باب الكرخ تمتد أسواق مهمة وهناك أسواق واسعة لكل أنواع التجارات في محلة باب البصرة واسواق أخرى في درب باب المحول حيث كانت السفن القادمة من الفرات تلقي بحمولتها.³

"سوق الوراقين" ويتم فيه بيع وشراء ونسخ وتجليد الكتب وكان هذا السوق مكانا لجلوس العلماء والشعراء وكان به أكثر من مائة حانوت للوراقين،⁴ وهي مكان للإملاء كذلك ومكان لمقابلة المادة المكتوبة والتأكد من صحتها ووضوحها،⁵ "سوق الثلاثاء" في الجهة الشرقية من

¹ -ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص77.

² -اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ص37.

³ -سوسن بهجت يونس: الأسواق في المشرق الاسلامي (العراق بلاد فارس بلاد ما وراء النهرين) من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى العهد البويهي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، الع42، 2015، ص361.

⁴ -جمال كبة، و طالب عزيز: الحقيقة معالم الحضارة الاسلامية، دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع، ط1، (د.ت)، ص120.

⁵ -فتحي حسن ملكاوي: مشروعات بحثية في التراث التربوي الاسلامي، المعهد العالمي الاسلامي للبحوث، 2018، ص253.

بغداد وهو أعظم أسواقها كان سوقاً أسبوعياً،¹ "سوق دار البطيخ" ويتم فيه بيع جميع أنواع الفاكهة وكان أكثر ما يباع من الأثمار البطيخ لذلك سمي بالبطيخ²، و"سوق البزازين" وهو سوق خاص ببيع الأقمشة، و "سوق العطش" الذي أمر الخليفة المهدي (-158 169هـ/775-785م) ببنائه وبتسميته "سوق الري" لكن غلبت عليه تسمية "سوق العطش" ويبدو أن ذلك جاء من باب السخرية من هذا السوق.³

"سوق خضير" وهو سوق طرائف الصين؛ حيث أنه كان مختصاً بالتجار الصينيين ويحتوي على السلع والطرائف النادرة و"سوق دار القطن" الذي يعتبر من أكثر أسواق بغداد تجارة وربحاً، "سوق البزازين" ويقع هذا السوق على نهر البزازين ويتم فيه تجارة البز وبيع الحرير والخز والأقمشة.⁴

"سوق الأحد" وهو سوق أسبوعي و"سوق الشتاء" الذي يختص ببيع البضائع والملبوسات الشتوية، "سوق العروس" التي وصفت بأنها مجمع الطرائف وربما سميت بهذا الاسم لاحتفال الناس بتجهيز العرائس بالطرائف والنفائس، إضافة لأسواق العطارين والصيدلة وسوق النحاسين الذي عرف بصينية الكرخ.⁵

ساهمت العوامل السياسية في زعزعت استقرار الأسواق وسلامة التجارة والتجار، فكثرت ما تعرضت للنهب والحرق من قبل المتمردين وأصحاب الفتن الذين عملوا على إثارة الفوضى والشغب في أوساط العامة خاصة العاملين في الأسواق، كما أثرت الكوارث الطبيعية خاصة السيول والفيضانات على الأسواق وفعاليتها التجارية.

¹ - نقولاً زيادة: الأسواق الإسلامية، مجلة المقتطف، ج 1 مج 1943، 3، 139.

² - المرجع نفسه، ص 141

³ - حسين المصري: تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982، ص 91.

⁴ - اليعقوبي، المصدر السابق، ص 49.

⁵ - فهمي سعيد، العامة في بغداد، المرجع السابق، ص 253.

يصف ابن الجوزي في كتابه مناقب بغداد ما آلت إليه الخلافة جراء ما أصابها من فتن حيث "كانت بغداد في زمن الرشيد غاية في الحسن ثم تتابعت الفتن ووقع الخراب وما زالت الفتن متواترة إلى أن قلت المعاش وكثر الجور، وفترت الهمم عن طلب العلوم وغيرها، وكان أهلها في سعة من الأرزاق ورخص الأسعار فانتقل عنها معظمها".¹

كانت السلطة العباسية تخشى أن يغضب أهل السوق والعامة، أو أن تستفز مشاعرهم، حتى لا تدخل في غمارهم إذ أنها أدركت أن ذلك أصلح في تسيير أمورهم، إلا أن أهل أسواق بغداد لم يكونوا بمعزل عما يدور في مجتمعاتهم، فشاركوا في الفتن والاضطرابات منذ وقت مبكر، ومرد ذلك أن جل المعارضين للحكومة كانوا يتخذون من الأسواق مواضع للتعبير عن سخطهم ومعارضتهم.²

تأثر بعض أهل السوق بالأوضاع السياسية التي حدثت في العاصمة، كالفتن والمنازعات الدينية والعنصرية والأطماع الشخصية التي شهدتها الخلافة، فبيدوا أن بعضهم قد انحازوا إلى الخليفة الأمين في صراعاتهم مع أخيه المأمون، فحشرت أسواقهم بالجند أثناء إعداد جيش علي بن عيسى بن مهان الذي أرسل لمحاربة المأمون، عبر الطبري عن ذلك بقوله: "وأشخص مع ابن مهان الصنائع والفعلة".³

كان من آثار الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون أن كثر الحريق والهدم ببغداد والكرخ، ولم ينزل بعاصمة بني العباس شر من هذه الحرب، فقطع طاهر على أصحاب الأمير الأقوات وغيرها من البصرة وواسط وخلافهما من الطرق، ولما ضاق المجال بالأمين أمر قائدا له يقال له ذريح: "أن يتبع أصحاب الأموال والودائع والذخائر من أهل الملة

¹- ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان بن علي (597هـ): مناقب بغداد، مطبعة دار السلام، 1923، ص24.

²- عبد المجيد الكبيسي، المرجع السابق، ص253.

³- الطبري، المصدر السابق، ج8، ص406.

وغيرهم، وقرن معه آخر يعرف بالهرشي، فكانا يهجمان على الناس فاجتبيا أموالا كثيرة، فهرب الناس بعلقة الحج، وفر الأغنياء.¹

اعتبرت البصرة أيضا من أهم المراكز التجارية في العراق؛ لكن ما تعرضت إليه في العصر العباسي الثاني من اضطرابات سياسية أفقدتها هذه المكانة، ومن أشهر الاضطرابات السياسية التي تعرضت لها هو احتلال صاحب الزنج لها، فقد وضع هذا الأخير خطة محكمة لقطع مواصلات هذه المدينة بدجلة وفرض الحصار الاقتصادي عليها وعزلها عزلا تاما عن المناطق المجاورة لها، وخرب كل ما حولها من مدن وقرى مستغلا الضغائن والعصبية التي كانت تمزق أهلها.²

خربت المدينة وفقدت كثير من معالمها العمرانية من ذلك اليوم فيبدو أن صاحب الزنج كان شديد العداء للبصرة، وأهلها لأسباب عديدة فقد كانت البصرة في ذلك الوقت مركزا لطبقة كبيرة من الأغنياء الذين كَوَّنوا ثرواتهم الطائلة من استثمار العبيد في الزراعة من اشتغالهم في التجارة، فكان احتلال البصرة كارثة مؤلمة بالنسبة للخلافة نظرا لأهميتها التجارية، فخرابها يعني قطع التجارة العباسية الصادرة والواردة.³

كان هذا الحدث بداية النهاية لهذا الصرح التجاري العظيم (البصرة) فبعد ذلك خربت وتقلص عمرانها وصار ما بين البصرة والمربد خراب فيذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان قائلاً: "لقد كان مربد البصرة من أشهر محالها وكان يكون سوق الأبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء والخطباء، وهو يبعد عن

¹ - راشد البراوي: في الاقتصاد الإسلامي، دار الحرية، القاهرة، 1986، ص116.

² - فيصل السامر، ثورة الزنج، المرجع السابق، ص105.

³ - المرجع نفسه، ص106.

البصرة بنحو ثلاث أميال وكان ما بين ذلك كله عامراً، وهو الآن خراب فصار المربد كالبلدة المنفردة في وسط البرية.¹

استغلت الأسواق كذلك أثناء صراع السنة والشيعية، وكانت أول إشارة لإدخال السوق في هذا الصراع، هو قرار معز الدولة البويهى بتعطيل كافة الأسواق في ذكرى عاشوراء في عام 352هـ / 963م من أجل الاحتفال بهذه الذكرى الشيعية وهو ما يدل على استخدام الأسواق في هذا الصراع فتعطيل الأسواق وحركة البيع والشراء وإغلاق الحوانيت ومنع الطباخين من الطبخ، ناهيك عن أنه سيؤثر مؤقتاً على الحالة الاقتصادية لكنه سيرز أيضاً حالة النزاع الشعبي بين الطرفين داخل السوق كجزء من المشهد العام للصراع.²

شهدت أسواق بغداد كثير من حوادث الحرائق؛ إلا أن المصادر لم تفدنا في أغلب الأحيان بأسباب وقوعها؛ كان استهدافها بشكل مباشر يدل على رغبة الفاعلين في إخلال الاستقرار والتوازن السياسي ونشر الفوضى بين أصحاب التجارات وأفراد العامة باعتبارهم أكثر الفئات عدداً في المجتمع العباسي.

وقع حريق عظيم بالبصرة سنة 217هـ / 832م،³ واحترق الكرخ سنة 225هـ / 839م وأصاب التجار أضراراً بليغة، فأمر لهم المعتصم بخمسة آلاف ألف درهم،⁴ واحترق ألف وثلاثمئة حانوت بسبب حريق نشب في سامراء سنة 241هـ / 855م.⁵

¹ - الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص98.

² - ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص379.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص4.

⁴ - ابن العماد شهاب الدين أبي الفرج عبد الحي الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، كح: الأرنؤوط، دار ابن كثير، لبنان، ط1، 1988، ج3، ص114.

⁵ - ابن الجوزي، ج11، المصدر السابق، ص286.

وظهر في الكوفة سنة 251هـ / 865م رجل من الطالبين يدعى "الحسين بن محمد بن حمزة"، وتبعه جماعة من بني أسد ومن الزيدية فطرد عاملها فوجه إليه المستعين القائد "مزاحم بن خاقان" لقتاله فقتل أعدادا كبيرة من جماعته، وأسر الرجل الطالبية وحبسه وأضرمت النار بالكوفة فاحترق فيها ألف دار وسبعة أسواق من أسواقها.¹

أثناء الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر سنة 252هـ / 866م، ناصر التجار والعمامة الجند، ما جعل محمد بن عبد الله يشعل النار في الحوانيت التي تقع على جانبي باب الجسر لتأديبهم، فاحترق فيها متاع كثير وكانت النار من القوة أن حالت بين الطرفين.²

استمرت أعمال الزنج التخريبية وإحداثهم للحرائق، حيث أحرقوا الأبله سنة 257هـ / 870م ، وقتلوا الناس واستباحوا ثلاثة أيام فقتل منهم ألفاً تقريباً، وفي العام نفسه دخلوا البصرة فعاثوا وأحرقوا ونهبوا وأخذوا الناس بالسيف،³ وأحرقوا واسط بالنار سنة 264هـ / 877م،⁴ و اقتحموا أسواق المدينة النعمانية سنة 265هـ / 878م وأشعلوا النار في أسواقها وأكثر منازلها، ونجم عن هذا الحريق أضرار كثيرة، وكان من بشاعة جرائم الزنج وهمجيتهم في التقتيل والنهب والسلب والحرق والاستباحة في شرق البلاد وغربها، هروب أهل السواد ودخولهم بغداد وتركهم لأراضيهم الزراعية.⁵

تعرضت الأسواق للحريق مرة أخرى في سنة 269هـ / 882م بسبب صاحب الزنج عند قيام الموفق بمحاصرته ، فقد أشار عليه جماعة من المستأمنة بحرق السوق العظيمة وكانت

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص328.

² - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص359.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص123.

⁴ - المصدر نفسه، ج12، ص191.

⁵ - المصدر نفسه، ج12، ص197. الطبري، المصدر السابق، ج9، ص632.

تسمى بالمباركة، لأنها السوق الرئيسية التي يعتمد عليها صاحب الزنج ولأن فيها تجار الذين يمولونه بالمتاع، وأخبروه أنه إن يحرقها لم يبق لهم سوق غيرها فعزم الموفق على أحراقها، وأمر أصحابه بقصد السوق من جوانبها فألقوا النار فيها فاحترقت، وفر التجار خارج السوق حاملين معهم ما يستطيعون حمله من المتاع، واشتبك الجانبان في معركة ضاربة وصفها الطبري بقوله: "وكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم، ولقد كان ما علا من ظلال يحترق فيقع على رؤوس المقاتلة، فربما أحرق بعضهم، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل".¹

احترق ألف دكان مملوء متاعا للتجار سنة 292هـ/904م ببغداد بباب الطلق من الجانب الشرقي إلى طرق الصفارين،² واحترق سوق النجارين بأكمله في آخر سنة 303هـ/915م،³ وفي شهر صفر من سنة 307هـ/919م وقع حريق بسوق البقالين بالكرخ فاحترق فيه العديد من المنازل وهلك خلق كثير،⁴ وفي العام نفسه وقعت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام والاساكفة، ونشبت النار فيها واحترق السوق بما فيه.⁵

وقع حريق كبير بالكرخ سنة 309هـ/921م امتد من باب الشام ومن سويقة نصر، وفي الحذائين وبين القنطرة الجديدة وطاق الحراني، ومات بسببه خلق كثير،⁶ كما نشب حريق في نهر طابق سنة 314هـ/926م فاحترق فيه ألف دار وألف دكان واحترقت دور

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص633.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص425.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص792.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص189. ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص506.

⁵ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص506.

⁶ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص255.

الأمراء،¹ كما اشتعلت النار في الرصافة، وصف الجوهرى، ومربعة الحسرى، وفي الخطابين في بباب الشعير سنة (315هـ/927م).²

تعرض الكرخ لحريق آخر سنة 323هـ/935م في طريق البزازين، فذهبت فيه أموال التجار فأطلق لهم الراضي ثلاثة آلاف دينار،³ و لاشتداد الأزمة بين أبي الحسين البريدي وبين أمير الأمراء ابن الرائق، بسبب تأخر البريدي لأموال الضمان ومماطلته لدفعها، تعرضت بغداد وأسواقها ودورها للحريق والنهب سنة 330هـ/941م ومما زاد الأمر سوءا استعانة ابن الرائق بالعيارين الذين فتحوا السجون ونهبوا الأسواق وأموال التجار والأغنياء واعتدوا عليهم وكان ذلك خطأ جسيما منه.⁴

احترقت مواضع عديدة من بغداد في الحرب التي وقعت بين العامة سنة 348هـ/959م وقتل فيها عدد كبير منهم،⁵ كما خلف الحريق الذي نشب في سوق الثلاثاء في أربع مواضع في الجانب الغربي من بغداد سنة 359هـ/969م خسائر فادحة في الأرواح،⁶ ووقعت في بغداد فتنة كبيرة بين العامة سنة 361هـ/971م، فنهب الأموال واحترقت الدور والمحال وذهبت الأمتعة ومن الأموال الشيء الكثير.⁷

وقع حريق هائل سنة 362هـ/972م امتد من سوق النخاسين إلى السماكين، فاحترقت سبعة عشر ألف وثلاث مئة دكان وثلاثة مئة وعشرون دارا، قدرت أجزتها في الشهر بثلاثة

¹ - المصدر نفسه، ج13، ص255.

² - المصدر نفسه، ج13، ص262.

³ - المصدر نفسه، ج13، ص349.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص331؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص160..

⁵ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص118.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص323.

⁷ - المصدر نفسه، ج7، ص330.

وأربعون ألف دينار، كما احترق ثلاثة وثلاثون مسجداً، وذهبت أموال عظيمة، وهلك عدد كبير من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمامات، وعن سبب الحريق هو أن أهل الكرخ قتلوا رجلاً من أهل المعونة، فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي حاجبه صافي الذي كان يبغض أهل الكرخ لإحراق الكرخ، وبمساعدة من الأتراك تمكن من إضرام النار في سوق النخاسين والسماكين.¹

أحرقت الكرخ كذلك سنة 363 هـ / 973م بسبب ما جرى من خلاف بين معز الدولة وسبكتكين الحاجب، إذ وضع عز الدولة يده على إقطاع لسبكتكين فاستتفر الأخير الأتراك ودعاهم إلى طاعته فأجابوه إلى ذلك، وأرسل أبا إسحاق بن معز الدولة يدعوه للقدوم إلى بغداد ليعقد له الأمر بدلاً من عز الدولة؛ ولكنه لم يفعل فحدث القتل بينهم واستولى سبكتكين على ما كان لعز الدولة ببغداد، وبعث إليه برسالة يعلمه فيها أن الأمر قد خرج من يده ويطلبه بالخروج عن واسط وبغداد؛ لتكون له وأن تبقى سلطته مقتصرة على البصرة والاحواز فقط وأن لا يفتح بينهم باب الحروب.²

فكتب الأمير معز الدولة إلى عضد الدولة يستجده، ولكنه ماطل في معاونته على قتال سبكتكين، فانقسم أهل بغداد إلى حزبين، وأصبحت الشيعة مع الأمير عز الدولة، أما الديلم وأهل السنة فأصبحوا ينادون بشعار سبكتكين ومن معه من الأتراك، فحدث القتال واتصلت الحروب بينهما وسفكت الدماء وكبست المنازل وتعرضت محلة الكرخ لحريق آخر، بعد الحريق الأول الذي حدث في وزارة أبي الفضل، وتسبب في افتقار التجار، ومما زاد الأمر سوءاً استغلال العيارين للكارثة؛ فتغلبوا على التجار وأموالهم وبضائعهم وحرّمهم

¹ - المصدر نفسه، ج7، ص336. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص215.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص341.

ومنازلهم، فاضطر هؤلاء للقيام بخفارات ليلية لحراسة أسواقهم ومنازلهم، بعد أن عجزت السلطة عن توفيرها.¹

أشعل العياريون النار ببغداد سنة 364هـ / 974م في سوق الخشابين من درب الشعير؛ فاحترق أكثر هذا السوق ثم امتدت النار إلى سوق الجزارين، وأصحاب الحصر وصف البواري، فاحترق كثير من الأمتعة والبضائع ونهب العياريون مالا عظيما، وتغلبوا على الأمور وركبوا الدواب وتلقبوا بالألقاب، وأخذوا الضرائب من التجار عن خفاراتهم للأسواق والدروب.²

وقع حريق بالكرخ سنة 371هـ / 981م في حد درب القراطيس (سوق الوراقين) إلى بعض البزازين من الجانبين وأتى على الأساكفة والحدائين واحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهيبه أسبوعا،³ وعظم أمر العياريين سنة 380هـ / 990م واستفحل شرهم في جانبي بغداد عدة شهور إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد، حيث وقع بينهم القتال في الكرخ وباب البصرة، فنهب الأموال وتواترت العملات واتصلت الكبسات وأحرق بعضهم.⁴

ووقع حريق عظيم نهارا في نهر الدجاج وواضعه، فذهب من عقار الناس وأمولهم الشيء الكثير،⁵ أدت الفتنة بين العامة في مدينة بغداد سنة 381هـ / 991م ونشوب القتال

¹ - المصدر نفسه، ج7، ص342-343.

² - ابن الجوزي، المنتظم، ج 14، ص 235

³ - المصدر نفسه، ج 14، ص 281.

⁴ - ابن الجوزي، ج14، ص344. ابن الاثير، ج7، ص447.

⁵ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 344.

وتكرار الحريق في المحال واستمر الفساد وزالت هيبة الدولة والسلطة،¹ وتسببت الفتنة بين العامة سنة 384هـ بقتل جماعة واحتراق الكثير في البلد.²

ب- قطع الطرق التجارية البرية والبحرية وطريق الحج:

تتأثر الحركة التجارية بشكل كبير بمدى الاستقرار العام والوضع الأمني في البلاد، وحسب ما تقدم من الاضطرابات والفوضى والكوارث الطبيعية التي عانتها الخلافة؛ تأثر التبادل التجاري والطرق الرابطة بين الأقاليم سلباً بذلك، حيث ساهم قطاع الطرق واللصوص في شل حركة التجارة البرية والبحرية خلال العصر العباسي كلما سمحت لهم الفرصة، فقد استغل هؤلاء تركيز اهتمام الخلفاء على إخماد الفوضى السياسية فدبّ الخوف في أنفوس التجار وتكبد هؤلاء خسائر كبيرة في الأنفوس والأموال والمعدات.

أخذت التجارة تنشط بشكل كبير في مياه الخليج العربي، بفعل انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد وارتباطها بالبصرة التي تعد بوابتها على الخليج العربي؛ والذي اعتبر المنفذ البحري الطبيعي للدولة العباسية؛³ فاكتملت مكانة تجارية هامة حيث عبر ابن حوقل عن ذلك بقوله: "فاجتمع فيها ما هو متفرق من جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات".⁴

عمل العباسيون على بناء اقتصاد قوي وموحد للموانئ المطلة على منطقة الخليج العربي، والسعي من أجل عمل وحدة اقتصادية ناشطة وفاعلة لتلك الموانئ؛ والتي بدورها

¹ - ابن الأثير، ج7، ص457.

² - المصدر نفسه، ج11، ص263.

³ - آ.آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، تر: جاسم صكبان، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق، ط1، 2016، ص162.

⁴ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص40.

سوف تدر أرباحا عظيمة على خزائن الدولة العباسية،¹ فغدت بفضل مجهودات الخلفاء نموذجا للتجارة الدولية التي كانت إحدى الملامح العظيمة والهامة لذلك العصر، وهذا بفضل تنظيم اتصالها بالخليج العربي عن طريق شبكة هامة من القنوات الملاحية؛ وبذلك ولأول مرة تصبح عاصمة لدولة إسلامية عربية على اتصال مباشر بالخليج العربي عبر نظام مائي يعتمد على نهري دجلة والفرات اللذين يصبان فيه.²

يصف البلاذري ارتباط نهري دجلة والفرات بمختلف أقطار العالم بقوله: "كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأهواز وفارس، وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فإليها ترقى وبها ترسى، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن في الدجلة، وما يأتي من مصر والرقّة والشام والثغر ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات...."،³ ويضيف الطبري قول أبو جعفر المنصور "...هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتيها فيها كل ما في البحر..".⁴

كان لكل من دجلة والفرات أنهار عديدة تتفرع منهما، وأنهار أخرى تصب فيهما فأصبح بالإمكان تنظيم الملاحة فيهما مما يعطي للسفن حرية الانتقال من مكان لآخر، ونجد أن توزيع هذه الأنهار الفرعية كان بشكل يساعد على ربط بغداد بطريق تجارة الخليج

¹ - مريم علي مبارك الكندي ونجيب بن خيرة: المعاملات التجارية وتحديات القرصنة في موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي بين القرنين الثاني والسابع هجري، الثامن الثالث عشر ميلادي، مجلة وقائع تاريخية، الع38، 2023، ص128 .

² - لمياء بنت عبد الرحمان عثمان الصالح: أثر نشأة بغداد على نمو النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي حتى نهاية العصر العباسي الاول (145هـ - 232هـ / 762م - 848م)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الع21، شوال 1437هـ، ص211؛ فاروق عمر فوزي: الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الاسلامي الوسيط، الشروق، 2000، ص226.

³ - البلاذري، المصدر السابق، ص23-24.

⁴ - الطبري، المصدر السابق، ج7، ص614.

العربي من الشمال إلى الجنوب، وأبرز هذه القنوات البحرية بين دجلة والفرات نهر عيسى ونهر صرصر، كما أن الملاحة في نهر دجلة بين بغداد والخليج العربي كانت أسهل من بقية أجزائه نظرا لاتساع مجراه في هذه الأجزاء عنها في الأجزاء الأخرى.¹

تحفل كتب الجغرافيين المسلمين بوصف موانئ الخليج وطرقه البحرية ومدى الازدهار والعمران الذي وصلت إليه، كما تصف السلع والبضائع المتبادلة والمتاجر فيها فيشير المقدسي أن: آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والعاج واللؤلؤ والديباج واليواقيت والحديد والرصاص والخيزران والبلور والفلفل وغير ذلك...².

ويشير ابن حوقل " إلى الفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك وبها من التجار والتجارة مالم يحصى"³، أما ابن خردادبة "فيشير إلى السلع المنقولة برا وبحرا عن طريق عمان إلى البحر العربي فالبحر الأحمر فالمتوسط: يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والتمور والسيوف.... ويحملون من الصين المسك والعود والكافور...⁴

نلاحظ مما تقدم التحول الواضح في النشاط التجاري إلى مياه الخليج وما ترتب عليه من ازدهار في الموانئ، فكثر الطلب على السلع القادمة من الشرق والغرب، وقد غدا التجار يبحرون من موانئ العراق أو البحرين أو عمان أو هرمز والسواحل الشرقية إلى الهند والصين وإندونيسيا وأفريقيا الشرقية بنشاط ملحوظ، ولا شك بأن حكام المشرق في الهند والصين وإندونيسيا قد رغبوا في إقامة علاقات متينة مع أكبر دولة عرفها الشرق آنذاك وهي

¹-لمياء بنت عبد الرحمن المرجع السابق، ص209.

²- المقدسي، المصدر السابق، ص97.

³- ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص44.

⁴- عمار لييد ابراهيم: الحياة الاقتصادية (التجارية) في الخليج العربي للفترة من القرن الثالث الى التاسع هجري، مجلة الجامعة العراقية، الع45، ج2، (د.ت)، ص ص220.

دولة الإسلام في عهد العباسيين، لذلك فإن المصالح المشتركة والمنافع متبادلة أدت إلى ازدهار هذه الصلات.¹

اهتم الخلفاء اهتماما كبيرا بالموانئ باعتبارها مركزا للتسويق الزراعي والصناعي للعراق ومن هذه الموانئ:

البصرة التي وصفت بأنها "باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا، ومحط رجال الشرق والغرب في مجاهل الصين إلى مفارز الصحراء الكبرى؛ إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل جذب وصوب ..."²، وهي "مدينة الدنيا ومعدن تجارتها وأموالها".³

كانت البصرة مرفأ الهند والصين لذلك كانت تسمى "بأرض الهند"،⁴ ارتبط ازدهارها بازدهار "ميناء الأبله"،⁵ حيث قيل عنه "ومرفأ البصرة ومركز تجارتها البحرية هي الأبله تقع إلى الشمال من رأس الخليج العربي عند مصب دجلة والفرات بينهما وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصلة ونخيل مظلة على اليمين واليسار وقد شيدت الأبله قبل البصرة"،⁶ حيث اكتسب الميناء أهمية لقربها من بغداد وقابلية مينائها استيعاب السفن البحرية؛ فساعدتها

¹- عمر فوزي، الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الاسلامي الوسيط، المرجع السابق، ص229.

²- الجاحظ، التبصر بالتجارة، المصدر السابق، ص3.

³- البلاذري، المصدر السابق، ص159.

⁴- ابن العراق لقمان بن محمد (علماء القرن ال10) : معدن الجواهر بتاريخ البصر والجزائر، تح: محمد حميد الله، معهد البحوث اسلام آباد، 1973، ص01.

⁵- عطية القوسي: تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث هجري، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980، ص10.

⁶- المقدسي، المصدر السابق، ص118.

لتكون نقطة الاتصال البحري بين عدة مناطق مختلفة، حتى وصفت بأنها "مرفأ سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين".¹

ميناء "سيراف" تقع سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي من جهة بلاد فارس؛ وهي بمثابة المركز الدولي للتجارة البحرية وقد ازدهرت وأصبحت من أهم المدن التجارية،² وذلك بعد تحول التجارة العالمية من البحر الأحمر إلى الخليج العربي بعد بناء بغداد، وما جعله يتميز بمكانة تجارية هامة أنه كان صالحاً لرسو السفن الضخمة التي حملت الأثقال، والتي كان يعاد شحنها في السفن الصغيرة أو المتوسطة الحجم إلى الأبله والبصرة ثم إلى بغداد، وكذلك كانت السلع المصدرة للشرق عن طريق البحر تشحن في سفن نهريّة تسير في دجلة ثم الخليج العربي، ولما تصل إلى سيراف تنقل على سفن كبيرة إلى الهند والصين.³

ازدهرت التجارة البرية هي الأخرى بفضل موقع بغداد حيث تلتقي بها عدة طرق رئيسية تؤدي إلى مختلف أنحاء البلاد من أهمها:

الطريق من بغداد إلى واسط والبصرة،⁴ من البصرة إلى عبادان ثم الحدوثة ثم عرفجا، ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المقر، ثم إلى عصي ثم إلى المعرس، ثم إلى خليوة ثم إلى حسان ثم

¹ - الدينوري، المصدر السابق، ص117.

² - شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41هـ / 904 / 661هـ 1498م)، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص125.

³ - لمياء بنت عبد الرحمان، المرجع السابق، ص221. عطية القوصي، المرجع السابق، ص12.

⁴ - ابن رسته أبي علي أحمد بن عمر (ت300هـ): الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891، ج7، ص184-185.

قرى خليجة، ثم إلى مسيلحة ، ثم إلى حمص، ثم إلى ساحل هجر، ثم إلى العقير، ثم إلى قطر، ثم إلى سبحة، ثم إلى عمان وهي صحار ودبا.¹

حدثنا ابن حوقل عن الطريق البري الذي يربط البصرة بالبحرين فذكر أنهما طريقان أحدهما يسير في الصحراء وهو قصير وتشح فيه المياه، والآخر أطول منه يسير بمحاذاة الساحل يتوفر فيه الماء،² الطريق من بغداد إلى خراسان مارا بالري، نيسابور، طوس، هراة إلى كرمان، أو من هراة إلى ساجستان وبعدها إلى خراسان،³ الطريق من بغداد إلى مكة والذي يبلغ طوله 660 ميلا عن طريق المدينة، وعلى طريق الحجاز 848 ميلا.⁴

صاحب الازدهار الملاحي والتجاري لحركة السفن والبضائع في الخليج العربي، ازدياد نشاط القرصنة البحرية في مياه الخليج العربي، حيث أخذوا على عاتقهم مهاجمة السفن التجارية المارة فيه، وقطع الطرق على المسافرين ومهاجمة الموانئ المتصلة بالساحل الشرقي للخليج العربي.⁵

اتخذ القراصنة العديد من مدن الساحلية والجزر أوكارا لهم، كانت تأوي سفنهم ومراكبهم في أعقاب هجماتهم أو للاحتماء من الحملات العسكرية الرامية للقضاء على انشطتهم، وقد تمت مراعاة العديد من العوامل في اختيار تلك الأوكار كالتحصينات الطبيعية أو بعدها عن الملاحة البحرية، كان من الصعب تتبعهم واسترجاع البضائع والسلع المسروقة منهم، حيث كانوا يختارون المناطق المضطربة والخارجة عن إدارة البلدان التي مرت بها تلك السفن

¹ - الاصطخري أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ): المسالك والممالك، مطبعة بريل، مديمة ليدن، 1927، ص60.

² - ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص41.

³ - ابن رسته المصدر السابق، ج7، ص167-168.

⁴ - المصدر نفسه، ج7، ص188-189.

⁵ - مريم علي مبارك، المعاملات التجارية وتحديات القرصنة، المرجع السابق، ص120.

والمراكب التجارية، ومن أبرز تلك الأوكار التي وقعت ضمن أراضي الخلافة العباسية "جزيرة عبادان"، إذ عمل القراصنة على مراقبة السفن الخارجة من البصرة أو القادمة إليها ومهاجمتها، ونهب ما فيها قبل وصولها إلى الموانئ العربية أو الفارسية،¹ وقد قال الاصطخري في ذلك "وأما عبادان فإنها حصن صغير عامر على شط البحر ومجمع ماء دجلة وهو رباط كان فيه محارس للقطرية وغيرهم من متلصصة البحر وبها على دوام الأيام مرابطون"²

قادت تلك الخبرة القراصنة أيضا إلى معرفة الأماكن التي يصلح التمرکز فيها، لممارسة أعمالهم غير المشروعة، فتمركز قراصنة في المنطقة الممتدة بين البحرين والبصرة، وعرفوا باسم "متجربة البحرين"، وقطعوا الطريق على السفن المبحرة واعتدوا على المسافرين والركاب بالضرب ولجؤا إلى التعذيب والقتل في أحيان كثيرة، كما استبعدوا كل من وقع تحت أيديهم من مسافرين، فأشاعوا حالة من الفوضى والذعر في المنطقة،³

قام العباسيون بإنشاء ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي، ليتمكنوا من خلاله من مواصلة أعمالهم التجارية وليوفروا الأمن والأمان للسفن المبحرة في الخليج العربي، فلا تنقطع الحركة التجارية ويضمنون تدفق السلع والبضائع القادمة من الهند والصين وجنوب شرق آسيا للبصرة من خلال خط ملاحي جديد بعيد عن تمركز قراصنة البحرين فيؤمنون السفن والمسافرين، ويضمنون عدم تعرضهم لأعمال السلب والنهب.⁴

¹ - سفيان ياسين ابراهيم: القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، الع2، المجلد 11، ص42.

² - الاصطخري، المصدر السابق، ص33.

³ - عطية القوسي: البحرين وتجارة الدولة العباسية، مركز عيسى الثقافي، مج14، الع27، (د.ت)، ص51.

⁴ - مريم علي مبارك الكندي، المعاملات التجارية وتحديات القرصنة، المرجع السابق، ص142.

لم يكن قراصنة البحرين وحدهم من مارس القرصنة في المنطقة الواقعة بين البحرين والبصرة، بل شاركهم أعمال السلب والنهب واعتراض السفن قراصنة عرفوا باسم "متلصصة البحر" أو كما أطلق عليهم "القرصنة القطرية"، وهم أهل غدر ومكائد يقطعون المراكب الآتية بين البحرين والبصرة إلى عمان، وهم أخبث عدو يلقي إلى البحر وقد كان هؤلاء القراصنة من النصاري؛ لكن يرتدون الزي العربي وتحدثوا العربية، وكانت جزيرة القطرية مركزهم الرئيسي¹، لذا حرصت السفن التجارية أن تؤمن نفسها فحملت معها جنودا مدربين على رمي النار؛ حيث كان في كل مركب مقاتلة ونفاطين،² شكل قراصنة الميذ أيضا خطرا على السفن التجارية، حيث أنهم كانوا يعترضون السفن الإسلامية في البحر، وكان أكثر نشاطهم في مجال القرصنة خلال الصيف، كانوا يبلغون في بعض المرات مصب نهر دجلة.³

أدت الاضطرابات التي دقت نواقيسها في الأراضي الإسلامية وما خلفته من ثورات وفتن ودمار وسلب ونهب بضالاه على الحركة التجارية بحكم ارتباط الموانئ مع بعضها باعتبارها مرسل ومستقبل،⁴ حيث أدت ثورة الزنج إلى تدهور الملاحة في الخليج وتوقف نشاط تجارة الهند والملاحة العالمية؛ بسبب الفوضى التي أثارها والخراب الذي عمت به جنوب العراق بسبب ما تعرضت له سفن التجار من تجرم الزنج في البحر.⁵

¹ - الحميري، المصدر السابق، ص. 465.

² - المقدسي، المصدر السابق، ص. 12.

³ الميذ: هم قراصنة البحر موطنهم الأصلي بلاد السند. عماد علو: القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، الأردن، 2017، ص 262.

⁴ - نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب العربي، دار الكتاب المصري، مصر، 1987، ص. 227.

⁵ - القوسي، المرجع السابق، ص. 27.

يذكر ابن الأثير أن الزنج استولوا على 1900 سفينة في ميناء البصرة سنة 255هـ/868م، وكان في داخلها جماعة من التجار والحجاج، بالإضافة لتعرضهم لسفن أخرى ونهب ما فيها من خيرات، وظلت هذه الجماعة تشكل خطرا على التجارة والملاحة حتى القضاء عليها.¹

كان ظهور صاحب الزنج في البصرة، وتمكنه في ظرف عامين من الاستيلاء على الميناء الكبير في أيام الخليفة المهدي (256-255هـ/869-870م)، وجميع الدالتا ثم واسط والبحرين، ثم غزا فارس، وقد بلغ ضحاياها نصف مليون على ما يقال، وأوقفت بالطبع التجارة في الخليج العربي وأرصفة وطرقات الموانئ الكبيرة كالْبصرة، وبالتالي تأثر مركز بغداد التجاري،² كما مارسوا أعمال القرصنة النهرية فاستولى على أربعة وعشرين مركبا من مراكب البحر في نهر أبي الخصيب كانت فيه محملة بأموال كثيرة وقتل أصحابها.³

نجح القرامطة في اقتطاع بلاد البحرين عن الخلافة العباسية، مما أدى لاضطراب العلاقات التجارية بين البحرين والدولة العباسية، فأصبحت التجارة بأيدي البحرين حيث أنشأوا لهم مراصد بجزيرة أوال يجوبون بها المكوس على السفن المارة بهم سواء كانت قادمة من البصرة أو متجهة لها، وقد أشار ابن حوقل إلى فداحة هذه الضريبة بقوله: "بها (أوال) الضريبة العظيمة المجتازة بهم (القرامطة).... وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف إلى ما يصل من بادية البصرة والكوفة ومبلغها نحو ثلاثين ألف".⁴

¹- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص206-207.

²-راشد البراوي، المرجع السابق، ص116.

³- ابن الأثير، ج6، ص225.

⁴-ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص25.

ومن الآثار التي خلفتها ثورة الزنج والقرامطة على الحركة التجارية بالخليج العربي، أن سفن الهند والصين تركت الرسو على موانئ الخليج العربي وعادت للرسو في ميناء عدن، ومنه قام اليمنيون بنقل سلع الشرق إلى كل من جدة وساحل البحر الشرقي وعيذاب، فشهد هذا الميناء تطوراً كبيراً بسبب الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية.¹

قام الزط بسرقة السفن والمراكب التجارية وخاصة في عهد المأمون، حيث سيطروا على منطقة الخط في البحرين، وقاموا بسرقة السفن المتجهة إلى البصرة فبعث الخليفة المأمون أحد أتباعه لمحاربتهم والقضاء عليهم سنة 205هـ-206هـ،² كما وجه المعتصم (-218 227هـ/833-842م) سنة 219هـ/834م جيشاً بقيادة عفيف بن عنبسة لمحاربة الزط بعدما أكثروا الفساد في البصرة ثم قمعهم.³

كما استغلت بعض فئات المجتمع (الشطار، العيارين، الزعار....) الاضطرابات السياسية وحالة التفكك في البيت العباسي فنشطت حركاتهم وتنظيماتهم، وبلغوا من الكثرة أن قال عنهم المقدسي "إذا تحركوا ببغداد هلكوا، والفساد كثر"،⁴ في عهد الواثق (-227 232هـ/842-847م) عاثوا فساداً في البلاد سنة 230هـ، ويقول الطبري "يتطاولون على الناس بالشر حول المدينة المنورة فكانوا إذا دخلوا سوقاً من أسواق بلاد الحجاز جعلوا الأسواق وفق أهوائهم"، كما استباحوا جميع القرى التي على الطريق بين مكة والمدينة وما

¹-صفاء حسن أحمد عوض الله: دور التجارة في إثراء الحركة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني المقومات والإسهامات (232هـ/656م - 847م/1258)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان، السودان، 2012، ص 127.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص455.

³- مسكويه، المصدر السابق، ج4، ص5.

⁴- المقدسي، المصدر السابق، ص130.

يليه من القبائل، حتى أنه لم يعد أحد يستطيع أن يسلك ذلك الطريق، وعندما علم الخليفة بذلك احتبس عنده من وصف بالشر والفساد وهم زهاء ألف رجل.¹

لم يكن كل اللصوص من العرب البدو بل حتى الأكراد و أعراق أخرى يقومون باللصوصية، وقد يتحصن بعضهم بالجمال وقد يسوغ بعضهم هجماته على القوافل التي من واجباتها حفظ الطرق وحماية المسافرين والتجار وتجاريتهم، ويهجمون على القوافل بغرض نهبها وإذلال السلطات التي يختلفون معها سياسيا وفي سلوكهم الاجتماعي وبيئتهم وربما يختلفون معها عقائديا.²

كما اعترض طريق التجار قوم عرفوا بـ "القفص" وهم يقطنون جبال كرمان وأخلاقهم وحشة ووجوههم قاسية ويقتلون ويظفرون بالحجارة، وعندما سألوا عن ذلك قالو: حتى لا تفسد سيوفنا، وكانت مكانهم في الجبال يتمتعون بها، ويبدو أن القوافل لما تكون بحراسة جديدة يهاجمونها ولا يهاجمونها، وصف المقدسي كيف أنهم يصبرون على الجوع والعطش ويكتفون بغذائهم بما يأكلونه من الجوز والمأكّل البسيط يقاتلون به ويسوغون النهب بالقول انما هم يأخذون اموالا غير مزكاة وانما يأخذونه حق لهم.³

شهدت البصرة انتكاسة وضعفا من الناحية التجارية خلال فترة التسلط الأجنبي البويهي على العراق، وانشغال الأمراء في النزاعات السياسية المحلية واهمالهم للشؤون الاقتصادية

¹ - الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص150؛ الطبري، المصدر السابق، ج9، ص129.

² - عامر عجاج حميد: القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، الع6، مج2019، ج9، ص371.

³ - المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص177.

والتجارية وصيانة طرق الملاحة البحرية من أية أخطار،¹ كما اضمحل دور سيراف وتعثرت التجارة به بسبب الزلزال الذي ضربته سنة 366هـ / 679م، ولم يكن الزلزال وحده هو العامل الرئيسي لهجرة السيرافيين وتركهم ميناء المدينة ليلقى مصيره الاندثار، إنما تضافرت عوامل قبل الزلزال ساهمت في تلك الهجرة، منها الانقسامات والصراعات الداخلية في بلاد فارس، في فترة حكم البويهيين.²

خسرت المنطقة بذلك كل فعاليتها التجارية التي شمل تأثيرها معظم المدن والأقاليم الإسلامية والعالم أجمع، فقد أسهمت تجارة سيراف في زيادة التبادل بين مدن بلاد فارس وغيرها من المدن الإسلامية، وذلك لأن ميناء سيراف سهل وسرّع عملية نقل المنتجات المحلية وتبادلها، مما أدى لتنوع اقتصادها.³

فالأوضاع السياسية الغير مستقرة كانت لها انعكاساتها السلبية على التجارة والتجار أنفسهم، إذ أنهم فضلوا في كثير من الأحيان ترك الموانئ المتأثرة بالاضطرابات والتوجه إلى الموانئ أكثر أمنًا يمارسون فيها أعمالهم بأمان أكثر،⁴ وهنا كانت القوة التي أعادت إلى

¹ -مريم علي الكندي ونجيب بن خيرة: ملامح الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس في الخليج العربي 366هـ - 731هـ / 977م - 1330م، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 17، العدد 2، 2020، ص 301.

² -سيف المقابلي : التواصل السياسي والحضاري بين عمان وبلاد فارس من ظهور الاسلام حتى القرن 7هـ / 13م، دار الزافدين، 2024، ص 30.

³ -هيلة بنت محمد بن علي القصير: النشاط التجاري وأبعاده الاقتصادية في ميناء سيراف خلال العصر العباسي 132هـ - 232هـ / 749م - 846م، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم، العدد 3، المجلد 7، 2014، ص 1230.

⁴ -المسعودي، المصدر السابق، ج 1، ص 109.

طريق مصر والبحر الأحمر نشاطه السابق، وأهميته القديمة وهذه الأحداث اتجهت الى استقلال حكام مصر الفعلي بها.¹

تتجلى أهمية الأمن في انسياب قوافل الحجيج والتجارة أثناء موسم الحج السنوي، والتي تأتي من كل فج عميق حاملة خيرات كل بلد وفقا لطبيعة إنتاجه وخصائص سكانه، فتتبادل المنافع وتجعل ضمن موسم العبادة موسما للتبادل التجاري؛ يعبر عن ارتباط روحي وارتباط اقتصادي بين كافة المسلمين.²

يجلب الحجاج في موسم الحج معهم صنوف البضائع والصناعات ومختلف أصناف الأطعمة، فيجدون لسلعهم رواجاً في الحرمين الشريفين، حتى أننا نجد عدداً ليس بالقليل من الحجاج تكون نفقة حجهم من التجارة التي يحملونها إلى الموسم، لم تقتصر المراكز التجارية على الأسواق التي أقيمت في البقاع المقدسة، إنما نشطت الحركة التجارية أيضاً في طريق الحج، حيث أقيمت أسواق وتحولت المنازل إلى أسواق تجارية يبيع أهلها منتجاتهم لتفي بحاجات القوافل، وانتعشت بوصول الحجيج وعاش أهلها في سعة من الرزق وبحبوحة من العيش، فنشأت لذلك مدن وقرى شيدت بها المساجد والخانات.³

كانت القوافل في موسم الحج ذات شأن عظيم، حيث تتكون القافلة من نحو عشرين ألف جمل، وكان بها من الأموال ما يقدر بملايين الدينارات، لذلك سعت بعض الحكومات على تشجيع إقامة إمارات بدوية ومستقرة أو شبه مستقرة مثل بني مزيد في الحلة، وبني خفاجة في جنوب العراق وبني عقيل في شمال العراق، ومنحت اقطاعات من الأراضي

¹ -راشد البراوي، المرجع السابق، ص117.

² - سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص145.

³ -سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الناشر تهامة، جدة، ط1، 1981، ص12. نواف عبد العزيز الجمحة: درب زبيدة من واقع رحلة ابن جبير، مجلة بحوث الشرق الاوسط، الع63، السنة 47، 2021، ص42.

الخارجية لاستخدام عائدها في الانفاق على حماية الطرق البرية التي تمر بإمارتها، كما كانت الدولة تعين أمير للحج بصفة دائمة يعمل طوال العام على تأمين الطرق إلى مكة والمدينة من جميع الجهات وتخصص له الأموال اللازمة، ليقوم بإصلاح المرافق العامة على الطرق ويقود القوات العسكرية التي توقع بالأعراب قاطعي الطرق وتشتت شملهم.¹

أدى عدم الاستقرار لفقدان الأمن وكثرة الجرائم، فتعطل الحج أكثر من مرة نتيجة لما حل بقوافل الحج من قتل ونهب،² حيث نشط القرامطة والقبائل العربية على طول طريق الحج الكوفي البري إلى مكة، الذي قلَّ الاهتمام به في ظل ضعف الخلافة العباسية وهيمنة العناصر الأجنبية، فقطعوا الطريق وسلبوا ونهبوا وقتلوا الحجاج كما فرضوا عليهم الإتاوات والضرائب، التي كانت تجبى منهم نظير حمايتهم والسماح لهم بالجواز إلى مكة لأداء مناسك الحج، فلم يكن يأمن أحد ممن يقصد أداء الفريضة على نفسه أو ماله،³ وقد ذكر المقدسي أنه "لا يمكن أن يعبر أحد هذا الطريق إلا بخفير أو قوة ترى الحجاج مع قوتهم يهتكون وتؤخذ أباعرهم وخزاناتهم".⁴

كان من أسباب اعتداءات الأعراب على قوافل الحج أن الخليفة المعتصم (218هـ-227هـ / 733م-841م) استكثر من الجند الترك على حساب العرب، وأصبح الترك هم صفوة جنده، وأسقطت الأعطيات التي كانت تصرف للعرب من بين مال المسلمين نظير مشاركاتهم في الأعمال العسكرية والحربية، وفقد بذلك العرب كثير من امتيازاتهم المالية والاجتماعية والعسكرية، فلجأ كثير منهم إلى الصحراء وأطراف الحدود وقاموا بأعمال

¹ - سليم أبو طالب سليم، المرجع السابق، ص155؛ عماد علو، المرجع السابق، ص88.

² - بوشعيب السائوري: الرحلة والنسق دراسة في انتاج النص الرحلي، الرحاب للنشر، 2016، ص21.

³ - هنية بهنوس نصر عبد ربه: خفارة الحج خلال طريق الحج الكوفي الى مكة المكرمة، مجلة الدراسات الأدبية والانسانية، الع26، 2022، ص244.

⁴ - المقدسي، المصدر السابق، ص252.

الاعتداء وقطع الطرق، والسلب والنهب لتحقيق مكاسب مالية وتعويض ما حرّموا منه من العطاء.¹

اعتدى القرامطة في خلافة المكتفي بالله (295-289هـ/902-908م) على طريق الحج سنة 294هـ/901م، كما عملوا على طمر الآبار وإخفاء معالمها، ولما علم الخليفة بذلك أعد لهم جيشاً لملاقاتهم، واستطاع الجيش أن يلتقي بالقرامطة ونشب بينهم القتال حيث قُتل قائدهم²، وفي سنة 302هـ/915م خرج الأعراب فقطعوا الطريق على الحجاج وأخذوا ما معهم من الأموال والأمتعة والجمال وسبوا مائتين وخمسين امرأة.³

خرج أبو طاهر ابن الهبير في مطلع سنة 312هـ/925م واعترض الحجاج عند عودته من مكة، واستطاع الإيقاع بمقدمة قافلة الحجيج وأن ينهب ما فيها من أموال وأمتعة، أما بقية الحجاج فقد عادوا إلى فيد وأقاموا فيها حتى فنى زادهم وارتحلوا مسرعين إلا أن أبا طاهر اعترضهم وقتل معظمهم، وترك من بقي منهم حياً في موضعه ليموت من الجوع والعطش والشمس.⁴

اعترض القرامطة سنة 313هـ/926م طريق الحج مما أدى لرجوع الحجاج إلى بغداد ولم يذهبوا للحج،⁵ وفي سنة 327هـ/939م بدأ القرامطة بأخذ عشرين ديناراً ضريبة على كل حاج فمن دفعها أمن خطر القرامطة، وفي عُقدت اتفاقية بين الخلافة العباسية والقرامطة

¹ - هنية بهنوس، المرجع السابق، ص 252.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 432.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 486-487.

⁴ - ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي وسهيلة مزيان حسن: الحج في العراق عبر التاريخ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، الع 70، 2019، ص 26.

⁵ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 25.

سنة 329هـ/941م يدفع بموجبها أكثر من عشرين ألف دينار¹، تعرض بنو هلال للحجاج سنة 361هـ/972م حيث اضطر الحجاج للعودة للعراق²، ويقال أن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حرّض هذه القبيلة على الاعتداء على الحجاج بسبب عداوته مع العباسيين³.

كان الخليفة المقتدر بالله (295هـ - 320هـ / 907م - 932م) يصرف كل سنة في طريق مكة والحرمين ثلاثمائة ألف دينار نيفا وخمسة عشر ألف دينار لتسيير الحجيج وحفظ الطريق، ورغم ذلك لم يسلم ركب الحج من هجمات الأعراب من البدو على قوافل الحجيج⁴.

يتضح أن مهمة والي الطريق والحامية العسكرية التي كانت ترافق ركب الحج لم تجد نفعا أمام تزايد الاعتداءات وقطع الطريق والقتل والسلب الذي تعرضت له، إلا أن الخلافة لم تقف مكتوفة الأيدي أمام ما يحدث بل كانت ترسل في أثرهم جيوشا لتأديبهم وتوجيه الضربات لقمع شرورهم، لكنهم ما لبثوا أن يجمعوا شتاتهم ويعودون لممارسة اعتداءاتهم على الحجيج بطريقة أسوأ من ذي قبل، فكان نتيجة لذلك انقطاع ركب الحج من جهة العراق والمشرق لعدة سنوات⁵.

تجدر الإشارة أن الحجاج لم يعانون من اعتداءات القبائل فقط بل عانوا من شح الماء، ففي سنة 295هـ/908م أصاب حجاج الركب العراقي عطش شديد حتى أنهم لم يجدوا الماء

¹-سليمان عبد الغني مالكي: طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الاسلامي حتى سقوط بغداد، مجلة الدارة، الع 2، السنة 7، (د.ت)، ص 21.

²-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 332.

³-سليمان عبد الغني مالكي، المرجع السابق، ص 21.

⁴-ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11، ص 56.

⁵-هنية بهموس، المرجع السابق، ص 257؛ جواد كاظم نصر الله وانتصار عدنان العواد، معوقات الحج إلى بيت الله الحرام في العصور الاسلامية، مجلة كلية التربية، الع 28، (د.ت)، ص 296.

بسبب الجفاف فمات منهم عدد كبير،¹ و هلك حجاج الركب العراقي سنة 357هـ/968م بسبب قلة الماء في طريق الحج ولم يدركوا الحج في هذه السنة.²

¹ - الطبري، المصدر السابق، ج10، ص139.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص305.

الفصل الثالث:

رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها
الاقتصادية.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

شكلت الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها تحدياً واجهه الدولة العباسية؛ وذلك لما خلفته من خسائر اضررت بواقعها الاقتصادي و عناصرها البشرية.

الكارثة من الفعل كثر،¹ كثره الأمر إذ بلغ منه المشقة،² والكارثة: هي النازلة العظيمة والشدة، جمعها كوارث يقال كثرته الكوارث أقلقته، أو كثره الأمر بمعنى اشتد عليه.³

أما المعنى الاصطلاحي فهو واسع ومتعدد، حيث لا يوجد في كتب التراث الاسلامي اصطلاح "الكارثة"، انما توجد مصطلحات مرادفة للكلمة ، حيث وردت في المصادر بمعنى "محنة" "شدة"، فالكارثة هي مصطلح حديث اختلفت تعريفاته وصياغته نظرا لتنوع المعايير المتبعة في التعريف واختلاف الزوايا التي ينظر من خلالها للكارثة باختلاف العلوم وتعدد المعارف.

عرفت بأنها "حدث سريع وفجائي للبيئة الطبيعية وله تأثيرات على النظم الاقتصادية والاجتماعية الخاضعة لتلك الكارثة وذلك في إطار زمني ومكاني يهدد المجتمع أو منطقة ما، مع ظهور نتائج غير مرغوبة".⁴ كما أنها "عبارة عن صدمة تكون سريعة أو ممتدة الأثر توقعها البيئة الطبيعية بالأنظمة والمقومات الاجتماعية والاقتصادية المستقرة".⁵

¹ - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص 1328. الرازي، مختار الصحاح، ص 236.

² - أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ): معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج5، ص175.

³ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص 782.

⁴ - محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم ارباب: الأخطار والكوارث الطبيعية (الحدث والمواجهة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988، ص37.

⁵ - عويس حمادة سعد : الحجاز والكوارث الطبيعية في زمن الاشراف العلويين (358هـ - 923هـ - 969م - 1517م)، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2024، ص48.

لا الحدث يعد كارثة مالم ينطوي عن خسائر جسيمة سواء كانت هذه الخسائر مادية أو بشرية أم كليهما، وهذا يشير ولا شك إلى ذلك التلاقي والتناغم بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للكارثة بما تمثله هذه الأخير من معنى النازلة العظيمة،¹ اقترن حدوثها " بالمشيئة الإلهية التي تتحكم فيها وليس للإنسان دخل في أسباب وقوعها ولكن قد يتسبب في زيادة حجم الخسائر المترتبة على وقوعها بالإهمال وعدم اتخاذ الاحتياطات الملائمة لتفادي تلك الآثار الضارة أو التخفيف من أضرارها".²

تنقسم الكوارث إلى ثلاثة أنواع وهي: كوارث مناخية (السيول والفيضانات، الجفاف، الرياح والعواصف، الثلوج والبرد...)، كوارث جيولوجية وكونية (زلازل، المد والجزر، سقوط الشهب و الصواعق، الحرائق...)، الآفات الزراعية والوبائية (القوارض، الجراد، الطاعون...).

1- الكوارث المناخية.

أ- المناخ في أقاليم الخلافة العباسية:

انقسم مناخ العراق إلى أربعة أقسام في السنة حيث " لا يخرج ساكنوه من شتاء إلى صيف حتى يمر بهم الربيع، ولا من صيف إلى شتاء حتى يمر بهم الخريف"،³ امتاز صيفه بارتفاع درجة الحرارة ارتفاعا شديدا؛⁴ ما جعل خاصة ميسوري الحال يتخذون خلال العصر

¹ - محمد عبد الصاحب الكعبي: المسؤولية المدنية عن أضرار الكوارث الطبيعية (دراسة مقارنة)، دار التعليم الجامعي، العراق، 2020، ص 27.

² - محمد حمزة محمد صلاح: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491 - 923هـ / 1097 - 1517م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، 2009، ص 5.

³ - المسعودي، التنبيه والإشراف، المصدر السابق، ص 31. شاعر خصبال: العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مطبعة شفيق، بغداد، 1973، ص 73-76.

⁴ - ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف ارتفاعا شديدا والذي يمتد من نهاية شهر آيار (ماي) الى أواخر أيلول (سبتمبر)، ويعد تموز (جويلية) وآب (أوت) من أشد شهور الصيف حرارة، حيث يرافق

العباسي وسائل للتهوية والتبريد كالسراديبي¹ وبناء القباب من القصب الرطب الأخضر وإنشاء باذهنجانات² في منازلهم،³ كما كانت قصور الخلفاء والأمراء وأعيان الناس لا تخلو من خزائن يخزن فيها الثلج، ونظرا لأهميته كان سعره يزداد خاصة أيام القيظ في بغداد والبصرة، حيث كان الثلاجون ينتهزون فرصة سقوط البرد فيجمعونه في مثالب تحت الأرض معدة لذلك فإذا ما أقبل الصيف باعوه بثمان عالٍ،⁴ أما فصل الشتاء فهو بارد نسبيا.⁵

وصف البغدادي مناخ العراق بأنه من "الإقليم الاعتدالي"⁶ ولعله في هذا الوصف يشير إلى الفصول الانتقالية (الخريف والربيع)، والتي تتميز بأجواء مريحة جدا للسكن أما فصلي الشتاء والصيف فلا ينطبق عليهما أبدا هذا الوصف المناخي.⁷

يعتبر الموقع الجغرافي والتضاريس في مقدمة المقومات الجغرافية التي تضع الخصائص والمعايير التي يتمتع بها المناخ، فالعراق يقع ضمن نطاق الإقليم الجغرافي

الارتفاع الشديد لدرجات الحرارة تسجيلا عالي لنسبة الرطوبة؛ فلاح جمال معروف وآخرون: جغرافية العراق الطبيعية والسكانية والاقتصادية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 87.

¹-مفردها سرداب بالكسر وتعني بناء تحت الأرض للصيف؛ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817)، القاموس المحيط، مر أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص 762.

²- بادهنج: معرب بادكيرمولد وأجاد بعضهم في تسميته راروق النسيم، وهو المنفذ الذي يجئ منه الريح، الخفاجي شهاب الدين أحمد المصري (977-1069هـ): شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تص محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1952، ص 70-

³- حميدة صالح دلي: أجهزة التبريد في العصر العديسي (الدهنج أنموذجا)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، كلية التربية، 2017، ص 223

⁴- المرجع نفسه ، ص 226.

⁵- أحمد سوسة: تطور الري في العراق، منشورات مجلة المعلم الجديد، (د.ت)، ص 12.

⁶- ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 461.

⁷-سالار الدزيبي علي خضر: مناخ العراق من كتب الجغرافيين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية، الع 1، 2018، ص 237.

الرابع،¹ الذي يتميز باستواء أرضه،² أكد المقدسي ذلك بقوله "فما جعل مناخ الكوفة يختلف عن مناخ واسط وبغداد هو موقعها القريب من الهضبة الصحراوية الغربية ما يجعل المؤثرات المناخية للهضبة تنتقل إليها، فصييفا لا ترتفع درجات الحرارة في الكوفة بشكل كبير بسبب انتقال الهواء المعتدل إليها من الهضبة العالية فكلما زاد ارتفاع سطح الأرض انخفضت الحرارة عكس المدن الواقعة في السهل الرسوبي التي بسبب انخفاض سطحها فإن درجات حرارتها تميل إلى الارتفاع."³

أضاف ابن حوقل مدى تأثير المناخ بالمسطحات المائية، ومثال ذلك قوله بأن واسط أصح هواء من البصرة وليس بها⁴ بطائح،⁵ تلك البطائح التي تساهم في ازدياد درجة الرطوبة في الهواء عند ارتفاع درجات الحرارة خاصة خلال فصل الصيف.

¹-اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت284هـ): البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحضرية، النجف، 1918، ص3.

²-أغلب أراضي العراق عبارة عن سهل رسوبي تكون من الترسبات التي يحملها نهر دجلة والفرات؛ أي أن معظم مناطقه تمتاز بقربها للسهل لا المرتفع ولا للجبل، حيث يتركز في جزئه الشمالي الشرقي سلسلة من التلال قليلة الارتفاع إضافة إلى مناطق متموجة شملت حوالي 20% من مساحته الكلية فاطلقت عليها صفة التموج نظرا لقلة التباين في الارتفاع بين أجزائها المختلفة فهي تضم جبال ذات ارتفاعات قليلة وتلال وهضاب. وفي غربه توجد الهضبة الصحراوية حيث ينحدر سطحها من الغرب والجنوب الغربي نحو الشرق والشمال الشرقي؛ فلاح جمال معروف وآخرون، المرجع السابق، ص90.

³- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط3، ص136؛ الدزيبي سالار علي خضر، المرجع السابق، ص236.

⁴- ابن حوقل أبي القاسم محمد بن علي النصيبي (ت367هـ): صورة الأرض، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1928، ص163.

⁵- البطيحة: هي ذلك المنخفض الذي ينغمر بالماء بشكل منتظم، أطلق المؤرخون خلال العصر العباسي هذا المصطلح على المستنقعات الواقعة في القسم الأسفل من الفرات بين الكوفة وواسط شمالا، والبصرة جنوبا. وقد ورد على البطيحة أنها الأهوار في جنوب العراق؛ عبد الكريم عز الدين ومنال محمد

قدمت المصادر أوصافاً مختصرة ودقيقة لكل إقليم حيث أنها قارنت درجات الحرارة والرطوبة وتساقط الأمطار وهبوب الرياح بين مختلف تلك الأقاليم، ما أعطنا صورة متكاملة عن مميزات مناخ المنطقة خلال العصر الوسيط والذي أكدت الدراسات الحديثة أنه لم يختلف كثيراً عما كان عليه إلى غاية وقتنا الحاضر.

تميز مناخ المنطقة بالاختلاف والتباين بين أقاليمه ما جعل المقدسي يصفه بأنه "عجيب الهواء" معبراً عن ذلك بقوله "بغداد وواسط وما دخل في هذا الصقع بلد رقيق الهواء، سريع الانقلاب وربما توهج في الصيف وأذى، ثم انقلب سريعاً، والكوفة بخلافه ويكون بالبصرة حرٌّ عظيم غير أن الشمال ربما هبت فطاب والبطائح نعوذ بالله منها، ومن شاهدها في الصيف رأى العجب إنما ينامون في الكلل وثم بق له حُمّة كالإبر إنما هي نحره، أما الموصل فذات هواء صحيح وطيب الهواء".¹

يلاحظ من هذا الوصف المناخي تشابه مناخ مدينة بغداد وواسط وهذه المقارنة صحيحة لأن المدينتين تقعان في السهل الرسوبي وبالتالي فإنهما تتعرضان لنفس المؤثرات المناخية، وعبارة "من حيث رقة الهواء" في المدينتين يقصد به فصل الصيف حيث أن ارتفاع درجات الحرارة صيفاً يرافقه انخفاض في الضغط الجوي مما يجعل الهواء خفيف رقيقاً،² ووصفه للهواء في المدينتين بأنه سريع الانقلاب قد يقصد فصل الشتاء والفصول الانتقالية وما يصاحب ذلك من تغيرات جوية سريعة من أمطار وتغير في اتجاهات وسرعة

مطر: دراسة عن جغرافية وسكان منطقة البطيحة جنوب العراق، مجلة التراث العربي، الع2، 2015، ص60.

¹ -المقدسي، المصدر السابق، ص136.

² -سالار علي: المرجع السابق، ص253.

الرياح، أوقد يقصد الفرق بين درجة الحرارة بين النهار والليل، فمعظم المدن العراقية تتميز بفرق كبير في درجات الحرارة العظمى والصغرى.¹

سادت مواسم العراق عدة أنواع للرياح أجملها المسعودي في حديثه عن توزيع الرياح السائدة في مختلف البلدان والتي تمثلت في " ... الرياح أربع الشمال والجنوب والصبأ والدبور، فأما قوة الشمال فباردة يابسة وأما الجنوب فحارة رطبة وهي التي تهب من القبلة والدبور باردة رطبة وهي التي تهب من المغرب والصبأ حارة يابسة وهي التي تهب من المشرق...."²

رغم ما يتميز به مناخ العراق من اختلاف وتباين بين أقسامه إلا أن ذلك لم يعق تطوره في مختلف مناحي الحياة، ووقوع الاضطرابات المناخية كان أمرا وارد إذ تعرضت المنطقة للعديد من الكوارث المناخية التي أحدثت آثارا مدمرة في جميع الأصعدة.

1. الفيضانات والسيول:

الفيضان: من الفعل فاض، إذ يقال: فاض الماء أي كثر حتى زاد عن الحد، فهو فائض، ويقال فاض الماء فيوضا وفيضا وفيضاناً، وله معان متعددة مثل: فاض الإناء أي امتلأ حتى طفح أفاض النهر حتى سال،³ ويشق من هذا الفعل بعض الكلمات مثل الفيض بمعنى الكثير والغزير، والفيضان؛ فهي الكلمة المعبرة الحقيقية عن زيادة النهر بمعنى طغيان النهر واندفاعه حين ترفده الأمطار والأنهار.⁴

¹-رونند خالد : الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي 132هـ-334هـ / 749م-946م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2018، ص26.

²- المسعودي، التنبيه والاشراف، المصدر السابق، ص16.

³- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005، ص708.

⁴-الفيروزآبادي ، المصدر السابق، ص1277.

تعرف الفيضانات بأنها تجاوز لكميات المياه الواردة إلى النهر لقدرته وروافده على الاستيعاب،¹ فهي ظاهرة ناتجة عن غزارة الأمطار في منطقة من الأرض حيث تلعب عوامل المناخ والتضاريس دورا في وقوع هذا الصنف من الكوارث، إذ يعتبر هبوب الرياح خلال موسم الفيضان عامل مهم في الزيادة من قوة تدفق مياه الفيضان، وذلك لأن الأمواج التي تسببها الرياح عندما تكون الأنهار ممتلئة تحدث أخطارا عظيمة في السداة الترابية الكائنة على الضفاف، وكثيرا ما تحدث كسرات في هذه السداة نتيجة لهبوب الرياح العالية.²

تساهم الثلوج التي تتساقط على المرتفعات والقمم سواء في العراق أو خارجه في إحداث الفيضانات، حيث أنها تعتبر كمورد مائي في المنطقة، من خلال تغذيتها لحوض النهرين وروافدهما، قد تزيد كمية المياه التي تتحدر إلى وادي الرافدين وتسبب فيضانات فجائية ومدمرة في بعض الحالات.³

تعددت أنواع الفيضان لكن أخطرها، الفيضان العشري، أي الذي يأتي كل عشر سنوات، فضلا عن المئوي الصفائحي وهو الذي ينتشر بشكل دقيق ويبتعد عن الدخول في المجاري المائية الصغيرة، وعادة لا يستغرق ساعات معدودة أو يمتد إلى يوم أو يومين على أكثر تقدير، على الرغم من أن الفيضان سببه زيادة الأنهار، فإن السبب غير المباشر هو زيادة الأمطار في منطقة منابع النهر خاصة في الأماكن الجافة والمدارية والتي من ضمنها منابع نهر دجلة والفرات، إذ تتعرض إلى أمطار انقلابية مصحوبة بعواصف، وتتساقط

¹ -فادي حسين عقيلان: إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية والغير طبيعية، دار المعتر للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص132.

² -أحمد سوسة، تطور الري في العراق، المرجع السابق، ص126.

³ -أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب البغدادية، 1963، ج1، ص117.

الأمطار بشكل عنيف خلال فترة زمنية محدودة، وهو ما يؤدي إلى ارتفاع منسوب للمجرى النهري إلى فوق مستوى مياه النهر الأصلية وهنا يأتي الفيضان.¹

ينتج عن سقوط الأمطار الكثيف والمفاجئ نوع من الفيضانات الخاطفة والمدمرة والتي تعرف بالسيول، قد تبلغ سرعة عالية من التدفق تاركة وراءها آثار الخراب والتدمير للطرق والجسور والسيول؛ حيث تحدث السيول كظاهرة عندما يزيد الهطول المطري عن قدرة التربة على استيعاب الارتشاح رأسيا إلى الأسفل، مما يؤدي لتحرك المياه على شكل جريان سطحي يتجه إلى ما يقابله من المناطق المنخفضة والأكثر انخفاضا، والتي تقل مساحتها عن مساحة مجمع الأمطار، مما يجعل سرعة المياه كبيرة وقدرتها التدميرية هائلة حيث تكتسح في طريقها كل ما يعترضها من البشر والبهائم والأخضر واليابس والمنشآت وتسبب خسائر في الأرواح والممتلكات والبنية الأساسية والتحتية.²

أقر المقدسي في سياق حديثه عن ماء العراق أن أكثر مياههم ماء دجلة والفرات والزّاب والنهروان بقوله "ومنها سقي مزارعهم"³ فقد اعتبرت هاته الأنهار مصدر الرخاء للعراق خاصة نهري دجلة والفرات، حيث أنها عبر عن ذلك بقوله "فبلد العراق ليس ببلد رخاء ولكن جل وعمر بهاذين النهرين وما يحمل فيهما"⁴، إن ما يميز هاذين النهرين وغيرهما أنها تتفرع عنها العديد من الفروع والجداول والترع، حيث تلتقي هذه الأنهار وتصب بعضها في بعض لتكمل المسيرة النهرية التي تجوب بلاد العراق شرقا وغربا، كثيرا ما تأثرت الدولة العباسية من خطر الفيضانات الأنهار والسيول، إذ وصفت لنا المصادر التاريخية أحداثها وأثارها كما هو مبين أدناه:

¹ - محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم أرباب، المرجع السابق، ص 103.

² - محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم أرباب، المرجع السابق، ص 94.

³ - المقدسي، المصدر السابق، ص 125.

⁴ - المصدر نفسه، ص 124.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

الترتيب	السنة الهجرية/ السنة الميلادية	نوع الكارثة	الآثار الاقتصادية	المصدر
1.	205هـ / 820م	فيضانات دجلة	زادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت المنازل ببغداد وكثر الخراب بها، فغلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما إلى الخمسين بالقفيز الملجم، وأدى المد لغرق السواد وكسكر وقطية أم جعفر وقطية العباس	ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص455.
2.	206هـ / 821م	فيضانات دجلة والفرات	جاء مد كثير فغرق أرض السواد وأهلك الناس للناس شيئا كثير، فذهبت غلات كثيرة وامتألت الآبار وفسد الزرع.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص194؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص467.
3.	215هـ / 830م	فيضانات دجلة	زاد الماء زيادة عظيمة.	الأصفهاني أبي حامد محمد بن محمد (ت597هـ): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام التدميري، المكتبة العصرية،

لبنان، 2002، ص172.				
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص65.	سيل في البصرة ... فأغرق دورا كثيرة وزاد الماء حتى خيف الغرق.	سيل	221هـ/ 836م	4.
الصولي، المصدر السابق، ص278.	مطرت السماء مطرا شديدا برعود هائلة وبروق متصلة ، ازدادت دجلة زيادة عظيمة فتهدمت أبنية كثيرة حولها وخيف على الجانبين. حدق بثق بنهر عيسى فحمل الماء أكثر العمل.	زيادة دجلة	232هـ/ 846م	5.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص72.	انتهت زيادة دجلة الى احدى وعشرين ذراعا وثلاث فغرقت الضياح والدور التي عليها وأشفي الجانب الغربي على الغرق وهم الناس بالهرب.	فيضان	237هـ/ 851م	6.
المصدر نفسه، ج11 ص283؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص124.	مطر الناس بسامراء مطرا شديدا	مطر جواد	241هـ/ 855م	7.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12 ص 23.	امطرت في سامراء مطرا جودا سائلا إلى اصفرار الشمس	أمطار غزيرة	249هـ/ 863	8.
الذهبي، المصدر	انبثق ببغداد في الجانب الغربي	فيضان	270هـ/ 870م	9.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

883م	نهر الفرات	في نهر عيسى (بثق) ، فجاء الماء الى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار.	السابق، ج20، ص37.
10 285هـ / 897م	فيضان دجلة	مطرت السماء مطرا شديدا برعود هائلة وبروق متصلة، تتالت الأمطار بما لم يرو مثلها وزادت دجلة زيادة كبيرة لم ير مثلها فتهدمت أبنية كثيرة.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص377؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص677.
11 289هـ / 901م	فيضان دجلة	زادت دجلة قدر خمسة عشر ذرعا	ابن الاثير، المصدر السابق، ج6، ص416.
12 292هـ / 904م	فيضان دجلة	زادت دجلة زيادة مفرطة فانهدمت المنازل على شاطئها من الجانبين، ونبتت المياه من المواضع القريبة منها.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص33؛ السيوطي، المصدر السابق، ص299؛ ابن الاثير المصدر السابق، ج6، ص425.
13 300هـ / 913م	فيضان دجلة	كثر ماء دجلة وتراكت الأمطار ببغداد.	ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص778.
14 309هـ / 921م	فيضان دجلة	بلغت زيادة دجلة ثمانية عشر ذرعا.	الطبري، المصدر السابق، ج11، ص219؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص841.

15	310هـ / 922م	فيضان دجلة	بلغت زيادة دجلة ثمانية عشر ذراعا ونصف ، وورد أنه انبثق بواسطة سبعة عشر بثقا أكثرها ألف ذراع، وأصغرها مائة ذراع وغرق من أمهات القرى ألفان وثلثمائة قرية.	الطبري، المصدر السابق، ج11، ص227.
16	315هـ / 927م	فيضان دجلة	زادت الدجلة ب 12 ذراعا وثلثين لم يحج الناس أحد من أهل العراق وخرسان.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص265.
17	316هـ / 928م	فيضان دجلة والفرات	زادت دجلة بغتة زيادة مفرطة قطعت الجسور ببغداد وغرق الجسارين جماعة، وبلغت زيادة الفرات اثني عشر ذراعا وثلثين.	المصدر نفسه، ج13، ص273.
18	328هـ / 940م	فيضان دجلة	بلغت زيادة في ماء دجلة تسعة عشر ذراعا، وبلغت زيادة الفرات 11 ذراعا، انبثق من نواحي الأنبار فاجتاح القرى وغرق الناس والبهائم والسباع وصب الماء في الصراة الى بغداد، ودخل الشوارع من الجانب الغربي من بغداد، وغرق شارع الأنبار فلم يبقى فيه منزل وتساقط الدور والابنية على الصراة، وانقطع بعض القنطرة العتيقة والجديدة .	المصدر نفسه، ج13، ص383.

19	329هـ / 941م	فيضان الفرات والدجلة	زادت الفرات 11 ذرعا وانبتق بثق في نواحي الأنبار، فاجتاح القرى وغرقها وغرق الناس والبهائم والوحش والسباع، وصب الماء في الصراة إلى بغداد وغرق شارع الجانب الغربي وغرق شارع باب الأنبار، فلم يبقى منه منزل إلا وسقط، وتساقطت الأبنية على الصراة وسقطت قنطرة الصراة الجديدة، وانقطع بعض العتيقة، وزادت دجلة ثمانية عشر ذرعا في أيار.	المصدر نفسه، ج13، ص403.
20	330هـ / 942م	فيضان دجلة	جاء مطر كأفواه القرب، وامتلأت البلايع وفاضت ودخل دور الناس وبلغت زيادة دجلة 20 ذرعا.	المصدر نفسه، ج14، ص19؛ الذهبي، ج23، ص70.
21	232هـ / 844م	الامطار الغزيرة	في جمادى الأولى كثرت الأمطار فتساقطت منازل الناس ومات خلق كثير تحت الهدم، ومازالت قيمة العقار ببغداد تنقص، وزاد الأمر بسبب الغلاء، وبلغ الخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم، والتمر رطلان بدرهم وأغلقت عدة	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص34؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص95.

				حمامات، وتعطلت أسواق ومساجد حتى صار يطلب من يسكن في الدور بأجرة يعطيها لحافظها، وكثرت الكبسات بالليل من اللصوص بالسلاح والشمع، وتحارس الناس بالليل بالبوقات. وجاء في شباط مطر عظيم سيل وبرد كبار جمعه الثلاجون، وكبسوه وتساقطت الدور وبرد الهواء في آذار ووقع جليد كثير فاحترق أكثر الزرع
22	337هـ / 949م	فيضان دجلة		المصدر نفسه، ج14، ص72؛ ابن العماد شهب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، لبنان، ط1، 1988، ج2، ص344.
23	367هـ / 978م	فيضان دجلة	زادت دجلة زيادة كبيرة وغرقت كثيرا من الجانب الشرقي ببغداد	ابن الأثير، المصدر السابق، ج7،

			وغرقت أيضا مقابر بباب التبن بالجانب الغربي منها وبلغت السفينة أجرة وافرة وأشرف الناس على الهلاك، ثم نقص الماء فأمنوا ويضيف ابن كثير، زادت دجلة زيادة كثيرة وانبتقت بثوق كثيرة غرق بسببها خلق كثير وجم غفير.	ص380؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص382.
24	370هـ / 981م	فيضان دجلة والفرات	زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف وغرق كثير من الغلات، وتمردت الصراة وخربت قناطرها القديمة والجديدة وأشفى أهل العراق العربي من الغرق، وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت.	ابن الأثير، المصدر السابق، 395/7.
25	375هـ / 986م	مطر متواصل لثلاثة أيام	زادت دجلة زيادة بينة في كانون الثاني ولم يزل ينقص قليلا ثم يعود إلى الزيادة حتى قال أحد الملاحين لي ثمانون سنة ما رأيت مثل هذه الزيادة في كانون.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج18، ص238.
26	376هـ / 987م	مطر مفرط ببرق	في ليلة العشرين من تموز وافى مطرا كثير مفرط ببرق.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص317؛ ابن كثير،

المصدر السابق، ج15، ص426.				
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص434.	تتابع الأمطار وكثرت البروق والرعود والبرد الكبار وسالت منه الأودية وامتألت الأنهار والآبار بالجبل وخربت المنازل وامتألت الأقنأ طينا وحجارة وانقطعت الطرق.	تتابع الأمطار	27 / 378هـ / 989م	

الجدول رقم 06: يمثل حوادث الفيضانات والسيول في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال معطيات الجدول يتضح أن:

- تكرر حدوث السيول والفيضانات في الدولة العباسية سبعة وعشرين مرة، والتي نتجت عن زيادة مناسيب مياه نهري دجلة والفرات؛ مما أدى لكسر ضفافها فالظاهر أن حدوث مثل هذه الكارثة ظاهرة مألوفة بالنسبة للأهالي على امتداد أربعة قرون.
- حددت المصادر المناطق التي شملها الفيضان، والتي شملت بعض المرات العراق في حين شملت فيضانات أخرى بعض الولايات دون الأخرى خاصة بغداد وسامراء، أما في بعض المرات سجلت المصادر حدوث الفيضان فقط دون تحديد المناطق التي شملها.
- كان العراق يتعرض للفيضانات في بعض الأحيان كل عشر سنوات، في حين أغلبها تحدث كل سنتين أو كل سنة حسب زيادة نهري دجلة والفرات أو نقصانها.
- إذا قارنا تكرار حوادث الفيضانات بين القرون الثلاثة نلاحظ أن المصادر سجلت حدوث الفيضانات مرتين خلال القرن الثاني هجري، في حين بلغ عددها إحدى عشر فيضان خلال القرن الثالث هجري، وسجل حدوثها ستة عشرة مرة خلال القرن الرابع هجري، يرتبط تفسير ذلك بمدى جودة منشآت الري وأعمال صيانتها من البثوق وتراكم الطمي وذلك راجع لانشغال السلطة بالقضاء على القوى السياسية الطامحة للسلطة، فقد تميزت الفترة الممتدة من القرن

الثالث إلى القرن الرابع هجري بسيطرة العناصر التركية على مقاليد الحكم، التسلط البويهى والعديد من الأسباب التي سبق شرحها في الفصل السابق.

• إن احصائيات الفيضانات التي سجلت خلال القرن الرابع هجري تعود لحادث خطير له أثر بارز في تطور فيضان دجلة وازدياد خطورته بالنسبة إلى المدينة، وهو انهيار سد ديالى، الذي يعود إنشائه لفترات قديمة حيث أصبحت مياه فيضان نهر ديالى تتجمع في حوض نهر دجلة فتزيد في ارتفاع منسوب مياهه.¹

• كانت مدينة بغداد في أوائل تأسيسها تتمتع بمقدار كبير من الحماية من خطر الفيضان، وذلك لوجود مشاريع ري ضخمة كانت تسحب كميات كبيرة من مياه فيضان الأنهر وروافده فتقلل من خطر الفيضان، لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً حيث دب الضعف في جسم الدولة واستفحل الإهمال في مراقبة منشآت الري ورقابتها، فأخذت المشاريع تتهاور الواحد تلو الأخرى واندرست المصارف وتراكمت الرواسب في الجداول حتى صار الفيضان مصدر الخطر الأكبر، فأول تسجيل لحدوث فيضان في بغداد كان سنة 184هـ / 800م.²

• من خلال الجدول نلاحظ أن نهر دجلة كان أكثر عرضة لحوادث الفيضان إذا ما قورن مع نهر الفرات، وذلك راجع لجريان نهر الفرات بين ضفاف منخفضة ذات انحدار قليل على عكس ما هو الحال في نهر دجلة، وفرة المياه الصيفية في نهر الفرات، فإذا قارنا فيضان نهر الفرات بفيضان نهر دجلة نجد أن فيضان نهر الفرات الربيعي يبدأ عادة بعد فيضان نهر دجلة ببضع أسابيع وتبقى بعد انتهاء فيضان نهر دجلة إلى أسابيع،³ إضافة إلى أن

¹ - أحمد سوسة، فيضانات بغداد، المرجع السابق، ص296. خالد بن خضير بن عليان الحربي: فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسي (132هـ - 656 هـ)، المرجع السابق، ص2295.

² - مكسميليان: خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، تر: خالد اسماعيل علي، مطبعة المجتمع العراقي، 1986، ص88-122.

³ - أحمد سوسة، تطور الري، المرجع السابق، ص32.

المنطقة التي يتغذى منها الفرات بالمياه في اقسامه العليا أبعد منها في نهر دجلة، وذلك ما يساعد على البطء والهدوء اللذين اختص بهما نهر الفرات.¹

• أثرت الفيضانات والسول بعمق على الجوانب الاقتصادية للدولة العباسية، وخاصة الزراعة سواء من حيث الإنتاج أو البنية التحتية الزراعية وفيما يلي توضيح لذلك:

لم توافنا المصادر التاريخية في كثير من الأحيان بحجم الخسائر التي مست الجانب الزراعي جراء الفيضانات والسيول، وإنما عبرت عن هول العواقب التي يمكننا أن نستنتج منها حجم الخسائر الزراعية، وذلك لانبساط الأراضي الزراعية وانفتاحها أمام مياه الأنهار، حيث اقترن ذكر الفيضان ببعض العبارات التي تدل على هوله وكذا الخسائر التي خلفها، كعبارة "زيادة عظيمة" التي اقترنت بفيضانات سنة 205هـ/821م² و"فيضانات سنة 367هـ/978م³، وعبارة " لم ير قبل مثلها" التي وصفت فيضان سنة 285هـ/899م⁴، واقترنت عبارة "زادت زيادة مفرطة" بفيضانات كل من سنة 292هـ/905م⁵ وسنة 316هـ/929م⁶، وشكل فيضان سنة 206هـ/822م "مدودا عظيمة"⁷، كما جاوز فيضان سنة 307هـ/920م المؤلف⁸.

¹ - نجيب خروفة: من مشاريع الري في العصر العباسي، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، عقدتها دار العلوم الصرفة والتطبيقية، 17 مارس 1997، منشورات المجمع العراقي، 1999، ص 8. رائد محمد حامد: تأثير الفيضانات على السجون بغداد في العصر العباسي، المرجع السابق، ص 7.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص 455.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 382.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 12، ص 378.

⁵ - المصدر نفسه، ج 13، ص 33.

⁶ - المصدر نفسه، ج 13، ص 273.

⁷ - المصدر نفسه، ج 9، ص 194.

⁸ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 395.

في حين وضحت المصادر حجم الخسائر في حوادث أخرى، فقد فسد الزرع وذهبت غلات كثيرة نتيجة المد الذي حدث سنة 206هـ/822م والذي اقترن بوقوع الجراد واليرقان¹، ولزيادة دجلة سنة 292هـ/905م زيادة مفرطة غمرت المياه الأراضي القريبة منها²، وكثرت الأمطار سنة 332هـ/944م فنتج عن ذلك انتشار الغلاء وهذا دليل على تضرر الزرع والغلال³، كما غرقت الزروع وهمّ الناس بالهروب سنة 337هـ/949م بعد أن زادت دجلة زيادة عظيمة⁴، وغرقت الغلات سنة 370هـ/981م بعد أن زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت جاوزت المألوف⁵.

يتضح أن أكثر الفيضانات حدوثاً هي فيضان نهري دجلة والفرات إذ أن عدم قدرتهما على استيعاب كميات المياه الواردة لهما -من مصادر مختلفة- تؤدي لفيضانهما⁶؛ وبالتالي لا يمكن ربط فيضان دجلة فقط بغزارة الأمطار وإنما قد ينتج عن ذوبان الثلوج أو حدوث انسدادات في مجرى النهر نتيجة إهمال مشاريع صيانة الأنهار، فهنا يظهر دور الانسان كعامل داعم لحدوث مثل هذه الكوارث، فموضوع الفيضانات والسيول يرتبط لحد كبير بمنشآت ومشاريع الري فخطرهما يزداد بإهمالها ويقل بل ويزول في حالة صيانتها وترميمها ورقابتها والاهتمام بتطبيق مناهج استخدامها.

إنهار خلال هذه الفترة سد نهر ديالي؛ ما ترك أثراً بارزاً في تطور فيضان دجلة وازدياد خطورته بالنسبة إلى مدينة بغداد، وهو السد الذي كانت تُحوّل من أمامه مياه ديالي إلى

¹- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص194.

²- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص33.

³- المصدر نفسه، ج14، ص34.

⁴- المصدر نفسه، ج14، ص72.

⁵- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص395.

⁶- محسوب وأرباب، المرجع السابق، ص108.

جداول الري، وبالأخص منها مجرى الروز الذي كان يجمع معظم مياه الفيضان فيصبها في "منخفضات مريحة"، وكانت نتائج ذلك وخيمة بالنسبة لسكان نهر ديالي من جهة ولسكان النهروان من جهة، لأن انهيار السد أدى إلى انقطاع المياه الصيفية عن أكثر الجداول التي كانت تتفرع من نهر ديالي من أمام السد والتي كانت تروي الأراضي الواقعة على جانب نهر ديالي، وبعد أن كانت طساسيج ديالي في أوائل القرن الثالث هجري في مقدمة الطساسيج المذكورة في قوائم جباية السواد، أصبحت على حين غرة أرضاً قاحلة بعد انهيار سد ديالي فهجرها السكان وغطتها الرمال، إلا ما كان واطناً من الأراضي المجاورة لنهر ديالي فقد زرعت بعد بذل جهد كبير. أما القسم الشمالي لم يتأثر بانهيار سد ديالي.¹

كما أدى ارتباط الأنهار وتشعبها لاتساع نطاق خطر فيضان أحد هذه الأنهار، فالخراب لا يشمل في بعض الأحيان المناطق المحيطة بالنهر فقط بل يتجاوز حدوده، فنهر الفرات في العصر العباسي يغذي أربعة أنهار رئيسية تتفرع من ضفته اليسرى متجهة إلى ضفة دجلة اليمنى مارة بالمدن والقرى موزعة مياهها على الأراضي الزراعية الواقعة بين النهرين مستفيدة من طبوغرافية الأرض المنحدرة باتجاه دجلة من الفرات.² (أنظر الملحق رقم 03، ص 383)

¹ - أحمد سوسة: ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، مطبعة المعارف، بغداد، 1948، ج1، ص472.

² - حميد نشأت اسماعيل: ري سواد العراق في العصر العباسي، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999، ص63.

يتفرع نهر عيسى من الضفة اليسرى لنهر الفرات؛ حيث كان من أكثر الأنهار التي تجري بمدينة المنصور والكرخ من الجانب الغربي ويتفرع بين المحال والدور فتؤخذ منه،¹ ثم نهر صرصر الذي يعتبر ثاني الأنهار الكبيرة، التي تأخذ مائها من الفرات ويصب في دجلة بين بغداد والمدائن وكان يسقي قرى وضياح كثيرة في هذه المنطقة ، ونهر الملك الذي كان يسقي قرى كثيرة في سواد العراق تصل إلى 360 قرية، وجميع هذه الأنهار تسقي الأراضي المحصورة بين دجلة والفرات، أما الأنهار المتفرعة من الضفة اليمنى لنهر دجلة فأهمها نهر دجيل، الذي تتشعب منه فروع متعددة تتحد باتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وبعضها باتجاه الجنوب الشرقي حتى تصل مياهها الى بغداد.²

أثر حدوث الفيضانات على الاسعار وينتج عن ذلك عادة ارتفاع ملحوظ في الأسعار خاصة المواد الأساسية الزراعية نتيجة لقانون العرض والطلب، حيث غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما إلى الخمسين بالقفيز الملجم³ وارتفع كذلك سنة 205هـ / 820م لما لحق المحاصيل الزراعية من فساد،⁴ كما أدى المد لغرق السواد وكسكر وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس سنة 206هـ / 821م

¹ - يعقوب ليسنر: خطط بغداد في العهود الاسلامية الأولى، تر: صالح أحمد العلي، ، المجمع العلمي العراقي ص116.

² - عواد مجيد العوضي: الزراعة 15هـ - 656هـ / 636م - 1258م، حضارة العراق، دار الجيل، لبنان ج5، ص245؛ مكملين شترك، المرجع السابق، ص46.

³ - القفير الملجم: هو عشرة مكايك بالمكوك الهاروني. الطبري، المصدر السابق، ج8، ص596. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص455.

⁴ - القفير: هو مكيال يسع ثمانية مكايك عند أهل العراق، كل مكوك 3 كليجات وكل كليجة تساوي 600 درهم. أحمد الشرباصي، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص967. والقفير مكيال يختلف مقداره من بلد إلى آخر وهو بالتقدير الحديث نحو ستة عشر كيلوغرام. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، المرجع السابق، ص352

فذهبت غلات كثيرة وامتألت الآبار وفسد الزرع ووقع الجراد واليرقان¹، كما غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من الحنطة أربعين درهما إلى خمسين بالفقير الملجم وذلك راجع لما تعرضت له العراق من جفاف وقحط سنة 207هـ / 822م².

ساهمت الفيضانات في عرقلة الحركة التجارية خاصة في العراق الذي كان يعتمد على شبكة واسعة من الأنهار والترع في النقل والتجارة، كما كانت تتسبب في تلف الجسور والقناطر التي تربط بين ضفتي النهر، وهو ما يقطع طرق المواصلات البرية يؤدي إلى انعزال بعض المناطق التجارية عن المراكز الحضرية الكبرى مثل بغداد والبصرة، ومع انقطاع طرق النقل البرية والبحرية كانت البضائع تتأخر في الوصول إلى الأسواق فتتدر السلع وترتفع الأسعار.

أدت الفيضانات إلى تكوّن بطائح واسعة خاصة في المناطق المحيطة بالبصرة، وكان نهر دجلة أكثر الأنهار تأثرًا بهذه البطائح وبامتدادها، لما تسببه من أضرار جسيمة عطّلت حركة السفن المارة فيه، كما أسهم ارتفاع مناسيب المياه وسرعة تدفقها في تدمير الجسور التي كانت تُعدّ شريانًا أساسيًا لنقل التجارة البرية، ففي سنة 316 هـ / 929م زادت دجلة بغتة زيادة مفرطة فقطعت الجسور ببغداد وغرق الجسارين جماعة، وبلغت زيادة الفرات اثني عشر ذراعًا وثلاثين³.

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص194.

² - الطبري، المصدر السابق، ج8، ص596. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص470.

³ - الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص273.

بلغت الزيادة في ماء دجلة سنة 328هـ/940م تسعة عشر ذراعا، وبلغت زيادة الفرات 11 ذراعا، انبثق من نواحي الأنبار فاجتاح القرى وغرق الناس والبهائم والسباع وصب الماء في الصراة إلى بغداد، ودخل الشوارع من الجانب الغربي من بغداد، وغرق شارع الأنبار فلم يبقى فيه منزل وتساقط الدور والأبنية على الصراة، وانقطع بعض القنطرة العتيقة والجديدة.¹

زادت الفرات 11 ذراعا سنة 329هـ/941م فسقطت قنطرة الصراة الجديدة، وانقطع بعض العتيقة، وزادت دجلة ثمانية عشر ذراعا،² وزادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف سنة 370هـ/981م فتدمرت الصراة وخربت قناطرها القديمة والجديدة وأشفى أهل العراق على الغرق، وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت.³

تأثرت كذلك الصناعة بما مس الثمار جراء الكوارث الطبيعية، وأولها الحنطة التي اعتبرت من أعمدة الغذاء لمختلف طبقات المجتمع، إضافة إلى التمر والأرز الذي يصحب أكثر الأكلات أو يدخل فيها.⁴

¹ - المصدر نفسه، ج13، ص383.

² - المصدر نفسه، ج13، ص403.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص395.

⁴ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص260.

لم يكن طحن وصناعة الخبز محصورة في القمح، وإنما لحق ذلك مواد أخرى من أهمها الشعير والأرز لكثرتهم وصلاحيته للطحن، فقد كان خبز الأرز رخيص الثمن، فيحكى أن دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم انصرف فقال له أصحابه كيف رأيت البصرة؟ قال: "خير بلاد للجائع، والعزب، والمفلس، أما الجائع فيأكل من خبز الأرز"،¹ ونتج عن ذلك أن ارتفعت أسعار الأغذية وتراجعت الصناعات المتعلقة بالصناعات الغذائية خاصة منها التي تعلقت بالمواد التي سبق ذكرها باعتبارها الغذاء الأساسي لمختلف شرائح المجتمع .

ب- تساقط البرد والتلج:

تعرضت الدولة العباسية كذلك لسقوط البرد والتلج، والتي بلغت أوزاناً كبيرة في العديد من المرات ما يجعل سقوطها يعتبر كارثة طبيعية، في الجدول التالي ترتيب حوادث سقوطها والتي نقلتها لنا المصادر التاريخية باعتبارها أحداث استثنائية:

الترتيب	السنة الهجرية والسنة الميلادية	نوع الكارثة	الرقعة الجغرافية	المصدر
1.	240هـ/854م	سقوط البرد	وقع برد أعظم من الجوز، مثل بيض الحمام، مع مطر شديد وسقط يومئذ بسمراء برد من بيض الدجاج.	ابن الجوزي ، المصدر السابق، ج11، ص271؛ السيوطي، المصدر السابق، ج274
2.	285هـ/898م	سقوط البرد	ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جداً، ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم ير مثلاً وسقط	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص378؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص677.

¹ - أبو حيان التوحيدي ، المصدر السابق، ج1، ص445.

	بعض القرى من المطر برعود وبروق لم ير مثلها وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض وسود وسقط برد كبار وزن الواحدة مائة وخمسون درهما، واقتلعت الرياح شيئا كثيرا من النخل مما حول دجلة،			
3.	290هـ/902م	سقوط ثلج	وقع ثلج ببغداد منذ أول النهار إلى العصر.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص16.
4.	296هـ/908م	سقوط ثلج	سقط ببغداد ثلج من غدوة إلى قرب صلاة العصر، حتى صار في السطوح والدروب منه أربع أصابع.	المصدر نفسه، ج 13، ص81.
5.	308هـ/920م	برد شديد وتساقط الثلج	برد الهواء بردا شديدا أضر بالنخل والاشجار وسقط ثلج كبير.	المصدر نفسه، ج13، ص194.
6.	314هـ/926م	ثلج عظيم	سقد ببغداد ثلج كبير.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص255؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص21
7.	327هـ/938م	سقوط البرد	مطر عظيم وبرد كبير وزن كل بردة أوقيتين ودام وسقط بذلك حيطان كثيرة	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص377؛ ابن كثير، المصدر

			من دور بغداد وظهر جراد كثير.	السابق، ج15، ص110.
8.	334هـ/945 م	سقوط حصى	أمطرت بغداد حصى وزن كل حصة رطل فقتلت خلقا كثيرا من الناس والدواب والطير واشتد أمر الغلاء حتى أكل الناس لحم الأدميين وبيع العقار بالزعفرا.	الديار بكري حسين بن محمد بن الحسن: تاريخ الخميس، في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت)، ج2، ص553.
9.	335هـ/946م	سقوط البرد	وقع برد كبار في كل بردة أوقيتان أو أكثر فطحن الغلات	ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج 14، ص 54.
10.	345هـ/956م	سقوط البرد	امطرت بغداد بردا زنة كل حصوة مائة وخمسون درهم وأقل وأكثر وقتلت شيئا كثيرا من الطير والمواشي.	الدوداري ابي بكر بن عبد الله بن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، تح: دوروتيا كراولكي، قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الألماني للآثار، بيروت، 1996، ج5، ص411.
11.	350هـ/961م	سقوط البرد	جاء برد في كل بردة أوقيتان وأكثر وقتل الطيور والبهائم.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14 ص133؛ ابن العماد، المصدر السابق، ج3، ص2.

12.	351هـ/962م	سقوط البرد	سقد برد كل بردة رطل ونص ورطلان.	المصدر نفسه، ج3، ص7؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص140.
13.	354هـ/965م	سقوط البرد	جاء برد وزن البردة درهم.	المصدر نفسه، ج14 ص161

الجدول رقم 07: حوادث سقوط الثلج والبرد بأحجام كبيرة خلال الفترة (198هـ - 391هـ/ 813م - 991م) - إعداد الباحثة.

من خلال حوادث سقوط الثلج والبرد الواردة في الجدول يتضح أن:

- تكرر سقوط البرد والثلج ثلاثة عشرة مرة من ضمنها حالات سقوط للحصى، والتي اقترن ذكرها بما خلفته من آثار تدميرية، كما حددت المصادر منطقة وقوعها (العراق، بغداد، سامراء..)

- يعتبر البرد والثلج من العوامل المناخية التي تترك آثارا عميقة على النشاط الزراعي خاصة إذا كانت بأحجام كبيرة، إذ يمكن أن يؤثر سلبا على المحاصيل والنشاط الفلاحي بوجه عام، فقد فسدت المحاصيل الزراعية بسبب وقوع البرد بأحجام كبيرة عدة مرات، وقد أوردت المصادر في معظم حوادث سقوطه حجمه، والذي يؤدي حتما لطحن المزروعات حتى لو لم تصرح المصادر بذلك، في حين أنها أوضحت مدى تضرر المحاصيل في حوادث أخرى.

ارتبط أحيانا حدوث الغلاء بسقوط البرد بأحجام كبيرة مما يدل على تأثيره الفادح على المزروعات، مثلما حدث سنة 334هـ/946م، حيث أمطرت بغداد حصى وزن كل حصة

رطل واشتد أمر الغلاء حتى أكل الناس لحم الأدميين وبيع العقار بالزعران.¹ وقع برّد كبير سنة 335هـ/955م وزن كل برّدة أوقيتان² أو أكثر، فغلت الأسعار³

أدى سقوط الثلوج بكميات كبيرة سنة 314هـ/927م لعرقلة النشاط الزراعي لارتفاع سمكه وشدة برودته التي أثرت على الزرع والأشجار والنخيل،⁴ وقبل هذا بستة أيام برد الهواء بردا شديدا، ثم زاد شدة بعد سقوط الثلج وأفرط في الشدة كثيرا حتى تلف أكثر نخل بغداد وسوادها وجف وتلف شجر التين والسدر وجمد الشراب والماورد والخل وجمدت الخلجان الكبار من دجلة ببغداد، وجمدت أكثر الفرات بنواحي الفرات بنواحي الرقة وجمدت دجلة بأسرها بالموصل حتى عبرت الدواب عليها.⁵

كان لسقوط البرّد بأحجام كبيرة مساهمة في نفوق الحيوانات، حيث أمطرت بغداد سنة 334هـ/946م حصى وزن كل حصة رطل فقتلت خلقا كثيرا من الناس والدواب والطيور،⁶ كما امطرت بها سنة 345هـ/957م برّدا زنة كل حصوة مائة وخمسون درهم وأقل وأكثر وقتلت شيئا كثيرا من الطير والمواشي،⁷ وتكرر سقوطه سنة 350هـ/952م حيث كان في كل برّدة أوقيتان وأكثر فقتل بسبب ذلك الطيور والبهائم،⁸ ورد غرق السباع في فيضان سنة

¹ -الديار بكري، المصدر السابق، ج2، ص55.

² -الأوقية: جمع أواق، وهي تزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم، والأوقية لم تبلغ أقل من عشرة دراهم الخوارزمي، المصدر السابق، ص77؛ الأوقية بضم الهمز وكسر القاف وتشديد الياء اسم لأربعين درهما وهي من الذهب؛ أحمد الشرباطي، المرجع السابق، ص42.

³ -ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص54.

⁴ -ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص225.

⁵ -ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص268.

⁶ ديار بكري، المصدر السابق، ج2، ص55.

⁷ الدوداري، المصدر السابق، ج5، ص411.

⁸ ابن الجوزي، المصدر السابق، ص133، ج14.

328هـ / 940م بسبب طغيان نهر الفرات وهذا ما يدل على وجودها في العراق في ذلك العصر.¹

ت- انحباس الأمطار وحدوث الجفاف:

تكرر انحباس الأمطار وحدوث موجات الجفاف في الدولة العباسية عدة مرات، وذلك نتيجة التفاوت في كمية سقوط الأمطار بين سنة وأخرى،² ما أثر على مختلف الجوانب الحياتية باعتبار الماء عنصر أساسي في حياة الانسان والحيوان.

رصدت لنا المصادر التاريخية حوادث الجفاف ضمن ما نقلته لنا من أخبار وأوصاف باعتباره واقعة مهمة مبرزة في العديد من المرات الآثار التي خلفها، يمثل الجدول التالي الترتيب التسلسلي لهذه الكارثة والمناطق التي شملتها:

الترتيب	السنة الهجرية السنة الميلادية	نوع الكارثة	الآثار الاقتصادية.	المصدر
1.	207هـ/823م	جفاف وقحط	ارتفعت الأسعار بسبب انحباس الأمطار حتى وصل الأمر أن يباع الطعام سرا ليلا خوفا من النهب.	الطبري، المصدر السابق، ج8، ص596.
2.	284هـ/898م	جفاف	قحط الناس فلم يرو من الأمطار إلا اليسير، حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرارا.	ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص672. ابن الجوزي، المصدر السابق،

¹ التتوخي، المصدر السابق، ج2، ص90. أحمد سوسة، المرجع السابق، فيضانات بغداد، ص294.

² - أحمد سوسة، فيضان بغداد، المرجع السابق، ص117.

ج 12 ص 373.				
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 93؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 757.	تأخر المطر في هذه السنة عن بغداد وغلى السعر.	جفاف	297هـ/910م	3.
المصدر نفسه، ج 14، ص 06.	خرج التشرينان وشباط بلا قطرة مطر إلا مطرة واحدة خفيفة لم يسل منها ميزاب ، اشتد الغلاء وزاد كر الدقيق مائة وثلاثين دينارا وأكل الناس نخالة والحشيش وكثر الموت حتى دفن جماعة في قبر واحد بلا صلاة بلا غسل ورخص العقار والقماش حتى بيع ما ثمنه دنانير بعددها دراهم.	القحط	329هـ/940م	4.
الذهبي، المصدر السابق، ج 24، ص 70.	اشتد القحط حتى أبيع ببغداد كر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر دينار وهلك الخلق وكان القحط لم يعهد بمثله في بغداد.	جفاف وقحط	330هـ/942م	5.
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 170.	اشتد الغلاء بسبب انحباس الأمطار وقد تزامن ذلك مع دخول البويهيين للعراق فأكل الناس لحوم الميتة والكلاب والسنانير وخروب الشوك ثم هرب الناس من بغداد	جفاف وقحط	334هـ/946م	6.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

			باتجاه البصرة ومات أكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مدة، وبيعت الدور بالخبز.
7.	346هـ/957م	انحباس الأمطار	انقطعت الأمطار وغلت الأسعار فخرجت الناس استسقوا، فما سقوا. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص258.
8.	348هـ/959م	جفاف	قلت الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يستسقوا وظهر جراد عظيم في آذار، فأكل ما نبت من الخضراوات فاشتد الأمر جدا. المصدر نفسه، ج7، ص265، ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص237.
9.	352هـ/963م	جفاف	خرج الناس للاستسقاء لعدم المطر. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص280.
10.	359هـ/968م	انحبست الأمطار	نقصت دجلة نقصا مفرطا وغارت الآبار. ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص202. ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص321.
11.	364هـ/974م	قحطا شديدا	شهد بغداد ارتفاعا في الأسعار وكثر الفساد بسبب انحباس الأمطار. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص236.
12.	373هـ/984م	جفاف وقحط	كان القحط شديدا ببغداد وبلغ حساب الغرارة بأربعمائة درهم. ابن العماد، المصدر السابق،

ج3، ص80. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص358.				
الدوداري، المصدر السابق، ج6، ص213.	انحباس الأمطار	العراق والبلدان المجاورة لها	13. 374هـ/984م	
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص432.	تأخر المطر حتى انتصف كانون الثاني، وغلت الاسعار في العراق وما جاورها من البلاد واستسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع وعشرون كانون الثاني، وزال القنوط وتتابع الأمطار.	تأخر المطر	14. 377هـ/987م	

الجدول رقم 08: يمثل سنوات تأخر الأمطار وحدوث الجفاف في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

- من خلال المصادر يتضح أن الجفاف كان يعم كامل بلاد العراق، أي لم يشمل منطقة دون أخرى عدا بعض المرات التي حدد وقوعها ببغداد؛ وذلك نظرا لتفاوت درجات الحرارة والتساقط بين مختلف مناطق البلاد.
- بتحليلنا لحوادث الجفاف التي تم رصدها من مختلف المصادر، تبين أن القرن الرابع هجري عرف موجات عديدة من الجفاف، والتي قدر عددها بثلاثة عشر مرة كانت في فترات متقاربة، ولم يكن القرن الثالث هجري بمنأى عن حدوث هذه الكارثة الطبيعية حيث سجل حدوث الجفاف سبع مرات.

• إن تكرار حدوثه هذه الكارثة خاصة خلال القرنين الثالث والرابع هجريين يقودنا لدراسة واقع الموارد المائية الطبيعية وكذا منشآت التخزين التي كان يعتمد عليها، والتي كانت حتما تضمن توفر المياه في حال انقطاع المطر ونقص منسوب مياه الأنهار.

تعددت منابع ومصادر الماء الطبيعية في الدولة العباسية، والتي تمثلت في الأنهار والأودية والأمطار والعيون، فالى جانب نهري دجلة والفرات وما تفرع عنهما من أنهار تمتعت المنطقة بمصادر متعددة للمياه كالأمطار التي تسقط خلال فصلي الشتاء والخريف والربيع وتزداد كميتها كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال الشرقي¹، فالملاحظ تباين تساقطها من منطقة إلى أخرى ومن فصل لآخر فهي قد تنعدم في فصل الصيف.

مثلت العيون موردا مهما للماء في المنطقة والتي بلغ عددها 350 عينا، كانت متنوعة ومتفرقة ومتفرقة المكان، كما أنها كانت تساهم بتوفير الموارد المائية بنسبة أعلى من الأمطار وأقل من الأنهار²، وكذا الآبار التي تم استحداثها في مناطق عديدة والتي جاء الحديث عنها في المصادر مجمل على شكل إشارات لا تزيد في كثير من الأحيان عن مجموعة كلمات تحمل صورة الأخبار³، أي لم تأتي تفاصيل مثلا بخصوص كمية الاستفادة منها.

رغم ما يتمتع به العراق من غزارة المياه العذبة ووجود عدد كبير من الأنهار إلا أن الحاجة كانت ملحة للقيام بالعديد من منشآت تخزين الماء تمثلت هذه المنشآت في: الأحواض ولعل أكثر المناطق التي تم إنشاء أحواض للماء العذب بها هي منطقة البصرة،

¹ - فلاح جمال معروف وآخرون، المرجع السابق، ص 89.

² - محمد عبد المحسن أحمد: الموارد المائية في العراق واثرها الاقتصادي خلال العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ / 750م - 847م)، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2019، ص 121.

³ - المرجع نفسه، ص 126.

وذلك لما يغلب مائها من ملوحة¹، لأن أكثر أنهار البصرة يدخله المد والجزر من البحر فإذا كان المد دخل من البحر وتراجعت مياه الأنهار فصبت في البساتين والزراع وسقتها وإذا كان الجزر انحجرت وعادت الأنهار جارية على حسب عاداتها²، ومن هذه الأحواض الحوض الذي أنشأه "سليمان بن علي" والي البصرة في عهد أبي جعفر المنصور، حوض طالوت بن عباد(ت238هـ).³

لم تكن مدينة بغداد بمنأى عن انجاز مثل هذه المنشآت المائية رغم ما تتمتع به من وفرة في المياه، خاصة وأن المنصور قد راعى توفير عنصر الماء بالمدينة، ومن أحواضها، يوجد حوض داود الذي يقع قرب سوق العطش، لم تفيدنا المصادر بمعلومات دقيقة عن هذا الحوض ما عدا بعض الإشارات التي نقلها لنا الحموي بخصوص موقعه، حيث حدث اختلاف في نسبه إذا ما كان ينسب إلى داود بن المهدي بن المنصور وقيل هو منسوب إلى داود مولى المهدي، وقيل أن داود مولى نصير ونصير مولى المهدي ولداود هذا قطيعة من سوق العطش، حوض هيلانة⁴، حوض الأنصار، كانت هذه الأحواض يغذيها نهر موسى عن طريق ثلاثة أنهار فرعية يصب كل واحد منها في هذه الأحواض⁵؛ وبالتالي فجفاف هذا النهر أو أحد فروعه يؤدي حتما لنفاذ مياه الأحواض وجفافها.

¹ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص213.

² - الإدريسي أبي عبد الرحمان(من علماء القرن 6هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج1، ص384. سهراب، عجائب الدنيا السبع الى نهاية العمارة، تص: هانس فون مريك، مطبعة ادولف، 1929، ص135.

³ - صالح العلي: خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986، ص140.

⁴ - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص320.

⁵ - البغدادي الخطيب أبي بكر أحمد بن علي(ت463هـ): تاريخ بغداد، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص127.

إضافة إلى الأحواض تم حفر الصهاريج التي كانت تشبه لحد كبير الأحواض بهدف الحفاظ على ديمومة وجود الماء خاصة للشرب، حيث قيل إن جل شربهم من صهاريج معدة في دورهم،¹ كما قد شوهدت صهاريج عديدة محكمة البناء بالرصافة والتي كانت تستعمل لشرب الماء،² كما تم إنشاء مجموعة من السدود لتأمين الاستفادة القصوى من مياه الأنهار ومن ثم توزيعها على الجداول، وللتخفيف من حالات الجفاف التي كانت تعترض البلاد من فترة إلى أخرى لما تحويه من مياه، والملاحظ أن أي ضرر أو تغير يصيب مصادر الماء يؤثر حتما على كمية الماء الموجودة في تلك المنشآت باعتبارها مصادر إمداد بالماء.

أما بخصوص واقع هذه المنشآت خلال القرنين الثالث والرابع هجريين، فالظاهر أنها تأثرت بالواقع السياسي وما تبعه من تراجع في أعمال الصيانة والمراقبة والإنشاء، ماعدا بعض المحاولات الفردية التي حدثت من أضرار الجفاف والتي نتج عنها حدوث الجفاف عدة مرات ولفترات متقاربة لمواجهة ندرة المياه.

لجئ العباسيون لصلاة الاستسقاء طلبا للمطر، فقد استسقى أهل بغداد مرات عدة في السنة (284هـ / 989م) لشدة القحط وانحباس المطر³، وأمر المتقي بالله الناس بالخروج لصلاة الاستسقاء سنة 329هـ / 940م⁴، كما استسقوا في سنة 348هـ / 959م⁵، اضطروا للخروج لصلاة الاستسقاء سنة 377هـ / 978م⁶.

¹ - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص39.

² - المصدر نفسه، ج2، ص510.

³ - ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص672. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج1 ص373.

⁴ - ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص06.

⁵ - ابن الأثير، ج7، ص265، ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص237.

⁶ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص432.

تأثرت المحاصيل الزراعية كذلك بانحسار الأمطار، فغالبا ما اقترن عدم نزول الأمطار بحدوث أزمات كثيرة، وردت في القرآن الكريم آيات تتضمن إشارات واضحة لأهمية الماء والأرض والزرع وحاجة الإنسان إليها ومن هذه الآيات قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.¹

وضح ابن وحشية النبطي أهمية وجود الماء لوجود المزروعات وأكد على ضرورة توفيره لضمان جودتها إذ يقول: "ولما كانت هذه الشجرة الشريفة أعني شجرة الزيتون وشجر الحنطة والشعير والأرز والذرة وغير هذه من الحبوب المقاتلة التي هي أعظم نفعا من سائر النبات قد تتلف بانقطاع الماء عنها وتجف، وأما شجرة الزيتون ففي زمن طويل وأما هذه الحبوب ففي زمن قصير".²

اقترن انحسار الأمطار بغلاء الأسعار، خاصة "الحنطة" حيث كانت الحنطة والشعير تزرع في كافة أنحاء العراق،³ ويقول عبد الفتاح فتحي في سياق حديثة عن الزراعة في العصر العباسي أن "الحنطة تزرع في كامل الأرض المروية"،⁴ و التي كان ارتفاع أسعارها أسعارها من دلائل غلاء المعيشة وكان الأرز يأتي في المرتبة بعد الشعير.⁵

شهدت أسعار الحنطة ارتفاعاً ملحوظاً، إذ بلغ سعر القفيز منها ما بين أربعين إلى خمسين درهماً بالفقير الملجم، ويُعزى ذلك إلى ما أصاب العراق من جفافٍ وقحط سنة

¹ - سورة البقرة، الآية 22.

² - ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي قيس الكسدائي (ق 4 هـ): الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ت)، ص 54.

³ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 79.

⁴ - عبد الفتاح فتحي: المسلمون في العصر العباسي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258)، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص 306.

⁵ - آدم متز، المرجع السابق، ج 2، ص 253.

207هـ / 822م¹. كما ارتفعت الأسعار مرة أخرى في سنتي 284هـ / 897م² و297هـ / 909م³ وكذلك في سنة 329هـ / 940م⁴ غير أن المصادر لم تحدد على وجه الدقة مقدار هذا الارتفاع في تلك السنوات.

اشتد القحط سنة 330هـ / 941م ببغداد حتى بيع كُرّ الحنطة بثلاثمائة وستة عشر دينارًا، فهلك كثير من الناس، ولم يُعرف لبغداد قحط مثله من قبل⁵. ثم ارتفعت الأسعار في سائر البلاد بعد أن انقطعت الأمطار سنة 344هـ / 955م د، فخرج الناس للاستسقاء فلم يُسقوا. وفي شهر آذار ظهر جراد كثير أتى على ما نبت من الخضراوات، فاشتد البلاء على الناس⁶. وتكرر انقطاع الأمطار في سنتي 348هـ / 959م⁷ و349هـ / 960م، فعمّ الغلاء، واشتد أثره في الموصل خصوصًا، إذ بلغ كُرّ الحنطة ألفًا ومائتي درهم، وكُرّ الشعير ثمانمائة درهم، ثم ارتفع سعر الحنطة إلى ألفين ومائتي درهم، بينما استقر الشعير عند ثمانمائة درهم. وكان سبب هذا الغلاء الفيضان الذي وقع في السنة السابقة وأدى إلى تدمير المحاصيل⁸.

غلت الأسعار سنة 373هـ / 983م بالعراق وما يجاوره من البلاد حيث كان القحط شديدًا فعدمّت الأقوات فمات كثير من الناس جوعًا⁹ واستمر الغلاء سنة 374هـ / 984م

¹-الطبري، المصدر السابق، ج8، ص596. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص470.

²-ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص373.

³-المصدر نفسه، ج13، ص93. ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص757.

⁴-ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص158؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص06.

⁵-تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج24، ص70؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص20.

⁶-ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص265.

⁷-المصدر نفسه، ج7، ص264. ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص237.

⁸-ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص267.

⁹-ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص416؛ ابن العماد، المصدر السابق، ج3، ص80.

فعانى الناس من مجاعة لم يروا مثلها في سائر الأقاليم وعم الغلاء،¹ تكرر الغلاء في العراق العراق وما جاورها من البلاد واستسقى الناس مرتين فلم يسقوا حتى جاء المطر في السابع وعشرون من كانون الثاني، وزال القنوط بسبب تأخر المطر حتى انتصف كانون الثاني من سنة 377هـ/ 987م².

ث- هبوب رياح قوية :

تعتبر الرياح من أهم عناصر المناخ التي تؤثر على أحوال الطقس، كما أنها تعتبر من المخاطر الطبيعية الأكثر فتكا بالأفراد والممتلكات خاصة إذا كانت سرعتها قوية جدا وإن دام هبوبها لفترة طويلة، قد تكون رياح رملية أو رياح حارة أو باردة ولكل نوع من هذه الرياح آثاره على مختلف الأنشطة، ساد العراق عدة أنواع للرياح اختلفت في مدة ومواسم هبوبها وسرعتها وما تحمله ودرجة حرارتها.

اعتمادا على مصادر تاريخية مختلفة حاولت رصد موجات الرياح القوية التي اعترضت الدولة على امتداد ثلاثة قرون في الجدول الموالي:

الترتيب	السنة الهجرية والسنة الميلادية	نوع الكارثة	الآثار الاقتصادية	المصدر
1.	214هـ / 829م	رياح	هبّت رياح عظيمة حتى قلعت الشجر وهدمت المنازل.	ابن الجوزي، ج13، ص255.

¹-الدواداري، المصدر السابق، ج 6، ص213.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص432.

2.	232هـ 846م/	ريح سموم وموجة برد	هبت ريح في العراق شديدة السموم ولم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوما واتصلت بهمدان وأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجان ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرقات، وأهلكت خلقا كثيرا. ارتفعت في البصرة ريح شديدة أقلعت من نهر الحسن 500 نخلة أو أكثر، ومن نهر معقل مائة نخلة.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص176؛ ابن العبري: المصدر السابق، ص275.
3.	234هـ 848م/	ريح سموم	هبت ريح شديد وسموم لم يعهد مثلها فاتصل ذلك نيفا وخمسين يوما وشمل ذلك البصرة والكوفة وبغداد وواسد والأهواز، وقتلت المارة والقوافل ثم مضت الى همدان وركدت عليها عشرين يوم، فأحرقت الزرع ثم مضت الى الموصل فخرجت عليهم من سنجار، فأهلك ما مر به ثم ركدت في الموصل فنعت الناس من الانتشار وعطلت الأسواق وزلزلت هراة وأمطرت مطرا شديدا	المصدر نفسه، ج11، ص209.

			حتى سقطت الدور	
4.	240هـ 855م/	رياح باردة	خرجت ريح كثيرة من بلاد الترك فمرت بمرور فقتلت بشرا كثيرا بالزكام ثم سارت الى نيسابور والى الري أصاب أهل سامراء و مدينة السلام حمى وسعال وزكام فقتلت بشرا كثيرا وأشار المتطبيبون بالحجامة	المصدر نفسه، 11 ج، ص270؛ ابن عماد، المصدر السابق، ج2، ص92.
5.	260هـ 875م/	برد شديد	كان في تلك السنة برد شديد أهلك الأشجار والثمار والحنطة والشعير وطالب الناس بالخراج على الغلات التي هلكت فاشتد عليهم الأمر.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص247.
6.	285هـ 898م/	رياح عاصفة	هبّت ريح عاصفة في البصرة، فقلعت كثيرا من النخل وخسف بموضع منها هلك فيه ستة آلاف نفس.	ابن الحوزي، المصدر السابق، ج 12 ص378.
7.	297هـ 911م/	رياح حارة	هبّت ريح صفراء فمات لشدة حرها جماعة.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13 ص106؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص416.
8.	314هـ 927م/	رياح باردة	اشتد برد الهواء في كانون الاول فتلف اكثر النخل بغداد وسواها وجمدت الخلجان والابار ثم جمدت دجلة حتى عبر الدواب	ابن العماد، المصدر السابق، ج 2، ص268.

	عليها.			
9.	317هـ 930م	رياح شديدة	هبت ريح شديد ببغداد تحمل رملا أحمر.	ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 43.
10.	318هـ 931م	رياح رملية	هبت ريح من الغرب وحملت رملا فامتألت منه أسواق بغداد في الجبّتين وسطحها ومتازلها	ابن العماد، المصدر السابق، ج 2، ص 268
11.	334هـ 946م	ريح شديد مرتين في نفس السنة	هبت ريح بالعراق شديد السموم لم يعهد مثلها احترقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت ومنعت الناس من المعاش في الاسواق زمن المشي في الطرقات وأهلكت خلقا كثير	السيوطي، المصدر السابق، ص 275.
12.	378هـ 989م	رياح وعواصف شديدة ريح وسموم شديد	كثرا الرياح والعواصف وجاءت بغم الصلح ريح شبهت بالبتين حتى خرقت دجلة حتى ذكر أنها بانّت أرضها من ممر الريح وهدمت قطعة من المسجد الجامع، وأهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن الكبيرة. المملوءة بالأمتعة واحتملت زورقا منحدرًا فيه دواب وعدة سفن وطرحت ذلك في أرض جوحى.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 329.

الجدول رقم 09: يمثل موجات الرياح القوية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال معطيات الجدول أعلاه يتضح أن:

- تعرضت العراق لهبوب العديد من موجات الرياح والتي بلغ عددها اثنا عشر موجة، اختلفت في صفاتها حيث أن أغلب الموجات التي سجلت عرفت بشدتها، لكن لم تحدد إذا ما كانت باردة أو حارة، في حين ورد ذكر البعض من هذه الرياح بأوصاف دقيقة.
- شملت هذه الرياح العراق، بغداد، البصرة والموصل، لكن كانت بغداد أكثر عرضة حيث سجل حدوث أربعة موجات في بغداد، وسجلت أربعة موجات في العراق ككل والتي تعتبر بغداد من ضمنها باعتبارها جزء من العراق.

لم تحدد المدة التي استغرقها هبوب هذه الرياح، ماعدا الرياح التي هبت سنة 234هـ/848م والتي دامت مدتها أكثر من شهر، كما تعرضت بعض السنوات لهبوب موجات للرياح مرتين، كسنة 334هـ وسنة 378هـ.

لم تقل مخاطر هبوب الرياح سواء الباردة أو الحارة وموجات الحر والبرد عن مخاطر الحوادث المناخية سابقة الذكر، فقد تسببت الرياح التي هبت خلال سنة 323هـ في أضرار للزرع فارتفعت أسعار السلع الرئيسية حتى بلغ كر الحنطة مائة وعشرون ديناراً¹ وتسببت الرياح العظيمة التي هبت في نصيبين سنة 214هـ / 830م بقلع الشجر²، وأدى هبوب ريح السموم في معظم الأحيان لحرق المحاصيل والأشجار والنخيل، حيث هبت ريح في العراق شديدة السموم ولم يعهد مثلها سنة 232هـ/847م أحرقت زرع الكوفة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوماً؛ واتصلت بهمدان وأحرقت الزرع واتصلت بالموصل وسنجار

¹ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص350؛ مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص181-187.

² ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص255

وأهلكت خلقا كثيرا،¹ واقتلعت من نهر الحسن بالبصرة 500 نخلة أو أكثر ومن نهر معقل مائة نخلة.²

هبت ريح بالعراق شديد السموم لم يعهد مثلها سنة 234 هـ/849م احرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرقات وأهلكت خلقا كثيرا،³ وقلعت الريح كثيرا من النخل سنة 289 هـ/902م،⁴ وأهلك البرد الشديد الأشجار والثمار والحنطة والشعير سنة 260 هـ/874م،⁵ كما اشتد برد الهواء سنة 314 هـ/927م فتلف أكثر النخل ببغداد وسوادها وجمدت الخلجان والآبار ثم جمدت دجلة حتى عبر الدواب عليها.⁶

نلاحظ مما سبق تضرر النخيل جراء هبوب الرياح فقد انتشر غرس النخيل ببغداد والبصرة والكوفة والسواد، فكثر البساتين والأجنة وأثمرت الثمر العجيب لكثرة المياه وطيبها،⁷ والتي كان يعتمد عليها في الأكل والصناعات الغذائية والتجارات؛ فتلفها وتأثرها بالكوارث الطبيعية لم يؤثر عليها كغلة تستخدم للأكل فقط.

تضررت الحيوانات جراء حدوث الكوارث الطبيعية، فقد احرقت المواشي بسبب ريح سموم هبت في سنوات 232 هـ/944م،⁸ 234 هـ/946م،⁹ كما كثرت الرياح والعواصف سنة

¹ - ابن العمراني، المصدر السابق، ص275

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص378.

³ - السيوطي، المصدر السابق، ص275. المنتظم. المصدر السابق، ج 11 ص209.

⁴ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص416.

⁵ - المصدر نفسه، ج6، ص247.

⁶ - الحنبلي أبو الفلاح، المصدر السابق، ج2، ص268.

⁷ - الحميري، المصدر السابق، ص112.

⁸ - ابن العمراني، المصدر السابق، ص275.

⁹ - السيوطي، المصدر السابق، ص275.

سنة 378هـ/989م وجاءت بغم الصلح ريح شُبّهت بالتين حتى خرقت دجلة فذكر أنها "بانت أرضها من ممر الريح....وغرقت كثيرا من السفن الكبيرة، المملوءة بالأمّعة واحتملت زورقا منحدرًا فيه دواب وعدة سفن ..."¹.

عانى التجار من أهوال البحر ومخاطره من رياح شديدة وعواصف وأعاصير، خاصة الرحلة إلى بحار الشرق، حيث كانت تخرج من ميناء سيراف والموانئ الكبيرة المحملة بالسلع والبضائع والرجال، متجهين إلى الهند والصين فتتعرض للأعاصير والعواصف الشديدة، فيغرق بعضها خاصة السفن الغير مجهزة بالآلات التي تعين على تحديد الخطوط الملاحية.²

2- الآفات الزراعية والوبائية.

أ- الآفات الزراعية والقوارض:

الآفة: هي عرض يفسد ما يصيبه³، من عاهة أو مَرَض أو قحط، كما عرفت بأنها نوع نوع من المضايقة يحدثها شخص أو حيوان، ويقال "حَلَّتِ الآفَةُ بِالزَّرْعِ": أي حدث ما يُفسدُ الزَّرْعَ مِنْ دُودٍ أَوْ حَشَرَاتٍ وَغَيْرِهَا من الحيوانات الضارة وتعتبر الحشرات من أخطر أنواع الآفات؛⁴ وبالتالي فالآفات الزراعية هي مختلف العوامل الحياتية التي تقلل أو تضر بالإنتاج بالإنتاج الزراعي، والسؤال الذي يطرح نفسه، متى يكون الحيوان آفة؟ يعتبر وجود الحيوان آفة إذا تواجد في مكان غير مناسب أو بأعداد كبيرة في منطقة ما.

¹ ابن الجوزي، المصدر السابق، 14 ج، ص 329.

² لمياء بنت عبد الرحمان ، المرجع السابق، ص 237.

³ - بن المناوي عبد الرؤوف (ت 952هـ/1031م): التوقيف على مهمات التعاريف، تح عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، مصر، 1990، ص 57.

⁴ - حمود بن درويش بن سالم الحسني: مبيدات الآفات الزراعية وقوانينها. وزارة الزراعة والثروة السمكية، السمكية، سلطنة عمان، 2012، ص 23.

هجمات الحشرات والقوارض:

تعرضت الدولة العباسية للعديد من هجمات الحشرات والقوارض التي تركت آثارا وخيمة على الجانب الزراعي خاصة، فظهورها يعني حدوث خراب إذ ارتبط حجم الخسائر التي خلفتها بعدد تلك الحيوانات ومدة بقاءها، في الجدول التالي رصد لأهم الآفات الزراعية التي أضرت بالمنطقة :

الترتيب	السنة الهجرية والسنة الميلادية	نوع الكارثة	الرقعة الجغرافية	المصدر
1.	206هـ 821م	جراد	وقع الجراد واليرقان.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص149.
2.	222هـ 736م	الفئران	ظهر بهذه السنة من الفأر ما لم يحط به الإحصاء وأتى على غلات الناس ثم تفانى بوقوع الموت فيه.	المصدر نفسه، ج11، ص73.
3.	240هـ 854م	الجراد	وقع الجراد بالبصرة فأصاب الناس ومات منهم ألف وثلاثمائة انسان ما بين رجل ومراة.	المصدر نفسه، ج11، ص270.
4.	304هـ 917م	حيوان الزبذب	خافت العامة ببغداد من حيوان اسمه الزبذب.	ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص800؛ ابن

الأثير، المصدر السابق، ج6، ص 395.				
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص218؛ ابن الاثير، المصدر السابق، ، ج7، ص17.	ظهر الجراد في بغداد فأضر بالغلات والشجر.	جراد	311هـ 923م	5.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص378؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص110.	ظهر جراد كثير في هذه السنة.	الجراد	327هـ 939م	6.
الطبري، المصدر السابق، ج11، ص335؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص6.	وفى من الجراد الشيء الكثير، فغلت الاسعار حتى أكل الناس الكلاب،	جراد	331هـ 942م	7.
ابن الجوزي،	حشود من القمل في الزرع حتى يئس	حشود من	334هـ	8.

المصدر السابق، ج14، ص48. الأصفهاني، سدي ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، المصدر السابق، ص149.	الناس على غلاتهم	القمل في الزرع أسراب طيور صغيرة	945/م	
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص247.	ظهر بسواد العراق جراد كثير، أقام أياما وأثر في الغلات آثارا قبيحة، وكذلك ظهر بالأهواز وديار الموصل، والجزيرة والشام، وسائر النواحي ففعل بها ما فعله بالعراق.	أسراب جراد	342هـ / 954م	9.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص98؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص222.	ظهر جراد كثير في حزيران فأتى على الغلات الصيفية والأثمار، وأضر بالشجر والثمار.	جراد	344هـ / 956م	10.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج15، ص222.	ظهر في آخر نيسان وأيار جراد أتلّف الغلات الصيفية والثمار ببغداد وأتلّف	جراد	347هـ / 959م	11.

من الغلات الشتوية بديار مضر شيئاً عظيماً، واجتاحت الرطاب والمطابخ.			السابق، ج14، ص114.
ظهر جراد عظيم فأكل ما كان قد نبت من الخضراوات وغيرها فاشتد الأمر على الناس.	جراد عظيم	348هـ / 960م	ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص264؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص237.
ظهر جراد صغار فنسفتها الريح فصارت دجلة مفروشة.	أسراب الجراد	360هـ / 970م	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14 ص205.

الجدول رقم 10: يمثل هجمات الحشرات والقوارض في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال المعطيات الواردة في الجدول أعلاه:

اتضح أن أكثر الآفات الزراعية حدوثاً هي هجوم أسراب الجراد، ولعل هذا ما يفسر اهتمام المؤرخين المسلمين بتصنيف كتب اختصت بذكر حشرة الجراد ، إذ ذكرت تسمياتها وأنواعها ومراحل حياتها وأضرارها، ومن أهم هذه المؤلفات كتاب النبات "للدينوري" حيث نجد فيه باباً في صفة الجراد ودورة حياته.¹

¹ - الدينوري أبي حنيفة بن أحمد بن داود (ت282هـ): كتاب النبات، تح برنهارد لقين، شتاينز بقيسبان، 1974، ج 3، ص53.

ولأنه ليس من الممكن التنبؤ بوقوعها كثيرا ما خرج الأمر عن السيطرة، إذ تكرر حدوثها ثلاثة عشرة مرة فنتج عن ذلك آثارا وخيمة خاصة على الزراعة، فالجراد يطير بالنهار فإذا أمسى بمكان لا يدع فيه تلك الليلة أخضر ولا أبيض إلا قضمه، وما زاد الأمر سوءا أنه يأكل الفرع ويترك الأصل وإذا وقع على عود سمه بلعابه فلم ينبت أصله،¹ والمعروف عنه شراسته في الأكل وقدرته على التمييز بين الأعشاب السامة والصالحة للأكل.

يعتبر الجراد من أشد أنواع الحشرات فتكا بالمحاصيل الزراعية التي يهاجمها في الحقول، ولا توجد حشرة أخرى تماثلها في درجة الخسائر الاقتصادية والبيئية التي تتسبب عنها، في المناطق التي تتعرض لها من خلال مهاجمة أسرابه المزروعات وكل نبات في صورة غارات وبائية فيتركها أعوادا جافة خالية من الأوراق والثمار، حيث تصل مسافة طيران السرب إلى أكثر من 2200 كم بدون توقف، وتتراوح سرعة السرب إلى 19 كم/ساعة تبعا لسرعة الريح،² كما سجلت المصادر ظهور أسراب من الطيور والقمل والجردان والتي لم تتكرر كثيرا، حيث وقعت كل منها مرة واحدة فقط.

ألزم اهتمام المسلمين بالزراعة إيجاد حلول لهذه الآفات الزراعية، إذ تحدثوا عن طرقهم الميكانيكية مثل مصائد الفئران والقوارض، كما استخدموا المبيدات الحشرية الكيماوية في صورة طعوم أو سوائل ترش أو غازات بواسطة التدخين والتي كانت ذات فاعلية محدودة، ومن بين المواد التي استعملت برادة الحديد، ولمكافحة القمل قال المسلمون "إن المسافر يتقلد قلادة من الصوف ملطخة بالزئبق المقتول فإنه لا يتولد في ثوبه قمل أصلا"، أما مواد

¹-الدينوري، المصدر السابق، ج3، ص65.

²- محمد صبري محسوب ومحمد إبراهيم أرباب، المرجع السابق، ص189.

التبخير فهي مواد كيميائية طاردة طيارة سريعة التبخر أحيانا تكون سمية لكن كثيرا ما تكون غير سمية إذ أنها تستخدم ضد الحيوانات الواضعة للبيض والماصة كالبعوض.¹

يؤدي هجوم الحشرات وخاصة الجراد إلى تلف المحاصيل الحقلية والخضروات مما ينعكس سلبا على إنتاج فطورها يعني حدوث خراب، إذ ارتبط حجم الخسائر التي خلفتها بعدد تلك الحيوانات ومدة بقاءها وكذا سرعة تطبيق الإجراءات للقضاء عليها، إذ اقترن ذكر ظهور أسراب الجراد بتلف الغلات والشجر مثلما حدث سنة 311هـ/924م،² كما تكرر ظهوره بسواد العراق سنة 342هـ/954م، بأعداد كبيرة حيث أقام أياما وأثر في الغلات آثارا قبيحة، وكذلك ظهر بالأهواز وديار الموصل، والجزيرة والشام، وسائر النواحي ففعل بها ما فعله بالعراق،³ كما أتى على الغلات الصيفية والأثمار، وأضر بالشجر والثمار سنة 344هـ فاشتد الغلاء وعمدت الاقوات.⁴

أُتلفت الغلات الصيفية والثمار ببغداد سنة 347 هـ لنفس السبب،⁵ وفي سنة 348 هـ ظهر جراد عظيم فأكل ما كان قد نبت من الخضراوات وغيرها فاشتد الأمر على الناس، بعد أن انقطعت الأمطار فغلت الأسعار وخرج الناس يستسقون فما سقوا،⁶ ظهر من الفأر مالم يحط به الإحصاء سنة 222هـ/837م وأتى على غلات الناس،⁷ كما ظهرت حشود من

¹- علي جمعان الشكيل: المبيدات الحشرية في الحضارة الإسلامية، مجلة الفيصل، الع 267، 1999، ص92-93.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص17.

³- المصدر نفسه، ج7، ص247.

⁴- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص98.

⁵- المصدر نفسه، ج14، ص114.

⁶- ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص264.

⁷- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص73.

القمل سنة 334هـ في الزرع حتى يؤس الناس على غلاتهم،¹ وكان الفلاح مكتوف الأيدي اتجاه هذه الآفة، فلا نسمع عن مكافحة فعلية له.²

لم يكن للفلاحين وسيلة لمكافحة الجراد والأوبئة التي تهدد مزارعهم عدا بعض الطرق البسيطة التي لم تكن نافعة في كثير من الأحيان لذلك كان البلاء كبيرا، حيث استعملوا بعض الوسائل كالطبول والأبواق، ولإبعاد الطيور - خاصة العصافير - كان الفلاح يعلق بعض الطيور المخيفة كالغراب وغيرها، كما كان الفلاحون يستعملون الأطفال لإفزع الطيور وابعادها عن الزرع.³

ب- الأوبئة

انتشر في الدولة العباسية الكثير من الأمراض المعدية والأوبئة، قبل التطرق لحوليات حدوث الوباء لابد أولا من الوقوف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للوباء ومن ثم الأسباب المؤدية لظهوره؛ فالوباء: لغة كل مرض عام (يَمْتَدُّ أو يَقْصُرُ)⁴، وجمع القصور أَوْبَاءٌ، وجمع المدود أَوْبِيَّةٌ، وقد وَبِئَتْ الأرض تَوْباً إذا كثر مرضها وكذلك وَبِئَتْ تَوْباً وَبَاءَةً فهي وَبِيَّةٌ وَوَبِيَّةٌ على فعلة وفعلية وَأَوْبَاتٌ أيضا فهي مَوْبُوءَةٌ وَاسْتَوْبَاتٌ الأرض.⁵

¹ -المصدر نفسه، ج14، ص48.

² - عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995، ص71.

³ - عواد مجيد العوضي، المرجع السابق، 271.

⁴ - ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص189.

⁵ - الجوهري أبي ناصل إسماعيل بن حامد (ت398هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009، ج1، ص79. ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص189.

أما اصطلاحاً: فهي الأمراض التي تصيب أناس كثر في بلد واحد وفي زمان واحد، ونادراً ما ينجو من الموت من يصاب بها، كما تعرف بأنها تفشي لمرض بأسلوب غير متوقع يستدعي الاستنفار.¹

يتبين أن الوباء لا يحدث صدفة وإنما هو ناتج لاجتماع عوامل اجتماعية وسياسية مع عوامل طبيعية، فقد تعددت العلل المفسرة لظهور الوباء بين مختلف المؤلفات والمصنفات سواء تلك التي كان الوباء موضوعها الأساسي وحتى تلك التي تطرقت إليه ضمن جملة المواضيع الفقهية والطبية والتاريخية.

ورد في القرآن الكريم أن بعض الأمراض كانت ترسل على أقوام من الأمم السابقة كعقوبة لهم على تكذيبهم للرسول وكفرهم بالله تعالى، لقوله تعالى عن قوم فروعن { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ }² والمقصود بالطوفان في هذه الآية "الوباء" حسب ما أورده المفسرون³ وبالتالي فقد فُسر ظهور الوباء كعقاب للأقوام على كفرهم وظلمهم أي أنه يأتي كعقاب إلهي وذهبت المصنفات الفقهية نفس المنحى في تفسير حدوثها.

في حين أرجعتها المصنفات الطبية لأسباب طبيعية وأخرى بشرية إضافة لتقبل الجسم وتهيبه لقبول المرض والعدوى، حيث أرجع التميمي ظهور وانتشار الوباء لفساد الهواء؛ حيث أنه ربط ظهور الوباء بنوعية الهواء وهذا دليل على إدراكه لمدى مساهمة الهواء في توفير حياة خالية من الأمراض، وقد عبر عن ذلك بقوله: "فلاشتراك جميع الناس في استنشاقه

¹ - محمد صبري و محمد إبراهيم الأرباب، المرجع السابق، ص195.

² - سورة الأعراف، الآية 133.

³ - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (224هـ/310هـ): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مراجعة: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت)، ج13، ص52-53.

يؤدي لعموم المرض في ذلك الموضع أو في أكثر من موضع¹ ويضيف لذلك الأندلسي قوله "إذا اتصف الهواء بالصفة الوبائية أفسد الحياة بتعفن الروح الذي في القلب لشدة مخالطته ومجاورته له"²، ويربط ابن النفيس فسادَه بأسباب أرضية أو سماوية كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في الملاحم.³

تأثر هواء العراق بلامسته للجثث المتعفنة عقب حدوث الكوارث الطبيعية خاصة الفيضانات والزلازل، ويكون ذلك لما تخلفه تلك الكوارث من جثث متناثرة يصعب دفنها لكثرتها أو بقائها تحت الأنقاض مما يساهم في فساد الهواء فتتأثر بذلك الحالة الصحية، وقد أوردت المصادر عبارات دالة عن انتشار الجثث عقب حدوث الكوارث الطبيعية؛ والتي أثرت حتميا على جودة الهواء وساهمت بالتالي في انتشار العدوى وذلك لاشتراك الناس جميعا في استنشاق الهواء فبفساده يعم المرض في ذلك الموضع أو ينتقل لمواضع أخرى.⁴

من تلك العبارات "تركوا دفن الموتى لكثرتهم"⁵، "عجز الحفارين عن دفن موتاهم" يموت في كل يوم قرابة ألف نفس⁶ أو "حتى كان لا يدفن أحد أحدا بل يتركون على الطرقات فتأكلهم الكلاب"،⁷ "كثر الموت على الطرقات"⁸، وبالتالي ينتقل الوباء من خلال

¹ - التميمي المقدسي محمد بن احمد (ق4هـ): مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء، تح يحيي الشعار، معهد المخطوطات العربية، ط1، القاهرة، 1999، ص54.

² - الأندلسي ابن زهر أبي مروان عبد الملك (ت557هـ): كتاب الأغذية، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت)، ص143.

³ - ابن النفيس علاء الدين ابن حزم القرشي (ت687هـ): الموجز في الطب، مكتبة ديلكروم، مصر، (د.ت)، ص10.

⁴ - أبي العلاء أبو مروان (ت525هـ/1130م): كتاب الأغذية، تح أكيرايتون غارنيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1991، ص13.

⁵ - ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص201.

⁶ - المصدر نفسه ج11، ص213.

⁷ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص19؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص217.

⁸ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص19.

الهواء المار بجيف الأموات خاصة المجذومين والمصابين بالطاعون، والمثال عن ذلك زلزال سنة (347هـ/958م)¹ ببغداد والذي تبعه حدوث "موت الفجأة" في السنة الموالية²، وزلزال سنة (376هـ/986م) الذي مات بسببه خلق كثير و تبعه وباء عظيم في السنة الموالية³.

كما ساهم تلوث الماء في ظهور وانتشار الأوبئة، حيث أدى تزامن حدوث الكوارث من فيضانات وسيول مع إهمال أعمال الصيانة وعدم تهيئة قنوات الصرف إلى تشكل البرك والمياه الراكدة التي كانت بعد انحسارها سببا في ظهور الأوبئة، حيث أنها أصبحت كمرتع للجراثيم والحشرات الحاملة للأمراض فقد أكد لنا ابن الفقيه انتشار الذباب والبراغيث بكثرة في بغداد والعراق⁴ فالبراغيث تعمل على نقل الطاعون من القوارض الميتة، ثم تهاجم جسم الانسان لتتغذى منه.

إضافة لما تخلفه المدود العظيمة وفيضانات دجلة من مستنقعات وبطائح بسبب تراجع مقومات النشاط الاروائي، فأدى ذلك في كثير من الأحيان إلى غرق بغداد حيث تكرر حدوث الفيضانات خلال هذه الفترة.⁵

فبالنظر الى خارطة الموارد المائية في العراق بدقة نلاحظ تلك الشبكة التي تؤلفها الجداول والترع المتفرعة عن نهري دجلة والفرات، والتي تجري في جميع مسالك البلاد ودروبها، فيعتمد عليها في الشرب والسقي وبالتالي فأى ضرر يعرض لماء دجلة والفرات أو مياه أحد تلك الجداول سيضر حتما بأهالي المنطقة⁶، لأن الماء يتأثر بما يخالطه

¹ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص119.

² - المصدر نفسه، ج14، ص220.

³ - ابن كثير ، المصدر السابق، ج 11، ص305.

⁴ - الهمداني أبي بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه (ت290هـ) : مختصر تاريخ البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص 2015.

⁵ - ابن الجوزي: المصدر السابق، ج14، ص 235-254.

⁶ - اليعقوبي، المصدر السابق، ص43.44.

وبالكيفيات التي تغلب عليه؛¹ ونظرا للتأثير المتبادل بين الهواء والماء والتربة، يؤدي تلوث أحد هذه العناصر إلى تلوث العنصر الآخر، حيث أن التبخر يعمل على نقل الميكروبات والجراثيم المتواجدة في الماء إلى الهواء.²

كما أدى إلقاء الجيف النافقة بعد حدوث الكوارث في الأنهار إلى تلوثها مثلما حدث سنة (329هـ/941م) حين طرحت المواشي في نهر الدجلة أعقاب وقوع الموت في المواشي فكثرت الحمى ووجع المفاصل؛³ وبالتالي تنتقل تلك الأمراض إلى الإنسان عن طريق الشرب أو تناول ما سقي بها، فالماء الفاسد يغير القيمة الغذائية للأغذية.

كما رُبطَ ظهور الوباء بالقحط الشديد والجفاف الغير المحدود المؤدي لظهور الغلاء وصعوبة الحصول على الغذاء، ما يجعل الناس تأكل الجيف لشدة الجوع واستحالة الحصول على الغذاء،⁴ فقد ارتبطت أزمات الغلاء والمجاعات في بعض الأحيان بالأوبئة الفتاكة والأمراض المعدية نتيجة الأطعمة والأشربة رديئة النوعية وغير المستساغة أو لقلة كمية الأطعمة المتناولة حيث تضعف مناعتهم أمام الأمراض، فتظهر الأوبئة التي ترافق عادة الفقر والبؤس.⁵

ربط ابن خلدون ظهور الوباء بمعطيات ديموغرافية والتي عبر عنها بمصطلح "كثرة العمران" بقوله "وقوع الوباء سببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفون والرطوبات الفاسدة..." مركزا على ضرورة ترك مساحات بين الأبنية ليتسنى للهواء

¹ ابن سينا ابي علي حسن (ت468هـ): القانون في الطب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ج1، ص 134.

² عصام فكون: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مطبعة الكويت، الع3، المجلد2، 1971، ص37.

³ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 11، ص197.

⁴ حياة ناصر الحاجي: المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامي 694-695هـ/ 1294-1295م، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، الع7، 1984، ص150.

⁵ المقرئزي تقي الدين أبي العباس أحمد (ت845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ت)، ص 76. آ.آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، 1985، ص396.

الفاقد أن يتغير مضيئا أن حدوث الوباء حتمية تاريخية أي أنه يرافق الدولة في آخر أيامها.¹

فتلاصق العمران يجعل تراكم الأوساخ أمرا منطقيا نظرا لغياب الفراغات الفاصلة بين المنازل ومواقع العمل وبقية الأنشطة الضرورية للحياة الاجتماعية بما يجعل نقل العدوى يتم بصورة سريعة، ومصطلح كثرة العمران يقترب في تقديرنا من مصطلح الزحف العمراني الراهن وهو النمو غير المنسق أي التوسع للمجتمع بدون النظر إلى عواقب التوسع ، وباعتبار بغداد عاصمة الخلافة العباسية فقد كانت أكثر المناطق تعرضا للأوبئة مقارنة مع بقية المدن وذلك لكثافة السكان بها وكثرة الأنشطة الاقتصادية، ويتضح ذلك من خلال الروايات الواردة في المصادر حيث أن أغلبها تذكر حدوث الوباء في المدن الكبيرة. فيما يلي سرد لسنوات ظهور وانتشار الأوبئة التي اعترضت الدولة العباسية والتي نقلتها لنا أهم المصادر التاريخية.

الترتيب	السنة الهجرية/ السنة الميلادية	نوع الوباء	الآثار الاقتصادية.	المصدر
1.	240هـ / 854م	حمى وسعال	أصاب أهل سامراء و مدينة السلام حمى وسعال وزكام فقتلت بشرا كثيرا وأشار المتطببون بالحجامة.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص270.
2.	241هـ / 855م	وباء الدواب والابقار	وقع الوباء فنفتت الدواب والابقار.	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص201. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 11، ص248.

¹ -ابن خلدون، المصدر السابق، ص153.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

3.	258هـ/871م	وباء شديد.	هـ وقع في الناس وباء شديد في بغداد وسامراء وواسط وغيرها من البلاد، وحصل للناس في بغداد داء اسمه الفقاع	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص495.
4.	258هـ/910م	وباء الفقاع ووباء شديد	وقع في الناس وباء شديد ببغداد وسامراء وواسط وغيرها من البلاد، وحصل للناس ببغداد داء يقال له الفقاع.	ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص541؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ص137
5.	300هـ/912م	داء الكلاب والذئاب	كثرت الأمراض والعلل والعفن ببغداد في الناس وكلبت الكلاب والذئاب في البادية وكانت تطلب الناس والدواب والبهائم فاذا عضت انسان أهلكته.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص133؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص778.
6.	301هـ/913م	طواعين حنين والماشرا	كثر وباء عظيم نوع سموه حنين ونوع سموه الماشرا فأما الحنين كانت سليمة وأما الماشرا فكانت طاعون.	الطبري، ج10، ص147. ابن كثير، ج14، ص784.
7.	324هـ/972م	فناء عظيم	وقع ببغداد غلاء عظيم وفناء كثير، بحيث عدم الخبز منها خمسة ايام ومات من اهل	ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص96.

				<p>البلد خلق كثير واكثر ذلك كان ضعفاء وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بهم ويحمل على الجنازة الواحدة اثنين من الموتى، وربما يوضع بينهم صبي، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة ومات من أصبهان حوالي مائتي ألف انسان.</p>
8.	326هـ/974م	وباء البقر داء الجرب والبنثور	وقع وباء في البقر وظهر في الناس الجرب وبثور.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 374.
9.	329هـ/941م	وقع الموت بين المواشي والوباء بين الناس	كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى الناس في ربيع الاول فسقوا مطرا قليلا لم يجر منه ميزاب ثم اشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة في القبر الواحد ولا يغسلون ولا يصلى عليهم، ورخص العقار ببغداد والأثاث حيث بيع ما ثمنه دينار بدرهم.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 158.

10.	331هـ/943م	وقع الوباء	غلت الأسعار حتى أكلوا الكلاب ووقع الوباء، ووافى من الجراد والأعرابي الأسود أمر عظيم حتى بيع خمسين رطلا بدرهم، فكان في ذلك معونة للفقراء لشدة الغلاء.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص27.
11.	343هـ/954م	امراض حميات. اوجاع حلق. علة مركبة من الدم والصفراء. طاعون.	كان بخرسان والجبل وباء عظيم هلك فيه خلق كثير لا يحصون كثرة.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص94؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص219. ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص250.
12.	344هـ/955م	داء مركب من دم وصفراء	علة.مركبة من الدم والصفراء فشملت الناس فهلك جميع من في الدار... كانت بقية العلة قد طرأت على الأهواز وبغداد وواسط والبصرة، واقترن بها هناك وباء حتى كان يموت كل يوم ألف نفس.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص253؛ ابن الأثير المصدر السابق، ج7، ص98؛ ابن كثير، ج15، ص222.
13.	346هـ/957م	طاعون ماثري	علة مركبة ومات خلق كثير.	ابن الجوزي، المصدر السابق،

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

ج 14، ص 109؛ ابن الاثير، المصدر السابق، ج 7، ص 250.				
الطبري، المصدر السابق، ج 11، ص 388.	كثر موت الفجأة بالطاعون فجلس أحد القضاة بسواده في الجامع ليحكم فمات.	طاعون وجدري	14. 348هـ/959م	
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 314.	عرض الناس داء الماشرا، فمات به خلف كثير فجأة.	داء الماشري	15. 357هـ/968م	
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14 ص 317؛ ابن كثير، ج 15، ص 426.	وباء فهلك من الناس خلق كثير.	حميات حادة	16. 376هـ/986م	
ابن كثير، المصدر السابق، ج 15، ص 427.	وقع مع الغلاء وباء عظيم.	وباء	17. 377هـ/987م	
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 329.	غلا السعر، وعدم الأقوات وظهور الموت والأغلالي محرم.	وباء	18. 378هـ/988م	

الجدول رقم 11: يمثل الأوبئة والأمراض التي ظهرت وانتشرت في خلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال المعطيات الواردة أعلاه:

- يتضح أن وقوع الوباء ظاهرة مألوفة لدى العباسيين وذلك لتكرار حدوثها خلال فترات متقاربة ومتعاقبة في كثير من الأحيان.
- أطلق المؤرخون تارة لفظ "الوباء" دون تحديد نوعه، في حين أنهم سمو بعض الأمراض كالجدري، الطاعون... بأسمائها، وربما يرجع ذلك لوجود بعض الأنواع من الأمراض غير معروفة عندهم لجهلهم بها ولما تخلفه من آثار وخيمة وتسببها في موت الكثيرين، أو لقلة وقوعها أطلق عليها اسم "وباء". في حين وجدت أمراض أخرى معروفة والتي تكرر حدوثها عدة مرات "كالطاعون"¹ فمن أكثر الأوبئة التي عانا منها سكان المنطقة

¹ - الطاعون: لغة نوع من الوباء، وهو عند أهل الطب ورم رديء قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جدا يتجاوز المقدار في ذلك ويصير ما حوله في الأكثر أسود وأخضر ويحول أمره إلى التقرح سريعا وفي الأكثر يحدث في ثلاثة مواضع في الابط وخلف الأذن والأرنبة وفي اللحوم الرخوة؛ ابن قيم الجوزية محمد بن ابي بكر، زاد الميعاد في هدي خير العباد، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة لرسالة، ط3، (د.ت)، ج4، ص34-35؛ فرق الباحثون بين الطاعون والوباء، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون، لأن الوباء أشمل وأعم، وقد يكون مجموعة من الأمراض المتشابهة الأعراض ليست طواعين بالضرورة، لكنها سوف تكون في هذه الحالة خطرة على المجتمع؛ ابن حجر العسقلاني الحافظ أحمد بن علي (ت852هـ): بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، (د.ت)، ص103؛ جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من الأحاديث بخصوص الطواعين وحدثها إذ أكد أنها من أكثر الأوبئة المسببة للموت بقوله، "فناء أمتي بالطعن والطاعون"؛ الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت)، ج2، ص310؛ فقالت السيدة عائشة الطعن (الطعن بالرماح) عرفناه فما الطاعون؟ فقال رسول الله "غدة كغدة البعير تخرج من المرق والآباط"؛ ابن القيم، المصدر السابق، ص35؛ وقال في حديث آخر الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم بالجن غدة كغدة البعير تخرج من الآباط والمارق من مات منه مات شهيدا ومن أقام به كمرابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفأر في الزحف" كما قال عليه الصلاة والسلام "الطاعون شهادة

هي الطواعين والتي تكرر وقوعها خمس مرات، قد يفسر ذلك لتوفر الأسباب المؤدية لحدوثه والتي تميزت بامتدادها الزمني والتقارب، حيث كانت أكثر الأوبئة وقوعا خلال القرن الرابع للهجرة خاصة، وبالتالي كان حدوث الطواعين ظاهرة مألوفة، تختلف في شدة تأثيرها وفقا لفترة وقوعها ربيعا أو شتاءا ومدتها ومعظمها لم تكن طواعين شاملة وأغلب ما تكون في منطقة دون أخرى.

كانت العدوى هي الطريقة الوحيدة لانتشاره، وهنا يأتي دور الأفراد والمجتمع في وقفها، فقد كانت العادات السيئة للإنسان العراقي سببا في العدوى، حيث تنتشر الأوبئة بدرجات متفاوتة وفقا لمدى تقدم سبل الوقاية والعلاج والقضاء على ناقلات الوباء مثل القوارض والذباب والناموس، تكون العدوى بالانتقال مباشرة من المريض إلى آخر بالالتماس المباشر أو عن طريق المكوث بمكان واحد أو عن طريق حوائج المريض والملابس والفرش، حيث سلم بهذه النظرية ابن سينا والرازي وابن الخطيب وأبدعها ابن الخاتمة مفصلا حين شدد على هذه الجزئيات الدقيقة وأكد على طريقة الانتقال حين قال "بعد تجربة طويلة فإن العدوى تنتج

والمطعون شهيد"؛ الماركفوري أبي العلي محمد عبد الرحمان: تحفة الأحوزي بشرح جامع الترميذي، مر عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ج4، ص171، ومن أقوال الصحابة بخصوصه، أن معاذ بن حنبل قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول "ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم ويكون فيكم داء كالدمل أو كالحز يأخذ بمراق الرجل يستشهد الله به أنفسهم ويزكي بها أعمالهم اللهم إذا كنت تعلم أن معاذ بن حنبل سمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام "فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر فأصابهم الطاعون. الهيثمي، مصدر سابق، ج2، ص311؛ فالظاهر أن الأطباء لم يدركوا منه إلا الأثر الظاهر فجعلوه نفس الطاعون.

عن تماس مباشر مع شخص مصاب بمرض وافد" كما أكد ابن الخطيب أن وجود العدوى تأكد بالتجربة والبحث والملاحظة والشهادات الموثوقة.¹

انتشار الأمراض يستوجب كذلك توفر نوع من الاستعداد البنيوي، حيث يقول ابن سينا ليس كل سبب يصل إلى البدن يفعل فيه؛ بل قد يحتاج مع ذلك إلى أمور ثلاثة إلى قوة من قوة البدن الاستعدادية، وتمكن من ملاقة أحدهما للآخر بزمان في مثله يصدر ذلك الفعل منه²

يعتبر مرض "الحميات"، ثاني الأمراض المعدية التي أدت إلى هلاك سكان العراق والتي تحدث نتيجة عفونة الأخلاط،³ وفي الغالب كانت الحميات ناتجة للوباء والطاعون أو مكملة لها، إذ كانت تعتبر المرض الثاني الأكثر انتشارا بعد الطاعون والوباء، ويعتبر بالمعنى الطبي ليس مرضا واحدا بل عدة أمراض فيروسية معدية تنتقل عن طريق الجهاز التنفسي للإنسان، وتؤدي بدورها إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم، وقد تؤدي إلى الوفاة حسب شدتها، ظهرت كذلك "العلة المركبة من الدم والصفراء" و"الجذري" والتي اعتبرت هي الأخرى من الأمراض سريعة الانتشار.⁴

كان لتفشي الوبئة أثر بالغ على النشاط الزراعي في الدولة العباسية، حيث أنها تحدث اضطرابا في الانتاج الزراعي وذلك بتأثر الأيدي العاملة التي كان مصيرها إما الموت أو

¹-المركز العربي للتعبير والترجمة والتأليف والنشر، العرب وعلم الأوبئة، مجلة التعريب، مج07، الع13، 1997، ص41.

²-ابن سينا، القانون في الطب، المصدر السابق، ص80

³- المجوسي(ت400هـ): مخطوطة كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي)، مكتبة الجامعة الامريكية، لبنان، (د.ت)، ج1، ص331.

⁴-خالد حربي: علم الأوبئة في الحضارة الاسلامية وأثره في مكافحة جائحة كورونا، منشورات سوتيميديا، 2022، تونس، ص151-153.

الهجرة وترك الأراضي، كما أن الخوف من العدوى جعل الكثير من الفلاحين يعزفون عن العمل في الحقول والتنقل بين القرى مما عمق حالة الركود الزراعي أثناء انتشار الأوبئة. ومما أدى في كثير من الأحيان لارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية، رغم أن المصادر لم تفصل في ذلك عدا بعض الاشارات مثلما حدث سنة سنة 367هـ/977م حين ظهرت الحميات فهلك خلق كثير ووقع مطر كثير فغلت الأسعار¹، كما عذمت الأقوات وغلّت الأسعار و ظهر الموت في محرم سنة 368 هـ/978م، وبيعت الكارة الدقيق بستين درهما²؛

أصيبت الحيوانات³ كذلك بالأوبئة، لا سيما الماشية والخيول والتي كانت تعتبر جزء من الاقتصاد العراقي، ولإصابة الثروة الحيوانية في العراق بها نتج عنه كذلك إصابة السكان بالأوبئة.

من ضمن الأمراض الوبائية التي تسببت في إنهاك الحياة الاقتصادية للعراق تلك الأمراض التي أصابت الحيوانات لاسيما الماشية والخيول باعتبارها جزء من الاقتصاد العراقي، حيث نفقت الدواب سنة 241هـ/856م⁴، وأشارت المصادر لكثرت الأمراض والعلل والعفن ببغداد في الناس سنة 300هـ/913م، حيث كلبت الكلاب والذئاب في البادية فإذا عضت انسان أهلكته⁵، ووقع وباء في البقر 326هـ/938م¹.

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، 15، ص426.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص329.

³ - عادل محمد علي: حقائق الحيوانات في بغداد، مجلة المورد، الع 4، المج8، 1979، ص663. طه حسين عبد العال حسين، المرجع السابق، ص310.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص284. محمد سعد اسماعيل: الأوبئة والظواهر الفلكية وأثرها في العراق في ضوء كتاب المنتظم لابن الجوزي 334-574هـ / 945م - 1178م، المرجع السابق، ص113.

⁵ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص133.

تأثرت الصناعات التي تعتمد على مواد خام حيوانية (الجلود، الأصواف، الألبان واللحوم...) بما أصاب هذه الثروة من أوبئة أدت لموتها، وبالتالي قلة أو ندرة موادها الخام في كثير من الأحيان ، فقد تكرر وقوع الأوبئة الحيوانية خمس مرات.²

أشار إخوان الصفا إلى أن من الصنائع ما هو الموضوع فيها بأحد الأجسام الحيوانية من اللحم والعظم والجلد والشعر والأصوف والقر كصناعة القصابين والشوائين والطباخين والأساكفة³ والدباغين⁴. وبالتالي فقد ساهمت الثروة الحيوانية في العديد من الصناعات الجلدية والنسيجية والغذائية، وتأثرها بالمرض أو الموت يؤثر سلباً على هذه الصناعات.

اعتنى الكثير من أهالي القرى بتربية وإنتاج الأبقار والأغنام⁵ والتي تركز وجودها في مناطق عديدة كسواد البصرة وسواد واسط وسواد بغداد،⁶ كما شكلت جلود الابل والخيول مادة أساسية في هذا النوع من الصناعات،⁷ إضافة لذلك استخدموا جلد الحمير والخيول والماعز والزراف والفيلة⁸ في صناعة الأحذية وسروج للبالغ والحمير والهوادج للإبل.⁹

¹ المصدر نفسه، ج13، ص374.

² - أنظر المبحث الثاني، الفصل الثاني، ص150-164.

³ - إخوان الصفا، المصدر السابق، ج1، ص281-283.

⁴ - علي جمعان الشكيل: صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة 8، الع 32، 2001، ص147.

⁵ - الجاحظ، الحيوان، المصدر السابق، ج5، ص476، 482.

⁶ - صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: ريادة العرب في مجال علم الحيوان، مجلة تراث، الع 251، 2020، ص30.

⁷ - محمد زين العابدين: عناية البيطرة العربية بالخيول والابل، مجلة تراث، الع 251، 2020، ص38.

⁸ - عبد الحميد جمال الفراني وآخرون: دراسات حضارية في التاريخ الإسلامي (الصناعة - الطب - الحياة العلمية)، دار التعليم الجامعي، 2021، ص15.

⁹ - علي كاظم عبد الله، المرجع السابق، ص52.

يؤدي نقص المواد الأولية الجلدية لزيادة سعر الجلود، فأسعار النعال مثلاً كانت تُقَيَّمُ وفقاً لجودته ومادة صنعه وذلك للعلاقة الوثيقة بين المادة الخام من جلود وصناعة الأحذية، فكلما توفرت المادة الأولية كلما كان سعره في متناول المشتري والعكس، خاصة وأن الأحذية من المواد المهمة في حياة الإنسان، ويوفر هذا النوع من الصناعات فرص عمل للكثيرين، أما بالنسبة لتجارة الأحذية فلم تقتصر على الوسط المحلي، بل عملت الخلافة على تصدير "الخفاف الطائفية" خاصة من البصرة التي اشتهرت بتصدير النعال، كما صدرت بغداد "النعال السندية" التي حملها الوفود المجهزين من بغداد؛¹ فالنعال هي الأخرى اعتبرت من ضمن السلع التجارية التي شكل مصدر دخل لخزينة الخلافة من التجارة الخارجية، وقد يتراجع هذا الدور بتراجع صناعتها، كما تأثرت الصناعات الغذائية بالأمراض الحيوانية، وذلك لما توفره من منتجات غذائية من ألبان ولحوم....²

يقودنا التفاوت في الآثار الناتجة عن الوباء وعدد الضحايا إلى تفسير مفاده أن ضعف الدولة في كثير من الأحيان كان يفاقم ويزيد من الكارثة الوبائية، ف إذا كانت الدولة قوية يؤثر هذا بطبيعة الحال على التعامل مع الكارثة بشكل يخفف من غلوها، فخلال فترات الاستقرار السياسي يتمكن السكان من التغلب على الآفات السماوية أو حتى تلطيف حدتها وتقليص وتيرة تكرارها وذلك لما تبذله الدولة من جهود للسيطرة عليها.

قامت الخلافة العباسية بعدة تدابير لمواجهة أو التخفيف من خطر الأوبئة والتي كانت تعكس مدى حرص الخلفاء على توفير الرعاية الصحية للجميع دون استثناء، ومن هذه التدابير:

¹ عبد الحميد جمال الفراني وآخرون ، المرجع السابق، ص35. مهى سعيد حميد، المرجع السابق، ص

² عفيفي علي غازي: رؤية الرحالة للطب البيطري، عند بدو الجزيرة، ، مجلة تراث، الع 251، 2020، ص26.

- الحجر الصحي:

انطلاقاً من حرص الإسلام على الصحة العامة فقد سنّ الإسلام مبدأ الحجر الصحي، أي عزل المريض الذي قد ينتقل منه المرض عن طريق العدوى، والذي لا يرجى شفاؤه عن الناس، ورخص للناس من عدم السلام عليه أو الاختلاط به،¹ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين" وقال "وفر من المجذوم كما تفر من الأسد".²

اعتبر الحجر الصحي كإجراء أولي لمواجهة الأوبئة والأمراض، فإذا وقعت الأوبئة يحجر على المرضى ببقائهم في أرض الوباء، ومنع خروجهم منها حتى لا ينتقل إلى إقليم آخر عن طريق العدوى، وألا يدخل الأصحاء إلى الأرض الموبوءة فيصيبهم المرض.³

- إقامة البيمارستانات⁴: أنشأ الخلفاء العديد منها في بغداد وغيرها من الأمصار، وعملوا على تطويرها، وهي نوعان، البيمارستان الثابت؛ فالثابت ما كان بناء ثابتاً في جهة من الجهات لا ينتقل منها، كان الخلفاء يبالغون في عنايتهم باختيار المكان الصحي والملائم

¹- شرين سليم حمودي: الحياة الطبية في العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ / 750م-847م، مجلة تشرين، الع 43، 2021، ص76. مهى سعيد حميد: الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي، المرجع السابق، ص90.

²- البخاري محمد بن اسماعيل (ت256هـ): صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، لبنان، ط3، 1987، ج7، ص146.

³- رابح أولادضياف: تراث المسلمين في مكافحة الأوبئة بالشرق الإسلامي والأندلس دراسة تاريخية خلال الفترة 5-8هـ / 11-14م، مجلة دراسات، المجلد 13، ألع 2، 2022، ص111.

⁴- البيمارستان: الأصل اللغوي لكلمة بيمرستان (بفتح الراء وسكون السين) فارسي، وهي مركبة من كلمتين (بیمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب و(ستان) بمعنى مكان أو دار، فهي إذا لعلاج المرضى. ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت668هـ): عبون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1965، ج1، ص45.

الذي يصلح لإقامتها، وعليه كانت لهم سياسة طبية مرسومة يتبعونها في إنشائها، فقد عرفوا أثر المناخ والموقع في الناحية الصحية، ولاختيار موقعها كانوا يعلقون في كل ناحية من نواحي المدينة التي يرغبون في إنشاء البيمرستانات فيها قطع لحم على أن تُعْتَبَر التي لم تتغير، ولم تفسد سريعا موقع ملائم لبناء البيمرستان.¹

ومن أشهر البيمارستانات التي شيدت خلال العصر العباسي، المارستان الصاعدي عرف أيضا باسم العتيق، شيده المعتضد بالله (289-279هـ/892-902م)، المارستان المقتدري الذي شيده الخليفة المقتدر بالله (320-295هـ./908-932م)، لم يقتصر تأسيسها على الخلفاء، بل شمل الأمراء أيضا والوزراء والأطباء والأغنياء، فقد نسب إلى بدر غلام المعتضد تشييده المارستان الذي يقع في محلة المخرم في مدينة بغداد، وبنى علي بن عيسى سنة 302هـ/ 913م مارستان، وشيدت والدة المقتدر مارستانا في سوق يحي على نهر دجلة سنة 306هـ/ 918م تطوعا من أموالها الخاصة وسمي باسم مارستان السيدة.²

أما النوع الثاني فهو البيمارستانات المتنقلة؛ وهي التي تنقل من مكان إلى آخر، بحسب ظروف الأمراض والأوبئة أو حوادث الزلازل و الفيضانات للمحافظة على سلامة وصحة المجتمع، وهي عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى، والمواد من أدوات، وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة، وكل ما يعين على ترقية الحال على المرضى، حيث كان ينتقل من بلد إلى آخر إلى البلدان الخالية من البيمارستانات الثابتة

¹ - ابن القفطي جمال الدين علي بن يوسف (ت646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر، لبنان، (د.ت)، ص272.

² - عبد الحسين مهدي رحيم: الخدمات العامة في بغداد 400-656هـ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2013، ص295-296.

والتي يظهر بها وباء، ويعتبر علي بن عيسى الجراح وزير الخليفة المقتدر هو أول من أوجد هذا النوع من البيمارستانات بإشارة من سنان بن قره سنة 335هـ رئيس أطباء بغداد.¹

كانت الدولة تلعب دورا كبيرا في أوقات انتشار الأوبئة وتفشي الأمراض المعدية، بتقديم الخدمات الصحية وتيسيرها للمرضى من الفقراء والمساكين، فقد كان الخلفاء يأمرّون بتوزيع الأدوية والأشربة والأموال على الفقراء، ويأمرّون الأطباء بمراعاتهم وحسن معاملتهم، والذين ساهموا بدورهم في تقديم خدمات طبية عامة بتوجيه من الدولة واشرافها أو تطوعا وبمبادرة ذاتية خدمة لمجتمعهم.²

- الحرص على تطبيق تعاليم النظافة والوقاية:

اقتضت الوقاية الصحية آنذاك الاهتمام بجوانب عديدة تتعلق بالصحة العامة والاهتمام بنظافة البيئة والطرق والأسواق والحمامات ومصادر المياه ومراقبتها، فضلا عن الاهتمام بالنظافة الشخصية، ويأتي الاهتمام بهذه الأمور لتأكيد الدين الاسلامي عليها وحثه على القيام بها.

وعن اهتمام الدولة العباسية بهذا الجانب على سبيل المثال، فقد أصدر المتقي (329-333هـ/940-944م) أمرا منع بموجبه أصحاب الحمامات من اجراء مياه الحمامات القذرة إلى النهر، لما تحدثه تلك المياه من تلوث مياهه التي ينتفع بها العامة، وألزمهم أن يحفروا آبارا عندها لتجتمع المياه فيها، وأمر الصيادين بعدم تنظيف الأسماك على شواطئ النهر

¹- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج1، ص221. عيسى أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، 2008، ص12.

²- عبد الحسين مهدي رحيم، المرجع السابق، ص305؛ خضر جاسم محمد الدوري ومؤيد عيدان كاطع: النشاط السياسي والاجتماعي للأطباء في العراق خلال العصر العباسي (132-656هـ/ 749م-1258م)، مجلة التربية والعلم، الع5، 1987، ص47-51.

وخصص لهم مكانا، ولا بد أن يكون هناك اهتمام أصحاب الحمامات بالنظافة وتصريف المياه الآسنة والقدرة لكثرة عددها¹.

ويبرز في هذا المقام دور المحتسب أيضا، فالحفاظ على البيئة من أهداف الحسبة في ضمن إطارها العام بالحفاظ على الجماعة المسلمة، من خلال اتخاذها للتدابير اللازمة لحمايتها، وينطلق ذلك من مفاهيم عقائدية وإيمانية تعتبر الإضرار بالبيئة منكرا من المنكرات،² حيث كان المحتسب يراقب نظافة الطرقات ويمنع إلقاء القاذورات والأوساخ فيها، ويرجع ذلك لأنها ممر الناس ووسيلة قضاء مصالحهم ومكان اجتماعهم، فإن ملئت بالأوساخ والنجاسات كانت سببا للمرض ويسهل انتقاله لكثرة المارين، كما كان المحتسب يمنع إخراج مجاري الأوساخ من المنازل إلى الطرقات، ويأمر الناس بسدها لمنع النجاسة عن الناس.³

أما في موضوع تلوث الهواء، فقد عرف المسلمون تلوث الهواء وعرفوا الأضرار الناتجة عنه، فتحدث الكثير من الأطباء والمؤرخين عن فساد الهواء باسم تغير الهواء، فكان على المحتسب أن يمنع أسبابه، حيث يأمر أصحاب الصناعات التي تتطلب استخدام النار وخروج الدخان كالبازين، أن يجعلوا للدخان منافس واسعة عالية في سقوف الأفران، يخرج الدخان منها حتى لا يتضرر الناس بدخانها.⁴

كما يأمر المحتسب الخباز أن ينظف التنور بقطعة قماش نظيفة قبل أن يبدأ الخبز، أن ينظف أوعية الماء ويغطيها، وينظف المعاجن وما يحمل عليه الخبز، ويعمل المحتسب

¹ - عبد الحسين مهدي رحيم، المرجع السابق، ص 299.

² - عبد الرحمان نصر الهاشم التتر، المرجع السابق، ص 118. الحسبة

³ - الشيزري عبد الرحمان بن نصر بن عبد الله العدوي الطبري (ت 590هـ): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، موسوعة الجامع الكبير، (د.د.ن)، (د.ت)، ص 13.

⁴ - المصدر نفسه، ص 21.

أيضا على عملية بيع الحليب فهناك تعليمات صارمة فيما يتعلق بنظافتها ونظافة الأدوات المستعملة لما لها من دور في انتشار الكثير من الأمراض الفتاكة ونقلها¹.

3- الكوارث الجيولوجية والكونية.

أ- الزلازل

الزَّلْزَلَةُ لغة: هي تحريك الشيء، وقد زَلَزَ اللهُ الأرضَ زَلْزَالاً أي حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً، وقيل الزَّلْزَلَةُ التحذير والتخويف، وقيل الزَّلْزَلُ الشدائد والزَّلَازِلُ الأهوال،² ومن مرادفات الزَّلْزَلَةُ "الرَّجْفَةُ" حيث يقال رجفت الأرض رجفا اضطربت، والأرض ترجف أي تتحرك حركة شديدة،³ وفي التنزيل العزيز قوله تعالى { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ }،⁴ حيث ورد حدوث الزلازل بهذا التعبير في العديد من المصادر، فذكر أنه "سنة 299هـ/911م تعرضت الكوفة "لرجفة عظيمة".⁵

ومن المصطلحات الواردة في المصادر العربية والتي عبرت عن حدوث الزلازل "الرَّجَّةُ"، وهي التَّحْرِيكُ والتَّحَرُّكُ والاهْتِزَازُ⁶، فذكر السيوطي حدوث زلزال ببغداد ارتجت له

¹ - صهيب محمد ناصر الخطيب: اهتمام خلفاء بني العباس بالطب والأطباء منذ تأسيس بغداد حتى القرن الرابع هجري، المجلة المحكمة، الع25، السنة 11، مج3، (د.ت)، ص522.

² - ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص 307-308.

³ - المصدر نفسه، ج9، ص113.

⁴ - سورة النازعات، الآية 6.

⁵ - السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، المكتبة الأزهرية، مصر، رقم المخطوطة 45، ص 31.

⁶ - الرازي، المصدر السابق، ص 206.

الأرض،¹ كما يصطلح عليها مصطلح "الهزة" وهي رجفة أو رعشة تصيب الأرض وما عليها.²

حاول الانسان منذ القديم تقديم تفسيرات لحدوث الزلازل ليهتدي إلى تلك القوة الخفية التي تأثر على مختلف مجالات حياته، ما جعل الآراء والتفسيرات تتعدد وتختلف بين تفسيرات علمية اعتمدها فريق من علماء الفيزياء والجغرافيون والمؤرخون وذلك بناء على معارف علمية، وتفسيرات دينية قدمها فريق من الفقهاء وأخرى خرافية ذهب إليها خاصة العامة من الناس.

فنظرا لغياب أسس علمية انتشرت التفسيرات الخرافية بين العامة؛ فربط بعضهم حدوثها بوجود حيوان ضخم تحت الأرض وبأن هذا الحيوان هو الذي يحركها عندما يقوم بحركات خاصة، ونوع هذا الحيوان يختلف من بلد لآخر على حسب طبيعة البيئة السائدة،³ كما نصت الأسطورة على أن تحت الأرض ثورا والثور على صخرة وأن له أربع قوائم وأربعون

¹-السيوطي، المصدر السابق، ص31.

²-وهي نتيجة طبيعية لتحرك الأرض أو القشرة الأرضية فإذا ما تحركت هذه القشرة بقدر أكبر مما هو معتاد فإن السرعة تزداد مما ينتج عنها اصطدام الصخور مولدة الزلزلة كذلك اذا تغير اتجاه حركة الأرض ينتج عن ذلك زلزال أيضا اذا تحركت الصخور على سطح فائق من جانب لآخر ينتج عن ذلك الزلزال واذا تحركت الصخور على سطح فائق بعيدا عن الصخور التي تجاورها، تبدأ الصخور القابعة فوق الصخور الهابطة في إعادة ترتيب موقعها محدثة مجموعة من الزلازل -التوابع- التي تلي حدوث الزلزلة الرئيسية .البیومي إسماعيل الشربيني: تاريخ الزلازل في مصر من الفتح الإسلامي الى مجيء العثمانيين، مجلة كلية الآداب، المنصورة، الع26 ، 2000، ص 534.

³- عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا الطبيعية أشكال سطح الأرض، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، 1990، ص220.

قرنا وأربعين سناما، رأسه بالمشرق وذنبه بالمغرب ومسيرة ما بين قرن وقرن من قرونه خمسون ألف سنة وشاع بين العامة أن الثور إذا حرك رأسه حدثت الزلازل.¹

تناول سراج الدين أبو حفص (ت861هـ) شرح أسباب الزلازل فقال "خلق الله تعالى جبلا يقال له قاف محيط بالعالم السفلي وعروقه متصلة بالصخرة التي عليها الأرض، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان عليه السلام حيث² قال الله تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}،³ فإن أراد الله أن يزلزلها أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ذلك تحرك مكان دون آخر.⁴

أرجع بعض المفسرين والفقهاء تلك الظاهرة لتأديب الخالق للخلق عما ارتكبه من معاصي وخاصة معصية الزنا وتفشي الظلم وكثرة مظاهر الشرك، وقد تصدى الشيخ ابن تيمية لهذه الأساطير ونفاها مقرأ أن حدوث الزلزلة من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف فالزلازل من الآيات التي يرسلها الله تعالى إلى عباده ليخوفهم ويحذرهم بها من شديد عقابه وأليم عذابه؛ وذلك إذا حادوا عما شرعه لهم فلم يأتروا بأوامره وينتهوا بنواهيه⁵ لقوله تعالى {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}،¹ وتكون قوة هذه الزلازل على قدر ذنوبهم فإن كثرت وعظم جرمها اشتدت عليهم هذه الزلازل وهذه الرجفات.²

¹ - محمد بن محمد محمود: الزلازل والبراكين في جزيرة العرب وتراثهم، مجلة الدارة، مج14، الع1، 1988، ص50.

² - ابن الوردي زين الدين سراج الدين (ت861هـ): جزيرة العجائب وفريدة الغرائب، تح أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، (د.ت)، ص285.

³ - سورة لقمان الآية 16.

⁴ - ابن الوردي، جزيرة العجائب، المصدر السابق، ص385.

⁵ - عمرو عبد المنعم: الزلازل أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها، دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1993، ص7.

اختلفت ما قدمه الجغرافيون والمؤرخون من تفسيرات تماما عما ذكر سابقا، إذ أرجع اخوان الصفا حدوثها إلى " تلك الأهوية والكهوف والمغارات المتواجدة في جوف الأرض والجبال والتي لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه، فتبقى تلك المياه محبوسة، وإذا حمى باطن الأرض وجوف تلك الجبال، سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخارا فارتفعت مكانا أوسع، فإن كانت الأرض كثيرة الخلخل تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ، وإذا كان ظاهر الأرض شديد التكاثر حصيفا منعها من الخروج وبقيت محتبسة تتموج في تلك الأهوية لطلب الخروج، وربما انشقت الأرض في موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسفت مكانها ويسمع لها دوي وهذه هي الزلزلة"³ وأضاف ابن سينا ما يميز أكثر الأماكن تعرضا لحدوثها بقوله " وأكثر ما تكون الزلزلة في بلاد متخلخلة غور الأرض متكاثفة وجهها أو مغمورة الوجه بالماء".⁴

ولا يختلف عن ذلك ما أورده ابن حيان بخصوص علل حدوثها، حيث أرجعها إلى "استبطن رياح في بطون الأرض إما لكونها من باطن الأرض وانحصارها وقلة وجود المنافذ لخروجها، فإذا ترادفت وكثرت طالبت المخرج فزحم بعضها بعضا فانزعج لها ذلك المكان، وبكثرة حركتها وبكثرة مادتها وتواصلها تكون زيادتها وعظم حركتها ودوامها، والدليل لأنها إذا كثرت ودامت حفرت لها الآبار فتبطل الزلازل وتقل..."⁵

¹ - سورة الإسراء، الآية 59.

² - عمرو عبد المنعم، المرجع السابق، ص 8

³ - اخوان الصفا (حوالي 373هـ): رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، مركز النشر مركز الاعلام الإسلامي، 1405، ج 2، ص 97.

⁴ - ابن رشد الحفيد أبي الوليد (ت 595هـ): تلخيص الآثار العلوية، تح جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994، ط 1، ص 125.

⁵ - جابر بن حيان (ت 815هـ): مختار رسائل جابر بن حيان، تصحيح: ب كراوس، مكتبة الخانجي، (د.ت)، ص 25.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

حدوث الزلزال إذن يعود لعوامل باطنية المنشأ، وتُسهّل حدوثها طبيعة القشرة الأرضية فكلما كانت القشرة الأرضية هشة وضعيفة سهل حدوثها وكانت آثارها مدمرة؛ أي أن العوامل الباطنية للكرة الأرضية هي المسؤولة عن حدوثها اضطرابات يتعرض لها باطن الأرض.

بالاطلاع على آراء علماء الطبيعة والجغرافيون العرب في تعليلهم لأسباب حدوثها نكاد نجزم اتفاقهم بخصوص ذلك حيث ذهب كل من ابن رشد (595هـ/1198م)¹ والقزويني (ت682هـ/1283م)²، نفس المنحى في تفسيرهم لحدوثها، حيث أرجعوها إلى احتباس الأهوية والأدخنة ومحاولة خروجها هي التي تحدث الزلازل، وإذا ما تأملنا آراء العرب في هذا المجال فإننا نجد فيها قبولا مباشرا لآراء أرسطو (ت322ق.م)³، فأراءهم كانت امتدادا لآراء من سبقوهم مع بعض الإضافات.

عانت الخلافة العباسية من خطر حدوث الزلازل، فقد رصدت لنا المصادر التاريخية سنوات حدوثها وما خلفته من نتائج، في الجدول التالي رصد كرونولوجي لمعظم الزلازل التي حلت بأقاليم الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م):

الترتيب	السنة الهجرية السنة الميلادية	الرقعة الجغرافية	آثارها الاقتصادية	المصدر
1.	242 855هـ/م	الري وخراسان	زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بقوس وأعمالها والري وخراسان ونيسابور...	السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص276.

¹ - جابر بن حيان، المصدر السابق، ص125.

² - القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة ولاية بافاري، (د.ت)، ص206.

³ - عبد الله يوسف الغنيم: أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي (دراسة جغرافية)، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 35، ج4، 1984، ص180.

	وتقطعت الجبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق.			
2.	857هـ/245م /	عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر.	المصدر نفسه، ص276.	
3.	871هـ/258م	زلزلة شديدة وهدة عظيمة تهدمت بسبب ذلك دور كثيرة ومات من الناس نحو من عشرين ألف .	ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص541. السيوطي، كشف الزلزلة، ص19.	العراق
4.	878هـ/264م	زلزلة بغداد زلزلة عظيمة دامت أياما، وفيها هبط ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامة نخلها.	المصدر نفسه، ص298.	العراق
5.	289هـ/900م	زلزلت بغداد عدة مرات فتضرع أهلها في المسجد فكشف عنهم.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص416. ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص715.	بغداد
6.	331هـ/942م	زلزلة في خراسان فخربت قرى كثيرة. ومات تحت الهدم عالم عظيم وكانت عظيمة جدا.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص176.	خراسان
7.	950هـ/339م	زلزلت الأرض ثلاث مرات، ثم في سنة أبع وأربعين	عماد الدين الاصفهاني أبي حامد محمد بن محمد	

			مرتين في شهر واحد، في سنة سبع وأربعين مرتين في شهر واحد.	البستان (597هـ): الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، لبنان، 2002، ص239.
8.	346هـ/ 957م	الري	كان بالري ونواحيها ولولة عظيمة مات فيها خلق كثير.	السيوطي، المصدر السابق، ص316. الديار بكري، المصدر السابق، ج2، ص354.
9.	347هـ/ 958م	بغداد	كانت زلزلة عظيمة في نيسان وكانت زلازل عظيمة في حلوان وبلدان الجبل فقتلت خلقا كثيرا وأخربت أربعين يوما.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص114. السيوطي، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص316.
10.	367هـ/ 973م	بغداد	كان بالموصل زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس ، وكا في العراق غلاء شديد جلا لشدته أكثر أهله.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص380. ابن كثير، ج15، ص382.
11.	368هـ/ 973م	بغداد	في هذه السنة كانت زلازل	ابن الأثير، المصدر

		العراق	شديدة وكان أغلبها في العراق.	السابق، ج7، ص383.
12.	369هـ / 974م	/	جاءت زلازل وأهوية مؤذية	الأصفهاني، البستان الجامع، المصدر السابق، ص263
13.	376هـ / 984م	بغداد الموصل	كانت زلزلة شديدة تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس.	ابن كثير، المصدر السابق، ص426. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص317. ابن الأثير، ج7، ص428.

الجدول رقم 12: يمثل موجات الزلازل التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

بناء على معطيات الجدول أعلاه:

سجلت المصادر حدوث ثلاثة عشر حادثة زلزال تفاوتت واختلفت في مدة حدوثها وتكرارها وكذا الآثار الناجمة عنها، والتي تعلقت بدرجة وشدة الهزة أو الموجة، فتراوحت شدة هذه الهزات بين خفيفة ضعيفة ومُهَوِّلة ما يرسم لنا حجم الكارثة خاصة في حال غياب تحديد دقيق للخسائر وأعداد الهالكين، كما يتبين أنها لم تكن لتهدأ ليأمن أهل العراق من خطرهما عبر مختلف الفترات.

ساهم كل من موقع العراق في نطاق الأقاليم الزلزالية النشطة؛ وذلك لوقوعه ضمن دول المنطقة العربية التي اشتهرت بتاريخها الزلزالي وكذلك حوض البحر الأحمر وحوض البحر الأحمر وأطراف الجزيرة العربية، وكذا طبيعة تضاريسه في تكرار حدوث الزلازل فقد ارتبط حدوث الزلازل وتكرارها بمناطق الضعف وعدم الاستقرار من القشرة الأرضية.¹

اختلفت مدة الزلزلة من مكان لآخر فبعض المناطق مكث بها الاضطراب أسبوعاً أو كانت على شكل هزات ارتدادية كما حدث سنة 367هـ/973م، ومنها من لم تحدد المصادر شدتها، قد يرجع ذلك لهولها أي لعدم القدرة على تقدير شدتها أو لضعفها.

شملت الزلزلة وآثارها في بعض المرات العاصمة بغداد فقط إلا أنه في العديد من المرات شملت جميع أقاليم العراق، وقد يصل تأثيرها حتى إلى عمق البحر وذلك راجع لشدة الزلزلة أو الهزة، كما يرجع إلى الامتداد الجغرافي والترابط بين مختلف أقاليم الخلافة العباسية.

كان للزلازل أثر واضح على الزراعة والحياة الاقتصادية ، إذ تسببت في تدمير البنى التحتية الزراعية وإحداث خسائر كبيرة في الأراضي والقرى، فقد كانت الزلازل تؤدي إلى تشقق الأرض وانسداد قنوات الري أو تحويل محاريق الأنهار، مما يعرض الحقول إما للجفاف أو للغرق ويؤثر مباشرة على الانتاج الزراعي، كما أن إنهيار السدود والجسور نتيجة الاهتزازات الأرضية كان يعرقل عملية نقل المياه إلى المزارع، ويقطع سبل المواصلات بين مناطق الانتاج والأسواق.

إضافة إلى ذلك تسببت الزلازل في نزوح السكان من المناطق المتضررة مما أدى إلى نقص الأيدي العاملة الزراعية وكما كان لهلاك الناس مساهمت كبيرة في تراجع الانتاج

¹ - شاهر جمال آغا: الزلازل حقيقتها وآثارها، عالم المعرفة، 1995، ص177. وينظر: محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق، ص17.

الزراعي، وقد انعكس هذا على وفرة المحاصيل وارتفاع أسعار المواد الغذائية كان بالموصل زلزلة شديدة سنة 376هـ / 986م تهدم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس، وكان في العراق غلاء شديد جلا لشدته أكثر الناس¹.

ب- ظاهرة المَدّ والجَزْر:

صنفت ظاهرة المَدّ والجَزْر ضمن الكوارث الجيولوجية وذلك لتدخل كل من عامل الأرض والقمر والشمس في حدوثها، فالمدّ لغة هو السيل،² أكد سبط ابن الجوزي أن المد والجزر من آيات الله تعالى، وأنه من آثار قدرته في العالم لأنه كل مالا يوجد له قياس في الوجود فهو فعل إلهي يستدل به على عظمة الباري سبحانه وقدرته، وحتى تفسير حدوث المدّ والجزر لم يسلم من تلك الأفكار الخرافية حيث أرجع حدوثه إلى أن الله وضع للبحر مَلَكًا فإن وضع رجله فيه فاض وإذا رفعها عنه غاص.³

يتكرر حدوث هذه الظاهرة يوميا بشكل منتظم فقد تتكرر مرتين باليوم أو مرة واحدة إلا أن ارتفاع المدود القوية وما يخلفه من آثار على جميع الأصعدة يعد كارثة، فقد رصدت لنا المصادر التاريخية ضمن ما نقلته من أحداث الكوارث تكرار حدوثها، ففي سنة

¹ - ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص428.

² - إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، 1990، ط4، ج2، ص537.

³ - سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج2، ص127. سائر بصمة جي: ظاهرة مد وجزر البحار في التراث العلمي العربي، مؤسسة هنداوي، 2022، ص102.

367هـ/977م ارتفعت المدود القوية بمدينة سامراء¹، كما تكرر حدوثها سنة 379هـ/990م إلا أن الأهالي لم يكون لهم علم بحال المدود ولا هي عندهم من المألوف والمعهود.²

هدد مسير القوافل التجارية أيضا تلك الأخطار التي تواجههم في البحر، منها ضحالة المياه عند رأس الخليج بسبب كثرة الرواسب المتراكمة أمام الموانئ، وهذه من أشد المخاطر التي واجهت سفن ملاحي الخليج العربي عند البصرة والأبلة، حيث يخشى عليها أن تتحطم إذا اقتربت منه،³ ويذكر أنه من رقة تلك المواضع يسافر منه أربعون مركبا ويرجع واحد فقط، ولذلك وضعت الخلافة الاحتياطات اللازمة كافة لحماية السفن العابرة في هذا الاتجاه، حيث وضعت الخشببات وبني عليها مرقب به عامل يسمى بالناظور، مهمته إيقاد المرقب لإرشاد السفن.⁴

وكذلك من الأخطار الطبيعية الأمواج البحرية في منطقة الدردور الواقعة في بداية الخليج وهي عبارة عن ثلاث جبال في البحر، وتوجد في تلك المنطقة دوامات وأمواج يتخوف رجال البحر اذا ما اشرفوا عليها، فاذا اغفل الملاحون عنها ودخلتها مراكلهم انكسرت وغرقت بمن فيها.⁵

¹ - سبط ابن الجوزي ، المصدر السابق، ج14، ص253.

² - الروذراوي ظهير الدين ابي شجاع محمد بن الحسين(ت488م): ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت)، ج3، ص169.

³ - الاصطخري، المصدر السابق، ص32.

⁴ - مهند الدعجة: التراث البحري بالخليج العربي في العصر العباسي الثاني (232هـ-656هـ/848م-1258م) سفن اقليم البحرين نموذجا، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 48، العدد 4، 2021، ص568.

⁵ - الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسيني الشريف (من علماء القرن 6هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ج1، ص164.

من الصعوبات الطبيعية التي تواجه الملاحة أيضا تغيير الأنهار الملاحية لمجراها قرب ساحل الخليج العربي، وما يحدث في بعض جهات تلك الأنهار من تيارات مائية عنيفة نتيجة لالتقاءها بالخليج العربي، وقد عملت السلطات الرسمية على تذليل تلك الصعوبات.¹

ت- ظهور وانقراض الكواكب:

من أخطر الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها أرض الخلافة العباسية هي ظاهرة انقراض الكواكب التي تسببت في إحداث الرعب في أوساط العامة والخاصة، إضافة إلى ما تخلف من آثار مدمرة، كان الاعتقاد السائد أن نزول الكواكب والنجوم إلى الأرض علامة من علامات الآخرة، وبأنها هلاك وإنذار من الله تعالى للخلق.²

عندما نقرأ مصطلح "كوكب" أو "نجم" في مصادر التاريخ الوسيط، لا ينبغي أن نعتقد أنه يعني أو يقصد به ما تعنيه الكلمة اليوم، ففي تراثنا العربي لم يفرقوا بين الكوكب والنجم ويأتي الفرق من إضافة قيد للنجم أو للكوكب، فإذا أضيف (سيار) صار (النجم السيار) بمعنى الكوكب بالمعنى المعاصر، وإذا أضيف منقوض صار الكوكب أو النجم شهابا فنقول (كوكب منقوض) أو نجم منقوض، وهكذا بالنسبة للمذنب فإذا أضيفت للنجم أو الكوكب ذنبا أو ذؤابة أو ذيلا صار مذنبا بالمعنى المعاصر، وفي حقيقة الأمر نحن نستطيع أن نميز في كثير من الأحيان المذنب بين الظواهر المسجلة إما من اسمه مباشرة وفي أحيان قليلة من خلال الوصف الوارد عنه في القرائن المرتبطة في النص.³

¹ - لمياء بنت عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 235.

² - ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت 213هـ): السيرة النبوية، تعليق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1990، ج1، ص 233.

³ - عبد الأمير المؤمن: الظواهر الكونية الغريبة قراء تراثية المذنبات والنيازك والشهب والنجوم المتفجرة، الدار الثقافية للنشر، (د.ت)، ص 87.

فقد أطلق العرب قديما على تلك البقع من النور التي تظهر في السماء ليلا "كوكبا" وأحيانا "نجوما" أو "أجرام"؛ حيث لم يفرقوا بينها ولم يعلموا أن الفروق بينها طفيفة. حيث أثارت حركة هذه الأجسام الكونية خيالهم، فلاحظوا أن بعض "النجوم" تتحرك حركة يومية أسرع ومتفردة عن بقية مجموعات النجوم الأخرى التي كانت تتحرك جماعات بالنسبة الى القطب، فجرى تمييزها أحيانا بتعبير "كوكب متحرك" مع بقاء استخدام تعبير نجم للإشارة إليهم، كما أطلق العرب اسم "النجوم" على ما نسميه نحن اليوم "الشهب".¹

وكدليل على عدم التفريق بين مختلف تلك الأجسام الكونية ما ورد في المصادر من عبارات، "وفي تلك الليلة بعينها انقضت الكواكب" والمقصود هنا بالكواكب ليس الكوكب بالمعنى المتعارف عليه وإنما انقضاض الشهب، تعرف هذه الظاهرة بـ «الزخ الشهبي» الذي يحدث عند مرور الأرض خلال مدار أحد المذنبات،² حيث يتجذب كثير من الدقائق الصغيرة المنتشرة على طول مدار المذنب إلى الأرض فتخترق غلافها الجوي وتحترق فيه مخلقة وراءها خطوطا لامعة كثيرة تظهر كأنها أمطار من شهب قادمة من نقطة واحدة من السماء.³

¹- طريف سرديست: أخطاء المفاهيم الفلكية عند العرب، الحوار المتمدن، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات، الع 3946 - 2012 / 12 / 19 - 02:22.

²- المذنبات أطلق المؤرخون العرب أكثر من اسم للمذنب ولم يكن هناك اسم متفق عليه فيما بينهم، فأحيانا يسمى نجما أو كوكبا أو ذا ذنب وأحيانا نجما أو كوكبا ذا نجمة. واختلاف التسمية بين نجم وكوكب يوضح بلا شك عدم وضوح ماهية المذنب بالنسبة إليهم أهو نجم أو كوكب؟ وفي العموم أن العرب فرقت بين النجوم والكواكب فسموا الأولى كواكب ثابتة والثانية كواكب متحركة. حسين بن علي الطرابلسي: اسهامات مؤرخي الإسلام في علم الفلك الحديث، مجلة الفيصل، الع 274، السنة 23، 1999، ص 101.

³- المرجع نفسه، ص 102.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

اعتبر حدوث مثل هذه الظواهر من الأمور الخارجة عن الطبيعة والتي رصدت حدوثها المصادر التاريخية، فقد تكرر حدوثها عدة مرات مخلفةً إلى جانب الآثار النفسية آثاراً اقتصادية وعمرانية، يمثل الجدول التالي أحداث ظهور وانقراض الكواكب التي تعرضت لها مختلف أقاليم الخلافة العباسية :

الترتيب	السنة الهجرية/ السنة الميلادية	الرقعة	ظهور أو انقراض للكواكب	المصدر
1.	222هـ/834م	العراق	كوكب وله شبه الذنب	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص73؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص37.
2.	237هـ/852م	/	ظهر شيء مستطيل الطرفين الوسط.	السيوطي، المصدر السابق، 275
3.	287هـ/900م		طلع كوكب بذؤابة	المصدر نفسه، ص295.
4.	289هـ/902م	/	نزل من السماء نجوم كثيرة	ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص715.
5.	292هـ/905م	/	طلع كوكب الذنب	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص425.
6.	294هـ/907م	/	طلع كوكب الذنب	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص50.
7.	299هـ/912م	/	ثلاث كواكب مذنبة.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص470.
8.	303هـ/	/	ظهر كوكب بذنب.	المصدر نفسه، ج13، ص154.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

9.	310هـ/922م /	ظهر كوكب له ذنب طوله ذرعان انقض كوكب بذنب	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص210؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص845.
10.	311هـ/923م /	ظهر كوكب عظيم له شعاع ساطع وفيه شرر عظيم.	الاصفهاني عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد (ت597هـ): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، لبنان، 2002، ص219.
11.	315هـ/927م /	انقض كوكب عظيم له ضوء شديد.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص260.
12.	323هـ/935م /	انقضت كواكب في أول الليل الى آخره انقضاضا مسرفا.	المصدر نفسه، ج13، ص350.
13.	330هـ/942م /	ظهر كوكب بذنب	المصدر نفسه، ج14، ص19
14.	336هـ/948م /	ظهر كوكب مذنب	ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص225.
15.	359هـ/970م العراق	انقض كوكب عظيم أضاءت له الدنيا وسمع انقضاضه صوت كالرعد	ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص321.
16.	361هـ/972م /	انقض كوكب عظيم له دوي كالرعد	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص210؛

ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص335.				
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص237. ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص358.	طلع كوكب الذؤابة	/	364هـ/975م	17.
الأصفهاني، البستان الجامع، المصدر السابق، ص262.	الكوكب ذو الذؤابة المعروف بالحربة	/	365هـ/976م	18.
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص416.	انقضى كوكب وصف بأنه عظيم أضاءت له الدنيا.	جميع الأقاليم	373هـ/984م	19.
الاصفهاني، المصدر السابق، ص269.	كوكب ذو ذؤابة	المشرق	379هـ/990م	20.

جدول رقم 13: يمثل أحداث ظهور وانقضا الكواكب التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال ما تقدم تبين أن:

حدوث الكوارث الكونية إضافة إلى ما تحمله من إثارة تحمل معاني فكرية وعلمية حقيقية لا مجرد مادة سماوية.

تكرر ظهور وانقضا الكواكب عشرين مرة خلال فترة الدراسة خلفا العديد من الآثار خاصة الاقتصادية والبشرية، حيث عبرت المصادر عن ذلك بالعديد من العبارات مصورة حالة الذعر والخوف التي أصابت الأهالي "وسمع في انقضا ضه صوت كالرعد الشديد فهال ذلك الناس وارتجعوا له"، "فهال الناس ذلك وعظم عليهم"، "ثم جعل كل وقت يرمي بالشرر".

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

لم تحدد المصادر في الكثير من الأحيان مكان انقراض الكوكب وسقوطه في حين قدمت أوصافاً دقيقة لشكله وحجمه وامتداده، كما حددت ما اتصل به من ذنب وضوء أو نار.

وقوع الصواعق واشتعال الحرائق

من أكثر الكوارث المدمرة التي أصابت دولة الخلافة العباسية هي الصواعق¹ حيث توال حدوثها خلال فترة الدراسة وهذا ما سنوضحه خلال الجدول التالي

الترتيب	السنة الهجرية/ السنة الميلادية	الرقعة الجغرافية	المصدر
1.	341هـ/953م	/	ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص215.
2.	372هـ/953م	بغداد	الأصفهاني، البستان الجامع، المصدر السابق، ص274.
3.	382هـ/963م	بغداد	المصدر نفسه، ص274.
4.	392هـ/973م	بغداد.	المصدر نفسه، ص274.

جدول رقم 14: يمثل الصواعق التي حدثت في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - إعداد الباحثة -.

¹ -تعرف الصاعقة بأنها: رياح سحابية مشتعلة، وربما طفئت هذه الصواعق فتستحيل أجساماً أرضية بحسب المزاج الذي يكون فيها، وإذا أرادت صاعقة أن تصعق، تقدمتها في كثر الأمر ریح. جبرار جهامي: موسوعة مصطلحات ابن سينا، مكتبة لبنان ، 2004، ص616.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

لم تكن الصواعق من الكوارث الطبيعية المألوفة التي تعرضت لها الدولة العباسية حيث تكرر وقوعها أربعة مرات على امتداد أربعة قرون.

إضافة الى ظاهرة وقوع الصواعق كثيرا ما اشتعلت الحرائق وفي الجدول التالي رصد للحرائق التي ذكرتها المصادر:

الترتيب	السنة الهجرية والسنة الميلادية	الرقعة الجغرافية	الآثار الاقتصادية.	المصدر
1.	217هـ/832م	البصرة	وقع حريق عظيم بالبصرة	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص4.
2.	225هـ/839م	الكرخ	احتترقت الكرخ، فأسرعت النار إلى الاسواق فوهب المعتصم للتجار وأصحاب العقار خمسة آلاف ألف درهم.	ابن عماد، المصدر السابق، ج3، ص114.
3.	241هـ/855م	سامراء	وقع في سامراء حريق احترق فيه ألف وثلاثمائة حانوت.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج11، ص286.
4.	252هـ/866م	باب الجسر/ بغداد	أحرق العامة والغوغاء للتجار متاع كثيرة حيث ضربت الحوانيت بالنار	الطبري، المصدر السابق، ج9، ص359.
5.	257هـ/870م	الأبلة	ظهر صاحب الزنج بالأبلة وأحرقها وقتل من الناس في ثلاثة أيام ثلاثين ألفا.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص123.
6.	269هـ/	السوق	أصحاب الموفق أضرموا	الطبري، المصدر

	882م	العظيمة	النار بالسوق، فاتصلت أكثر السوق فجلى عنها أهلها.	السابق، ج9، ص633.
7.	292هـ/ 904م	باب الطلق/ بغداد	وقع الحريق ببغداد بباب الطلق من الجانب الشرقي الى طرق الصفارين، فاحترق ألف دكان مملوءة متاعا للتجار.	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص425.
8.	303هـ/ 915م	بغداد	وقع حريق في سوق النجاريين ببغداد فاحترق السوق	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص155 ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص792 ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص490
9.	307هـ/ 919م	سوق الباقلين	وقع حريق بالكرخ في الباقلين هلك فيه خلق كثير.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص189 ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص506
10.	309هـ/ 921م	الكرخ	وقع في شهر ربيع الأول حريق كثير بباب الشام وفي سويقة نصر، وفي الحدائين بالكرخ وبين القنطرة الجديدة ومات خلق	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص255.

الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

	كثير .			
11.	314هـ/926م	دار السلطان	وقع حريق في نهر طابق فاحترق فيه ألف دار وألف دكان، وقع حريق في دار السلطان فاحترقت دور الأمراء.	المصدر نفسه، ج13، ص255.
12.	315هـ/927م	الرصافة	وقع حريق في الرصافة، وصف الجوهرى، ومربعة الحسري، وفي الحطابين في بباب الشعير.	المصدر نفسه، ج13، ص262.
13.	323هـ/935م	سوق البزازين	وقع حريق عظيم في الكرخ من طرف البزازين فذهبت فيه أموال كثيرة للتجارة.	المصدر نفسه، ج13، ص349.
14.	330هـ/941م	الكرخ	ثار العامة والجند في بغداد وأحرقوا ونهبوا وأخذوا الناس ليلاً ونهاراً.	ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص160. الطبري، المصدر السابق، ج11، ص331.
15.	348هـ/959م	الكرخ	اتصلت الفتن بين الشيعة والسنة وقتل بينهم خلق كثير ووقع حريق كثير في في باب الطاق.	ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص118.
16.	359هـ/969م	سوق الثلاثاء/ بغداد	وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء فاحترق جماعة من النساء والرجال	ابن الاثير، المصدر السابق، ج7، ص323

	وقع الحريق ايضا في أربع مواضع في الجانب الغربي فيها أيضا.			
17.	362هـ/972م	الكرخ بغداد	احترق الكرخ حريقا عظيما وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا، فثار به العامة والأتراك، وكان عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف انسان وثلاثمائة دكان.	المصدر نفسه، ج7، ص336.
18.	364هـ/974م	بغداد	أوقع العيارين حريقا بالخشابين من باب الشعير، فأحرق أكثر هذا السوق، وما يليها من سوق الجزارين واصحاب الحصر وصف البواري، فهلك شيء كثير من هذه الأسواق من الأموال.	ابن الجوزي، المنتظم، 14، 235
19.	371هـ/981م	الكرخ بغداد	وقع حريق بالكرخ في حد درب القراطيس الى بعض البزازين من الجانبين وأتى على الاساكفة والحذائين واحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهيبه اسبوعا.	ابن الجوزي، 14، 281. ابن الأثير، ج7، ص400.
20.	380هـ/990م	بغداد	وقع حريق عظيم نهارا في نهر الدجاج ووضعه،	ابن الجوزي، 14، 433.

			فذهب من عقار الناس وأمولهم الشيء الكثير. ثار العيارون ووقعت الفتنة بين السنة والشيعة وكثر القتل بينهم وزالت الطاعة، وأحرق عدة محال ونهبت الاموال وأخربت المساكن، وذام ذلك عدة شهور الى أن عاد بهاء الدولة الى بغداد.	ابن الأثير، ج7، ص447.
21.	384هـ / 994م	بغداد	وقعت حرب شديدة بين العامة بغداد وقتل فيها جماعة واحترق في البلد الكثير.	ابن الاثير، المصدر السابق، ج11، ص263.

جدول رقم 14: يمثل اشتعال الحرائق في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) - إعداد الباحثة -.

تكرر حدوث الحرائق واحد وعشرين مرة، والملاحظ تكرار حدوثها ببغداد وسوق الكرخ خاصة، ما قد يثير التساؤل هل هي بفعل أسباب طبيعية أو بشرية؟ فتركز حدوثها في العاصمة بغداد بالضبط وبسوق الكرخ يدل على أن حدوثها بفعل فاعل والذي تكرر خاصة خلال القرن الرابع هجري تلك الفترة التي عرفت العديد من الاضطرابات السياسية والثورات الانفصالية والتي تركزت في العاصمة وهاجمت المناطق التجارية.

تأثرت الصناعات كذلك بالحرائق التي نشبت في أسواق الخلافة وخاصة تلك التي اتسع نطاقها فشملت جميع أرجاء السوق، فانعكس ذلك سلباً على العاملين في الأسواق بما فيهم "الحرفيين"، مما أدى إلى غلق الأسواق وتوقف حركة البيع والشراء وعدم حصول الأهالي على احتياجاتهم.

ومن الحرائق التي حدثت في دروب الصناع، حريق سوق النجارين سنة (303هـ/915م)¹، وحريق بسوق البقالين بالكرخ سنة (307هـ/919م)²، وفي العام نفسه وقعت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام والاساكفة، ونشبت النار فيها واحترق السوق بما فيه³، وتضرر الاساكفة والحذائين جراء حريق الكرخ سنة (371هـ/981م) فاحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهيبه أسبوعاً⁴.

¹ - ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 792.

² - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 189. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 506.

³ المصدر نفسه، ج 6، ص 506.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 14، ص 281.

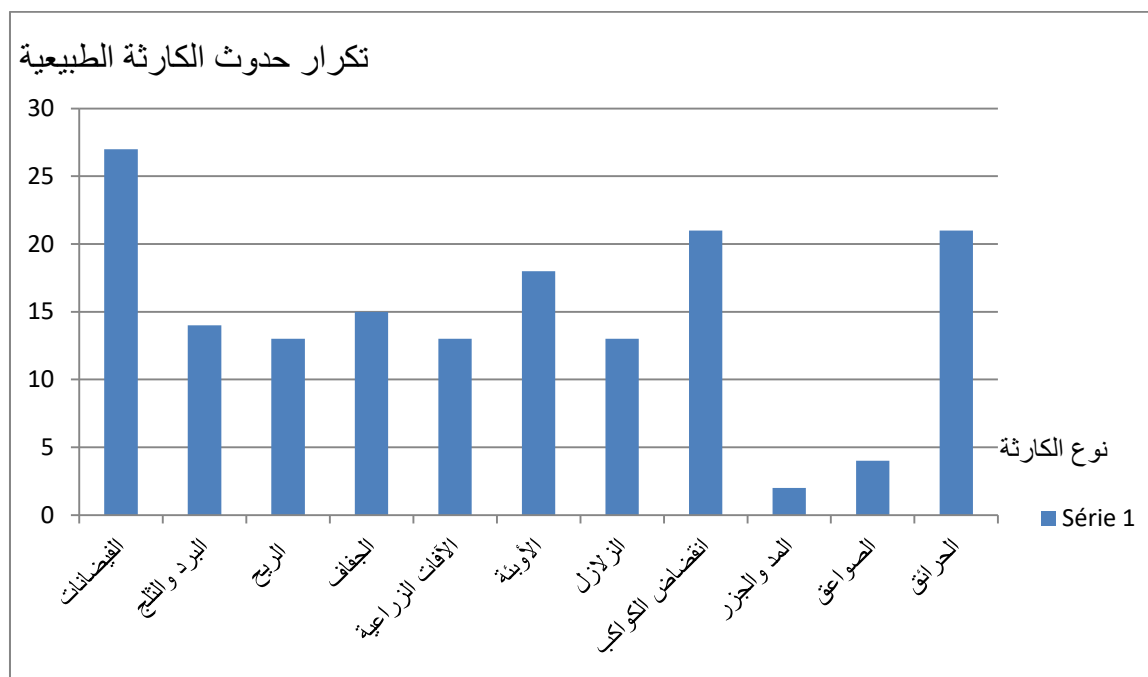
الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وانعكاساتها الاقتصادية

وخلاصة القول في هذا الفصل:

تعتبر الكوارث الطبيعية من أهم الأزمات التي تعرضت لها الخلافة العباسية والتي اختلفت أنواعها وفترات حدوثها، فبناء على ما ورد في المباحث الخاصة بالكوارث الطبيعية توضح الأعمدة البيانية مرات تكرارها:

نوع الكارثة الطبيعية	الفيضانات	الرياح	البرد والثلج	الجفاف	الآفات الزراعية	الأوبئة	الزلازل	انقراض الكواكب	المد والجزر	الصواعق	الحرائق
تكرار حدوثها	27	12	13	14	13	18	13	20	2	4	21

جدول رقم 16: يمثل أعداد الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الخلافة العباسية العباسي خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.



الشكل رقم 04: يمثل تكرار حدوث الكوارث الطبيعية في الدولة العباسية خلال (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

بلغ عدد الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال فترة الدراسة " 162" كارثة تعددت أنواعها واختلف زمان حدوثها، وأسبابها ونتائجها، لكنها اشتركت في كونها "فجائية" وخارجة عن نطاق سيطرة الأفراد فصعب السيطرة عليها في كثير من الأحيان.

شكلت حوادث السيول والفيضانات جزءاً أساسياً من الوقائع المناخية حيث أنها كانت أكثر الكوارث وقوعاً، وهذا يعود بالدرجة الأولى لنهري دجلة والفرات اللذان شكلا إلى جانب أفضالهما خطراً يهدد المناطق الواقعة على ضفافهما إذ تكرر فيضانهما 27 مرة حسب ما أوردته مختلف المصادر.

تعرضت الخلافة لخطر اشتعال الحرائق 23 مرة والتي أُرجعت لأسباب بشرية و طبيعية، كما اجتاحت الأوبئة الخلافة العباسية 19 مرة، حيث ارتبطت بعدة عوامل ساهمت في ظهورها وانتشارها فمست القوى البشرية والحيوانات.

سجلت المصادر تكرار حوادث انقراض الكواكب والنجوم 20 مرة ، رغم بعض المبالغة في وصفها إلا أن هذا يدل على اهتمام الأهالي والمؤرخين بمراقبة حركتها لاعتبارات عديدة، منها تسهيل تحديد الوقت ومعرفة الشهور والفصول خاصة في ظل الاهتمام المتزايد بعلم الفلك خلال العصر العباسي¹.

تكرر كذلك حدوث القحط والجفاف، سقوط البرد والثلج، هبوب رياح شديدة القوة، كما انتشرت العديد من الحشرات الضارة؛ التي كانت تستهدف القطاع الفلاحي بصفة خاصة لكن تأثيراتها لمست الجوانب الأخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

سجلت المصادر حدوث الصواعق 4 مرات وظاهرة المد وجزر 3 مرات، وهي بذلك سجلت أدنى تكرار.

¹ - كريمة محمد الفاهمي: علم الفلك في العصر الاسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص10.

الفصل الرابع: النتائج الاقتصادية

المرتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعية

المبحث الأول: التأثير المزدوج للأزمات السياسية والطبيعية على الاقتصاد العباسي.

لم تأثر الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية كل منها بشكل منفصل بل تداخلت نتائجها بشكل جعل الدولة عاجزة تدريجياً عن إصلاح أي منها، فالدولة التي أنهكها الصراع الداخلي لم تعد قادرة على إصلاح السدود وشبكات الري، بينما زادت الكوارث من حدة الأزمات السياسية عبر إضعاف الموارد المالية وإشغال التوترات الاجتماعية، وقد انعكس هذا التدهور على الحركة التجارية التي فقدت سلامة طرقها وأمان معابرها، فانخفضت إيرادات الأسواق وتراجعت الصناعات والحرف، ومع نهاية العصر العباسي أصبحت سلطة الخلافة شكلية في كثير من المناطق، وتوزع النفوذ بين قوى اقليمية كانت أكثر قدرة على إدارة مواردها المحلية من الحكومة المركزية نفسها.

زادت الكوارث الطبيعية إذن من هشاشة الدولة العباسية سياسياً، فالمجاعات ووالانحيار الزراعي وماعانته الخلافة من أزمات مالية خلق جواً مناسباً لحركات السخط الاجتماعي، وهذا السخط غذى الثورات خاصة منها التي استهدفت طبقة الفلاحين والعامّة، فمن الأمور التي عقت حدوث الكوارث الطبيعية وقوع الكثير من الثورات التي تطالب بتوفير المواد الأساسية، والمطالبة بدفع المرتبات التي تتأخر مع حدوث أزمات اقتصادية تجعل الدولة غير قادرة على دفع المرتبات، فقد شهد العصر البويهي ثورات عديدة عقب كل كارثة طبيعية، ففي عام (373هـ / 983م) حدثت ثورة بسبب تعرض العراق لقحط والغلاء، ومات عدد كبير من الفقراء مما ترتب عن ذلك خروج سكان تلك المواضع وكسروا منابر الجوامع، ولم تتوقف تلك الثورة عند ذلك الحد بل هجموا على الزوارق التي كانت تنقل البضائع في نهري دجلة والفرات، ولم تتوقف أحداث الشغب إلا عد وصول صمصام الدولة البويهي (379هـ - 388هـ / 989م - 998م) ووعدهم بتلبية مطالبهم.¹

¹ - أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ج3، ص85.

أضعفت الاضطرابات السياسية قدرة السلطة على مواجهة الكوارث الطبيعية، فانهيار الإدارة المركزية وانشغال الحكام جعل التدخل للتخفيف من حدة الكوارث الطبيعية وانقاض ما يمكن انقاضه بطيئاً أو معدوماً في بعض المرات.

تزامن في كثير من الاحيان حدوث الاضطرابات السياسية مع وقوع كوارث طبيعية، مما جعل الوضع يزداد سوءاً وتعقيداً، فقد أدت الصراعات السياسية داخل البلاط العباسي والصراع المستمر بين الخليفة والقادة العسكريين إلى انتشار الفوضى وتراجع الاستقرار الاجتماعي، فأصبحت المناطق البعيدة عن عاصمة الخلافة أكثر عرضة لسيطرة قوى محلية متنافرة، ما جعل السكان يعيشون حالة من الترقب والخوف نتيجة غياب الأمن وما زاد الوضع سوءاً هو تزامن ذلك على كوارث طبيعية في ظل عدم قدرة السلطة على تقديم مساعدات أو ايجاد حلول للوضع المزري فوجد أفراد الطبقة العامة من الهجرة حلاً ينقذ حياتهم.

تأثر عدد السكان في بلاد العراق بما لحقها من اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية، فقد تناقص عدد السكان بصورة مخيفة، حيث قيل لعضد الدولة البويهية (367هـ-372هـ/ 977م-982م) " إن أهل بغداد قد قلوا كثيراً بسبب الطاعون، وما وقع بينهم من الفتن بسبب الروافض، (الشيعة) والسنة، وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج الشر بين الناس".¹

ذكر ابن حوقل أن معظم مناطق بغداد قد تدهورت وتناقص سكانها، وحبب أقواله، كان تناقص السكان سمة بارزة، فالمنازل في بعض القرى بقيت خاوية ولم يبق سوى الفقراء الذين لا يستطيعون الهجرة.²

¹ - ابن كثير، النصد السابق، ج12، ص301.

² - ابن حوقل، المصدر السابق، ص216-220-241.

الفصل الرابع:

النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعة

أدى تزامن الكوارث الطبيعية والاضطرابات السياسية في ارتفاع الأسعار، فما تعرضت له الخلافة من موجات غلاء لم يرتبط في أغلب المرات بأحد العاملين -طبيعي وسياسي- وهذا ما سنوضحه في الجدول التالي:

السنة الهجرية والميلادية	العوامل الطبيعية	العوامل البشرية	التهميش
205هـ / 820م	X		الطبري، المصدر السابق، ج8، ص596؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص455.
206هـ / 821م	X		ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص467؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص194
207هـ / 822م	X		الطبري، المصدر السابق، ج8، ص596؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص470.
251هـ / 865م		X	المصدر نفسه، ج6، ص168؛ السيوطي، المصدر السابق، ص285. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص38.
260هـ / 873م	X		ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص247؛ السيوطي، المصدر السابق، ص342.
266هـ / 879م		X	ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص290.
269هـ / 882م		X	المصدر نفسه، ج6، ص321.
272هـ / 885م		X	المصدر نفسه، ج6، ص346.
284هـ / 897م	X		ابن الجوزي، المصدر السابق، ج12، ص373.
297هـ / 909م	X		المصدر نفسه، ج13، ص93؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص757.
307هـ / 919م		X	مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص42.
308هـ / 920م		X	السيوطي، المصدر السابق، ص302؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص194.
309هـ / 921م		X	الصولي، المصدر السابق، ص225.

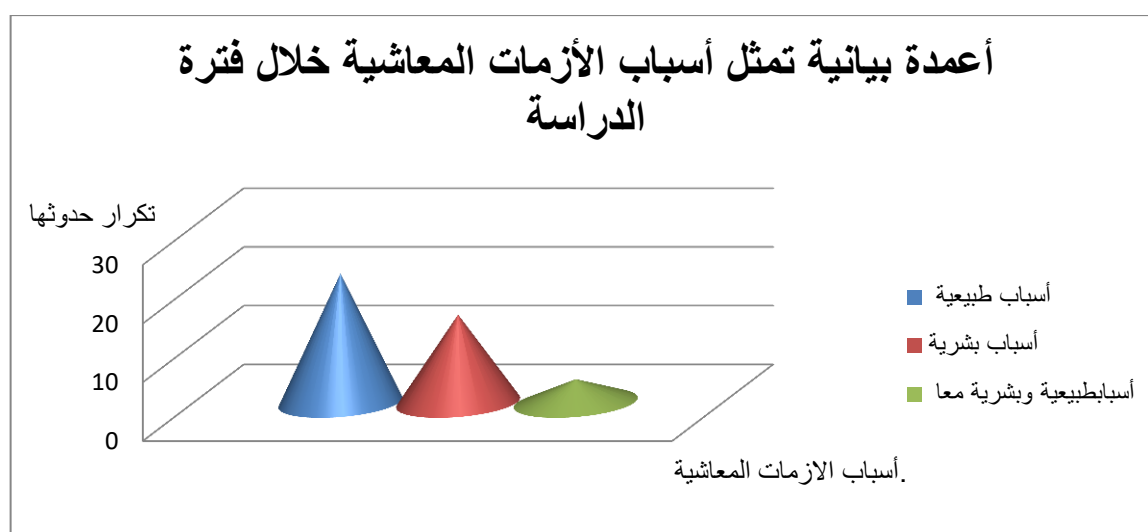
الفصل الرابع:

النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعية

ابن الجوزي، المصدر السابق، ج13، ص350.	X	X	934هـ/م
المصدر نفسه، ج13، ص357؛ ابن كثير، المصدر السابق، 15، 96.	X		935هـ/م
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص158؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14 ص06.		X	940هـ/م
الذهبي، المصدر السابق، ج24، ص70؛ ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص20	X	X	941هـ/م
المصدر نفسه، ج14، ص27.		X	942هـ/م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص34.		X	943هـ/م
الذهبي، المصدر السابق، ج25، ص21.	X		944هـ/م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص46. مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص279	X	X	954هـ/م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص54.		X	955هـ/م
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص265.		X	955هـ/م
المصدر نفسه، ج7، ص264. ابن كثير، المصدر السابق، ج15، ص237.		X	959هـ/م
ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص267.		X	960هـ/م
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص236.	X		984هـ/م
ابن كثير، المصدر السابق، 15، ص426		.X	977هـ/م.
ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص329		X	978هـ/م
ابن الأثير، الكامل، ج7، ص416. شذرات الذهب 80/3.	X	X	983هـ/م
الدواداري، المصدر السابق، ج6، ص213.		X	984هـ/م

376هـ / 986م	X	ابن الأثير، ج7، ص428.	
377هـ / 987م	X	المصدر نفسه، ج7، ص432	
382هـ / 991م	X	المصدر نفسه، ج7، ص458.	

الجدول رقم 17: يحدد أسباب الأزمات المعاشية التي تعرضت لها الخلافة خلال فترة الدراسة -إعداد الباحثة-.



الشكل رقم 05 : يمثل أسباب الأزمات المعاشية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م) -إعداد الباحثة-.

من خلال ما تم عرضه في الجدول والأعمدة البيانية يتبين أن:

- عدد الأزمات المعاشية الواقعة بسبب الكوارث الطبيعية هو 19 أزمة، والأزمات الناتجة لأسباب بشرية هو 15 أزمة، واجتمعت الأسباب الطبيعية والبشرية لحدوث 4 أزمات، وبالتالي فالعوامل الطبيعية كانت أكثر مساهمة في ارتفاع الأسعار ومن ثم حدوث المجاعات.

تميزت الدولة العباسية في أوج قوتها بنظام اقتصادي متكامل يقوم على ترابط وثيق بين الزراعة والصناعة والتجارة، فالقطاع الزراعي كان يوفر المواد الخام والصادرات الأساسية مثل الحبوب والتمور والقطن، بينما كانت المدن العباسية الكبرى كبغداد وسامراء والبصرة مراكز لصناعات مزدهرة كالغزل والنسيج والدباغة وصناعة السفن، وقد ساهم هذا التكامل في دعم التجارة الداخلية هبر أسواق واسعة وشبكات نقل نهريّة وبرية متطورة، كما أمنت التجارة الدولية الواردات المالية عبر الرسوم الجمركية وضرائب السلع العابرة.

بدأ هذا الترابط الاقتصادي يتعرض للاختلال مع تزايد الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية وتدهور البنية الزراعية، فقد أدى خراب شبكات الري ونقص الانتاج الزراعي إلى فقدان المواد الخام، مما انعكس على الصناعات المرتبطة بها، كما أثرت فوضى الأمن وتقلص هيبة الدولة المركزية على التجارة حيث تعطلت طرق القوافل وتراجعت حركة الأسواق، وبالتالي فإن انهيار أحد مكونات الاقتصاد العباسي كان ينعكس مباشرة على بقية المكونات، فتسللت الأزمة من الزراعة إلى الصناعة إلى التجارة، وتراجع التكامل الاقتصادي مع مرور الزمن من نظام متنوع إلى اقتصادي يواجه الجمود والانكماش مما ساهم في ضعف الدولة وتراجع اقتصادها.

ترتبط الزراعة والصناعة علاقة تكاملية تبادلية أي أن تطور الصناعة مرتبط بقوة وقدرة الزراعة على توفير خامات كافية وبجودة عالية فينتج عن ذلك توسع صناعي مرتبط بالقطاع الزراعي، وتقوم الصناعة بتوفير وسائل الحرث والسقي التي تجعل العملية الزراعية أكثر انتجا،

توفر الصناعة للتجارة منتجات ذات جودة عالية جذبت التجار، حيث ساهم التنوع والجودة ووالفرة في المنتجات الصناعية في تشكل نشاط تجاري واسع داخليا وخارجيا، كان هذا النشاط يتأثر بتأثر الصناعات التي تعد أساس المبادلات والعلاقات التجارية، فأى ندرة أو نقص في الجودة أو التنوع يؤدي على تعطيل مصالح التجار والصناع على حد سواء، وهذا ما حدث في كثير من الأحيان جراء ما تعرضت له الخلافة من اضطرابات سياسية

وكوارث طبيعية، كما ساهمت التجارة في توفير العديد من المواد الخام التي تدخل في العديد من الصناعات وأي عارض أو ظروف كان من شأنها أن تعرقل حركة التجار كانت تعرقل وصول المواد الخام وبالتالي تأثر على الصناع.

المبحث الثاني: مساهمة السلطة العباسية في إدارة الأزمات الاقتصادية.

لعبت السلطة العباسية دوراً محورياً في مواجهة الأزمات الاقتصادية التي واجهت الدولة، وذلك من خلال تبنيها جملة من الإجراءات التنظيمية والمالية التي كان لها مساهمة في التخفيف من حدة الوضع.

مساهمة السلطة العباسية في اصلاح منشآت الري وتطوير المجال الزراعي:

ساهم الخلفاء والأمراء في اصلاح المشاريع الاروائية لضمان تدفق واردات الخراج وسلامتها من أضرار الفيضانات، ومن هذه الإجراءات:

- نصب المقاييس لمناسيب مياه الأنهار:

نالت أرض السواد¹ حظاً وافراً من العناية في عهد العباسيين حيث عُنيت بالمراقبة الشديدة والمتابعة الدقيقة والإشراف المباشر على أعمال الري والزراعة بها ، كما اهتم الخلفاء بإقامة وتطوير وصيانة المشاريع الاروائية وتطهير ومراقبة السدود والأنهار والجداول؛ ومما يؤشر للاهتمام الواضح بأعمال الري هو "المقياس" الذي نصب على ضفتي نهر دجلة

¹ - أرض السواد: هي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات وقيل هي سميت بذلك الاسم لأن العرب حين جاؤوا نظروا إلى مثل الليل في النخل والشجرة والماء فسموه سوادا، وقال أبو عبيد " كان الأصمعي يتأول في سواد العراق انما سمي به للكثرة وأما أنا فأحسبه سمي بالسواد للخضرة التي في النخيل والشجر والزرع، لأن العرب قد ألحق لون الخضرة بالسواد فتوضع أحدهما موضع الآخر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، 272ص؛ الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص332.

لمراقبة وتسجيل منسوب المياه في مختلف المواسم، بالأخص في فترة الفيضانات، وكذلك المقاييس التي نصبت على نهر الفرات قرب مدينة الأنبار وعلى نهر ديالى¹؛ بلغ طول المقياس الذي نصب على دجلة من جانبيها خمس وعشرون ذراعاً، على كل ذراع علامة مدورة وعلى كل خمس أذرع علامة مربعة، مكتوب عليها بحديدة علامة الأذرع حتى يعرف بها قيمة الزيادات² (أنظر الملحق رقم 05، ص 385)، نقلت لنا المصادر مقاييس بعض الفيضانات³؛ فالدولة كانت تقوم بالرقابة الفعالة على جميع شؤون الموارد المائية لضمان الاستغلال الأمثل لها.

- حفر الأنهار والقنوات⁴ المائية:

بهدف إيصال الماء إلى أكبر مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة عمل العباسيون على حفر نهيرات وقنوات مائية من مجاري نهري دجلة والفرات وروافدهما شكلت بذلك شبكة إروائية تخترق أكثر بلاد العراق، وهذا ما جعل الري بها رياً دائماً، كما ساهمت الأمطار

¹- حميد رشيد رفيق، إدارة المشاريع الإروائية في العصر العباسي. وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999، ص 96.

²- ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 45.

³- انتهت زيادة دجلة سنة 237 هـ إحدى وعشرين ذراعاً وثلاث. ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 13، ص 72. وبلغت الزيادة سنة 310 هـ ثمانية عشر ذراعاً ونصف، وورد أنه انبثق بواسط سبعة عشر بثقا أكثرها ألف ذراع، وأصغرها مائة ذراع، الطبري، المصدر السابق، ج 11، ص 227. و زادت الدجلة ب 12 ذراعاً في فيضان سنة 315 هـ، ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 13، ص 315. كما بلغت زيادة الفرات اثني عشر ذراعاً وثلاثين سنة 316 هـ، المصدر نفسه، ج 13، ص 273. وبلغت الزيادة في ماء دجلة سنة 328 هـ تسعة عشر ذراعاً، والفرات 11 ذراعاً المصدر نفسه ج 13، ص 383. أما في سنة 329 هـ الفرات زادت 11 ذراعاً. المصدر نفسه، ج 13، ص 403.

⁴- القناة: هي آبار تحفر تحت الأرض، ويخرق بعضها الى بعض حتى تظهر على وجه الأرض كالنهر. الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 91.

والآبار والعيون في توفير الماء اللازم للسقي في المناطق البعيدة على الأنهار، تكررت مساهمة الخلفاء العباسيين في ترميم أو إقامة مشاريع إروائية جديدة خاصة بعد ما خربت.

وجه قاضي القضاة "أبو يوسف" نظره إلى أهمية حفر القنوات لترقية الزراعة وتطهير الترع والمحافظة عليها ومراقبة توزيع الماء بين أصحاب الأراضي،¹ وضرورة إسناد ذلك لعدد كبير من الأشخاص المختصين لبناء وصيانة ومراقبة أنظمة الري؛² لذا ليس عجبا أن نجد أن الإشراف على الموارد المائية وصيانتها قد توزع على عدد من الدواوين العباسية، منها "ديوان الخراج" فبالإضافة إلى أعماله الكثيرة الأخرى كان مسؤولا على الإنفاق على الموارد المائية وما يتصل بها من سدود وقناطر بوصفها القلب النابض لعملية الإرواء وأساس إدامة عملية الري، ومنها أيضا "ديوان الأكرة" الذي كان يشرف على بناء وإصلاح الترع والجسور وشؤون الري عامة،³ و"ديوان الماء" الذي كان يحتفظ فيه بما يملكه كل شخص من الماء وما يباع وما يشتري منه وطرق الري ووسائله في كل منطقة.⁴

حفر الخليفة المتوكل (247-232هـ/847-861م) النهر المعروف بالجعفري، وانفق عليه مبالغ ضخمة،⁵ عقد الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م) سنة

¹- أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت182): الخراج، دار المعرفة، لبنان، 1979، ص94.

²- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت255هـ): التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1994، ص62.

³- حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص318؛ خيون مطير راهي: مشاريع الري في العهد العباسي وعلاقتها بمشاريع الري الحديث، الجامعة المستنصرية، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999، ص80.

⁴- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (387هـ): مفتاح العلوم، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989، ص94.

⁵- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص212.

267هـ / 880م القناطر على الأنهار النابعة من "نهر جطي"، الواقع في شرق دجلة إزاء نهر يعرف باليهودي، الأمر الذي سهل إيصال مياه هذا النهر إلى الأراضي القريبة من دجلة من جهة الشرق لريها، أقدم أيضا على توسيع نهر جطي بقرب البصرة لإغلاق منافذ وصول الزنج إلى معسكر جيشه القريب من النهر، وفي نفس الوقت سهلت هذه التوسعة مع القناطر المعقودة على النهر تزويد الأراضي القريبة من هذا النهر بكمية وفيرة من المياه اللازمة لسقي أشجارها ومحاصيلها.¹

لم تكن لثورة الزنج سلبات فقط، إنما كان لها إيجابيات، فما قام به الموفق من إصلاحات إروائية كان لكسر نشاط الزوج، حيث أمر بإصلاح طرق ومسالك دجلة، و حفر آبار للماء في القرية الجعفرية التي كانت مقاما لعسكره أياما وليال طويلة في حرب الزوج، فتزود الناس من المياه واتسع العيش عليهم ودوابهم، وتخللت هذه الآبار المحدثه مزارع القرية وحقولها فرويت تربتها وزكت ثمارها.²

أمر المعتضد (289-279هـ/892-902م) بقلع صخرة كانت في فوهة نهر الدجيل تعيق دخول الماء فيه، وكلف ذلك أكثر من أربعة آلاف دينار تمت جبايتها من اصحاب الاقطاعات والضياح المنتفعة من مياه النهر،³ واعتنى معز الدولة بحفر القنوات والأنهار وتطهيرها من الرواسب التي تعيق جريان الماء فيها، فقد حفر صدر نهر الخالص لكي يسهل جريان الماء فيه، حيث جمع له المهندسون وعملوا له تعلية على الأراضي التي يمر بها بلغت عدة أذرع "وداس الجميع بالفيلة دوسا كثيرا حتى قوى واشتد وصلب وتلبد".⁴

¹ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص564.

² - الطبري، المصدر السابق، ج9، ص561.

³ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص46.

⁴ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص240.

تدهورت الشؤون الزراعية ووسائل الري حتى مجيء عضد الدولة سنة (367هـ/ 977م) الذي قام ببعض الإصلاحات تداركا للأوضاع المتردية في البلاد، ولاسيما إصلاح نظام الري بعد أن تعطل الكثير من الأنهار بسبب انسداد مجاريها ولم تصل مياهها إلى بغداد فشرب الناس المياه الثقيلة، وتكلفوا الذهاب إلى نهر دجلة لنقل الماء منه، فأمر بحفر عمدانها وإصلاح نواظمها وأعاد بناء القناطر المتهدمة، التي على نهر عيسى والخندق، وفي سنة 370هـ/ 979م أمر عضد الدولة إعمار القنطريتين العتيقة والجديدة المقامتين على نهر الصراة، بعد أن سقطتا نتيجة زيادة نهر الفرات، وأنفق عليهما كثيرا من الأموال وأحكم بنائهما.¹

سد البثوق:

أشرفت السلطة العباسية على سد البثوق لتدارك ما آلت إليه مشاريع الري والواقع الزراعي من تردّي، ففي سنة 327هـ/ 938م أنفق الراضي (322-329هـ/ 934-940م) من ماله الخاص لأجل سد البثوق الذي كان في نهر عيسى، والذي أثر على منسوب الماء فيه، وكلف راغب الخادم بالإشراف على هذه المهمة لأمانته وتمكن من إتمام هذه المهمة بعمل متواصل دام ما يزيد على خمسين يوما.²

تولى المتقي بالله (329-333هـ/ 940-944م) الإشراف بنفسه على سد بثوق النهرين وإصلاحه سنة 333هـ/ 944م وبوشر العمل فيه حتى اكتمل وصلى عليه، وعلى الرغم من الجهود والأموال التي بذلت، فإن العاملين لم يتمكنوا من السيطرة على البثوق، فلما انصرف

¹ - زبيدي محمد حسين: العراق في العصر البويهي التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية 334هـ- 447هـ/ 945م-1058م، دار النهضة العربية، مصر، 1970، ص117.

² - الصولي، أخبار الراضي، ص137-138.

الجند والعاملين عليه انهدم السكر وانفتح البثق، وعادت المياه تتدفق على الأراضي الزراعية فغمرتها مرة أخرى¹.

وفي نفس السنة خرج أمير الأمراء توزون إلى بثق نهر عيسى، ومعه عدد من قادته وانفق من ماله الخاص لسنده، وعلى الرغم مما بذله من جهد ومال، وقيامه على ذلك أياماً لم يتم العمل لعدم كفاية الأموال، فاجتهد للحصول عليها ولكنه لم يتمكن، فتدفق الماء بقوة فجرف ما تم انجازه من الجدار وهدمه².

أخذ معز الدولة البويهى (334هـ-356هـ) على نفسه قسماً أن يسد البثوق فقال: "وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة ألا أقدم شيئاً على ذلك (أي البثوق) ولو أنفقت فيه جميع ما أملك"³ وقد برّ بعهدده، ففي سنة 335هـ / 946م سد بثق نهر رفيل (نهر عيسى)، ونهر الروبانية فأصبحت بغداد فيما يروي "يعمها الرخاء وبيع الخبز كل عشرين رطل بدرهم، فأحب الناس حكم معز الدولة وأحبوا شخصيته"، غير أن بثوقاً أخرى حدثت ورافقها خلاء جديد للأراضي مما أدى لترك الزراعة وهجرة السكان من مناطق كانت أعمر المناطق بيد الخلافة⁴.

محاولة تحقيق الاستقرار المالي من خلال ضبط الاسعار والحد من غش العملة:

قامت الدولة العباسية بالعديد من الإجراءات لوضع حد لارتفاع الأسعار بهدف تلبية حاجيات الأفراد والحد من سخط العامة وانتفاضاتهم الناتجة عن الغلاء، ومن هذه الإجراءات:

¹ - المصدر نفسه، ص225.

² - الصولي، المصدر السابق، ص278.

³ - الطبري، المصدر السابق، ج11، ص362.

⁴ - أحمد سوسة، فيضانات بغداد عبر العصور، المرجع السابق، ج1، ص295.

تسعير¹ المواد الغذائية، بعد أن ضجت العامة من الغلاء سنة 308/ 920م وكسروا

المنابر فأمر الخليفة المقتدر

¹ - التَّسْعِيرُ لغة: من السَّعَرَ بالكسر، وهو الذي يقوم عليه الثمن وجمعه أسعار وقد أَسْعَرُوا وسَعَّرُوا بمعنى واحد: "اتفقوا على سعر"، والتسعير "تقدير السعر" ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص365. سَعَّرْتُ الشيء تَسْعِيرًا جعلت له سِعْرًا معلوما ينتهي إليه؛ الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشتاوي، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت)، ص277. تدخلت السلطة العباسية في تحديد أسعار المواد الغذائية الأساسية وذلك لمنع الارتفاع المستمر للأسعار، رغم حرمة استنادا إلى امتناع الرسول صلى الله عليه وسلم عن التسعير عندما طلب منه ذلك لغلاء السعر، وقوله: "إن الله هو القابض الباسط الرزاق المُسَعِّرُ، وإنني لأرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يطلبني أحد بظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال؛" الترميذي محمد بن عيسى بن أسوة (ت279هـ): سنن الترميذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابا الحلبي، مصر، 1975، ج2، ص741؛ ذهب الفقهاء إلى عدم جواز التسعير حال السعة إن لم يكن في بيعهم ضرر على عامة الناس وكان البيع على الوجه المعتاد. بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي. القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت620هـ): الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تحقيق: محمود محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت)، ج2، ص730. بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي. القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت620هـ): المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1997، ج4، ص164. عبر ابن قيم عن ذلك بقوله: "إذا كان الناس يبيعون سلعهم على وجه المعروف من غير ظلم، وقد ارتفع السعر إما لقلة الشيء، وإما لكثرة الخلق فهذا إلى الله، فالإزامهم بالبيع بقيمة معينة اكراه بغير حق". ابن قيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751هـ): الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، تح: نايف بن محمد بن أحمد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت)، مج1، ص198. اتفق العلماء على تحريم التسعير على أهل السوق إن لم يكن في بيعهم ضرر على عامة الناس، وكان البيع على الوجه المعتاد. وذلك في حالات محددة: كالأزمات والمجاعات والاضطرار إلى طعام الغير والاحتكار والحصار، وقد وصف ابن تيمية عملية التسعير بأنها صيانة لحقوق المسلمين فقال: "إن مصلحة الناس إن لم تتم إلا بالتسعير سعر عليهم تسعير عدل لا وكس فيه ولا شطط، وإذا اندفعت حاجتهم وتمت مصلحتهم بدونه لم يفعل"، فمثلا إذا احتاج الناس لصناعة ما كالفلاحة أو الخياطة أو ما شابه ذلك، فإن لولي الأمر (المحتسب) أن يجبر أهل هذه الصناعة على ما يحتاج إليه الناس من صناعاتهم، ويقدر لهم أجرة المثل، ولا يحق للصانع المطالبة بأكثر من ذل، حيث تعين عليه العمل وهذا

(295-320هـ/908-932م) بخفض سعر الدقيق حيث نقص في كل كر خمسة دنانير، فاشتد الأمر على الناس فرفعت الدولة التسعير وعادت الأسعار إلى الانخفاض،¹ وفي عام 324هـ/935م شغب العامة لغلاء الأسعار وتحاربوا مع الجند، حاولت الدولة معالجة الأمر عن طريق التَّسْعِير، فسَعَرَت المَكوك من الدقيق بثلاثة دراهم للرفق بهم فما نفع ذلك، فسمحت أن يتعامل الناس بالغليظ من الدراهم أي الرديئة،² في شهر رمضان من سنة 373هـ/983م زادت الأسعار زيادة مفرطة وضج الناس وكسروا منابر الجوامع، فسُعِرَ الخبز كل ثمانية أرطال بدرهم، وألزم الجميع بهذا السِعْر ثم تناقصت الأسعار في ذي الحجة.³

يبرز هنا دور المحتسب، فمن واجبه أن يمنع الاحتكار، وإن يجبر من إحتكر شيئاً من قوت المسلمين أن يبيعه، مع مراعات الأوقات والأصناف، حيث لا يجب عليه إلا في الأصناف التي قال العلماء بعدم جواز الاحتكار فيها كاللحم والفاكهة وغيرها، وأما من حيث الأوقات فإن الاحتكار يحسب بحسب الوقت؛ حيث يكون محرماً كوقت المجاعة والجذب وفي هذا الوقت يكون التحريم عاماً، وقد يشمل لا يشمل في وقت السعة، وأما في باقي الأوقات خاصة وقت توفر السلع والبدايل فيرجع للحكم الأصلي بالكراهة في بعض الإباحة في البعض، فعلى المحتسب أن يراعي ذلك كله،⁴ فلا بد أن يكون لديه علم بما يوجد في

هو التسعير الواجب. الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الصري (ت459هـ): الحاوي الكبير، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ج5، ص409؛ ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ): الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، لبنان، ص22.

¹ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج11، ص216.

² - الصولي، المصدر السابق، ص71.

³ - ابن الجوزي، المصدر السابق، ج14، ص302.

⁴ - ابن الإخوة محمد إبراهيم شمس الدين (ت729هـ): معالم القرية في طلب الحسبة، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، (د.ت)، ص74-75.

البلد من طعام ومقداره، ومكان تخزينه حتى يتمكن من معرفة المحتكر، ومعرفة إذا ما حدث شح في الطعام وهل هو سبب نقص فعلي في المؤونة أم بسبب احتكار أحد التجار.¹

كثيرا ما عملت الدولة على تسهيل نقل المواد الغذائية وتوفيرها خاصة من المناطق التي لم تعاني من الغلاء والمجاعات، فأثناء الصراع بين الخليفة المستعين بالله والجند الأتراك سنة 251هـ / 865م، بعث أبو أحمد بن المتوكل إلى بغداد خمس سفن محملة بالدقيق والمواد الغذائية،² وفي سنة 324هـ / 935م وجه الحسن بن عبد الله الحمداني بمائة كر دقيقا لتفرق بسامراء وبغداد على الأشراف والضعفاء، كما وصلت من الموصل سفن بها سلع فانخفض السعر.³

تقلد أبو عبد الله البريدي وزارة المتقي بالله سنة 329هـ / 940م فقبض زمام الأمور وتعسف فهرب جماعة من الأتراك من واسط وبغداد إلى الموصل، وفي أثناء صعودهم أغرقوا زوارق الدقيق التي كانت منحدرة نحو بغداد،⁴ طلب الخليفة المقتدر بالله من الأمير ناصر الدولة الحمداني سنة 330هـ / 941م أن يرسل دقيقا إلى بغداد بسبب ارتفاع الأسعار فلما وصلت السفن صلح السعر.⁵

¹- عبد الرحمان نصر هاشم التتر: ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة (132-656هـ / 750-1258م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015، ص 68.

²- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص174.

³- الصولي، المصدر السابق، ص76.

⁴- الصولي، المصدر السابق، ص201.

⁵- المصدر نفسه، ص225-226.

استجد ابن شيراز سنة 334هـ / 945م بناصر الدولة أن يحمل إليه المال والطعام مقابل أن يرد الإمارة إليه، فحمل إليه دقيقا وسفاتج بخمسائة ألف درهم،¹ في سنة 377هـ / 987م ارتفعت الأسعار فحُملت الأقوات إلى بغداد من بلاد فارس وجميع البلدان²

كما اعتمدت الخلافة في توفير الغذاء أثناء الأزمات الغذائية على الغلات التي كانت ترسل من مختلف الأقاليم إلى جانب أموال الخراج كما استغلت الغلات التي كان يرسلها الضامنين، فقد كان عقد الضمان يتضمن إرسال غلات عينية إلى جانب الأموال، على سبيل المثال لا الحصر أن الفضل بن سهل وزير المأمون باع من غلات السواد لتجار بغداد،³ كما قام الوزير ابن الفرات ببيع ثلاثين ألف كر من غلات السواد للتجار وطالبهم بتعجيل دفع المال في ثلاثة أيام،⁴ .

منعت الدولة سك النقود المزيفة وترويجها وحصرت أمر إصدارها بها، وبذلك منعت أي شخص من أن ينشأ دار ضرب للعملة، وكانت تعاقب كل من يخالف هذا القرار، ففي سنة (229هـ / 940م) عوقب شخص لاتخاذ دار لضرب الدراهم المزيفة، فضرب وحمل على جمل وشهر به في جانبي بغداد.⁵

كانت السلطة العباسية لا تقبل العملة المزيفة في الجبايات المختلفة، وكانت تعيد سك ما وجد منها في بيت المال من جديد، وفق المعايير الرسمية فضلا عن مراقبة المزيفين

¹ - ابن مسكويه، المصدر السابق، ج6، ص112.

² - مسكويه، المصدر السابق، ج7، ص165.

³ - الجهشيارى، المصدر السابق، ص319.

⁴ - الصابي، الوزراء، المصدر السابق، ص237.

⁵ - الصولي، المصدر السابق، ص148.

والمروجين للعملة المزيفة، وذلك بالاعتماد على من لهم القدرة على الكشف عن النقود المزيفة، اعتمدت كذلك على المحتسب.¹

الإنذار الشديد بالوعظ والتخويف وإيضاح التعليمات وبيان ما ينكره الاسلام من الغش والزيف في المسكوكات وغيرها من المعاملات.²

إرسال أوامر وتحذيرات لأصحاب الرأي؛ حيث ورد في عهد من الخليفة المطيع إلى الأمير ناصر الدولة الحمداني سنة 366هـ/976م: "وإلى ولاية العيار بتصفية عين درهم والدينار من كل خبث وتخليصها من كل غش ودنس، وضربهما على الامام (العيار) الذي يضرب عليه العين والورق بمدينة السلام، ومنع التجار الذين يوردون الذهب والفضة إلى دور الضرب من تجاوز ذلك وتعيده، وعقوبة من يخالف بما يوجب جرمه ويقتضيه".³

وجاء في عهد الطائع بالله إلى الأمير البويهى فخر الدولة سنة 366هـ/976م " وإلى والي العيار بتخليص عين الدينار والدرهم ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والتهديب من اللبس وبحراسة السكك أن تتناولها الأيدي المدغلة..⁴

الضرب والتشهير وهي من العقوبات البدنية التي أوقعها ولاية الأمر عند قبض المزيف الذي لم تردعه الإجراءات السابقة، ونقل الصولي أخبار عن رجل عوقب بالضرب سنة 328هـ/936م لارتكابه جريمة زيف العملة.⁵

¹ - ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي ، أسرار دور الضرب، المرجع السابق، ص1237.

² - الزهراني، زيف النقود، المرجع السابق، ص90.

³ - القلقشندي، المصدر السابق، ج، 10 ص41.

⁴ - ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار

الوكن العربي، الع11، (د.ت)، ص1235.

⁵ - الصولي، المصدر السابق، ص148.

وقد يصاحب الضرب حلق الرأس والتشهير بالمزيف، ذكر ذلك ابن العربي وقال: "بأنه يحمل المزيف على دابة وينادى بصوت عالي: هذا جزاء من يقطع الدراهم"¹، كما تم تطبيق حكم القتل، حيث أن الدولة الإسلامية لم تطبقه إلا بعد فشل جميع الإجراءات السابقة، ومن أمثلة ذلك أن معز الدولة البويهى أمر بقتل رجل من الأهواز لضربه مسكوكات رديئة.²

حرص السلطة على إدارة الأزمات المالية

لجأت السلطة في كثير من الأحيان لإيجاد حلول للأزمات المالية التي تعرضت لها الخلافة وكثرا ما عمل الخلفاء على خلق نوع من الموازنة بين الإيرادات والنفقات وذلك بتباع مجموعة من التدابير والإجراءات ذات الطبيعة الاقتصادية من بينها:

• اللجوء لبيت مال الخاصة:

اعتبر بيت مال الخاصة³ بمثابة الخزينة الاحتياطية للدولة التي تدخر فيها الأموال الفائضة عن حاجة الدولة في سنوات الرخاء لتستخدم في أوقات الأزمات وسنوات العجز المالي، كانت الدولة تلجأ في أوقات الأزمات المالية لبيت مال الخاصة، إلا أن هذه الحالات تعد قليلة وفي السنوات التي لا يتوفر فيها احتياطي مالي كاف لأسباب أدت لانقطاع أو

¹ - ابن العربي، المصدر السابق، ج 3، ص 25.

² - ضيف الله يجيى الزهراني: زيف النقود الإسلامية، المرجع السابق، ص 93.

³ - بيت مال الخاصة: هو بيت مال الخليفة؛ شكل مؤسسة مستقل بذاتها لها مواردها ومصروفاتها وعن الأموال التي تحمل إليه هي: الأموال المختلفة التي يتركها الآباء لأبنائهم ، مال الضياع الخاصة بالخلفاء، وبعض أموال المصادرات، بعض أموال الجزية، كان الخلفاء ينفقون من مال بيت المال الخاصة على الحج، وفي تجهيز الحملات الحربية التي توجه على الحدود... كما كان يستعان بها لسد بعض النفقات إذا قلت إيرادات بين المال العام. عبد الله جمعان سعيد السعدي: النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية والمقارنة بالأنظمة الوضعية الحديثة 132هـ - 232هـ / 749م - 847م، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1989، ص 382.

تراجع وارداته،¹ فمثلا عندما ضاقت الأمور في عهد المقتدر (320-295هـ/908-932م) بسبب مطالبة القواد والجنود بأموالهم وأرزاقهم وحدث شغب بينهم اضطر المقتدر إلى إخراج خمسمائة ألف دينار من بيت مال الخاصة لإنهاء الأزمة.²

• بيع أملاك الدولة:

لجأت السلطة في بعض الأحيان لبيع الضياع والعقارات وما في الخزائن من النفائس والأمتعة الثمينة والهدايا، وبيع آنية الذهب والفضة، أو كسرها وسكها نقود،³ فبعد التدهور الكبير الذي حصل في العصر العباسي الثاني وما بعده ونتيجة للتدخلات الأجنبية في شؤون الحكم ومن ثم سيطرتها على مقدرات الدولة الاقتصادية؛ اضطر الخلفاء إلى بيع أملاكهم الخاصة بل وحتى ملابسهم في بعض الأحيان، فقد باع المقتدر بالله (-295 320هـ/908-932م) الأملاك العامة من الضياع والمستغلات التي كان قد أقطعها للناس، واضطر لإخراج الكسوة وغيرها من الخزائن وذلك بعد أن عجز عن دفع مال البيعة،⁴ وفي سنة 319هـ/ 931م اشتدت الضائقة المالية وكثرت النفقات فاضطر الوزير الحسن بن القاسم إلى بيع ضياع بمبلغ (500) ألف دينار واستلف جزءا من أموال الخراج لسنة (320هـ/ 932م) قبل افتتاحها.⁵

ونتيجة لاستمرار الأزمة المالية إلى عهد القاهر (322-320هـ/932-934م) فقد اضطر إلى بيع العديد من الضياع الخاصة وبعض الأملاك الأخرى، كما باع وزيره ابن مقلة أحد مقرات الوزارة وبعض الأملاك والضياع السلطانية لإيفاء مستحقات التجار من الديون.⁶

¹ - سليم أبو طالب: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الاسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الاشعاع، 1999، ص323.

² - نايف محمد شبيب المتيوتي: اجراءات الدولة الاسلامية في معالجة الأزمات المالية في العصر العباسي، المكتبة الشاملة الذهبية، (د.ت)، ص5.

³ - كسابية حسين فلاح: المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين) ، جامعة مؤتة، 1992، ص78.

⁴ - مسكويه، المصدر السابق، ج5، ص264.

⁵ - المصدر نفسه، ج5، ص307.

⁶ - نايف محمد شبيب المتيوتي، المرجع السابق، ص6.

• بقيت أموال الضياع السلطانية تسد العجز المالي في خزانة الدولة، إلى أن استولى الأمير البويهى معز الدولة على أمور الدولة ومالياتها، واستولى على بيت مال الخاصة وأملاك الخليفة العباسي، وباستلائه على بيت مال الخاصة والضياع السلطانية، حرمت الدولة مصدرًا من مصادر إيراداتها الذي كان يقدم لها المساعدة المالية في أوقات الأزمات المالية.¹

• اعتماد سياسة المصادرة:

لم يشهد العصر العباسي الأول ظاهرة المصادرات إلا بصورة متفرقة ولأسباب سياسية وشخصية، كان الهدف منها الحيلولة دون وقوع الفساد، وجمع العمال والموظفين الأموال بطرق غير مشروعة وضمان حقوق بيت المال والمجتمع.²

توسع الخلفاء العباسيين في سياسة المصادرات خاصة خلال العصر العباسي الثاني؛ وذلك لسد الاحتياجات المالية المتزايدة، فقد تطورت هذه المصادرات من حيث الأسباب والدوافع والمظاهر ولم تقتصر أسبابها على العوامل السياسية والشخصية، فأضيفت إليها الأسباب المالية التي جاءت نتيجة العجز في بيت المال، لم تكن المصادرة العائدة لهذه الأسباب منتشرة خلال العصر العباسي الأول نظرا للوضع المستقر لبيت المال في تلك الفترة، عدا بعض الفترات التي عانت من الأزمات المالية.³

¹ - نايف محمد شبيب المتيوتي، المرجع السابق، ص7.

² - محمد تحسين حميد: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، دار ومكتبة عدنان، العراق، 2015، ص22.

³ - محمد تركي محمد شنطاوي: المصادرات في العصر العباسي 132-334هـ / 750-945م، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1994، ص46.

وفرت المصادرات في كثير من الأحيان لبيت المال دخلا ماليا خاصة خلال الأزمات حيث لجأت الدولة إليها كأسلوب لسحب الأموال من الأهالي، وتغطية العجز في بيت المال وسد النفقات المترتبة¹، إلا أنها تركت أثارا سلبية على الأوضاع الاقتصادية.²

• الاقتراض: لابد من الإشارة إلى أن الاقتراض كان آخر الحلول التي لجأت إليها السلطة العباسية لمواجهة الأزمات أي كان يسبق عملية الاقتراض اجراءات عدة كبيع الضياع السلطانية والأموال العامة، وغيرها من الاجراءات سابقة الذكر لجأت الدولة لهذا الإجراء أول مرة في أعقاب الفتنة بين الأمين والمأمون وحصول الضائقة المالية سنة (198هـ/ 813م) وذلك لدفع رواتب الجند، فاقترض المأمون من التجار والصرافين والموسورين عشرة ملايين درهم.³

ثم توالى القروض كلما مرت الدولة بأزمة مالية، لكن يجب الاعتراف أن مسألة الاقتراض وإن كانت حلا مؤقتا للأزمات؛ كانت من أخطر الإجراءات التي اتخذتها الدولة العباسية لأنها أفقدت هيبة الدولة، كما أنها في كثير من الأحيان لم يكن لديها ما تسد به هذه النفقات، مما أدى إلى انعدام الثقة بين الناس والسلطة، فقد لجأ الوزير ابن الفرات أثناء وزارته الأولى (296- 299هـ / 908-911م) إلى الجهابذة لحل الضائقة المالية التي واجهت الدولة آنذاك، إذ طلب من جهبذ الأحواز "يوسف بن فنحاس" أن يقرضه الأموال كم أجل دفع رواتب موظفي بعض الدواوين، وقد لبى الجهبذ طلبه ومده بالمال اللازم لها.⁴

جهود الخلفاء لحماية السوق وتوفير سبل الأمن والأمان في الطرق التجارية البرية والبحرية وطرق الحج:

¹-المرجع نفسه، ص252.

²-انظر المبحث03، الفصل04، ص334-339.

³-اليقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، المصدر السابق، ص107.

⁴-الصابي، المصدر السابق، ص198.

يعد السوق مركزا لاستقطاب التجارة ، إذ يعد العنصر الأساسي في رخاء المدينة، وازدهارها الاقتصادي ورفاهها الاجتماعي، ومن هنا كان الاهتمام بالسوق أمرا ضروريا لإظهاره بالشكل اللائق بمكانة المدينة من النواحي الجمالية والتنظيمية.¹

ركزت السلطة العباسية على عمارة الأسواق وترميمها ورصد المبالغ الضرورية لتهيئتها وترميمها؛ حتى قيل عن بعض الأسواق أنها أسواق عامرة، وإلى جانب الإدارة المحلية كانت هناك مبادرات أصحاب المصالح والدكاكين في الاعتناء بالأسواق، كما اهتمت الدولة بصغار الباعة الذين كانوا يفتشون الأرض لعرض سلعهم وبضائعهم ولعدم قدرتهم على استئجار الحوانيت في الأسواق، فقد كانوا أكثر المتضررين مما تعرض له السوق من نهب.²

لا يمكن أن نهمل في هذا المقام المجهودات المبذولة من طرف الخلفاء العباسيين لوضع حد لهؤلاء المتمردين وخلق وسط آمن، مما أدى لانسياب التجارات مع مختلف دول العالم، ما جعلها تحتل المركز الاول في التجارة الدولية آنذاك رغم ما عاشته من اضطرابات سياسية.

قام محمد بن الفضل بن ماهان في عهد المعتصم (227-218 هـ/833-842م) بالسير في سبعين سفينة إلى ميد الهند فقتل منهم خلقا كثيرا، وافتتح منطقة فالي ورجع إلى سند، وقام المتوكل (247-232 هـ/847-861م) بمكافحة خطر القراصنة في المحيط الهندي من

¹-إلهام هاني نعمة: الأسواق في المشرق الإسلامي والنشاط الاقتصادي والتجاري من العصر العباسي إلى الغزو المغولي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2017، ص 43.

²- المرجع نفسه، ص 42.

خلال إرسال حملة بقيادة ابراهيم بن هشام إلى مدينة شرسب، وهي إحدى المدن الساحلية في السند للاستلاء عليها، ولتأمين الطريق البحري إلى الهند¹.

ومن جهود الدولة العباسية أيضا أنه تم إنشاء مجموعة من الخشبات بالقرب من ميناء عدن، وذلك لتحذير السفن من ضحالة الماء في تلك المنطقة وخصوصا في وقت الجزر، وتم استغلال هذه الخشبة أيضا في مراقبة حركة السفن التجارية ورصد سفن القراصنة لتتبيه السفن منها².

قام أهل البصرة سنة 300هـ / 912م بتوجيه حملة لضرب قراصنة البحرين الذين كانوا يشكلون خطرا على الطريق التجاري ما بين العراق والصين، إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق النصر عليهم³، ويعود ذلك لقوة القراصنة في تلك الفترة، وثانيهما قلة خبرة أهل البصرة في التعامل مع مثل هذه القوة من القراصنة، وتكشف هذه الحادثة مدى ضجر أهل البصرة الذين يعتمدون بشكل كبير على التجارة البحرية مع مختلف البلدان، ولهم علاقات تجارية وثيقة مع كثير من الموانئ، ومن جهة أخرى تبرز هذه الحادثة غياب دور الدولة خلال هذه الفترة والاكتفاء بالسماح لأهل البصرة في الخروج لمقاومتهم، مما يبين مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة العباسية مقارنة بالدور الذي لعبته في العصر العباسي الأول وذلك لانشغالها بمكافحة ثورة الزنج والقرامطة⁴.

نتيجة النشاط التجاري الخارجي حرصت الدولة على توفير الحماية اللازمة للتجار فشيّدوا الفنادق والخانات التي تخدم هذا النشاط، وهو ما أكده ابن حوقل بقوله أنه وجد:

¹ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص316.

² - الرشدي بدر دحيم عبد الله: أثر القرصنة في العلاقات التجارية بين موانئ الخليج العربي وشرق آسيا، مجلة وقائع تاريخية، الع21، 2014، ص62.

³ - طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرون الوسطى دراسة سياسية حضارية 1-789هـ/ 622هـ-1368م، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1980، ص203.

⁴ - الرشدي بدر دحيم عبد الله، المرجع السابق، ص 63.

خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات... للبيع والشرء فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارات، وكل فندق منها لا يضاهى أكابر الأسواق ذوي جنسه ويسكن هذه الفنادق أهل السيار ممن في ذلك الطريق من التجارة وأهل البضائع الكبار والأموال الغزار ولغير المياسر فنادق وخانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصناعات.¹

كان بالموصل فنادق وخانات للتجار الذين يتخذونها محطة من محطات الراحة، أو الذين جاؤوا من بلد آخر لمدة معلومة يزاولون التجارة ثم يعودون إلى بلادهم، حيث وصف المقدسي ذلك بقوله: "بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء كبير الاسم، قديم الرسم حسن الأسواق والفنادق".²

و لتسهيل سبل التجارة أقاموا الآبار والمحطات في الطرق القوافل، وأنشأوا المنابر في الثغور وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من غارات لصوص البحار، وكان لذلك أثر بعيد في نشاط التجارة الداخلية والخارجية.³

كانت هناك محطات تأمينية لحراسة طرق التجارة النهرية، أشار إليها ابن رسته في سياق حديثه عن الطريق من بغداد إلى البصرة، بقوله "وبالحوانيت أصحاب السيارة، والمآصر من قبل السلطان"،⁴ ففي هذه الحوانيت قوم يحرسون هذه الطرق وكان في كل حانوت خمسة رجال، وهي شبيهة ببيت النحل وليس لها شبابيك، وهذا إن دل فإنه يدل على يقظة الحكومة وحرصها في المحافظة على الأمن، وحرصها على تشجيع العمليات التجارية والعمل على تأمينها وتشجيعها، هذا إضافة إلى بيوت من القصب في الأماكن اليابسة

¹ - ابن حوقل، المصدر السابق، ص228-229.

² - المقدسي، المصدر السابق، ص138.

³ - عبد الحكيم غنتاب الكعبي: العوامل المؤثرة في نمو وتطور تجارة البصرة من القرن 1-3هـ/ 7-9م، مجلة دراسات البصرة، العدد19، السنة 10، 2015، ص174.

⁴ - ابن رسته، المصدر السابق، ج7، ص161.

الموجودة بين الممرات المائية في البطائح، يكون فيها حراس لضمان سلامة المواصلات ومن فيها، وما تحمله من سلع ومنتجات¹.

كما عملت الحكومات المتتالية في الخلافة العباسية على تأديب الأعراب الذين قد تسول لهم أنفسهم العبث بحرية التجارة وانتقال التجار، مثال ذلك إرسال قوات عسكرية سنة 230هـ/845م إلى أعراب بني سليم عندما أفسدوا أسواق الحجاز لتأديبهم ومحاربة المعتضد أعراب بني شيبان لنفس السبب².

كان للمحتسب مساهمة فعالة في مراقبة السفن التجارية لضمان السير الحسن لرحلة التجارية، حيث يراقب المراكب قبل شحنها وله أن يتصدى لربابيتها ورؤسائها، يقول الماوردي: "للمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه ويخاف من غرقها وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الرياح"، وللمحتسب نواب يلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة³، كما شدد ابن الإخوة على دور المحتسب في ذلك بقوله: "يؤخذ على أصحاب السفن والمراكب ألا يحملوها فوق العادة خوف الغرق، وكذلك يمنعهم من السير وقت هبوب الرياح واشتدادها..."⁴.

كان تأمين طريق الحج من جملة اهتمامات السلطة وذلك لما كان يدره الحج من منافع مادية إلى جانب كونه من الشعائر الدينية، فرغم مشاركة الخلفاء العباسيين الذين جاءوا بعد هارون الرشيد (193-170هـ/786-809م) في تقديم بعض الأعمال المختلفة في سبيل خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها، إلا أن هذه الجهود لم تكن من الضخامة والكثرة بحيث تقارن بما قدم في الفترة الأولى من حكم الخلفاء العباسيين، فمن قدم خدمات لطريق الحج

¹ -الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المصدر السابق، ص166.

² - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص81.

³ - الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص337.

⁴ - ابن الإخوة، المصدر السابق، ص230.

بعد هارون الرشيد ابنه المأمون (218-198هـ/813-833م)، حيث قام بوضع قياس للطريق الكوفي منذ خروجه من بغداد حتى انتهائه بمكة المكرمة، حيث يقول البيروني: "وقد وجه المأمون من ذرع الطريق فوجده بالأميال (810) ميلاً".¹

لاشك أن للمأمون (218-198هـ/813-833م) أهداف من هذا القياس، يرغب من خلالها تقديم خدمات لهذا الطريق، ولا نستبعد بهذا أنه جدد المنارات والأعلام التي تساعد المسافرين على السير عبر الطريق بدقة، ويبدو أنه قد رأى فيما قدمه سابقوه من الخلفاء من خدمات للطريق كافية للقيام بحاجات المسافرين عبره، خاصة وأننا نجد أن له اهتمامات في العمل الخيري الذي يصب في مصلحة الحجاج، ومن ذلك ما كان يأمر به أمراء الحج من تقديم خدمات كل سنة للحجاج في نواحي عديدة من مكة.²

أمر الخليفة المتوكل على الله (247-232هـ/847-861م) في سنة 240هـ بإضاءة طريق الحج العراقي بالشمع وكان الركب يحمل من وقود الزيت فينيره بإضاءة الشمع،³ كما قام بعدة انجازات عمرانية حيث حفر ثلاثة آبار وفي الطريق بين مكة والمدينة قام بحفر خمسين بئراً في السقيا، فخرج مأوها عذبا، مما أفاد السالكين لهذا الطريق وأبعد عنهم خطر العطش الذي كانوا يتعرضون إليه.⁴

عُرف عهد المقتدر بالله (320-295هـ/908-932م) بكثرة نفقاته على طريق الحج والمدينتين المقدستين مكة والمدينة، حيث كان ينفق ما يقارب 315000 دينار سنويا في هذا الجانب، ورغم أن المصادر لم تزودنا بالأعمال الدقيقة التي قام بها هذا الخليفة في طريق

¹ -ريم بنت فهد السابح: جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها (132-656هـ / 749-1258م)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، العدد 2، المجلد 11، 2017، ص830.

² - سليمان عبد الغني مالكي، المرجع السابق، ص241.

³ - المرجع نفسه، ص17.

⁴ - ريم بنت فهد السابح، المرجع السابق، ص380.

الحج العراقية إلا أن نقشا أثريا، عثر عليها يشير إلى وجود إصلاحات حدثت في عهده لطريق الحج الكوفي.¹

ومن الملاحظ أن الخدمات توقفت بعد هذه السنة فلم تذكر كتب التاريخ أن الخدمات قدمت للحجاج سوى ما قام به عضد الدولة سنة 369هـ/980م من إصلاح طريق الحج العراقي، وتقديم الأعطيات للأعراب القاطنين فيه وطلب إعادة حفر الآبار من أجل سقيا الحجاج، ولعل السبب الرئيسي هو ضعف الخلفاء العباسيين وتفتت الدولة وانقسامها، بالإضافة إلى ثورة الزنج وظهور حركات القرامطة التي هددت طريق الحج²، يذكر ابن مسكويه في هذا الصدد: "ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجري عليهم من القبائح وجذوب العسف، وأقيمت لهم السواقي في مناهل الطريق وحفرت الآبار واستفيضت الينابيع".³

لم تقف الجهود المبذولة والعناية في طريق الحج على الخلفاء بل أسهمت نساء البيت العباسي في توفير الخدمات وتقديم بعض الأعمال الخيرية منهن: السيدة زبيدة ابنة أبي جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد، حيث حجت سنة 208هـ/824م وأمرت بحفر الآبار وبناء البرك على طول طريق الحج لتجمع مياه الأمطار في هذه البرك من أجل الاستفادة منها في سقي الحجاج، حيث يصف ابن الجبير عظم أعمال السيدة زبيدة على طريق الحج فيقول: "وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل من بغداد إلى مكة هي آثار زبيدة بنت جعفر أبي المنصور زوج هارون الرشيد وابنة عمه، انتدبت ذلك مدة حياتها فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في

¹ - سعد الراشد: درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (دراسة حضارية أثرية)، ط1، دار الوطن، الرياض، 1993، ص57.

² - سليمان عبد الغني مالكي، المرجع السابق، ص17.

³ - مسكويه، المصدر السابق، ج 6، ص 457.

ذلك لما سلكت هذا الطريق والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها"، (أنظر الملحق رقم 07، ص387)¹ وتأتي خالصة (خادمة الخيزران) الشخصية الثانية بعد زبيدة في عمارة طريق الحج ومن أعمالها أنها عملت قباب وخزانات للماء في كل محطة.²

¹ - ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت614هـ): رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة ولمناسك المعروف برحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، 1979، ص185.

² - ريم بنت فهد السابح، المرجع السابق، ص845.

الخاتمة

الخاتمة:

• في سياق البحث في الإشكالية المحورية حول أي العاملين كان أشد تأثيراً في صياغة الوضع الاقتصادي للدولة العباسية، تبدو ضرورة فهم طبيعة المؤثرات خطوة أساسية لفك التشابك بين آثارها، فالعوامل السياسية لم تكن مجرد أحداث ظرفية؛ بل كانت قوة موجهة للبنية الاقتصادية تتحكم في استقرار الدولة وقدرتها على إدارة مواردها وتنشيط حركة التجارة ووحدّة السوق، وفي المقابل شكلت الكوارث الطبيعية عنصراً مفاجئاً وغير متوقع يستهدف النشاط الاقتصادي القائم على الزراعة ويربك بقية الأنشطة الاقتصادية كما يؤدي لارتفاع الأسعار، ومن خلال التفاعل بين هاذين البعدين -الإنساني متمثلاً في السلطة وإدارتها والطبيعي متمثلاً في البيئة وتقلباتها- اتضح أن الاقتصاد العباسي كان يدخل مرحلة هشاشة كلما تراكمت الأزمات وتشابكت آثارها، بينما يستعيد قوته كلما وجد الاستقرار السياسي وتوفرت إدارة رشيدة قادرة على مواجهة التحديات الطبيعية، ومن هذا يتبين أن صياغة الخريطة الاقتصادية العباسية لم تكن وليدة عامل واحد بل ثمرة تقاطع قوى سياسية وطبيعية ساهمت بدرجات متفاوتة في صعوده وتراجع.

• باستقراء ما تعرضت له الخلافة العباسية من اضطرابات سياسية وكوارث طبيعية وما خلفته من آثار اقتصادية، يظهر أن الاضطرابات السياسية كانت العامل الأكثر تأثيراً وعمقا في إضعاف البنية الاقتصادية؛ ذلك أنها شكلت الإطار العام الذي تضاعفت داخله آثار الكوارث الطبيعية، فalcجز عن بسط الأمن وضعف الإدارة المركزية وتفكك سلطة الدولة على الأقاليم كلها عوامل جعلت المجتمع والاقتصاد العباسي أكثر هشاشة أمام الأزمات البيئية، وبمعنى آخر فإن الكوارث الطبيعية لم تكن لتفرز تداعيات خطيرة لولا غياب آليات الدولة القادرة على احتوائها والتخفيف من نتائجها، ومن هنا يمكن القول أن الأزمة الاقتصادية العباسية كانت في جوهرها أزمة سياسية أولاً، ثم بيئية في سياق متأزم أصلاً إذ إن السياسة الضعيفة جعلت كل كارثة طبيعية تتحول إلى أزمة اقتصادية شاملة.

• يرجع ترجيح تأثير العامل السياسي على العامل الطبيعي في تشكيل الواقع الاقتصادي للدولة العباسية إلى أن الاقتصاد في تلك الفترة كان يعتمد اعتمادا كبيرا على قوة الدولة وقدرتها التنظيمية، فحين كانت السلطة المركزية قوية استطاعت مواجهة الفيضانات والأوبئة وإصلاح شبكات الري، فظل الانتاج مستقرا والأسواق نشطة، أما عندما تفككت السلطة وتعددت مراكز النفوذ، وغابت الإدارة الفعّالة وضعفت البنى التحتية الزراعية والتجارية، فتحولت الكوارث الطبيعية من أحداث عابرة إلى أزمات شاملة تهدد الاستقرار المالي والنشاط الاقتصادي، وهكذا فإن ضعف الدولة هو الذي سمح للعوامل الطبيعية بأن تتطور من ظواهر ظرفية إلى عوامل هدامة أفقدت الاقتصاد العباسي توازنه ومكامن قوته.

• شهدت الخلافة العباسية اضطرابات سياسية متكررة نتيجة مجموعة من العوامل المتشابكة أبرزها ضعف السلطة وسيطرة العناصر الأجنبية على الخلافة، ظهور حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية و سياسية ودينية...، تدهور الجهاز الإداري نتيجة الفساد والصراع على المناصب العليا، كما ساهم الصراع على المناطق الحدودية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية في إرباك الاستقرار السياسي.

• اعتبرت قضية ولاية العهد والسيطرة على مؤسسة الخلافة من أبرز القضايا التي أحدثت الشقاق والصراع بين أفراد البيت العباسي، وذلك لغياب نظام موحد لتعيين ولي العهد، فعادة ما خضع ذلك لاعتبارات شخصية وعصبية (النسب والأصل)، وما وزاد الأمر سوءا تدخل الأطراف الخارجية من وزراء وأمّهات الخلفاء وعناصر متسلطة في تأجيج الصراع، فتراجعت مكانة ولاية العهد لدى الخلفاء العباسيين حتى غاب أثرها ولم يعد لها دور في تعيين الخليفة، إذ كان ذلك التراجع نتيجة تسلط الأتراك ومن بعدهم بني بويه على الحياة السياسية في الدولة، انعكست هذه الفوضى بطريقة مباشرة على الجانب الاقتصادي فحولت الدولة مواردها من البناء الاقتصادي إلى صراعات السلطة؛ إذ استنزفت الخزينة العامة وموارد الدولة في دفع الجيوش لمواجهة النزاعات الداخلية القائمة خاصة بين الاخوة، كما ارتفعت النفقات

العسكرية على حساب المشاريع الانتاجية والزراعية، فولاية العهد إذن لم تكن مجرد نزاع سياسي على الحكم، بل كانت سببا اساسيا في ضعف الأداء الاقتصادي للدولة العباسية

• شكلت الحركات الاجتماعية أحد طرق التعبير لدى العامة عن رفضهم لما يعيشونه من أوضاع مضطربة، و الأذى الذي يتعرضون إليه من طرف رجال السلطة والمسؤولين أو من أفراد العامة أنفسهم، فقد ساهم التناقض في المصالح والتباعد الطبقي لظهور صراع بين أفراد الطبقتين الخاصة والعامة أو الصراع بين الفئات المكونة للطبقة الواحدة، فحركة أفراد العامة ليس عفوية إنما هي وليدة للظروف المحيطة بها؛ فلا بد لأي فرد في إطار اجتماعي أن يتحرك سلبا أو إيجابا، ساخطا أو راضٍ، انعكس هذا السخط على الاستقرار السياسي للخلافة، إذ أدت الحركات الاجتماعية إلى تعطيل الانتاج خاصة الزراعة، إذ اضطر الفلاحون لترك أراضيهم نتيجة ما لاقوه من معاملة سيئة من الجباة وما طبق عليهم من أنظمة زراعية تعسفية مما أدى لإهمال الأرض و انخفاض الانتاج الزراعي الذي أثر بدوره على بقية الأنشطة الاقتصادية؛ من هنا يبرز مدى ارتباط الاستقرار الاقتصادي بالاستقرار الاجتماعي وضرورة إدارة أفراد الطبقة العامة والنظر في احتياجاتهم ومتطلباتهم.

• تأثرت الإدارة خلال العصر العباسي بالأحداث السياسية المضطربة، ومن جهة أخرى أدى الفساد الإداري إلى خلق واقع سياسي مضطرب، حيث أنه أصبح داء يصعب استئصاله وذلك لتفرع وتدرج الجهاز الإداري وتعدد هيئاته والعاملين فيه، فقد كانت العلاقة بين مختلف أفرادها علاقة ارتباط وتأثير؛ فتوريث المنصب وانتشار الرشوة و الوشاية وتعيين غير الأكفاء وغياب الجدية في تسيير المناصب الإدارية الحساسة، جعل الإدارة العباسية تعيش حالة من الاضطراب، فقد استغل العمال سلطتهم لتحقيق مصالح شخصية سواء من خلال فرض ضرائب بشكل تعسفي على الفلاحين والحرفيين، أو عن طريق استقطاع جزء من الإيرادات دون توريدها إلى الخزينة العامة، ونتيجة لذلك تراجع الانتاج الزراعي والصناعي إذ شعر الفلاحون والحرفيون بالإحباط، كما أدى الفساد لضعف الرقابة على الأسواق وحركة التجارة.

- تراوحت العلاقات العباسية البيزنطية بين السلم والحرب، إلا أن العداء كان هو السمة الغالبة، وقد أثر هذا الصراع الحدودي على استقرار الخلافة السياسي فرغم ما أبدته السلطة العباسية من أداء حسن وما حقته من انتصارات، إلا أنها تأثرت بالتوتر الحاصل في مناطق التخوم، فتشتتت بذلك جهود الخلافة ومواردها المالية والبشرية.
- أسهمت الاضطرابات السياسية التي شهدتها الخلافة العباسية في الإضرار المباشر بالنشاط الفلاحي، فقد أدت النزاعات الداخلية إلى حالة من عدم الأمن في الأقاليم الزراعية، ما دفع الكثير من الفلاحين إلى ترك أراضيهم هرباً من أعمال العنف والاضطهاد الجبائي، كما تسبب تفكك السلطة المركزية في توسع النظام الإقطاعي الذي أدى إلى إنهاك الفلاحين وتراجع قدراتهم على الإنتاج والاستثمار في الأرض.
- أثرت الفتن السياسية على صيانة شبكات الري والبنية الزراعية الأساسية التي كانت تتطلب إشرافاً مستمراً من الدولة، فأدى إهمالها إلى انخفاض مردودية الأراضي، ومع استمرار الاضطرابات تراجع المخزون الزراعي وارتفعت الأسعار ما أخل بالتوازن الاقتصادي والاجتماعي وأفقد الدولة أحد مصادر قوتها المالية.
- أدت الاضطرابات السياسية التي عصفت بالدولة العباسية خاصة خلال فترات ضعف السلطة المركزية إلى تدهور واضح في قطاع الصناعات الذي كان بعد من ركائز الاقتصاد في العصر العباسي، فقد أثرت النزاعات المتكررة على استقرار الأمن في الأسواق التي كانت مركز النشاط الصناعي مما أعاق حركة العمال والحرفيين، كما أدى تعدد مراكز النفوذ في فرض ضرائب غير منتظمة ومبالغ فيها على أصحاب الحرف فدفع ذلك بالكثير منهم إلى ترك مهنتهم أو الهجرة إلى مناطق أكثر أماناً.
- انعكس تراجع النشاط الزراعي والتجاري على الصناعات التي كانت تعتمد على المواد الخام والطرق التجارية المنتظمة لتصريف منتجاتها، مع تقلص الطلب الداخلي والخارجي فقد الصناعات العباسية زخمها الذي عرفته في عصور الاستقرار والازدهار وتراجع دورها في

دعم الدخل العام للدولة مما ساهم في زيادة أعباء الأزمة الاقتصادية التي رافقت فترات الاضطرابات السياسية.

• تراجعت موارد بيت المال بسبب ما عانتته الخلافة من اضطرابات، فأحدث ذلك خلل واضح في توازن الجباية والنفقات بشكل فاق قدرة الدولة على احداث التوازن، حيث قلت الجباية وزادت بالمقابل النفقات فاضطرت السلطة إلى اجراءات مالية أدت لتذمر اجتماعي واسع.

• تأثرت العملة بما تعرضت له الخلافة من فوضى سياسية وتدخل العناصر الأجنبية في الحكم؛ مما أدى للتراخي في الإشراف على دور الضرب، ومن ثم تدهور جودة وعيار الإصدار النقدي واختلاف سعر تصريفه، فاختلفت بذلك وظائف النقود العباسية وأصبح لا يأتمن بها للتعامل في بعض الأحيان خاصة خلال فترات الاضطراب

• كانت الأسواق من أكثر المرافق العامة عرضة لأحداث الفوضى والاضطرابات السياسية؛ باعتبارها مركز لتجمع التجار والصناع والعامّة، حيث استغلها المعارضون لبث أفكارهم واربك استقرار الدولة، مما أدى لتكرار حوادث اشتعال النار في الأسواق وتعطل نشاطها، فانعكس ذلك على التجارة والأسعار والصناعات.

• تسببت النزاعات التي تعرضت لها الخلافة في اضعاف الأمن في الطرق التجارية البرية والنهرية مما أدى لتعطيل انتقال السلع بين الاقاليم ، فضعف لذلك الدور الحيوي للمدن التجارية، كما أدى انتشار قطع الطرق وتنامي سلطة القوى المحلية إلى فرض إتاوات ورسوم غير شرعية على القوافل التجارية، مما زاد تكاليف التبادل التجاري وأفقد التجارة العباسية تنافسيتها، وتغيرت وجهة السفن لموانئ أكثر أمن، وكان لهذا أثره الواضح على ما كانت توجه الخلافة من سلع للتصدير وما تستورده من منتجات من شأنها أن تساهم في تلبية احتياجات الأفراد وأن توفر مواد أولية للعديد من الصناعات،

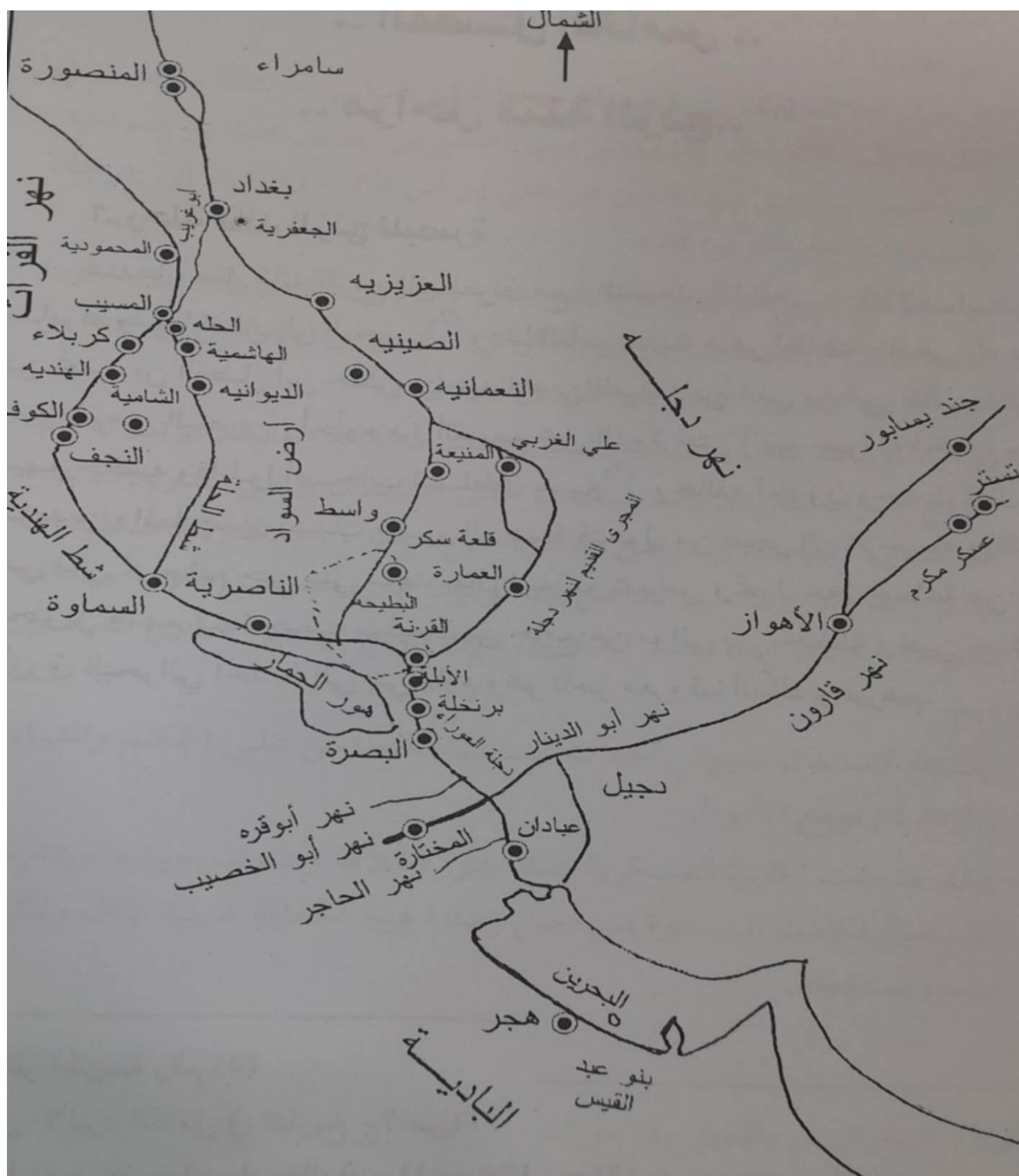
- تأثر تراجع الانتاج الزراعي والصناعي بسبب الفتن والاضطرابات في وفرة السلع داخل الأسواق، فشهدت الاسعار تقلبات حادة وعمّ الركود في العديد من المهن، ومع تقلص حركة التبادل التجاري الخارجي فقدت الدولة جزءا مهما من مواردها التمويلية، وتراجعت مكانتها كهمزة وصل في الشبكة التجارية الدولية التي ازدهرت في عصور الاستقرار الاولى.
- تعتبر علاقة عدم الاستقرار السياسي بالنمو الاقتصادي علاقة متبادلة وليست ذات اتجاه واحد، فمن جهة تؤدي الاضطرابات السياسية إلى أضرار تمس عناصر الانتاج (الانسان، المواد الأولية، الأرض، الأسواق...)، وفي الاتجاه العكسي فإن التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع تؤدي إلى حركات اجتماعية ذات أبعاد اقتصادية تؤثر على الاستقرار السياسي؛ وثورة الزنج وحركات الشطار والعيارين... خير مثال على ذلك.
- كانت الكوارث الطبيعية جزء لا يتجزأ من الأحداث التي عاشتها الدولة العباسية، والتي تنوعت بين كوارث مناخية ارتبطت بعناصر المناخ من تساقط ودرجة حرارة؛ فأى تغيير بالزيادة أو النقصان مَسَ هاذين العاملين أدى لحدوث كارثة، وتمثل النوع الثاني من هذه الكوارث في الآفات الزراعية ووبائية التي مست الأرض والإنسان والحيوان على السواء، و تعرضت الدولة كذلك لكوارث جيولوجية وكونية والتي اتصفت في الغالب بطابعها التخريبي، حيث أن بعضها شمل أقاليم محددة في حين بعضها الآخر مَسَ أقاليم واسعة.
- ساهمت الكوارث الطبيعية في تدهور الزراعة خلال فترات مختلفة من العصر العباسي، فقد أدت الفيضانات الى إغراق مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وتلف المحاصيل الزراعية، كما تسبب الجفاف في مواسم أخرى في نقص المياه وركود الانتاج، وإلى جانب ذلك أدت الأوبئة وانتشار الآفات الزراعية خاصة الجراد إلى القضاء على كميات كبيرة من الغلال ما خلف نقصا في المواد الغذائية وارتفاعا في الأسعار، وبذلك تأثر النشاط الفلاحي الذي كان يشكل العمود الفقري للاقتصاد العباسي، وانخفضت العائدات الجبائية واصابت المجاعة والفقر العديد من المناطق مما ساهم في إضعاف الدولة واقتصادها.

- امتد تأثير الكوارث الطبيعية إلى النشاط الصناعي الذي كان يعتمد بشكل وثيق على المواد الزراعية والأسواق التجارية، فتقلص الانتاج وتعطلت الكثير من الورش، كما أضرت هذه الكوارث بحياة الأفراد فمنهم من مات أو هاجر أو ترك الحرفة فانخفض عدد العمال والحرفيين الأمر الذي أثر على دورة الانتاج ورفع كلفة العمل، كما أدت لتراجع الطلب على المنتجات الصناعية فعم الركود في الأسواق وتضرر أصحاب المحلات والورشات الصغرى على وجه الخصوص.
- ألحقت الكوارث الطبيعية ضررا بالغا بحركة التجارة في الدولة العباسية، إذ أدت إلى نقص السلع التجارية وتراجع حجم الصادرات ما حدّ من نشاط الأسواق الداخلية والخارجية على السواء، كما أثرت الكوارث الطبيعية وخاصة الأوبئة على القوى العاملة في الموانئ وطرق القوافل مما أدى لعرقلة عمليات النقل والتبادل التجاري،
- انعكس ما آلت إليه الزراعة والصناعة والتجارة جراء الكوارث الطبيعية على الوضع المالي للخلافة؛ لأن تراجع الانتاج والتجارة يعني انخفاضا في مداخيل بيت المال خاصة الخراج وعائدات الضرائب والمكوس المرتبطة بالأسواق، وللتخفيف من وطئ الكوارث ازدادت أعباء الدولة في الانفاق على الإغاثة ومواجهة أضرار الكوارث.
- قام الخلفاء العباسيين وكل من له القدرة على تقديم المساعدة ببعض الاجراءات والتدابير لمواجهة أو التخفيف من حدة الأضرار التي خلفتها الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية، حيث أثبت هذه التدابير نجاعتها في بعض الأحيان، في حين لم يصمد بعضها طويلا ولم تحقق أهدافها المرجوة، وذلك لاختلاف سياسة وأهداف أفراد السلطة.
- كان للتقلبات الطبيعية مثل الفيضانات والجفاف والأوبئة تأثير مباشر على الاقتصاد العباسي، لكنها غالبا ما كانت تصبح أكثر خطورة بسبب الاضطرابات السياسية المستمرة، فعندما كانت الدولة تواجه صراعات داخلية أو انقلابات كان ضعف الإدارة المركزية يمنع التعامل الفعال مع الكوارث مثل إصلاح شبكات الري أو توفير الغذاء للمناطق المتضررة،

وبالمقابل كنت الكوارث الطبيعية تزيد من حدة الأزمات السياسي؛ إذ تؤدي إلى نقص الغذاء، ارتفاع الأسعار وتزايد الاحتجاجات الشعبية مما يضعف سلطة الحكومة ويشعل المزيد من الصراعات الداخلية، ولهذا كان كل عامل يعزز الآخر فتصبح الأزمة الاقتصادية شاملة

الملاحق

الملحق رقم (01) أماكن حدوث اضطرابات الزنج: ¹



¹ - جميل محمد أبو الندى: الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2012، ص40.

الملحق رقم (02): خريطة توضح الحدود بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية.¹



¹ - حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1987، ص150.

الملحق رقم (03): خريطة توضح مجرى نهري دجلة والفرات وما يتشعب منهما من

أنهار¹.




























¹ - المستر. جي. دي أتكينسن: الري في العراق ومصر، مطبعة الحكومة، بغداد، 1942، ص 8.

الملحق رقم (04): أسعار الصرف في العراق خلا القرن الرابع هجري¹.

السنة	عدد الدراهم في الدينار	المصدر
حوالي نهاية القرن الثالث	١٥/١٤	قدامة - ص ١٤٤، الصابي ص ٣٦ وص ٢٢٧
٣٠٠ هـ/٩١٢ م	١٥	التنرخي - نشوار ج ٨ ص ٢٦
٣٠٢ هـ/٩١٤ م	١٥	الصابي - وزراء ص ٨٠ - ١
٣٠٧ هـ/٩١٩ م	١٤ و ٢/١	مسكويه - ج ١ ص ٧١
٣١٠ هـ/٩٢٢ م	١١ و ٤/٣	الصابي - ص ٨٩
٣١٢ هـ/٩٢٤ م	١٢	مسكويه - ج ١ ص ١٤٦
٣١٥ هـ/٩٢٧ م	١٥	قدامة - الخراج ص ٢٣٩
٣١٥ هـ/٩٢٧ م	١٦	مسكويه - ج ١ ص ١٦٥
٣٢١ هـ/٩٣٣ م	١٤	ن.م. - ج ١ ص ٢٧٣ - ٤
٣٣٠ هـ/٩٤١ م	١٠	مسكويه - ج ٢ ص ١٣١
٣٣٠ هـ/٩٤١ م	١٣ (للدنار الابرزي)	ابن الأثير - ج ٨ ص ٢٨٨ - ٩
٣٣١ هـ/٩٤٢ م	١١	الصولي - أخبار الراضي ص ٢٣٤
٣٣٢ هـ/٩٤٣ م	١٥	مسكويه - ج ٢ ص ٥٤
٣٤٥ هـ/٩٥٦ م	١٤	ابن الجوزي - المنتظم ج ٨ ص ٣١
٣٥٨ هـ/٩٦٨ م	١٥	ابن حوقل - ص ٢١٨
٣٦٤ هـ/٩٧٥ م	١٤	الهمداني (تكملة) ص ٢٥٩
٣٩٠ هـ/٩٩٩ م	٢٠	الصابي - التاريخ ص ٣٩٥
٣٩٢ هـ/١٠٠١ م	٢٥ (للدنار الصاحبي)	الصابي - ص ٤٦٨
٣٩٣ هـ/١٠٠٢ م	٤٠ (للدنار القاساني)	الصابي - ص ٤٨٤

¹ - عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، المرجع السابق، ص 245.

الملحق رقم (05): مقياس نهر دجلة في مدينة السلام بطول 25 ذراعا سنة 292هـ/906م حسب المعلومات التي أوردها ابن الجوزي في كتاب المنتظم.¹

٢٥	
٢٤	
٢٣	
٢٢	
٢١	
٢٠	
١٩	
١٨	
١٧	
١٦	
١٥	
١٤	
١٣	
١٢	
١١	
١٠	
٩	
٨	
٧	
٦	
٥	
٤	
٣	
٢	
١	

¹ - سهيلة مزبان حسن : مقاييس المياه في العصر العباسي، دراسات وي آثار الوطن العربي، الع11، ص841.

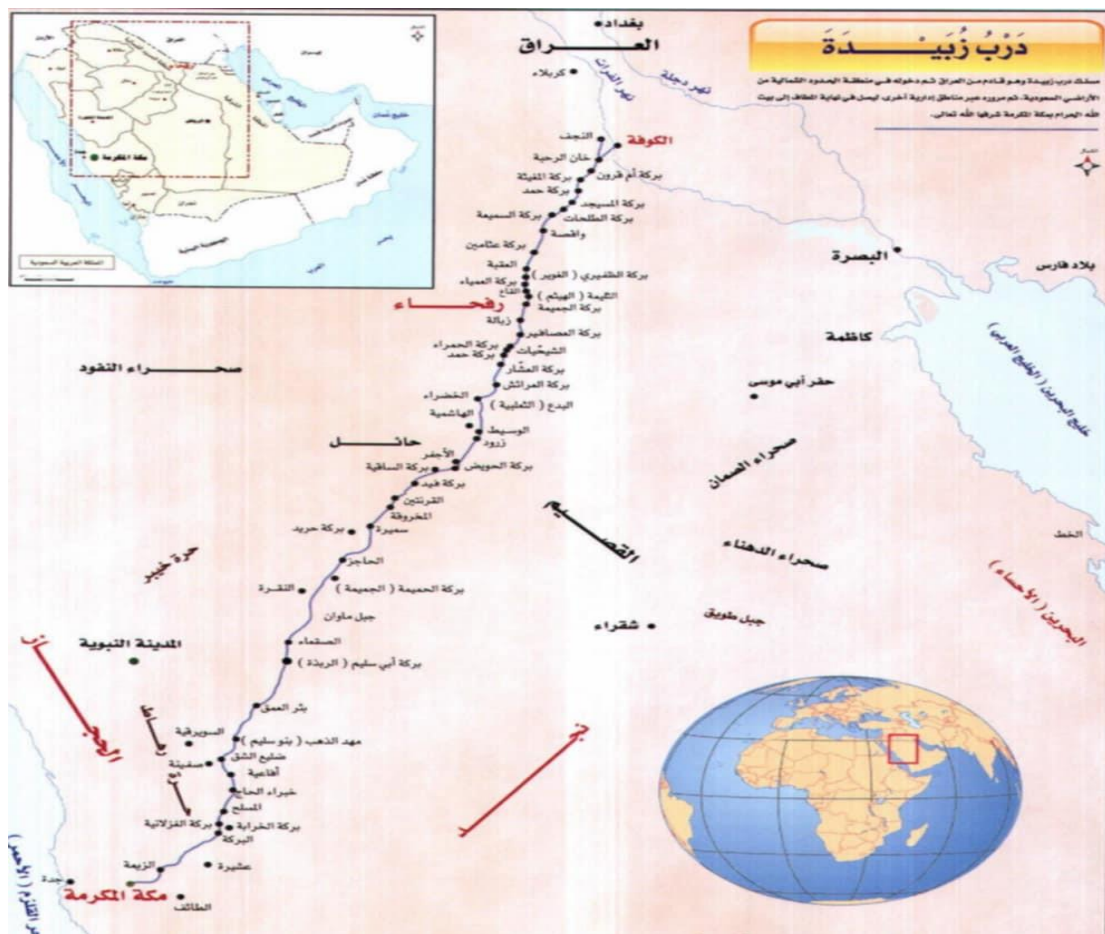
الملحق رقم (06): خريطة تبين النطاق الجغرافي للدولة الإسلامية خلال القرن الرابع

هجري.¹



¹ - فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية السقوط والانهار، ص 251.

الملحق رقم (07): مسلك درب زبيدة.¹



¹ - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الحج والعمرة "تأريخا وفقها"، مطبعة العبيكان، الرياض، 2010، ص 101.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات

- 1- السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ): كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، المكتبة الأزهرية، مصر، رقم المخطوطة 45.
- 2- المجوسي علي بن العباس (ت400هـ): مخطوطة كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي)، مكتبة الجامعة الأمريكية، لبنان، (د.ت.).

ثانياً: المصادر

- 1- الأبشيهي شهاب الدين (ت850هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، لبنان، 1992.
- 2- ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت668هـ): عبون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1965.
- 3- ابن الأثير محمد بن أحمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تح: أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.).
- 4- ابن الإخوة محمد ابراهيم شمس الدين (ت729هـ): معالم القرية في طلب الحسبة، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 2001.
- 5- ابن الجوزي ابي الفرج عبد الرحمان بن علي (ت597هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.).
- 6- (-،-)، مناقب بغداد، تح: محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد، 1907.

- 7- ابن الزبير ابي الحسن أحمد بن القاضي الرشيد (ق5هـ): الذخائر والتحف، تح: محمد حميد الله، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، الكويت، 1959.
- 8- ابن الساعي تاج الدين أبي طالب على بن أنجب (ت674هـ): نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والامام، تح: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- 9- ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا (709هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 10- ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن هارون الطبيب الملطي (ت785هـ): تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.
- 11- ابن العراق لقمان بن محمد (علماء القرن ال10هـ): معدن الجواهر بتاريخ البصر والجزائر، تح: محمد حميد الله، معهد البحوث اسلام آباد، 1973.
- 12- ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت543هـ): أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان ، 2012.
- 13- ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، لبنان، ط1، 1988.
- 14- ابن العمراني محمد بن علي بن محمد (ت580هـ): الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح قاسم السامرائي، الآفاق العربية، مصر، ط1، 1999.
- 15- ابن الفراء ابي على الحسين بن محمد (ت458هـ) : رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات لجنة التأليف والترجمة، 1947.
- 16- ابن الفقيه ابي بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت340هـ): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1884.

- 17- ابن الكريدوش عبد الملك بن محمد (ت575هـ): الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح عبد الله العامدي، إصدارات عمادة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2008.
- 18- ابن النفيس علاء الدين ابن حزم القرشي (ت687هـ)، الموجز في الطب، مكتبة ديلكروم، مصر، (د.ت.).
- 19- ابن الوردي زين الدين عمر بن مطفر (ت749هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996.
- 20- ابن الوردي سراج الدين (ت861هـ): جزيرة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، (د.ت.).
- 21- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت728هـ): الفتاوي الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987.
- 22- (-،-)، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.).
- 23- ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت614هـ): رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة ولمناسك المعروف برحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، 1979.
- 24- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي (ت367هـ): صورة الأرض، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1928.
- 25- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد الاشبيلي (ت808هـ): العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، (د.ت.).
- 26- ابن رسته ابي علي أحمد بن عمر (ت300هـ): الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891.

- 27- ابن رشد الحفيد أبي الوليد (ت595هـ): تلخيص الآثار العلوية، تح: جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994.
- 28- ابن سينا أبي علي الحسين بن علي (ت468هـ): القانون في الطب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
- 29- (-،-)، الشفاء الإلهيات، مر: ابراهيم مذكور، تح: محمد يوسف موسى وآخرون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1960.
- 30- ابن القفطي جمال الدين علي بن يوسف (ت646هـ): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر، لبنان، (د.ت).
- 31- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم (213هـ - 276هـ): المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.ت).
- 32- ابن قيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751هـ): الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، تح: نايف بن محمد بن أحمد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت).
- 33- (-،-)، أحكام أهل الذمة، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 34- (-،-)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الأرقم، لبنان، 2016.
- 35- (-،-)، زاد الميعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة لرسالة، ط3، (د.ت).
- 36- ابن كثير أبو الفدا الحافظ (ت774هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، لبنان، 1991.
- 37- ابن مماتي أبو المكارم الأسعد بن المهذب (ت577هـ): قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، 1934.

- 38- ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت213هـ): السيرة النبوية، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط3، 1990.
- 39- ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي قيس الكسداني (ق4هـ): الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ت.).
- 40- الأبهيشي شهاب الدين أحمد (ت850هـ): المستطرف في كل فن مستظرف، المطبعة العامرة المليجية، ط1، 1911.
- 41- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): فضائح الباطنية، تح: عبد الرحمان بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، (د.ت.).
- 42- (-،-)، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت.).
- 43- أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس (ت414هـ): البصائر والذخائر، دار الكتب العلمية، لبنان، 2014.
- 44- (-،-)، الامتاع والمؤانسة، تصحيح: أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، 1953.
- 45- أبو شجاع محمد بن الحسين: ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت.).
- 46- أبي العلاء أبو مروان بن (ت525هـ/1130م): كتاب الأغذية، تح أكيرايتون غارنيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1991.
- 47- أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت182): الخراج، دار المعرفة، لبنان، 1979.
- 48- أبي الفدا عماد الدين اسماعيل (ت730هـ): المختصر في تاريخ البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر، (د.ت.).
- 49- البغدادى ابن حمدون أبو المعالي بهاء الدين (ت562م): التذكرة الحمدونية، معهد الأنماء العربي، 1983.

- 50- البغدادي التميمي عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429هـ): الفرق بين الفرق، محمد علي الصبيحي وأولاده، 2005.
- 51- البغدادي الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تح عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004.
- 52- اخوان الصفا (حوالي 373هـ)، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، مركز النشر مركز الاعلام الإسلامي، 1405.
- 53- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني (من علماء القرن 6هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- 54- الأربيلي عبد الرحمان سنبط قنيتو (ت 717هـ): خلاصة الذهب المسبوك، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت.).
- 55- الأزدي جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور (ت 613هـ): أخبار الدول المنقطعة، تح: عصام مصطفى هزيمية وآخرون، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- 56- الاصطخري أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت 346هـ): المسالك والممالك، مطبعة بريل، مديمة ليدن، 1927.
- 57- الأصفهاني أبو عبد الله حمزة الحسن (ت 360هـ): سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، دار مكتبة الحياة، 1961.
- 58- الأصفهاني أبي حامد محمد بن محمد (ت 597هـ): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: عمر عبد السلام التدميري، المكتبة العصرية، لبنان، 2002.
- 59- الأصفهاني علي بن الحسين أبو الفرج (ت 356هـ): الأغاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1994.

- 60- الأندلسي ابن زهر أبي مروان عبد الملك (ت557هـ)، كتاب الأغذية، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 61- البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ): فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1403هـ.
- 62- البلخي أبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت366هـ): البدء والتاريخ، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- 63- بن خياط أبي عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي العصفوري (ت240هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، 1985.
- 64- بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت620هـ): الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تح: محمود محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).
- 65- (-،-)، المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 1997.
- 66- البيروني أبي الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ): الآثار الباقية عن القرون الخالية، تح: پرويز ادكايي، مركز پژوهشي ميراث مكتوب، تهران، إيران، 2001.
- 67- الترميذي محمد بن عيسى بن أسوة (ت279هـ): سنن الترميذي، تح: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابا الحلبي، مصر، 1975.
- 68- التميمي أبي حاتم محمد بن حيان ابن أحمد (ت354هـ): السيرة النبوية واخبار الخلفاء، تح: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، (د.ت).
- 69- التميمي المقدسي محمد بن أحمد (ق4هـ)، مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء، تح: يحيى الشعار، معهد المخطوطات العربية، ط1، القاهرة، 1999.

- 70- التميمي عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت1037هـ): الفرق بين الفرق، محمد علي الصبيحي وأولاده، 2005
- 71- التنوخي القاضي أبي علي المحسن بن علي بن محمد(384هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: مصطفى حسين عبد الهادي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 72- الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت429هـ): لطائف المعارف، (د.م.ن)، (د.ت).
- 73- جابر بن حيان (ت815هـ): مختار رسائل جابر بن حيان، تصحيح ب كراوس، مكتبة الخانجي، (د.ت).
- 74- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة (ت255هـ): التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1994.
- 75- (-،-)، البخلاء، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.
- 76- (-،-)، البيان والتبيين المطبعة العلمية، مصر، 1893.
- 77- (-،-)، الحيوان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1424هـ.
- 78- (-،-)، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد الهارون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت).
- 79- الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـ): الوزراء والكتاب، تح: محمد السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الألباني الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، (د.ت).
- 80- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 81- (-،-)، المشترك وضعاً والمتفرق صقعا، عالم الكتب، ط3، 1986.

- 82- الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري (ت516هـ): مقامات الحريري، مكتبة جامعة زيورخ، المانيا، 1818.
- 83- الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984.
- 84- الحنفي علي بن محمد الرحبي السمناني (ت499هـ): روضة القضاة وطريق النجاة الناظم للشرع والمقيم للدين، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- 85- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (387هـ)، مفتاح العلوم، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989.
- 86- الدوداري أبي بكر بن عبد الله بن أبيك (ت736هـ): كنز الدرر وجامع الغرر الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، تح: دوروتيا كراقولكي، قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الألماني للآثار ، بيروت، 1996.
- 87- الديار بكري حسين بن محمد بن الحسن(ت966هـ): تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مؤسسة لبنان للنشر والتوزيع، لبنان، (د.ت).
- 88- الدينوري أبي حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ)، كتاب النبات، تح: برنهارد لقين، شتاينز بقيسبادن، 1974.
- 89- الدينوري أبي حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ): الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د.ت).
- 90- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1990.
- 91- الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر(ت660هـ): مختار الصحاح، الكويت، (د.ت).

- 92- الروذراوي ظهير الدين ابي شجاع محمد بن الحسين (ت488م): ذيل كتاب تجارب الأمم، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت.).
- 93- سهراب، عجائب الدنيا السبع إلى نهاية العمارة، تص: هانس فون مريك، مطبعة ادولف، 1929.
- 94- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر، ط3، 2013.
- 95- الشابشتي أبي الحسن علي بن محمد (ت388هـ): الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، لبنان، لبنان، 1986.
- 96- شمس الدين محمد بن ابي الفتح البجلي أبو عبيد الله (ت709هـ): المطلع على ألفاظ المقنع، تح: محمود الارناؤوط وآخرون، مكتبة السواوي للتوزيع، السعودية، 2003.
- 97- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (ت548هـ)، الملل والنحل، تح: عبد الأمير على منها، وعلي حسن فاعود، دار المعرفة، لبنان، (د.ت.).
- 98- الشيزري عبد الرحمان بن نصر بن عبد الله العدوي الطبري (ت590هـ): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، موسوعة الجامع الكبير، (د.د.ن)، (د.ت.).
- 99- الصابي أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الحراني (ت384هـ / 994م): المختار في رسائل الصابي (رسائل الصابي)، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الكتب المصرية، دار النهضة، بيروت، (د.ت.).
- 100- الصابي أبي الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم (ت448هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، (د.ت.).
- 101- الصفدي صلاح الدين خليل (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، دار صادر، بيروت، ط2، (د.ت.).

- 102-الصولي أبي بكر محمد بن يحيى (ت336هـ): أخبار الرازي بالله والمتقي لله، دار المسيرة، بيروت.
- 103-(-،-)، أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجت الأثري، المكتبة العربية، بغداد، (د.ت).
- 104-الطبري أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: محمود محمد شاكر، مراجعة: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).
- 105-(-،-)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبوا الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت).
- 106-بن المناوي عبد الرؤوف (ت952هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، مصر، 1990.
- 107-أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت224هـ): الأموال، تح: محمود عمارة، دار الشروق، ط1، 1989.
- 108-ابن حجر العسقلاني الحافظ أحمد بن علي (ت852هـ): بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، (د.ت).
- 109- الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشتاوي، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت).
- 110-قدامة بن جعفر (ت948هـ): الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.
- 111-القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ): صبح الاعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012.

- 112-(-،-)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراح، عالم الكتب، (د.ت).
- 113- القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة ولاية بافاريا، (د.ت).
- 114-الكتبي محمد بن شاکر (764هـ): فوات الوفيات، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 115- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989.
- 116-(-،-)، الحاوي الكبير، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
- 117-(-،-)، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تح: رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979.
- 118-مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تح: عمر السعيد، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، (د.ت).
- 119- مجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، تعليق: الأب البير أبونا، مطبعة شفيق، بغداد، 1986.
- 120-المسعودي ابي الحسن بن علي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، لبنان، ط1، ج4، (د.ت).
- 121-(-،-)، التتبيه والاشراف، تص: عبد الله اسماعيل الصادق، مكتبة المثنى، بغداد، 1938.
- 122-مسكويه أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت461هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسوري حسن، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

- 123-المقدسي أبو عبد الله محمد ابن احمد البشاري (ت381هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن المحروسة، بريل، 1906، ط2، (د.ت).
- 124-المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس أحمد بن علي تقي الدين (ت845هـ): اغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2007.
- 125-(-،-،)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ت).
- 126-(-،-،)، رسائله، تح: رمضان البدرى، دار الحديث، القاهرة، 1998.
- 127-المقفع عبد الله ابن (ت142هـ): آثار ابن المقفع، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 128-المكي عبد الملك بن حسن بن عبد الملك الشافعي العاصمي (ت1111هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوال، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998.
- 129-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ)، نهاية الارب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 130-الهمداني أبي بكر أحمد بن محمد ابن الفقيه (ت290هـ) : مختصر تاريخ البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988.
- 131-الهمداني أبي محمد الحسن بن أحمد(ت345هـ تقريبا): الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تح: أحمد فؤاد باشا، مطبعة الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009.
- 132- الهيثمي شهاب الدين بن حجر (ت974هـ): حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الفكر، (د.ت).

- 133- الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت).
- 134- الواقدي محمد بن عمر بن واقد (207هـ): المغازي، تح: جونس ماردسن، عالم الكتب، (د.ت).
- 135- اليافعي أبي السعادات عبد الله بن سعد (ت768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.
- 136- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت284هـ): تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ط6، 1995.
- 137- (-،-)، البلدان، المكتبة المرتضية ومطبعتها الحضرية، النجف، 1918.
- 138- (-،-)، مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليه في كل عصر، تح: عبد الرحمان الشقير، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 2019.
- 139- اليعمري الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (ت734هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح محمد العيد الخضراوي، دار ابن كثير، المدينة المنورة، (د.ت).

ثانيا: المراجع العربية والمعرية.

- 1- آ.آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العباسية، تر: جاسم صكبان، المركز الأكاديمي للأبحاث، العراق، ط1، 2016.
- 2- (-،-)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر عبد الهادي عبله، دار قتيبة، 1985.
- 3- إبراهيم العدوي: الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية، مكتبة نهضة، مصر، (د.ت).

- 4- أبو اليسر رشيد كهوس: محاضرات في سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، المنهل، 2013.
- 5- أحمد إبراهيم الشريف وحسن أحمد محمود: العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، القاهرة، (د.ت.).
- 6- أحمد الخطيمي: الفتوة نشأتها وتطورها حتى سقوط الخلافة العباسية 656هـ/ 1258م، مكتبة عبد الحميد شومان العامة، عمان، 2008.
- 7- أحمد أمين: ظهر الاسلام، هنداي، القاهرة، 2012.
- 8- أحمد سوسة: تطور الري في العراق، منشورات مجلة المعلم الجديد، (د.ت.).
- 9- (-،-)، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، مطبعة المعارف، بغداد، 1948.
- 10- (-،-)، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1962.
- 11- (-،-)، فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب البغدادية، 1963.
- 12- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، (د.ت.).
- 13- أحمد علي: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، دار الفرابي، بيروت، ط3، 2007.
- 14- أحمد فتحي سليمان: المسكوت عنه في التاريخ، الفكر والثقافة العامة، (د.ت.).
- 15- أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، مؤسسة هنداي، 2013.
- 16- آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الاسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ت.).
- 17- أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، لبنان، 1955.
- 18- إسمت غنيم: الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية، دار المعرفة، مصر، 1987.

- 19- أمانى صالح: الشرعية بين فقه الخلافة وواقعها، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، مصر، ط1، 2007.
- 20- أمل محي الدين كروبي: دور النساء في الخلافة العباسية، اليازوري، 2014،
- 21- أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، (د.ت).
- 22- أنور أحمد خان البغدادي: الحرف والصناعات في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013.
- 23- بدري محمد فهد: العامة ببغداد في القرن الخامس هجري، مطبعة الارشاد، بغداد، 1967.
- 24- برنارد لويس: أصول الاسماعلية بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية، تر: خليل أحمد جلو وآخرون، تقديم عبد العزيز الدوري، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط1، 2007.
- 25- بشار حسين العجل: الخراج والضريبة المعاصرة في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 26- بندلي جوزي: الحركات الفكرية في الاسلام، جمعية الصداقة الفلسطينية، ط2، 1981.
- 27- بوشعيب السائوري: الرحلة والنسق دراسة في انتاج النص الرحلي، الرحاب للنشر، 2016.
- 28- تقي الدين عارف الدوري: عصر إمرة الامراء في العراق دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، مطبعة اسعد، بغداد، 1975.

- 29- جاسم آوجي: العلاقات السياسية والثقافية بين الدولة العباسية والدولة لبيزنطية في عهد الخليفة المأمون (198-218هـ)، كلية الآداب قسم التاريخ ، جامعة اسطنبول، (د.ت).
- 30- جمال كبة، و طالب عزيز: الحقيقة معالم الحضارة الإسلامية، دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع، ط1، (د.ت).
- 31- جميل محمد أبو الندى: الخلافة العباسية في مواجهة الفتنة الزنجية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2012،
- 32- جميل نخلة المدور: تاريخ العراق في عصر العباسيين المسمى حضارة الإسلام في دار الإسلام، دار الآفاق العربية، ط1، 2003.
- 33- جورجي زيدان: تاريخ التمدن، مؤسسة هنداوي، مصر ، 2012.
- 34- حسام الدين السامرائي: المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة (247هـ -334هـ / 86م - 945م)، دار الفكر العربي، ط2، (د.ت).
- 35- حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، ط14، ص1996.
- 36- حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي -مقاطعة فارس - 334هـ - 447هـ / 945م - 1055م، الدار الجامعية، 1987.
- 37- حسين المصري: تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، الكويت، 1982.
- 38- حسين بن سعدون: البصرة ذات الوشاحين (التاريخ والسياسة والثقافة) 2500 ق.- 1491م، مكتبة مدبولي، مصر ، 2006.
- 39- حسين عطوان: الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، 1997

- 40- حمدان عبد المجيد الكبيسي: أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، (د.ت).
- 41- (-،-)، أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، 1988.
- 42- (-،-)، عصر الخليفة المقتدر بالله، مطبعة النعمان، النجف، 1974.
- 43- حمود بن درويش بن سالم الحسني: مبيدات الآفات الزراعية وقوانينها، وزارة الزراعة والثروة السمكية، سلطنة عمان، 2012.
- 44- خالد حربي: علم الأوبئة في الحضارة الإسلامية وأثره في مكافحة جائحة كورونا، منشورات سوتيميديا، 2022، تونس.
- 45- خولة عيسى صالح: الرقابة الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية، بيت الحكمة، بغداد، 2001.
- 46- راشد البراوي: في الاقتصاد الإسلامي، دار الحرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1986.
- 47- روبرت ماك آدمز: أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهو ديالي، تر: صالح أحمد العلي وآخرون، المجمع العلمي العراقي، 1984.
- 48- زبيدي محمد حسين: العراق في العصر البويهي التنظيمات السياسية والإدارية والاقتصادية 334هـ-447هـ / 945م-1058م، دار النهضة العربية، مصر، 1970.
- 49- سالم محمد أحمد عبد العزيز: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، دار الكتب العلمية، 2004.
- 50- سائر بصمة جي: ظاهرة مد وجزر البحار في التراث العلمي العربي، مؤسسة هنداوي، 2022.

- 51- سعد الراشد: درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة (دراسة حضارية أثرية)، دار الوطن، الرياض، ط1، 1993.
- 52- سليم أبو طالب سليم: أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الاسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الاشعاع، 1999.
- 53- سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية سفارات الدولة العباسية والفاطمية والأموية في الأندلس، مكتبة التوبة، (د.ت.).
- 54- سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان، 2009.
- 55- سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية (132هـ-656هـ / 749م-1258هـ)، المنهل، (د.ت.).
- 56- سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الناشر تهامة، جدة، ط1، 1981.
- 57- سيف المقابلي: التواصل السياسي والحضاري بين عمان وبلاد فارس من ظهور الإسلام حتى القرن 7هـ / 13م، دار الرافدين، 2024.
- 58- شاكر خصبال: العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مطبعة شفيق، بغداد، 1973.
- 59- شاهر جمال آغا: الزلازل حقيقتها وآثارها، عالم المعرفة، 1995.
- 60- شرفي عبد المجيد: الفرقة الهاشمية في الإسلام بحث في تكوين السنية الإسلامية ونشأة الفرق الهاشمية وسيادتها واستمرارها، مركز النشر الجامعي، 1999.
- 61- شمس الدين ابراهيم شرسي أحمد بن عبد المؤمن: شرح مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
- 62- شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41هـ / 904-661هـ 1498م)، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

- 63- صابر عبده ابازيد: مناهج أهل السنة في الرد على الشيعة القدرية عرض تحليل نقدي، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
- 64- صالح أحمد العلي: خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986.
- 65- (-،-)، محاضرات في تاريخ العرب، مطبعة المعارف، بغداد، 1955.
- 66- صالح الحمارنة: بحوث ودراسات في الدعوة العباسية والعصر العباسي الأول، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، 2004.
- 67- صباح الشخيلي: الاصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بيت الوراق، ط1، 2010.
- 68- صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، ايران، ط1، 1417هـ.
- 69- ضيف الله بن يحيى الزهراني: زيوف النقود الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، مكة المكرمة، 1993.
- 70- طرخان ابراهيم علي: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.
- 71- طه حسين: مع المتنبي، هنداوي، 2001.
- 72- عادل محي الدين الألوسي: الرأي العام في القرن الثالث هجري، (198هـ - 295هـ/813م - 907م)، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1987.
- 73- عاطف منصور محمد رمضان: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008.
- 74- عامر محمد نزار جعلوط: فقه الموارد العامة لبيت المال، تق: سامر مظهر قنطقجي، دار أبي الفدا للنشر، 2012.

- 75- عباس الغزاوي: تاريخ الضرائب العراقية من صدر الاسلام إلى آخر العهد العثماني، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1959.
- 76- عبد الأمير المؤمن: الظواهر الكونية الغربية قراء تراثية المذنبات والنيازك والشهب والنجوم المتفجرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، مصر، 2002.
- 77- عبد الحميد جمال الفراني وآخرون: دراسات حضارية في التاريخ الاسلامي الصناعة -الطب- الحياة العلمية، (د.ت).
- 78- عبد الحميد سعيد: خليفة الله ظل الله في الأرض دراسة في أصول الاستبداد السياسي وأدواته، دار نقوش عربية، تونس، 2021.
- 79- عبد الحسين علي أحمد: بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ، الجامعة الأردنية، الأردن، 1992.
- 80- عبد الحسين مهدي رحيم: الخدمات العامة في بغداد 400-656هـ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2013.
- 81- عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، لبنان، (د.ت).
- 82- (-،-)، النظم الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008.
- 83- (-،-)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1995.
- 84- (-،-)، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطبع والنشر، بغداد، 1945.
- 85- عبد العزيز حميد: المسكوكات المزيفة في العصر العباسي، كلية الآداب، جامعة بغداد، (د.ت).

- 86- عبد العزيز طريح شرف: الجغرافيا الطبيعية أشكال سطح الأرض، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، 1990.
- 87- عبد الفتاح فتحي: المسلمون في العصر العباسي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258)، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.
- 88- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1999.
- 89- عطية القوصي: تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث هجري، الجمعية
- 90- عفاف عبد الحفيظ محمد رحمه: الكتاب في العصر العباسي الأول دراسة في النظم والثقافة والمجتمع (132هـ - 247هـ / 749م - 861م)، مركز بحوث ودراسات دول حوض الحر الاحمر، السودان، دار آريثيريا للنشر والتوزيع، ط1، 2021.
- 91- علي سيد اسماعيل: أحكام النقود المزيفة في الاقتصاد الإسلامي والقانون، دار التعليم الجامعي، 2019.
- 92- عماد علو: القوى البحرية والتجارية في الوطن العربي خلال العصور الاسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017.
- 93- عمر رضا كحالة: العلوم العملية في العصور الاسلامية، المطبعة التعاونية بدمشق، سوريا، 1972.
- 94- عمرو عبد المنعم: الزلازل أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها، دار الصحابة للتراث، مصر، ط1، 1993.
- 95- عواد مجيد العوضي: الزراعة 15هـ - 656هـ / 636م - 1258م، حضارة العراق، دار الجيل، لبنان، (د.ت).

- 96- عويس حمادة سعد : الحجاز والكوارث الطبيعية في زمن الاشراف العلويين (358هـ -923هـ -969م -1517م)، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2024.
- 97- عيسى أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، 2008.
- 98- غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى أواسط القرن الثالث هجري الممارسات والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 1994.
- 99- فادي حسين عقيلان: إدارة الأزمات والكوارث الطبيعية والغير طبيعية، دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
- 100- فاروق عمر فوزي: الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الاسلامي الوسيط، الشروق، 2000.
- 101- (-،-)، الجيش والسياسة في العصر الاموي ومطلع العصر العباسي 41هـ/ 661م -334هـ/956م دراسة تاريخه، دار المجدلاوي للنشر، 2005.
- 102- (-،-)، الخلافة العباسية -السقوط والانهار- ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2003.
- 103- فازليف: العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مر: فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، (د.ت).
- 104- فتحي حسن ملكاوي: مشروعات بحثية في التراث التربوي الاسلامي، المعهد العالمي الاسلامي للبحوث، 2018.
- 105- فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري الكتاب الأول في الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها، الدار القومية للطباعة النشر، (د.ت).
- 106- فريال داود المختار: المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح العربي إلى سقوط الخلافة العباسية ببغداد، دار الحرية، بغداد، 1977.

- 107-فكري وليد: دم الخلفاء النهايات الدامية لخلفاء المسلمين، الرواق للنشر والتوزيع، 2017.
- 108-فلاح جمال معروف وآخرون: جغرافية العراق الطبيعية والسكانية والاقتصادية، دار دجلة للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- 109-فهمي سعد: العامة في بغداد دراسة في القرنين الثالث والرابع هجري دراسة في التاريخ الاجتماعي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1993.
- 110-فؤاد خليل: الاقطاع الشرقي بين علاقات الملكية ونظام التوزيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1996.
- 111-فيليب حتي: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1951.
- 112-قصي طارق: العيارون والشطار في العصر العباسي، مطبعة الواعظ علوم أهل البيت، ط1، 2013.
- 113-كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية، تر: نبيه أمين فارس وآخرون، دار العلم للملايين، ط5، (د.ت).
- 114-الكروي ابراهيم سلمان: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1989.
- 115-كريمة محمد الفاهمي: علم الفلك في العصر الاسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- 116-كساسبة حسين فلاح: المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين) ، جامعة مؤتة، 1992.
- 117-الماركفوري أبي العلي محمد عبد الرحمان (ت1353هـ): تحفة الأحوزي بشرح جامع الترميذي، مر عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

- 118- مجيد تحسين حميد: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع هجري، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، 2015، ط1.
- 119- محمد الخضري بك: الدولة العباسية محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، 2016.
- 120- (-،-)، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، مطبعة الاستقامة، ط4، 1934.
- 121- محمد تحسين حميد: المصادرات في الدولة العباسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجري، دار ومكتبة عدنان، العراق، 2015.
- 122- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس هجري، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
- 123- محمد رجب النجار: الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعركة، 1981.
- 124- محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، ط7، 2013، لبنان
- 125- محمد صبري محسوب ومحمد ابراهيم أرباب: الأخطار والكوارث الطبيعية (الحدث والمواجهة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988.
- 126- محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط3، 1969.
- 127- محمد طه حسن الحسين: التنظيم المالي للدولة منذ صدر الإسلام حتى سقوط الدولة العثمانية، المركز العربي للأبحاث، 2017
- 128- محمد عبد الصاحب الكعبي: المسؤولية المدنية عن اضرار الكوارث الطبيعية (دراسة مقارنة)، دار التعليم الجامعي، العراق، 2020.

- 129- **محمد عقل**: الدولة العباسية في عهد المتوكل على الله (232هـ-247هـ / 847م - 861م)، أي كتب، لندن، 2019.
- 130- **محمد فياض العزي**: النزاع بين قادة الجيش الأتراك والخلافة العباسية في ظل الفوضى العسكرية (247هـ-334هـ / 861م - 945م)، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2017.
- 131- **محمد كرد علي**: الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 1943.
- 132- (-،-)، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، 1913.
- 133- **محمد مسفر الزهراني**: نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ / 590م (العهدان البويهى والسلجوقي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980.
- 134- **محمد نجمان ياسين**: أرض الصوافي الأرض الخاصة بالدولة في الإسلام منذ عصر الرسالة حتى نهاية العهد الأموي دراسة في الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت).
- 135- **محمد نجيب أبو طالب**: الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية، تقديم الطاهر لبيب، دار المعارف للطباعة والنشر، (د.ت).
- 136- **محمود اسماعيل**: سيكيولوجيا الفكر الإسلامي طور التكوين، سينا للنشر، ط4، 2000.
- 137- (-،-)، المهمشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.
- 138- (-،-)، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار، سينا للنشر، القاهرة، ط3، 2000.
- 139- (-،-)، مذاهب إسلامية في الميزان رؤية معاصرة، دار القلم، بيروت، (د.ت).
- 140- **محمود شاكر**: التاريخ الإسلامي -الدولة العباسية الجزء الثاني-، المكتب الإسلامي، ط6، 2000.

- 141-محمود غناوي الزهيري: الأدب في ظل بني بويه، مطبعة الأمانة، مصر، 1949.
- 142-مصطفى شاكر: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973.
- 143-مكسملين شترك: خطط بغداد وأنهر العراق القديمة، تر: خالد اسماعيل علي، المجمع العلمي العراقي، 1986.
- 144-موريس لومبار: الاسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5 هـ (8 -11م)، تر: اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 2003.
- 145-موفق سالم النوري: العامة والسلطة في بغداد، دار الكتاب الثقافي للنشر والتوزيع ، 2003.
- 146-(-،-)، العلاقات العباسية البيزنطية 132-247 هـ 750 -861م دراسة سياسية حضارية، وزارة الثقافة والعلام دار الشؤون الثقافية العامة، 1992.
- 147-ناجي عبد الجبار: الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، مركز اسكندرية للكتب، مصر، 2003.
- 148-نادية حسني صقر: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول (دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله)، المكتبة الفيصلية، لبنان، 1985.
- 149-نادية محمد مصطفى: في الذاكرة التاريخية للأمم تحولات ومآلات حضارية معاصرة، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، (د.ت).
- 150-ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، (د.ت).
- 151-نايف محمد شبيب المتيوتي: اجراءات الدولة الاسلامية في معالجة الأزمات المالية في العصر العباسي، المكتبة الشاملة الذهبية، (د.ت).
- 152-النقشبندى ناصر الدين محمود: الدينار العراقي في المتحف العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953.

- 153-نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب العربي، دار الكتاب المصري، 1987.
- 154-هاميلتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، تر: احسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ط3، لبنان، 1979.
- 155-وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1991.
- 156-يعقوب ليسنر: خطط بغداد في العهود الإسلامية الأولى، تر: صالح أحمد العلي، المجمع العلمي العراقي، (د.ت).

رابعاً: المراجع باللغة الأجنبية

1. Jassim K AL Khaled: the climate of Iraq bulletin of the college of arts and science, vol 11, 1957.
2. Julius Wellhausen: Arab Wars with the Byzantines in the Umayyad Period ,Arab-Byzantine Relations in Early Islamic Times Aldershot and Burlington,vol 8 ,Ashgate, 2004.
3. Marius Canard: Les relations politiques et sociales entre Byzance et les Arabes, Dumbarton Oaks Papers, 1964.
4. Michael Bonner, Arabie Violence and Holy War. Studies in the Jihad *and* the Arab-Byzantine Frontier. New Haven, Connecticut, American Oriental Society, 1996.
5. Claude cahen L'évolution de l'iqṭā' du IX^e au XIII^e siècle : contribution à une histoire comparée des sociétés médiévales annales, 1953.
6. Abderaham N poliak :la féodalité islamique ,editions geuthner, 1936.
7. Lookkegaared: islamique taxation in the islamic period ,branner ogkorch ,1950.

خامسا: المذكرات.

- 1- أحلام بنت حمود بن مبارك: نظام ولاية العهد في العصر العباسي الأول (132هـ - 247هـ / 750م - 861م)، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، عمان، (د.ت).
- 2- أحلام يوسف: الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق (132هـ - 447هـ / 749م - 1055م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2018.
- 3- أسماء محمد السيد علي: الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المشرق الاسلامي خلال العصر العباسي الثاني "عصر نفوذ الأتراك" (232هـ - 334هـ / 847م - 946م)، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، 2019.
- 4- إلهام هاني نعمة: الأسواق في المشرق الإسلامي والنشاط الاقتصادي والتجاري من العصر العباسي الى الغزو المغولي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258م)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، 2011.
- 5- البندري بنت عبد العزيز خضر: نكبات الوزراء في العراق وآثارها على الأوضاع العامة في العراق إبان العصر العباسي الثاني (232هـ - 656هـ / 847م - 1258م)، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، 2015.
- 6- توفيق سلطان اليوزبكي: الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية (132هـ - 447هـ)، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس القاهرة، مطبعة الارشاد، بغداد، 1970.
- 7- حسن بن علي بن عون ذوي علي الحارثي الشريف: الرقابة الادارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة 132هـ حتى سنة 247هـ / 749م - 861م، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1993.

- 8- دارين سليم محي الدين جوهر: المحن والنكبات السياسية للكتاب والوزراء في العصرين العباسي الأول والثاني (132هـ - 334هـ / 749م - 945م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار الاسلامية، 2007.
- 9- رامز محمد هاشم تميز : تدخل القادة العسكريين في العمل السياسي وأثره على الخلافة العباسية (232هـ - 334هـ / 847م - 945م)، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية بغزة، 2020.
- 10- رحمة نابتي: النظام الضريبي بين الفكر المالي المعاصر والفكر المالي الاسلامي - دراسة مقارنة-، رسالة ماجستير، قسم علوم التسيير، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2013-2014.
- 11- روند خالد : الحياة الزراعية في العراق في العصر العباسي 132هـ - 334هـ / 749م - 946م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2018.
- 12- رويدة رفقة: نمو طبقة الكتاب وتطور رسوم الكتابة الديوانية حتى أوائل القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، 1981.
- 13- زينب مهدي رؤوف: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في إثراء بيت المال خلال العصر العباسي، رسالة ماجستير، مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، 2022.
- 14- سنا بورغيدة: القرامطة بين المنطلقات الاقتصادية والطموحات السياسية، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، تونس، 2019-2020 .
- 15- سوزان حسين ياغي: الحياة الاجتماعية في بغداد منذ تأسيسها حتى 334هـ/946م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001.

- 16- صفاء حسن أحمد عوض الله: دور التجارة في إثراء الحركة الاقتصادية في العصر العباسي الثاني المقومات والاسهامات (232-656هـ / 847م-1258م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة أم درمان، السودان، 2012.
- 17- ضيف الله يحيى الزهراني: النفقات وإدارتها في الدولة العباسية 132 هـ -334هـ، أطروحة دكتوراه، . جامعة أم القرى، 1404هـ.
- 18- طارق فتحي سلطان: العرب والصين في القرون الوسطى - دراسة سياسية حضارية - 789هـ / 622هـ - 1368م ، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1980.
- 19- طلال بن شرف بن عبد الله البركاتي: المسكوكات العباسية حتى منتصف القرن الخامس هجري، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.
- 20- طه حسين عبد العال حسين: الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس إبان العصر البويهى والسلجوقي (334هـ-590هـ / 946م - 1193م)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2010.
- 21- عبد الرحمان نصر هاشم التتري: ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة (132-656هـ / 750-1258م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015.
- 22- عبد اللطيف عبد الراوي: المجتمع العراقي في شعر القرن الرابع هجري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت)،
- 23- عبد الله جمعان سعيد السعدي: النظام المالي الإسلامي في العصر الأول للدولة العباسية والمقارنة بالأنظمة الوضعية الحديثة 132هـ - 232هـ / 749م-847م، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1989.

- 24- **علي كاظم عبد الله**: النشاط الاقتصادي في العراق ومساهمته في اثناء بيت المال خلال العصر العباسي (132هـ-334هـ / 750م-946م)، رسالة ماجستير، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية التابع لجامعة الدول العربية، بغداد، 2022.
- 25- **عماد عبد الكريم أحمد خلوف**: آل الجراح ودورهم في سياسة الدولة العباسية (247هـ-334هـ / 861م-945م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، (د.ت).
- 26- **فاطمة سعيد خليفة محمد**: حركة الزنج وآثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الدولة العباسية (255هـ / 870م-270هـ / 883م)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2009.
- 27- **فرات حمدان عبد المجيد الكبيسي**: الجوانب الاقتصادية والمالية في كتاب تجارب الأمم لمسكويه (295هـ-369هـ / 907م-979م)، أطروحة دكتوراه، مجلس كلية التربية -ابن رشد، جامعة بغداد، 2002م.
- 28- **فهد مطر المطيري**: التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني 247هـ-334هـ، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد والمصارف، جامعة اليرموك، 2015/2016.
- 29- **فؤاد طوھارة**: السياسة المالية في الدولة العباسية 132هـ-232هـ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2016-2017.
- 30- **لطفی بن فرج**: الأسرى في العلاقات العباسية- البيزنطية من قيام الدولة البيزنطية إلى واقعة ملاذكرد (132هـ-463هـ / 750م-1071م)، شهادة الكفاءة المهنية، قسم التاريخ، جامعة تونس، 1993.
- 31- **محمد تركي محمد شنطاوي**: المصادرات في العصر العباسي 132-334هـ / 750-945م، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1994.

- 32- محمد حمزة محمد صلاح: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009.
- 33- محمد عبد المحسن أحمد: الموارد المائية في العراق وأثرها الاقتصادي خلال العصر العباسي الأول (132هـ-232هـ / 750م-847م)، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، القاهرة، 2019.
- 34- مساعد بن مساعد محمد الصوفي: العوامل السياسية وأثرها في ضعف الخلافة العباسية (247هـ-334هـ)، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة أم القرى، 2008.
- 35- مصطفى التوايتي: الأدباء والمفكرين وعلاقتهم بالسلطة في العهد البويهي، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس، 1995.
- 36- هيثم محمد محمد السائيس: المحن والأزمات الاقتصادية في العراق خلال العصرين البويهي والسلجوقي (334هـ-659هـ / 946م-1193م)، رسالة ماجستير، جامعة الاسكندرية، قسم التاريخ والآثار المصرية، 2018.
- خامسا: الدوريات.
- 1-(-،-)، المبيدات الحشرية في الحضارة الإسلامية، مجلة الفيصل، الع 267، 1999.
- 2-(-،-)، المعاملات التجارية وتحديات القرصنة في موانئ الساحل الشرقي للخليج العربي بين القرنين الثاني والسابع هجري الثامن الثالث عشر ميلادي، مجلة وقائع تاريخية، الع38، 2023.
- 3-(-،-)، نقود الدولة البويهية 334-447هجري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 75، (د.ت).

- 4-(-،-)، الحياة الاقتصادية (التجارية) في الخليج العربي للفترة من القرن الثالث الى التاسع هجري، مجلة الجامعة العراقية، الع45، (د.ت).
- 5-(-،-)، أهل الحرف والصنائع في بغداد في العصر البويهي، المنارة، المج 22، الع1، 2016.
- 6-(-،-)، نشوء الأصناف والحرف في الاسلام، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع1، 1959.
- 7-إحسان صدقي العمد: الخبز في الحضارة العربية الاسلامية، حوليات كلية الأدب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الع: 76، السنة12، 1996.
- 8-أحمد اسماعيل الجبوري: الخراج في الموصل والجزيرة في العصر العباسي132هـ-334هـ/749م-945م، دراسات موصلية، الع25، 2009.
- 9-أحمد خضير رميض: الأحوال الاقتصادية والموارد المالية في عهد الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ)، مجلة ديالي، الع 24، 2014.
- 10- أسماء محمد عبد اللطيف شحاتة: تحصينات مدينة عمورة ومواجهاتها الحربية في العصر العباسي الأول (132-232هـ)، كلية الدراسات الانسانية، جامعة الأزهر، الع 27، 2021.
- 11- آمال محمد حسن وصفي علي محمد عبد الله: القرامطة والفاطميين بين الحقيقة والتاريخ خلال القرنين الثالث والرابع هجريين/ التاسع والعاشر ميلاديين، مجلة البحوث، المج3، الع9، 2023.
- 12- آمنت محمود عودة الذيابات: دور المرأة السياسي والإداري في الدولة العباسية خلال عصر النفوذ التركي (232هـ -334هـ)، مجلة البحوث التاريخية، الع1، المج6، 2022.
- 13- إيمان سليم كاظم حسين: التنظيمات المالية في العصر العباسي (132هـ/566هـ-749م-1170م، مجلة التراث العلمي العربي، الع 47، 2020.

- 14- إيمان محمود عرفة: دينار نادر باسم صاحب الزنج ضرب المدينة المختارة سنة 259هـ، مجلة كلية الآثار، الع 27، 2024.
- 15- أيوب مشايرية ورايح أولاد ضياف: دور الخلفاء العباسيين في تنمية النشاط الصناعي خلال العصر الاول (132هـ-232هـ / 749م-847م)، مجلة جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الع1، المج 35، 2021.
- 16- بشار قويدر: قضية ولاية العهد في الخلافة العباسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة الجزائر، الع 5، 1993.
- 17- البيومي إسماعيل الشربيني: تاريخ الزلازل في مصر من الفتح الإسلامي إلى مجيء العثمانيين، مجلة كلية الآداب، المنصورة، الع26، 2000.
- 18- جاسم صكبان علي: دراسات في تاريخ الإقطاع في العصور الإسلامية، مجلة التراث العلمي العربي، الع4، 2015.
- 19- جمال رداحي: دور الاقطاع في ظهور الحركات الاجتماعية في الخلافة الاسلامية، مدارات تاريخية، مج2، الع 6، 2020.
- 20- جواد كاظم نصر الله وانتصار عدنان العواد: معوقات الحج الى بيت الله الحرام في العصور الاسلامية، مجلة كلية التربية، الع28، (د.ت).
- 21- حسين أمين: العيارون ونشاطهم الشعبي في بغداد، مجلة التراث العربي، مطبعة المعارف، بغداد الع 2، السنة 1963، 1.
- 22- حسين بن علي الطرابلسي: اسهامات مؤرخي الإسلام في علم الفلك الحديث، مجلة الفيصل، الع 274، السنة 23، 1999.
- 23- حميد رشيد رفيق: إدارة المشاريع الاروائية في العصر العباسي. وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999.

- 24- حميد نشأت اسماعيل: ري سواد العراق في العصر العباسي، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999.
- 25- حميدة صالح دلي: أجهزة التبريد في العصر العباسي (الدهنج انموذجا)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة القادسية، كلية التربية، 2017.
- 26- حياة ناصر الحاجي: المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامي 694-695هـ / 1294-1295م، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، الع7، 1984.
- 27- خالد بن خضير بن عليان الحربي: فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسي (132هـ - 656هـ)، مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية، المجلد 4 ، 2024
- 28- خضر جاسم محمد الدوري ومؤيد عيدان كاطع: النشاط السياسي والاجتماعي للأطباء في العراق خلال العصر العباسي (132-656هـ / 749م - 1258م)، مجلة التربية والعلم، الع5، 1987.
- 29- خليل حسن الزركاني: الصناعة في بغداد للفترة (334هـ/935م - 555هـ/1160م)، مجلة التراث العلمي العربي، الع1، 2015.
- 30- خليل سارة : العيارون والشطار في العصر العباسي (نشأتهم ومبادئهم)، اشغال الملتقى الدولي الخامس حول الحركات الاجتماعية في العالم العربي، 10-12 أفريل 2008.
- 31- خيون مطير راهي: مشاريع الري في العهد العباسي وعلاقتها بمشاريع الري الحديث، الجامعة المستنصرية، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، التي عقدتها دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية 17 آذار 1997، مطبعة المجمع العلمي، 1999.

- 32- رائد محمد حامد: تأثير الفيضانات على السجون بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد 13، 2013.
- 33- الرشيدى بدر دحيم عبد الله: أثر القرصنة في العلاقات التجارية بين موانئ الخليج العربي وشرق آسيا، مجلة وقائع تاريخية، الع21، 2014.
- 34- رياض أحمد وسعد رمضان الجبوري: العوامل البشرية وأثرها على حركة السلع والبضائع في العصر العباسي الأول (132-247هـ / 750-862م)، مجلة التربية للعلوم الإنسانية، الع10، الم3، 2023.
- 35- ريم بنت فهد السابح: جهود الخلفاء العباسيين وأتباعهم في خدمة طرق الحج العراقية وتطويرها (132-656هـ / 749-1258م)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، الع2، الم3، 2017.
- 36- سالار الدزيبى علي خضر: مناخ العراق من كتب الجغرافيين، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية، الع1، 2018.
- 37- سرى ممتاز عبد الله: علاقة آل سهل بالخلافة العباسية 198هـ -218هـ / 813م-932م، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، الع39، 2020.
- 38- سفيان ياسين ابراهيم: القرصنة في بحر الهند خلال العصر العباسي (132هـ-656هـ / 749م-1258م)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، الع2، الم3، 2016.
- 39- سليمان عبد الغني مالكي: طريق ركب الحج العراقي من الكوفة إلى مكة من الفتح الاسلامي حتى سقوط بغداد، مجلة الدارة، الع2، السنة 7، (د.ت).
- 40- سهيل تركي عنتر: المعاملات المالية واثرها على الواقع الاقتصادي في العصر العباسي الثاني في القرن الخامس والسادس الهجريين، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، الع69، 2022.

- 41- سوسن بهجت يونس: الأسواق في المشرق الاسلامي (العراق بلاد فارس بلاد ما وراء النهرين) من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى العهد البويهي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، الع42، 2015.
- 42- صباح ابراهيم الشихلي: الخلافة العباسية وموقفها من المطامع البيزنطية نظرة في الدوافع والأسباب، مجلة المورد، جامعة بغداد، الع4، 2005.
- 43- صبيح نوري خلف: خلع الخلفاء العباسيين السلطانية للأمرء البويهيين (334هـ-447هـ)، مجلة دراسات إيرانية، الع8، (د.ت.).
- 44- صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: ريادة العرب في مجال علم الحيوان، مجلة تراث، الع251، 2020.
- 45- صهيب محمد ناصر الخطيب: اهتمام خلفاء بني العباس بالطب والأطباء منذ تأسيس بغداد حتى القرن الرابع هجري، المجلة المحكمة، الع25، السنة 11، مج3، (د.ت.).
- 46- طريف سردست: أخطاء المفاهيم الفلكية عند العرب، الحوار المتمدن، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات، الع3946- 2012 / 12 / 19 - 02:22.
- 47- طورخان: الاقطاع الاسلامي أصوله وتطوره دراسة مقارنة. المجلة التاريخية المصري، الع6، المج6، 1957.
- 48- عادل محمد علي: حقائق الحيوانات في بغداد، مجلة المورد، الع4، المج8، 1979.
- 49- عالية أحمد عبد الحميد شعبان: نظام الإلجاء في العصرين الأموي والعباسي الأول ((41هـ / 232هـ / 661م-847م)، مجلة التاريخ والمستقبل، الع73، جامعة المينا، 2023.
- 50- عامر عجاج حميد: القوافل بين أمل الوصول وخوف اللصوص، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، الع6، مج9، 2019.
- 51- عباس كريم الخفاجي: الموارد المالية وأهميتها في العملية الاقتصادية الاسلامية، مجلة جامعة بابل، الع1، المج17، 2009.

- 52- عبد الباسط مصطفى مجيد الرفاعي: طرق التجارة والتبادل السلعي من خلال الواردات والصادرات في العصر العباسي الاول، مجلة آداب الفراهيدي، سامراء، قسم التاريخ، الع2، السنة 1، (د.ت).
- 53- عبد الحكيم غنتاب الكعبي: العوامل المؤثرة في نمو وتطور تجارة البصرة من القرن 1-3هـ / 7-9م، مجلة دراسات البصرة، الع19، السنة 2015، 10.
- 54- عبد الرضا طه سرحان: دور الحضارة العربية الاسلامية في تطور أساليب الزراعة والري في العراق، جامعة القادسية، أساليب الانتاج الصناعي والزراعي في الحضارة العربية الاسلامية، بحوث أقيمت في المؤتمر الثالث الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم، الأردن، 2000.
- 55- عبد العزيز الدوري: نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج20، 1970.
- 56- عبد الكريم عز الدين ومنال محمد مطر: دراسة عن جغرافية وسكان منطقة البطيحة جنوب العراق، مجلة التراث العربي، الع2، 2015.
- 57- عبد الله يوسف الغنيم: أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي (دراسة جغرافية)، مجلة المجمع العلمي العراقي، المج 35، 1984.
- 58- عصام فكون: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مطبعة الكويت، الع3، المج2، 1979.
- 59- عطية القوصي: البحرين وتجارة الدولة العباسية، مركز عيسى الثقافي، مج14، الع27، (د.ت).
- 60- عفيفي علي غازي: رؤية الرحالة لطب البيطري، عند بدو الجزيرة، مجلة تراث، الع 251، 2020.

- 61- علاء كامل صالح العيساوي: الوشاية بالعلويين وأتباعهم في العصر العباسي (132هـ / 247 هـ / 746 م - 861 م)، بأقلام باحثينا نصنع الحياة، المؤتمر العلمي الخامس لكلية التربية العلوم الانسانية، أبحاث التاريخ، 13، 14 أبريل 2012.
- 62- علي جمعان الشكيل: صناعة الأصباغ في الحضارة الاسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة 8، الع 32، 2001.
- 63- علي منصور نصر: العيارون والشطار في العصر العباسي، مجلة المؤرخ العربي، الع 6، 1998.
- 64- عمار ليبيد ابراهيم: الايرادات المالية لخزينة (بيت المال) في العهد العباسي الأول، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، الع 51، 2015.
- 65- فاروق عمر فوزي: الفضل بن سهل وزير المأمون نموذج للتخريب الفارسي في السياسة العباسية، مجلة الآداب جامعة بغداد، الع 32، 1982.
- 66- فائزة عبد الرحمان حجازي: تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي 139هـ-335هـ / 757م-946م، مؤتة للبحوث والدراسات الع 6، الم 21، 2006.
- 67- قاسم خضير كاظم الطالبلي وآخرون: الوزير علي ابن الفرات (ت312هـ) ودوره السياسي والاداري، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، الم 3، العدد 8، سنة 2023.
- 68- لطيفة صلاح عبد الهادي علي: المصادرات في العصر البويهى (334هـ / 447هـ / 945م - 1055م)، سوبك للدراسات التاريخية والحضارية، الع 4، 2022.
- 69- لمياء بنت عبد الرحمان عثمان الصالح: أثر نشأة بغداد على نمو النشاط التجاري في موانئ الخليج العربي حتى نهاية العصر العباسي الاول (145هـ-232هـ / 762م-848م)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، الع 21، شوال 1437هـ.

- 70- مازن صباح عبد الامير الأعرجي : الاقطاع العسكري وأثره على الأوضاع الاقتصادية في العراق بالعصر السلجوقي (447هـ-590هـ)، مجلة آداب المستنصرية، كلية التربية، قسم التاريخ، 2013.
- 71- مثنى عباس عواد وعمر أحمد سعيد: الأصناف والحرف في بغداد (دراسة في نشأتهم وتكوينهم حتى نهاية العصر البويهى 149-447هـ / 766-1055م)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، الع26، 2019.
- 72- محمد بن محمد محمود: الزلازل والبراكين في جزيرة العرب وتراثهم، مجلة الدارة، الع1، مج14، 1988.
- 73- محمد زين العابدين: عناية البيطرة العربية بالخيول والإبل، مجلة تراث، الع 251، 2020.
- 74- محمد سعد اسماعيل: الأوبئة والظواهر الفلكية وأثرها في العراق في ضوء كتاب المنتظم لابن الجوزي 334هـ-574هـ / 945م-1178م، مجلة وقائع تاريخية، 2020.
- 75- محمد صالح بوعافية: الاستقرار السياسي، قراءة في المفهوم والغايات، مجلة دفاتر السياسة والقانون، الع 15، 2016.
- 76- محمد عبد المعطي محمد خرم: سنوات الإزلاف والنقل وأثرها على الأوضاع الاقتصادية في العصر العباسي (132-656هـ) / (749م-1258م)، مجلة قطاع اللغة العربية والشعب المناظرة لها، الع15، 2021.
- 77- محمد فتحي محمد عبد الجليل: أهم المصادرات في عهد الخليفة المتوكل على الله (232هـ-247هـ / 846م-861م)، مجلة الدراسات الانسانية والادبية، الع 26، 2022.
- 78- محمد فهد مشكل: العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية في عصر الرسالة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، الع 20، 2016.

- 79- محمد قويسم: إمرة الأمراء العباسية (324هـ - 334هـ / 935م - 945م) وأول محاولة تجديد داخلية، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجزائر، الع20، 2015.
- 80- محمد نصر عبد الرحمان: اشكالية الهوية لدى البويهيين، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، الع44، 2006.
- 81- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر: العرب وعلم الأوبئة، مجلة التعريب، الع13، مج07، 1997.
- 82- مريم علي الكندي ونجيب بن خيرة: ملامح الدور الاقتصادي والثقافي لجزيرة قيس في الخليج العربي 366هـ - 731هـ / 977م - 1330م، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، الع2، المج17، 2020.
- 83- مليحة رحمة الله: الملابس في العراق خلال العصور العباسية، المجلة التاريخية المصرية، الع13، المج13، (د.ت).
- 84- منى يعقوب عباس والدرويش جاسم ياسين محمد: السياسة المالية للخليفة المستعين بالله العباسي (248-252هـ 862-866م، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، مج47، ع2، 2022.
- 85- مهند الدعجة: التراث البحري بالخليج العربي في العصر العباسي الثاني (232هـ - 656هـ / 848م - 1258م) سفن إقليم البحرين نموذجا، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الع4، المج48، 2021.
- 86- مهى سعيد حميد: الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي "مجلة دراسات موصلية، للمؤلف، العدد 22، 2011.
- 87- ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي وسهيلة مزيان حسن: الحج في العراق عبر التاريخ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، الع70، 2019.

- 88- ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: أسرار دور الضرب وصناعة النقود عند العرب، دراسات في آثار الوكن العربي، الع11، (د.ت).
- 89- نجيب خروفة: من مشاريع الري في العصر العباسي، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي، عقدتها دار العلوم الصرفة والتطبيقية، 17 مارس 1997، منشورات المجمع العراقي، 1999.
- 90- نقولا زيادة: الأسواق الإسلامية، مجلة المقتطف، ج1، 1943.
- 91- نواف عبد العزيز الجحمة: درب زبيدة من واقع رحلة ابن جبير، مجلة بحوث الشرق الأوسط، الع63، السنة 47، 2021.
- 92- هاني أبو الرب: البرامكة ودورهم في الحياة العامة في الدولة العباسية قبل نكبتهم، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الع30، 2013.
- 93- هدى محمد سعيد سندي: الصراع السياسي والعسكري العلوي ضد العباسيين خلال العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ / 749م - 847)، مجلة المؤرخ العربي، الع30، 2022.
- 94- هنية بهنوس نصر عبد ربه: خفارة الحج خلال طريق الحج الكوفي الى مكة المكرمة، مجلة الدراسات الأدبية والانسانية، الع26، 2022.
- 95- هيلة بنت محمد بن علي القصير: النشاط التجاري وأبعاده الاقتصادية في ميناء سيراف خلال العصر العباسي 132هـ - 232هـ / 749م - 846م، مجلة العلوم العربية والانسانية، جامعة القصيم، مج7، الع3، 2014.
- 96- يعقوب صروف وفارس نمر: استخراج المعادن، مجلة المقتطف، بيروت، مج1، الع3، 1972.

97- يوسف كاظم جفيل الشمري وميثاق كاظم هادي الخفاجي: السعاية والوشاية عند القهرمانات في بغداد ابان العصر العباسي (247هـ 590 هـ / 861م، 1193م)، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الانسانية، الع 10، 2020.

سادسا: المعاجم والموسوعات والقواميس.

1- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين(ت711هـ): لسان العرب، نشر أدب الحوزة، 1405هـ.

2- أحمد شرباصي، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل، 1981.

3- الأزهري محمد بن أحمد (ت370هـ): تهذيب اللغة، تح: أحمد عبد العليم البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

4- بطرس البستاني: قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان، ص208.

5- الجوهري أبي ناصل إسماعيل بن حامد (ت398هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009.

6- الجوهري إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، 1990.

7- جيرار جهامي: موسوعة مصطلحات ابن سينا، مكتبة لبنان ، 2004.

8- الزبيدي مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، 1888.

9- شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري(977-1069هـ)، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تص: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1952.

10- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2008.

- 11- الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشتاوي، دار المعارف، مصر، ط2، (د.ت).
- 12- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005.
- 13- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

الفهارس العامة

فهرس الجداول:

الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
47-46	يوضح صلة ولي العهد بالخليفة العباسي خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	01
51-49	يوضح أسباب موت الخلفاء العباسيين وفترة خلافتهم خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	02
114-101	يوضح العمليات الحربية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية العباسي خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	03
113	يوضح عدد الحملات بين الطرفين (العباسي والبيزنطي) خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	04
215-212	يمثل أوزان الدينار خلال الفترة (198هـ-381هـ / 814م-991م) اعتمادا على كتاب الدينار الإسلامي في المتحف العراقي - الدينار الأموي والعباسي - "لناصر السيد محمود النقشبندى".	05
262-255	يمثل حوادث الفيضانات والسيول في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	06
273-270	حوادث سقوط الثلج والبرّد بأحجام كبيرة خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	07
278-275	يمثل سنوات تأخر الأمطار وحدوث الجفاف في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	08
287-284	يمثل موجات الرياح القوية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) - إعداد الباحثة -	09

294-291	يمثل هجمات الحشرات والقوارض في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	10
306-302	يمثل الأوبئة والأمراض التي ظهرت وانتشرت في خلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	11
324-321	يمثل موجات الزلازل التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	12
332-330	يمثل أحداث ظهور وانقراض الكواكب التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	13
333	يمثل الصواعق التي حدثت في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	14
338-334	يمثل اشتعال الحرائق في الدولة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	15
340	يمثل أعداد الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها الخلافة العباسية العباسي خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م-991م) -إعداد الباحثة-	16
347-345	يحدد أسباب الأزمات المعاشية التي تعرضت لها الخلافة خلال فترة الدراسة. ص230.	17

رقم الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل
52	أعمدة بيانية توضح فترة خلافة الخلفاء العباسيين خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م). -إعداد الباحثة- ص57.	01
114	منحى الحملات العسكرية العباسية والبيزنطية على مناطق التخوم خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م). - اعداد الباحثة- ص121.	02
340	يمثل تكرار حدوث الكوارث الطبيعية في الدولة العباسية خلال (198هـ - 391هـ / 813م - 991م). -إعداد الباحثة- 185.	03
347	بمثل أسباب الأزمات المعاشية التي تعرضت لها الخلافة العباسية خلال الفترة (198هـ - 391هـ / 813م - 991م). -إعداد الباحثة- ص230.	04

الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
	الإهداء
أ - ر	مقدمة
119 - 22	الفصل الأول: أسباب الاضطرابات السياسية في الدولة العباسية
56 - 23	المبحث الأول: الصراع حول السلطة والسيطرة على مؤسسة الخلافة
47 - 22	1. نظام ولاية العهد و استئثار العناصر الأجنبية بالسلطة
56 - 48	2. نهاية الخلفاء العباسيين.
78 - 57	المبحث الثاني: ظهور حركات اجتماعية ذات ابعاد اقتصادية وسياسية ودينية
58 - 57	1. طبقات المجتمع العباسي.
58 - 59	2. حركات اجتماعية ذات ابعاد اقتصادية
61 - 59	أ. ثورة الزنج
68 - 62	ب. الشطار والعيارين
72 - 68	ت. ثورة القرامطة:
74 - 72	ث. ثورة الزط
77 - 74	3. انتفاضات العامة ضد السلطة ورجال الدولة
78	4. انتفاضات ذات طابع ديني
97 - 78	المبحث الثالث: الفساد الاداري والنزاع حول المناصب الادارية والسياسية.
84 - 81	1. توريث المناصب

88 -84	2. تعيين الأشخاص غير الأكفاء
91 -88	3. انتشار الرشوة
93 -92	4. تضمين المناصب
97 -93	5. إحاكة المكائد والوشايات
118 -97	المبحث الرابع: الصراع على المناطق الحدودية
120 -120	الفصل الثاني: النتائج الاقتصادية للاضطرابات السياسية.
138 -121	البحث الأول: تراجع النشاط الزراعي نتيجة الفتن والحروب.
124 -121	1. مساهمة العوامل البشرية في تراجع مقومات النشاط الاروائي،
138 -124	2. تطبيق أنظمة زراعية تعسفية
135 -125	أ- الاقطاع العسكري
138 -136	ب- نظام الإلجاء
153-138	المبحث الثاني: تراجع العديد من الصناعات.
217 -153	المبحث الثالث: اختلال التوازن المالي.
163 -153	أ- ارتفاع الأسعار وحدوث المجاعات:
181 -163	ب- سوء الأنظمة المالية المتبعة في تقدير الموارد وجمعها
190 -182	ت- سوء الإدارة المالية.
205 -190	ث- فرض ضرائب جديدة.
217 -205	ج- تزييف النقود.
245 -217	المبحث الرابع: اضطراب حركة التجارة والاسواق
228-217	أ- حرق وتدمير الاسواق
245-229	ب- قطع الطرق التجارية البرية والبحرية وطريق الحج.
341 -247	الفصل الثالث: رصد كرونولوجي لمختلف الكوارث الطبيعية وآثارها الاقتصادية

290 -248	المبحث الأول الكوارث المناخية.
252-248	1. المناخ في أقاليم الخلافة العباسية.
270-252	2. الفيضانات والسيول.
274 -270	3. تساقط البرد والثلج
283-274	4. انحباس الأمطار وحدوث الجفاف
290-284	5. هبوب رياح قوية
317-291	المبحث الثاني: الآفات الزراعية والوبائية.
297 -291	1. هجمات الحشرات والقوار
317-297	2. الأوبئة
339 -317	المبحث الثالث: الكوارث الجيولوجية والكونية.
328 -317	1. الزلازل
328 -326	2. ظاهرة المدّ والجَزْر
333 -328	3. ظهور وانقراض الكواكب.
339 -333	4. وقوع الصواعق واشتعال الحرائق
284 -341	الفصل الرابع: النتائج الاقتصادية المترتبة على تفاعل الأزمات السياسية والطبيعة
349 -343	المبحث الأول: التأثير المزدوج للأزمات السياسية والطبيعية على المجتمع والاقتصاد العباسي.
370 -349	المبحث الثاني: مساهمة السلطة العباسية في إدارة الأزمات الاقتصادية.
379 -371	الخاتمة.
387 -381	الملاحق.
433 -389	قائمة المصادر والمراجع.
449 -435	الفهارس العامة.

فهرس المحتويات

436- 435	فهرس الجداول
437	فهرس الأشكال
	الملخص.

ملخص

المخلص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة للتعرف على أثر الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية على الدولة العباسية من خلافة المأمون إلى خلافة الطائع لله 198هـ-381هـ/814م-991م، حيث هدد هاذين العاملين الاستقرار الاقتصادي للدول باعتبارهما جزء على يتجزأ من سيرورة حياة الشعوب والأمم، وتكمن أهمية هذه الدراسة بكونها تطرقت لجموعة التحديات التي واجهت هذا الجانب، فهي بذلك تختلف عن الأبحاث التي اهتمت بدراسة الجانب الاقتصادي للدولة العباسية.

أثبتت هذه الدراسة وجود علاقة سببية وعلاقة طردية بين الفوضى السياسية والكوارث الطبيعية والفشل والتراجع الاقتصادي، فمن الطبيعي أن الفوضى واللااستقرار تعطل اسباب الأمن والنظام، وتشل وسائل الكسب والارتزاق وتضييق على الأفراد أشد التضييق بحيث يتعذر عليهم طلب الرزق.

الكلمات المفتاحية:

الاضطرابات السياسية، الفتن، كوارث طبيعية، دولة عباسية، اقتصاد.

Abstract:

This study aims to identify the impact of political unrest and natural disasters on the Abbasid state from the Caliphate of Al-Ma'mun to the Caliphate of Al-Ta'i Allah 198 AH-381 AH/814 AD-991 AD, as these two factors threatened the economic stability of countries as they are an integral part of the life of peoples and nations, and the importance of this study lies in the fact that it addressed a group of challenges that faced this aspect, thus differing from the research that focused on studying the economic aspect of the Abbasid state.

The study proved the existence of a causal relationship and a direct relationship between political chaos, natural disasters, failure and economic decline, as it is natural that chaos and instability disrupt the causes of security and order, paralyze the means of earning and livelihood, and severely restrict individuals to the point that they cannot seek a livelihood.

Keywords: Political unrest, sedition, natural disasters, Abbasid state, economy.

Résumé:

Cette étude a pour objectif d'identifier l'impact des troubles politiques et des catastrophes naturelles sur l'État abbasside du califat d'Al-Ma'mun au califat d'Al-Ta'i Allah 198 AH-381 AH/814 AD-991 AD, car ces deux facteurs ont menacé la stabilité économique des pays car ils font partie intégrante de la vie des peuples et des nations. L'importance de cette étude réside dans le fait qu'elle a abordé un ensemble de défis auxquels cet aspect était confronté, et elle diffère donc de la recherche qui s'est concentrée sur l'étude de l'aspect économique de l'État abbasside.

L'étude a démontré l'existence d'une relation causale et directe entre le chaos politique, les catastrophes naturelles et l'échec et le déclin économiques. Il est naturel que le chaos et l'instabilité perturbent les causes de la sécurité et de l'ordre, paralysent les moyens de subsistance et restreignent considérablement les individus au point qu'il leur devient difficile de gagner leur vie.

Mots-clés Troubles politiques, situation, catastrophes naturelles, État abbasside, économie.